تاريخ

سلسلة تاريخ الحضارات
History of Civilizations

الحضارة اليمنيّة

الجزء الثاني

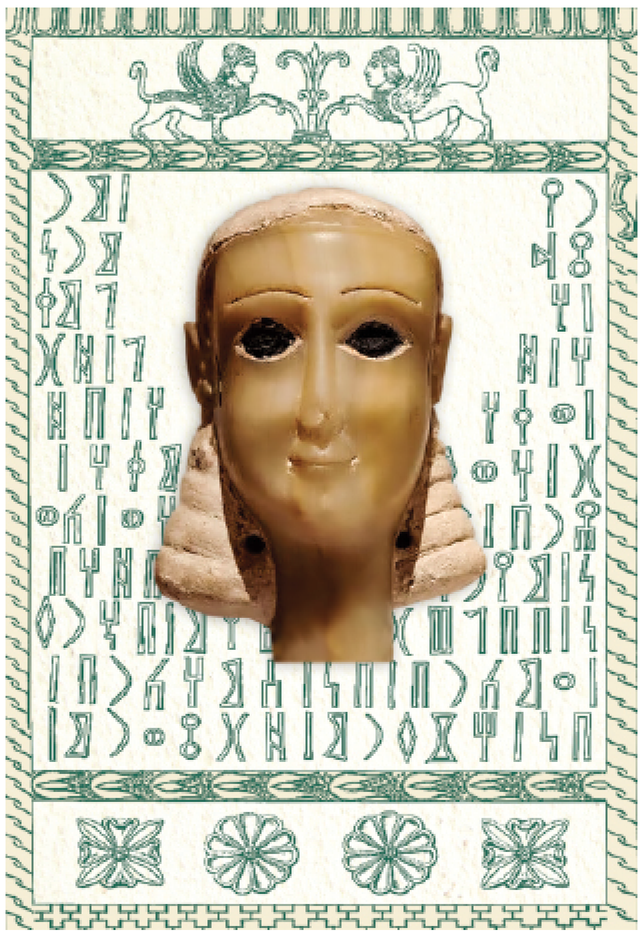
الدكتور خزعل الماجدي



منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING
تساؤلات

الحضارة اليمنية

الجزء الثاني



الدكتور خزعل الماجدي

منشورات تكوين | تساؤلات
TAKWEEN PUBLISHING

الحضارة اليمنية

الجزء الثاني

الدكتور خزعل الماجدي

Yemen Civilizationl

by Khazal Al-Majidi

الطبعة الأولى، سبتمبر ـ أيلول، 2022 (1000نسخة)

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING
الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة
تلفون: 40 04 81 98 965 +
بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي
تلفون: 60 58 00 11 78 964 +
takween.publishing@gmail.com
takweenkw
takween_publishing
TakweenPH

بغداد ـ العراق
شارع المتنبي عمارة الكاهجي
تلفون: +9647714440520
www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
Dar ALRafidain دار الرافدين
daralrafidain
daralrafidain
dar_alrafidain
daralrafidain دار الرافدين

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 671 - 70 - 3

أيقونة سلسلة تأريخ الحضارات

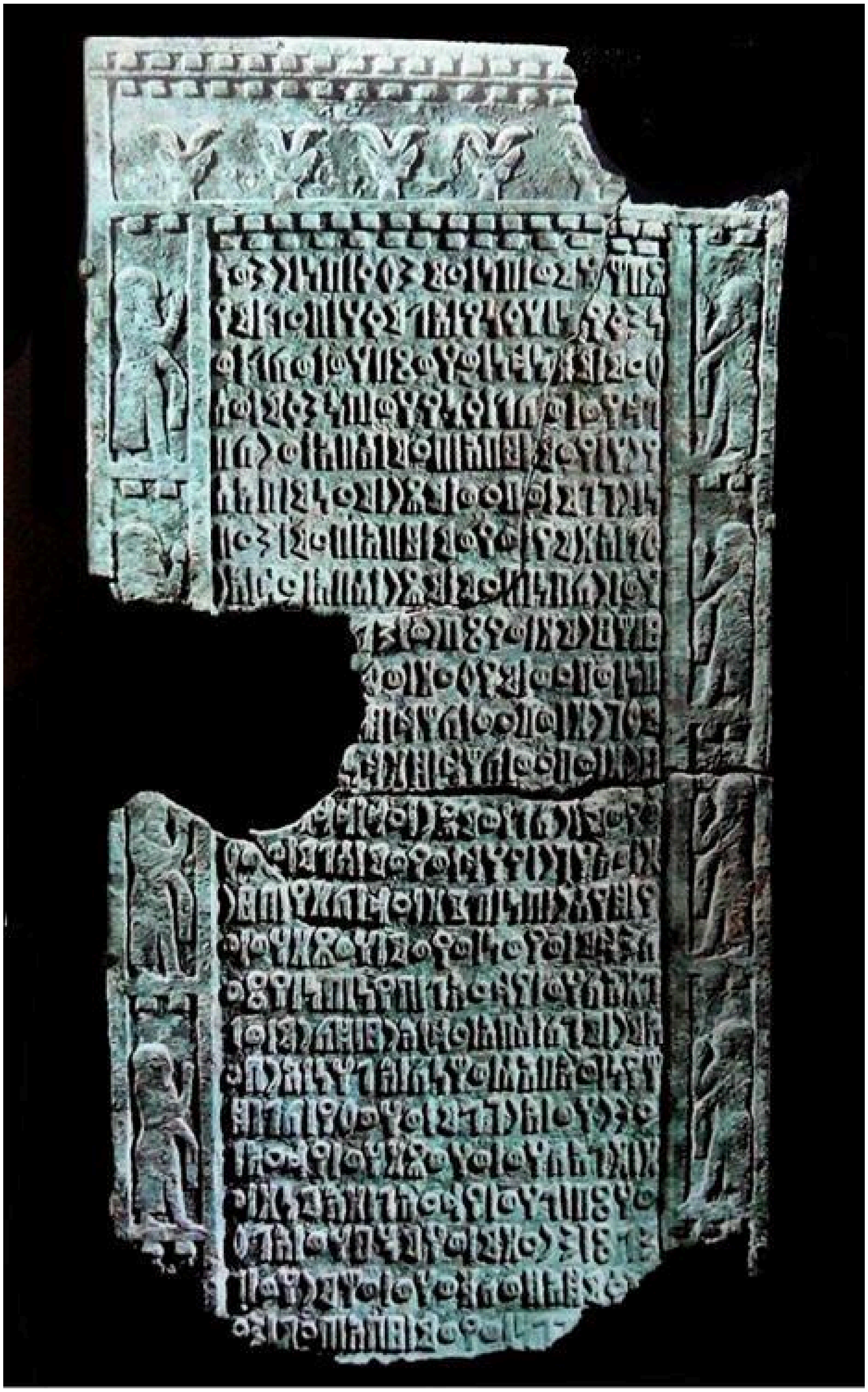
رمز الحضارة



رمز الإله القومي لليمن القديم (عثتر) عثر عليه منحوتاً على شاهدة كتب عليها نقش مخصص لإلهة الشمس يعود لحوالي القرن الميلادي الأول جنوب صنعاء، موجود في المتحف الوطني في صنعاء، أعادت رسمه عن الأصل لينا الناصري.

الفصل الثامن المظهر الفكري

(اللغة والكتابة والأدب والنزعات الفكرية)



النقش المدون بالخط المسند والموسوم (B - L Nashq)

المبحث الأول: اللغات اليمنية القديمة

مقدمة في اللغات السامية

تتكون اللغات الأفرو آسيوية من ست مجموعات لغوية هي: السامية، والأمازيغية، والتشادية، والكوشية، والمصرية، والأوموتية، وكانت اللغات الأفرو آسيوية تُعرف سابقاً باللغات الحامية السامية، ويعتقد أن اللغات السامية تنحدر من اللغة السامية الأم، وهي لغة عريقة في القدم تُنسب إلى شعوبٍ تُعرف بالشعوب السامية ظهرت في الشرق الأدنى في حدود الألف الخامسة قبل الميلاد.

عندما نستعمل مصطلح «اللغة أو اللغات السامية» فنحن لا نشير إلى مرجعيته الأسطورية أو العرقية التي اقترحها شلوتزر، قبل أكثر من ثلاثة قرون، التي تقضي بأن الساميين ينتسبون إلى أب أسطوري هو سام بن نوح، بل نحن نشير إلى مصطلح لغوي أصبح متعارفاً عليه يخص لغاتٍ ظهرت في الشرق الأدنى في وادي الرافدين وبلاد الشام وجزيرة العرب واليمن والحبشة، تمتاز بتقارب في التركيب الصرفي والنحوي، وقد اقترحنا بدائلَ للتسمية مثل اللغات الساريّة أو الآمورية (انظر كتابنا «الحضارات السامية المبكرة» 2019). ومع ذلك، ومن أجل التذكير، نستعمل مصطلح اللغات السامية بالوصف الذي حددناه، وليس بأيٍّ وصف ميثولوجي أو عرقيّ أو قومي.

تمتاز مجموعة اللغات السامية بصفات خاصة بها لا توجد في غيرها من اللغات الأخرى، وهي:

1. يعود أغلب كلماتها إلى جذر ثلاثي على وزن (ف ع ل).

2. يعود بعض كلماتها إلى جذر ثنائي مثل (أب، أخ، أم، عم، يد، فم، سن)، وقد فسر اللغويون وجودها بطريقتين: الأولى هو كونها تمثـل بقايا كلمات اللغة السامية الأم العتيقة، وقد بدأت بالألفاظ الثنائية وتطورت إلى الألفاظ الثلاثيـة، والتفسير الآخر أن هذه الكلمات كان لها حرف ثالث يظهر عند الجمع والنسب، مثل (أب = أبوي، فم = فموي، يد = يدوي، دم = دموي، أخ = أخوان)، فالحرف الثالث إما (واو) وإما (ياء).

3. العدد ـ في الغالب ـ مفرد ومثنى وجمع، لكن بعض اللغات السامية فقدتْ صيغة المثنى، وبقي الإفراد والجمع.

4. الجنس فــي اللغات الساميـة للكائنات الحية والجامدة مذكـر ومـؤنث على الحقيقـة، وليس فـيها الجنس المحايد بين التذكير والتأنيث، وللتأنيث علامات خاصة في اللغة العربية مثلاً.

5. كتابة خطـوطها القديمـة تعتمد على الحـروف الصوامـت، فتُثبتها فـي الكتابة، ولا تعتني بالحروف الصوائت أي حروف العلة، إذ إنها لا تثبتها فـي خطـوطها، ونلاحظ بقايا هذه الكتابة موجـودة فـي القرآن الكريم، مثل: الرحمن، وإسحق، وإسمعيل.

6. توجد في اللغات الساميـة، دون كلّ اللغات في العالم، مجموعتان من الأصوات اللغوية: المجموعة الأولى أصوات الحلق (الحاء، والعيـن، والغيـن، والخـاء، والهـاء، والهمـزة)، والمجموعة الثانية الأصوات المطبقة وهي (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء).

7. يتشابه تكوين الفعل في كل اللغات السامية، من حيث زمانُه وتجرده وزيادته وصحته واعتلاله.

8. تخلـو مـن الأسمـاء المركبـة تركيبا مـزجيا إلا في ألفاظ العدد، نحو خمسة عشر وغيرها.

9. تتشابه فـي الضمائر وطريقـة اتصالها بالأسمـاء، والأفعـال، والحـروف، وفــي صوغ الجمـل وتركيبها، وفي المشتقات كاسْمَيِ الفاعل والمفعول، واسمَيِ المكان والزمان.

10. تُحقِّقُ الاشتقاق إما بتغيير الحـركة، وإما بالزيادة فـي أحـرف الكلمـة، وإما بنَقْصها مـن غيـر أن تلتزم موضعاً واحداً في هذا التغيير، بخلاف اللغة الآريـة التي يتحقق فيها الاشتقاق بزيادة أدوات تدل على معنًى خاصٍّ في أول الكلمة غالباً.

11. تتشابـه اللغات السامية فـي كثيـر مـن المفـردات الأساسيـة المشتـركة، وتُقسم إلى المجموعات الآتية:

ـ ألفاظ خاصة بجسم الإنسان: (رأس، عين، يد، رجل)

ـ ألفاظ خاصة بالنبات والحيوان: (قمح، سنبلة، كلب، ذئب)

ـ قسم من الألفاظ الأساسية: (ولد، مات، قام، زرع)

ـ الأعداد الأساسية: (من اثنين حتى عشرة)

ـ حروف الجر الأساسية: (مـن، على، في)

ولا شك أن هناك تقارباً أشدَّ بين مجموعات اللغات السامية الأربع (الشمالية الشرقية في وادي الرافدين، الشمالية الغربية في بلاد الشام، الجنوبية الشرقية في اليمن وجزيرة العرب، الجنوبية الغربية في إثيوبيا والقرن الإفريقي).

القسم الأول: اللغات اليمنية القديمة

تنتمي اللغة اليمنية إلى مجموعة اللغات السامية الجنوبية، وهي تحديداً ضمن اللغات السامية الجنوبية الشرقية، فاللغات السامية تنقسم أساساً إلى أربع مجموعات أساسية هي:

1. اللغات السامية الشمالية الشرقية (في وادي الرافدين).

2. اللغات السامية الشمالية الغربية (في بلاد الشام).

3. اللغات السامية الجنوبية الشرقية (العربية، اليمنية).

4. اللغات السامية الجنوبية الغربية (الجعزية).

اللغات السامية الجنوبية الشرقية، وهي «اللغة اليمنية واللغة العربية»، قريبتان جداً بعضهما من بعض ومتداخلتان في التأثر والتأثير، وهو ما يدعو الكثيرين إلى الجمع بينهما أحياناً خطأً، لكن فرزهما مطلوب من أجل البحث العلمي الدقيق.

تنقسم اللغات الجنوبية الشرقية (العربية، اليمنية) إلى لغتين أساسيتين، وتنقسم كلٌّ منهما إلى:

أولاً: لهجات اللغة العربية القديمة: لهجات ظهرت في جزيرة العرب، يمكن تعرُّفها من نقوش كتابتها في جزيرة العرب وامتداداتها العراقية والشامية، حتى تَكَوُّن اللغة العربية الفصحى، وهي تضم فئتين رئيستين:

الأولى: اللغات التي كُتبت بخط المسند (المسند الشمالي) وتشمل:

1. الأحسائية: وهي النقوش الأقدم التي عثر عليها في شرق الجزيرة العربية، والتي كتبت باللغة المَعِينية، وقد نقشت بحروف المسند، وتسمى باسم النقوش الحسائية أو (الأحسائية) نسبةً إلى منطقة الأحساء.

2. الثمودية: مجموعة من النقوش الشمالية في جزيرة العرب، كُتبت بخط يشابه الخط اليمني الجنوبي (المسند) ويختلف في شكل بعض الحروف وطريقة الكتابة عن الخط المسند التقليدي.

3. الدادانية (اللحيانية): مجموعة من النقوش الشمالية في جزيرة العرب المكتوبة بالخط المسند، وقد كانت هذه النقوش منتشرةً في مستوطنة دادان وتيماء وجبل عكمة شمال شبه الجزيرة العربية، وبالتحديد في مستوطنة دادان.

4. الصفائية (الصفوية، الصفاتية): مجموعة من النقوش الشمالية الغربية في جزيرة العرب المكتشفة في بادية الشام وما جاورها، تعود إلى ما بين 1000 ق.م و400 م، ونسبتها إلى تلال صفا الواقعة شرقي اللجاة في حَوْران.

الثانية: اللغات التي كُتبت بالخط الآرامي والنبطي وتشمل:

نقش النمارة، ونقش زبد، ونقش حوران، والفاوية في كندة، والحجازية، والحسمائية، والتيمائية، التي تأثرت في كتابتها بالآرامية والنبطية.

ثانياً: لهجات اللغة اليمنية القديمة: وهي اللهجات التي سنستعرضها هنا.

أولاً: اللهجات اليمنية الرسمية

(السبئية، الحِمْيرية، القَتْبانية، الحضرمية، المَعِينية، الأوسانية). الحميرية أصلها سبئي، لكنها اكتسبت مادة لغوية متنوعة وأصبحت لهجة قائمة بذاتها، أما الأوسانية فقد عُثر مؤخراً على نقوش نادرة لها، وأصبحت ملامح لهجتها واضحة.

رصيد هذه اللهجات اليمنية نحو 20 ألف نقشٍ مكتوب بالكتابة المسندية والزبورية، تعود إلى الفترة بين (800 ق.م ـ 570 م)، أي إلى ما يقرب من 1370 عاماً، ولا شك أن اللغة اليمنية أقدم من ذلك، فهي موجودة قبل أن تُدَوَّن بالكتابة المسندية، وهي ثروة حقيقية من الكتابات الأصيلة الأصلية، قد لا نجد لها نظيراً في كثير من الحضارات القديمة، وسنتوسع في موضوع الكتابات وخطوطها في المبحث القادم ونركز هنا على اللغة اليمنية.

ومثلما ظهر مصطلح (الحضارة الصيهدية) للدلالة على الحضارة اليمنية، فقد رأى (بيستون) أن هذه اللغات يمكن أن نسميها بـ(اللغات الصيهدية) نسبة إلى منطقة (صيهد) التي وردتْ عند الجغرافيين العرب القدامى، للدلالة على مِنطقة محددة من اليمن، تقع غرب اليمن وتمتد بين حدود صحراء (رملة السبعتين) والأطراف الداخلية من المرتفعات الغربية في اليمن، وكذلك بسبب العثور على أغلب النقوش اليمنية القديمة في هذه المنطقة، لكننا لا نرى التسمية مناسبة ما دام مصطلح اللغات اليمنية مُوفياً مثل هذه الدلالة، وينطبق الأمر على الحضارة، إذ ناقشناه في الفصل التمهيدي من الكتاب.

1. اللهجة السبئية

هي لهجة السبئيين والحِمْيريين الأوائل، سادت مملكتيهما وكانت أوسع اللهجات انتشاراً وأطولها استعمالاً وأكثرها تدويناً، ومن أهم مزاياها:

1. تمتاز اللهجة السبئية بسَبْق أو تَعْدية الفعل بحرف الهاء، فمثلاً نقول (هفعل)، أما اللهجات الأخرى فسبقها أو تعديها مع الفعل بحرف السين حيث نقول (سفعل)، وفي العودة إلى الغة العربية نجد الفعل مسبوقاً بالهمزة (أفعل)، وهناك لهجات عربية قديمة أسبقت الفعل بالهاء أيضاً.

2. تدخل (هاء) التعدية على ضمائر الغائب مثل (هو، هي، همو)، في مقابل ذلك تدخل السين (س) على هذه الضمائر مثل (سو، سي، سمو) في المَعِينية والحَضْرمية والقَتْبانية.

3. تتميز السبئية من القتبانية في استخدام أسماء الإشارة:

(انظر السلوي 1994: 58)

4. تتميز السبئية من الحضرمية والمعينية في استخدام حرف الجر (ل) مقابل (هـ) في الحضرمية، وفي المَعِينية (ك)، حيث تُستخدم مع اسم الإله (عثتر) مثلاً كما يلي:

السبئية: لعثتر الحضرمية: هعيثتر المعينية: كعثتر

5. هناك ظواهر لغوية تختلف بين لهجتين يفترض أنهما من مصدر واحد وهما السبئية والحميرية، ويظهر ذلك جلياً في قصيدتَي الاستسقاء والشمس، وذلك بسبب فارق الزمن وظهور استخدامات جديدة (السلوي 1994: 63 ـ 64).

هذا وتُعد اللهجة السبئية اللهجة القياسية بالنسبة إلى اللهجات الأخرى.

مراحل تطور اللهجة السبئية:

1. السبئية المبكرة (القديمة): التي تشغل الفترة بين ظهور اللهجة السبئية وحتى بداية القرن الميلادي الأول.

2. السبئية الوسيطة: التي شغلت القرون الميلادية الثلاثة الأولى، أي حتى بداية القرن الميلادي الرابع، التي منها أغلب النقوش السبئية.

3. السبئية المتأخرة (الحديثة): من أوائل القرن الرابع حتى النصف الثاني من القرن السادس الميلادي.

ولا بد من ملاحظة أن المرحلتين الأخيرتين تمثلان تداخل اللغة السبئية مع اللغة الحميرية التي تكونت ملامحها بوضوح مع بداية القرون الميلادية.

2. اللهجة القتبانية

هي لهجة مملكة قتبان بين القرنين الخامس ق.م والثاني الميلادي، وقد عثر على أغلب نقوشها في عاصمة قتبان (تمنع) ومواقع وادي بيجان ووادي حُريب وجنوبيهما، ومظاهرها اللغوية قديمة جداً.

3. اللهجة الحضرمية

لهجة دخلت فيها مؤثرات لغوية من إفريقيا وجنوب شرق آسيا والهند، لها خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية، مثل قلب الجيم إلى باء (جمل: بمل) في قرى الساحل الحضرمي ومدنه، وفي أماكن أخرى تصبح الجيم مفخّمة قوية (جمل: چمل، گمل)، والضاد والظاء يلفظان ظاءً، وهذا يشبه ما حصل في اللهجات العراقية، ولها نظام خاص في الضمائر.

4. اللهجة المعينية

لهجة المعينيين التي يُرَجَّح استعمالها بين (1200 ق.م ـ 100 م) في منطقة الجوف، وربما في (هرم أو نشان) قبل انضمامها إلى سبأ، وانتشرت في مناطق ديدان (العلا حاليا) في شمال جزيرة العرب، وقد عُثر على نقوش لها في مأرب وصرواح بسبب التجارة المعينية، وتمتاز هذه اللهجة باستخدام حرف السين في تعدية الفعل مثل (سفعل) أي (هفعل) السبئية، وبحرف السين في ضمير المفرد الغائب (س) و(سم) للجمع مقابل (هو) و(همو) في اللهجة السبئية.

ثانياً: اللهجات اليمنية الثانوية

1. اللهجة الحميرية: لهجة مشتقة من اللهجة السبئية، مع إضافاتٍ مختلفة، ما زالت مستعملة من قبل قبائل خولان الحميرية في منطقة السراة وصعدة وبعض القبائل في تهامة وعسير، وصلت في النقوش التي أوضحت خصوصيتها وسيادتها على آخر مراحل اليمن القديم، وأهم مظاهرها في أداة التعريف، فبدلاً من (أل) العربية يستعمل متكلموها (أم) الحميرية وبذلك تصبح كلمة مثل الشمس (أمشمس) والبيت (أمبيت) إلخ، ويستبدلون بحرف الكاف حرفَ السين، مثل أبوك (أبوس)، أعطيتك (أعطيتس) إلخ.

وَصَف أهل التراث العربي الظواهر اللغوية والصوتية الخاصة باللهجة الحميرية، يوضحها الجدول الآتي:

(انظر هزيم 2015: 932 ـ 933).

2. اللهجة الأوسانية: نقوشها نادرة، منها نقش أوساني من وادي مرخة يعود إلى الملك الأوساني (م ع د إ ل/س ل ح ن) الذي اشتمل على بعض المعلومات والأسماء والأعلام

والمعبودات التي ترد لأول مرة ضمن معبودات المعبد (ح ث د م) في مدينة (م ن وب م) في وادي مرخة. (انظر الزبيدي 2013: المقدمة).

ثالثاً: اللهجات اليمنية الفرعية

أولاً: اللهجات اليمنية الفرعية القديمة المدونة بالمسند: وهي لهجات غير رسمية يقتصر استخدامها على مناطق صغيرة المساحة وقليلة السكان على رغم أهميتها وتميزها، وهي:

1. اللهجة الهرمية: لهجة مدينة (هرم) أو (نشان) التي تقع شرقِيّ وادي الجوف (خربة آل علي، قرب الحزم)، وهي لهجة مميزة في هذه المجموعة من اللهجات المدوَّنة بالمسند، لم تنتجها مملكة أو شعب يَمَنِي قديم بل أنتجتها مدينة، وهي قريبة من اللهجة السبئية وتظهر فيها الكثير من مظاهر اللغات العربية الشمالية.

2. اللهجة الردمانية: وهي لهجة متأثرة بالقتبانية، كان يتحدث بها الردمانيون الذين سكنوا في المِنطقة بين رداع والبيضاء.

3. اللهجة الزبورية: وهي لهجة شعبية وُجدت في مدونات الخط الزبوري على قطع الخشب من عسيب النخيل وشجرة السدر (العلب) وغيرها، وحروفها مسندية متصلة، ومَزِيّتها النَّحْوية هي احتواؤها على ضمائر المتكلم والمخاطب وأفعال الأمر، وفيها ألفاظ شعبية وعملية ويومية.

4. لهجة النصين الشعريين: النصان الشعريان الوحيدان في الأدب اليمني هما قصيدة أو أنشودة المطر (الاستسقاء) وترنيمة الشمس (القصيدة الحميرية)، (راجع المبحث الخاص بالأدب اليمني القديم في هذا الفصل)، ويمتاز هذان النصان وينفردان عن نقوش اللهجات الأربع الرسمية بظواهر معجمية ونحوية خاصة.

القسم الثاني: اللهجات اليمنية الحديثة

1. اللهجة السقطرية: لهجة سُكان جزيرة سقطرى الأصليين من قبيلة المهرة، وجزيرة عبد الكوري وجزيرة سمعة، ولذلك هناك علاقة لهذه اللهجة مع اللهجة المُهرية، وهي لغة تستعمل في الشعر والتجارة والحياة الروحية وغيرها.

2. اللهجة المهرية: وهي لهجة قبائل المهرة حيث وُجدت في عُمان أو اليمن أو في جزيرة العرب، وهي أبرز لهجات جنوب شرق اليمن بسبب قَدِمها الذي يعود إلى بداية الألف الأول قبل الميلاد ـ كما يقول فولدكه.

أنتجت هذه اللهجة أنواعاً خاصة من الشعر أبرزها (الدنادون، الريوي، هودي كريم، ياهو بيل هوبيل ـ تكون أثناء العمل ـ) (انظر المهري، 2006: 6).

هناك حروف في اللهجة المهرية تنطق ولا تكتب، وهي (ش، ق، س، ض)، ولهذه اللهجة معجم ألفاظ مميز.

3. اللهجة الظفارية.

4. اللهجة الهبيوتية: منتشرة في اليمن وسلطنة عُمان، وهي لهجة قابلة للاندثار، جَمَع قاموسها الياباني (أكيو بكانو).

5. اللهجة العدنية.

6. اللهجة الخبانية.

7. اللهجة اليافعية.

8. اللهجة الضالعية.

9. اللهجة الحضرمية (الحديثة).

10. اللهجة الصنعانية.

11. اللهجة التعزية.

12. اللهجة الإبيّة.

13. اللهجة البدوية.

14. اللهجة التهامية.

القسم الثالث: اللغات السامية الجنوبية الغربية

أساسها اللغة الجعزية التي انتشرت في بلدان القرن الإفريقي وبشكل خاص (أرتيريا، جيبوتي، الصومال، الحبشة)، حصل ذلك بسبب هجرة مبكرة لقبائل يمنية في مطلع الألف الأول قبل الميلاد من اليمن إلى مناطق القرن الإفريقي، فقد هاجرت قبيلة «حبشت» اليمنية إلى إثيوبيا وتَكَوَّن اسم الحبشة بسببها، وهاجرت قبيلة الجعز (الأجاعز) إلى مناطق

القرن الإفريقي وظهرت اللغة الجعزية في كل هذا القرن، ويمكننا، إجمالاً، تعرُّف تطور نشوء وانشطار الجعزية إلى لهجات في المراحل الآتية:

1. المرحلة المبكرة: وهي مرحلة هجرة قبائل حبشت والجعز إلى القرن الإفريقي منذ نحو 1000 ق.م إلى 500 م، واختلاط لغات هذه القبائل مع اللغة الكوشية التي كانت في أغلب مناطق القرن الإفريقي وتفاعل هذه اللغات.

2. مرحلة اللغة الجعزية: وهي مرحلة تبلور لغة جديدة هي اللغة الجعزية، واستمرت هذه المرحلة من القرن الخامس ق.م إلى القرن الميلادي الأول.

3. مرحلة ازدهار مملكة أكسوم الحبشية خلال القرون الميلادية العشرة الأولى واستعمال اللغة الجعزية كلغة دينية للكنيسة الحبشية، وفي هذه المرحلة حاولت هذه المملكة السيطرة على أقسام كبيرة من اليمن ونجحت في ذلك حين رافق الأمر نشر المسيحية في اليمن.

4. مرحلة اللهجات الجعزية وهي مرحلة انفراط اللغة الجعزية إلى مجموعة من اللهجات في مناطق القرن الإفريقي، وسيادة اللهجة الأمهرية في إثيوبيا (وهي لهجة جعزية)، ويمكننا رصد هذه اللهجات وتحولها إلى لغات في مناطق القرن الإفريقي في هذا الجدول المبسَّط:

انظر (إسماعيل 2000: 41 ـ 42)

المبحث الثاني: الكتابة اليمنية القديمة

الجذور العتيقة لنشوء الكتابة في اليمن، في العصر البرونزي، أمر يحتاج إلى بحوث موسَّعة ودقيقة، ويشتبك مع بدايات الكتابة الصورية في الشرق الأدنى وكيف ظهر المسند منها أو من الأبجديات التي نشأت عنها، فقد ظهرت الكتابة المسندية اليمنية في العصر الحديدي المبكر (1200 ـ 1000 ق.م)، وظهرت أول النقوش التذكارية في أواسط القرن الثامن ق.م.

كان اليمنيون يستعملون الكتابة على نطاق واسع، ففي المعابد كانت مصاحِبة للنذور والتماثيل، وفي واجهة المباني العامة والخاصة، وفي الصحراء حيث يَتْرك العابرون نقوش أسمائهم على الصخور، وفي المُعاملات والرسائل والعقود والوثائق الرسمية التي تخُصُّ الحياة اليومية للحكام والناس.

أنواع الخطوط اليمنية المكتوبة

1. النقوش المسندية التذكارية: وهي نقوش من الطراز الرفيع، أعِدَّت لكي تقاوم ظروف المناخ والاندثار، زخرفة حروفها عالية، محفورة على ألوح حجرية وصخور وبرونز وغيرها، فهي النقوش الأكثر عدداً والمكتوبة بعناية، وكانت من أجل الأغراض الآتية:

أ. التوثيق والموضوعات التذكارية: التوثيق من معاني كلمة مسند (نقش توثيقي، وثيقة)، فهو لأغراض التوثيق والتذكار، ولذلك يكون على المواد الصلبة الصغيرة الحجم التي ذكرناها.

ب. الإشهار والتخليد: حين تكون كتابة المسند على المواد الصلبة التي ذكرناها بالحجم الكبير، التي تدوّن على أسوار المدن وواجهات المعابد والمنشآت المدنية والهندسية مثل سدود الريّ، وعلى صخور الجبال، بعيدة عن يد الإنسان من أجل عدم العبث بها ـ حينها تكون غايتها الإشهار والتخليد.

ج. النصوص الأدبية والدينية المهمة: التي ملأت المعابد والتي تضمنت أغلب مضامين الدين اليمني القديم وبعض نصوص الأدب.

2. النقوش المسندية العامة: وهي نقوش من الطراز الرفيع، أُعِدت لكي تقاوم ظروف المناخ والاندثار، مكتوبة ببساطة وبخط يتراوح في درجات جَوْدته، ويكتبها كثيرون، بعضهم لا يتقنون الكتابة وقواعدها بشكل جيد.

3. النقوش السريعة (الزبورية): وهي نقوش الخشب والعسيب ذات الانتشار الشعبي، ومنها الخط الزبوري، وهي خط مسندي عملي مرن وشعبي، ويشمل الكتابات المحفورة على جريد النخل (العسيب) أو على الأعواد الخشبية، وكانت من أجل هذه الأغراض: المعاملات اليومية، والرسائل الشخصية، والسندات المالية، والالتزامات والإيصالات، والأمور الدينية.

ويتّضح من هذا أن الكتابات المسندية كانت رسمية، في عمومها، وتمثل الجوانب التذكارية والإشهارية والتوثيقية والدينية والأدبية، أما الكتابات الزبورية فكانت تمثل المعاملات الشعبية السريعة والمتداولة من معاملات يومية ورسائل شخصية وسندات وإيصالات وأحياناً بعض النصوص الدينية.

أولاً: الخط المسند



كان الخط المسند يُكتب على مواد مختلفة مثل الصفائح المعدنية، والبرونز بشكل خاص، أو الصخور والأحجار أو الجص، أو على ألواح حجرية مُعَدّة لهذا الغرض.

ويعد اليمن أحد أكثر مناطق العالم الحضارية القديمة المالكة للنقوش الكتابية التي تجاوز عددها حتى أيامنا هذه عشرين ألف نقشٍ.

المسند: لغةً هو التوثيق والدعم ومنه جاءت كلمة مستند، وتعني النقوش الوثائقية ذات الطابع التذكاري. واصطلاحاً خط الأبجدية المستخدمة في الكتابة اليمنية القديمة، ويبدو أن شكل حروف المسند عامة يشبه عناصر العمارة الساندة كالأعمدة، وهو ما تعنيه اللفظة باللغات اليمنية القديم.

دوّن اليمنيون القدماء كتاباتهم بخطٍّ واحد هو الخط المسند، وجذر كلمة (مسند) باللغة اليمنية من الفعل (س ن د) أي (وثّق، عضّد، دعم، سندّ)، وهو لا يعني (كتبَ، دوّن)، بل هو سند ووثيقة.



لوحة برونزية عليها اعتراف علني لإليعاز في معبد ذي السماوي، عثر عليها في وادي الشديف

طولها 23 سم، عرضها 17 سم، موجودة في المتحف الوطني في صنعاء

حروف المسند:

هناك 29 حرفاً مسندياً تتضمن الحروف العربية الثماني والعشرين، مع اختلاف كبير في رسم الحروف، أما الحرف التاسع والعشرون فهو حرف يجمع السين والصاد والزاي في لفْظِهِ ويسمى حرف السامخ (سَ) في الجدول الآتي الذي نلاحظ فيه التشابه بين حروف المسند العادية والمزخرفة ذات الطابع الهندسي واختلافها عن حروف الزبور المَرِنة:



جدول حروف كتابة المسند

1. مراحل شكل الخط المسند:

1. المرحلة القديمة: إذا ظهرَتِ الحروف المسندية بأبعادٍ قلقة ومختلفة كان يُكتب من اليمين إلى اليسار، وإذا انتهى السطر يكتب من اليسار إلى اليمين.

2. مرحلة النقوش التذكارية: التي بدأت من أواسط القرن الثامن ق.م، وامتازت النقوش بالقِصَر، وفي هذه المرحلة الحديثة يُكتب من اليمين إلى اليسار فقط، ومما يميز هذا الخط أنه لا يوجد به نقاط ولا حركات، وتكتب الكلمات بحروفٍ منفصلة، وبين كلمة وأخرى عمود فاصل.

3. المرحلة الهندسية في تصميم الحروف في القرن السابع ق.م. كانت نقوش ما قبل الميلاد تتركز في ثلاث مناطق مجاورة للصحراء هي (الجوف، ومأرب، وبيجان)، وتنتشر

في المناطق المرتفعة وتنعدم في السفوح الغربية والجنوبية كلما اتجهنا نحو البحر الأحمر والمحيط الهندي.

4. مرحلة الحروف المرنة الزوايا: مع اقتراب القرون الميلادية، وانتشرت في المرتفعات وفي مأرب وفي ظفار باتجاه الجنوب وحتى خيوان شمالاً.

5. مرحلة الحروف اللولبية (الباروكية) في النحت البارز في منتصف القرن الرابع للميلاد.

6. المرحلة الزبورية على الخشب والعسيب وهي مرحلة الكتابة السريعة.

7. نهاية الخط المسند في اليمن: بعد بداية القرن الرابع الميلادي قلت خطوط المسند وأصبحت نادرة، بسبب انتشار اليهودية ثم المسيحية، وهجر المعابد القديمة واستعمال الكتابة العبرية والسريانية واليونانية بدلاً من الخط المسندي.

انتهت بعض اللغات اليمنية مع نهاية استقلال ممالكها، فقد كانت آخر نقوش اللغة المعينية في نهاية القرن الثاني ق.م، والقتبانية في القرن الميلادي الثاني، والحضرمية في القرن الميلادي الثالث، أما حمير فقد كُتبت في بدايتها باللغة القتبانية، وبعد استقلالها (نحو 110 ق.م) كتبت باللغة السبئية، وكانت حمير تجمع في لغتها بين السبئية والعربية ولغات أخرى.

استمرت اللغة السبئية حتى نهاية الحضارة اليمنية القديمة بعد منتصف القرن السادس للميلاد بقليل، وكان شرق اليمن يزداد تدفقاً بلغة العرب البدو الرُّحَّل، والحِمْيريون ينطقون ويكتبون سَبَئية هجينة ومكتوبة بخط رديء، وزاد الحِمْيريون الطين بِلَّةً حين اعتنقوا اليهودية والمسيحية، وفرضت هاتان الديانتان تغيراً لغويّاً وخطيّاً جديداً بحسب لغة الدينين (العبرية والسريانية)، وهو ما كان خاتمة الخط المسند وهَجْر استعماله.

«أما الكتابة التي تُسمى «عربية» فلم تُعرف في الجزيرة العربية قبل الإسلام، لقد أتت من عرب صحراء بلاد الشام الذين استعاروها نحو بداية القرن السادس الميلادي من مسيحيي بلاد الشام والعراق الذين كانوا يتكلمون ضَرْباً من الآرامية، كان يُطلق عليه «السريانية»، ويستخدمون أبجدية مؤلَّفة من 22 حرفاً صامتاً ملائماً لهذه اللغة». (روبان 1999: 84).

كان «النصُّ المؤرَّخ الأكثر تأخُّراً يحمل تاريخ 669 من العصر الحميري، أي 559 ـ 560 من العصر الميلادي، وبوسعنا الإشارة على سبيل الفضول إلى نقشين أثريين عُثر عليهما في شمال اليمن في أم ليلى، حُرِّرا باللغة العربية لكنهما كُتِبا بالأبجدية الجنوبية العربية، يؤرَّخان على وجه التقريب ببدايات الإسلام، وقد اكتُشف خارج اليمن في حدوده الحالية عشرة نقوش في ظفار (عُمان الجنوبي، إذ يجب التمييز بين هذه المنطقة والمدينة التي تحمل الاسم ذاته)، على الموقع الحضرمي خور روري، أما نجران وقرية الفاو في المملكة العربية السعودية فلم تُعطيا أكثر من ذلك بكثير، ونجد كذلك نصوصاً يمنية قديمة في

مواقع تجارية في الخارج، عدة عشرات منها في تيغري (الحبشة)، ومثل ذلك العدد أيضاً في واحتين تقعان شمال الحجاز (العلا ومدائن صالح)، وأخيراً فهناك مَعِيني وحضرمي تَرَكَ كلٌّ منهما إهداءً بلغة اليمن القديم في الجزيرة اليونانية ديلوس (...)، ثم إنّ معينياً تُوفي في مصر كان قد طلب أن يُنقش نصٌّ بلغته الأم على تابوته». (روبان 1999: 79).

2. صفات الخط المسند

1. يكتب من اليمين إلى اليسار وهو الغالب، ولكن أحيانا يُكتب من اليسار إلى اليمين، وإذا كتب بالطريقتين بالتتابع فَسَيُسَمَّى حينها بـ«طريق المحراث» كناية عن الطريق المحروث الذي يخلفه حرث المحراث بصورة متناوبة.

2. للمسند تسعة وعشرون حرفاً، أي إنه يزيد على الأبجدية العربية الحالية بحرف واحد، وهذا الحرف يكون لفظه ما بين السين والشين، يُسمى حرف سامخ هو حرف (السين الثالثة).

3. يكتب منفصلاً غير مترابط، أي إن حروفه لا تلتقي ولا يتغير شكل الحرف بحسب موضعه من الكلمة، غير أن اتجاه بعض الحروف يتغير وفقاً لبدء الكتابة.

4. كتابة المسند إما بارزة وإما غائرة، فالكتابة البارزة للأعمال الجليلة والكتابة الغائرة للاعتيادية، ومواد كتابة المسند كانت الحجارة والصخر والخشب والمعادن.

5. يوضع خطٌّ مستقيم عمودي للفصل بين الكلمات (|).

6. عند التشديد يكتب الحرف مرتَيْن ويكون خالياً من التنقيط والحركات.

7. يمكن الكتابة به من اليمين إلى اليسار والعكس، عند الانعكاس يمكن قلب الحرف أيضاً بشكل المرآة.

8. لا يحتوي على حركات أو تنقيط.

9. ظهرت تجليات المسند في القلم (اللحياني والقلم الثمودي والقلم الصفاتي) التي أحدثت فيه من التعديل والتغيير، ومن المسند وُلِد القلم الحبشي (الجعزي)، وتعد الكتابة الأمهرية في إثيوبيا الباقي الرسمي الوحيد من تجلياته.

3. استخدامه في الترقيم

استخدم اليمنيون حروف المسند في الترقيم، وجعلوا من الحرف العمودي المستقيم وَحْدة الترقِيم الأساسية ومعَبِّراً عن رقم واحد، وحرف الخاء معبِّراً عن خمسة، وحرف

العين معبِّراً عن عشرة، كما في هذا الجدول البسيط: (يُراجع فصل علوم اليمنيين، مبحث الرياضيات):



Sultan Musnad Typefaces

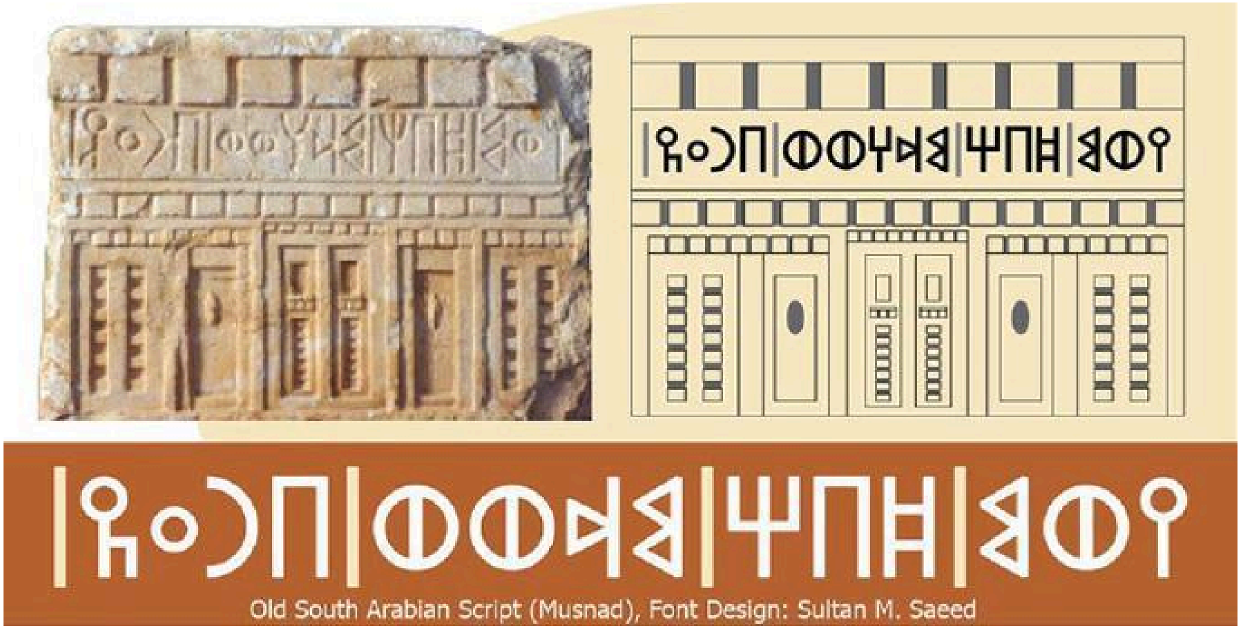
جماليات التناسق والنسب الهندسية في الخط المسند من وضع سلطان محمد المقطري

http://osausnad.blogspot.com/2018/07/blog - post.html

4. علاقة المسند بالعمارة

الوحدات الهندسية لحروف المسند: يكاد الخط المسند يكون خطاً هندسياً بامتياز، فهو يضم الخطوط: المستقيمة ومنها العمودي والأفقي والقطري، والمنحنية ومنها القوسي والدائري والهندسي المربع والمثلث والمَعِين، ويوضحها هذا الشكل:

العلاقة بين حروف المسند والوَحَدات المعمارية



5. تاريخ فك النقوش المسندية:

1. اكتشاف النقوش اليمنية القديمة الأولى: يؤرَّخ بداية اكتشاف النقوش في عام 1810 في حادثتين منفصلتين هما:

أ. اكتشف هنري سالت Henry Salt في موقع (يحا) في الحبشة (في 13/5/1810) أول نقش سبئي.

ب. اكتشف الألماني أولريش ياسبر سيتزن Ulrich Jasper Seetzen في ظفار في اليمن ثمانية نقوش مسندية، أرسل صورها إلى ألمانيا.

2. اكتشاف بالينوروس Palinurus، وهو ضابط السفينة البريطانية عند حضرموت/حصن الغراب، نصّاً مسنديّاً مؤلَّفاً من عشرة سطور في 1834، نَشَرت صورته مجلة البنغال العلمية وأثارت اهتمام المَعْنيين بالأمر.

3. اكتُشفت ونُسخت نصوص مسندية في منطقة صنعاء في عامي 1835 و1843، وتصاعدت حُمّى فكّ رموز الخط المسندي.

4. توصل العالمان الألمانيان غيسنيوسW. Gesenius وروديغر E. Rodiger إلى أول فكّ للخط المسندي اليمني في عام 1841، بعد أن تَعَرَّفا ثُلُثَيِ الحروف بصورة صحيحة من أصل تسعة وعشرين حرفاً.

5. حصل جوزيف هاليفي Joseph Halevy على ما يقرب من ألفَيْ نصٍّ مسندي، وحين عاد إلى اليمن عام 1870 كانت كل الحروف المسندية قد فُكَّت أصواتُها ما عدا حرفين، وهما حرف الـ«س» (مقروءاً ز) وحرف الـ«ز» (مقروءاً ت)، وهناك شكوك حول نطق حرفَيْ «ت» و«ط».

6. قبل نهاية القرن التاسع عشر كان حل النقوش المسندية قد اكتمل، وبدأت ترجمات النصوص تظهر بوفرة.

7. في سبعينات القرن العشرين ظهرت نصوصُ الخط الزبوري (السريع)، وكان أبرز عالمين عربيين هما د. محمود الغول ود. يوسف محمد عبد الله قد ساهما مساهمة كبيرة في فكّ أبجدية هذه النصوص.

ثانياً: مراحل كتابة الخط المسند

1. المرحلة القديمة: كان يكتب من اليمين إلى اليسار، وإذا انتهى السطر يكتب من اليسار إلى اليمين، ويسمى بخط المحراث.

2. المرحلة الحديثة: يكتب من اليمين إلى اليسار فقط سَطراً بعد آخر.

1. تاريخ تطور كتابة الأبجديات الأولى

السينائية والكنعانية والمسندية

لا شك أن الكتابة الصُّورية الأولى (السومرية والمصرية) كانت المصدر الأول لنشوء الأبجدية، فمن المعروف أن البكتوغراف المصري هو مصدر الأبجدية السينائية المبكرة التي ظهرت من الديموطيقية المصرية في سرابيط الخادم ووادي الهول في حدود 1800 ق.م، وهي مصدر الكتابة الأبجدية الكنعانية المبكرة التي ظهرت في (جازر، وتل البلاطة، وتل الدوير) في الوقت نفسه تقريباً.

ونرجّح أن تكون الكتابة الصورية السومرية مصدراً للأبجدية المسندية المبكرة في الميفاع والسحتن نحو 1800 ق.م، وربما حصل هذا بسبب التجارة بين سُومر ودلمون (البحرين) ومجان (عُمان).

عدد الحروف في لغة نقوش المسند والزبور تسعة وعشرون حرفاً، فهي أكثر من حروف اللغات السامية الأخرى، والحروف الفينيقية يصل عددها إلى اثنين وعشرين حرفاً، فاللغات المسندية اليمنية تزيد بسبعة أحرف، ويلاحظ أن هناك تشابهاً في أشكال الحروف (ج ل ن ع ش ت) واختلافاً في بقية الحروف، وهذا يُضعف احتمالية أن يكون الخط المسند

مأخوذاً من الخط الفينيقي، ويزيد هذا الاستنتاج قوةً أن أقدم الشواهد الكتابية بالخط المسند تَرْقى إلى القرن 12 ق.م، وهو تاريخ أقدم كتابة فينيقية معروفة، وبالنسبة إلى الكتابة السينائية التي لم تظهر سوى في أحد عشر نقشاً فقط، رَجّح علماء الآثار أنها تعود إلى القرن الخامس عشر ق.م، وأن عدد حروفها اثنين وعشرين حرفاً دُوِّنت أغلبها بأشكال تصويرية تتشابه إلى حد كبير مع الفينيقية في أشكال الحروف (أ ل م ن ع غ ق ر ش ت)، وبالمثل فإن الخط المسند يشترك مع الخط السينائي في أشكال الحروف (ب ر ح ل م ن ع ش ت)، وهذا يدل بوضوح على أن الخط السينائي ليس هو الأصل المشترك الذي أُخِذ عنه الفرعان الشمالي والجنوبي.

يتضح مما سبق أن الخط المسند ليس مأخوذاً من الخط الفينيقي أو السينائي، بل إن الخطوط الثلاثة ترجع إلى أصل كتابي مشترك قد يكون هو صلة الوصل بين الكتابة التصويرية والكتابة المتطورة عنها.

هناك سمات مشتركة بين المسند ولغة الكتابات الأوغاريتية في النسق الألفبائي ووفرة الأصوات وأسلوب الفصل بين الكلمة والأخرى وفي زيادة حرف الميم في آخر أسماء الأعلام وفي عدد من الخصائص اللغوية والنحوية والصرفية والمعجمية ـ هذه السمات والخصائص المشتركة تدل على صلة وثيقة بين لغة المسند واللغة الأوغاريتية وبين الأوغاريتيين واليمنيين.

وكان عالم الآثار الروسي (أ. ج. لوندن) قد قدّم تأويلاً خاصّاً لرقيم مسماري أوغاريتي عُثر عليه في عام 1933 خلال التنقيبات الأمريكية في (بيث شمش) جنوب فلسطين يعود تاريخه إلى القرن الثالث عشر، فقد لاحظ أنه كان يشتمل على أبجدية مرتبة حسب النسق المسندي، وتوَصَّل إلى اقتراح علاقة بينهما، وأنهما ربما يعودان إلى أبجدية واحدة، أو أنهما كانا متعايشَيْن.

ذَكَر النقشُ الخطَّ المسند في السطرين السادس والسابع بجملة:(CIH 621)

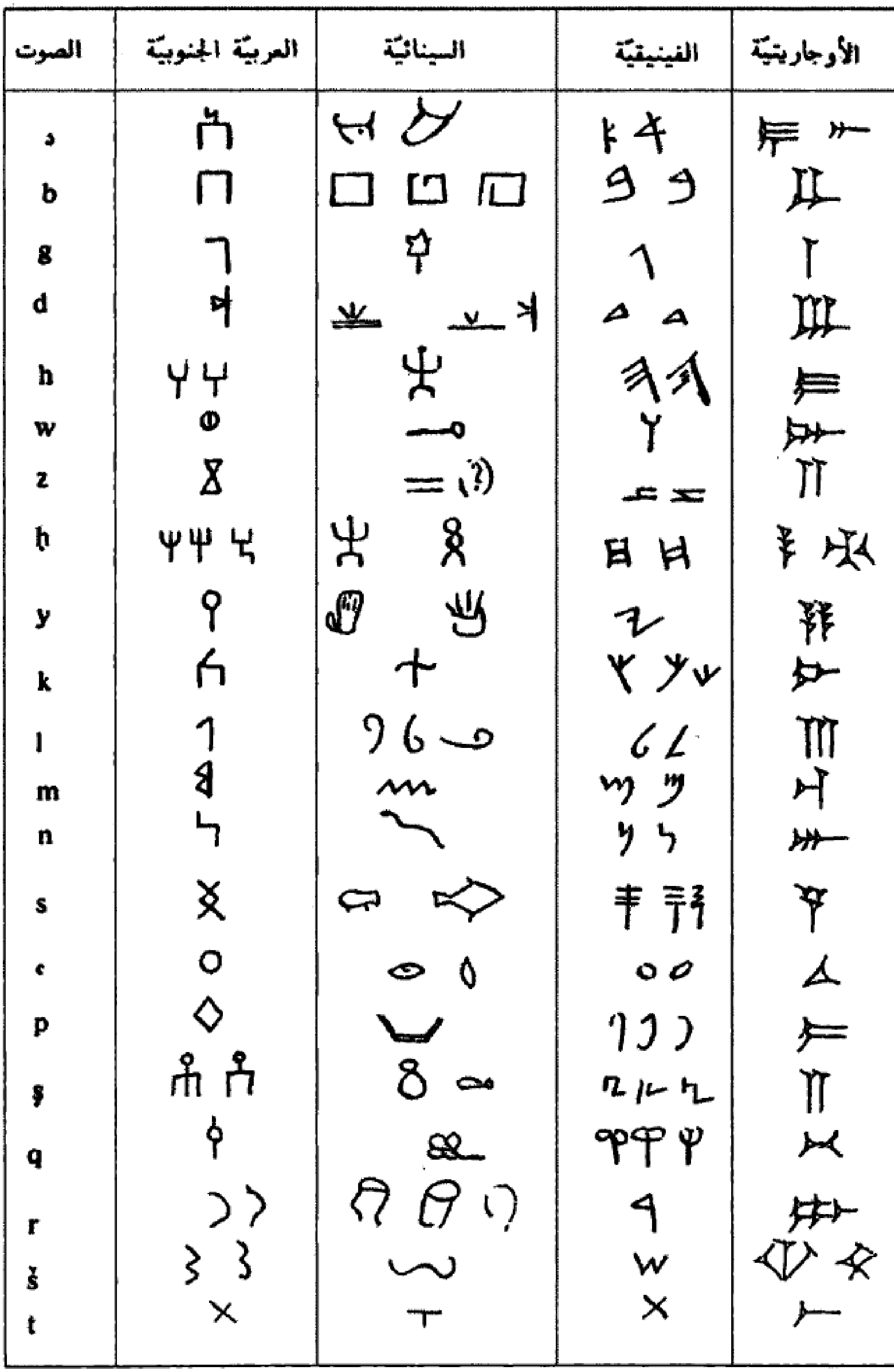
(سطَّروا ـ كتبوا هذا المُسند بالجبل ماوية عندما تم ترميمه...)

اقترن المسند مع لفظي (وتف، سطر) ومعناها الكتابة والتدوين، وهو يشير إلى التوثيق التذكاري.



نموذج من الخط المسند المنحوت في لوح حجريّ

نص يخلِّد بناءً ما في صرواح، القرن الثامن قبل الميلاد، حجر كلسي ارتفاعه 31.5 سم وطوله 107 سم، متحف صنعاء الوطني، وتنصُّ كتابته (سمهو علي ينوف ابن يثع أمر يفعان)، وهي إحدى أقدم الكتابات في مملكة سبأ (لنلاحظ عدم الاتساق في ارتفاع الحروف)، وهي تُخَلِّد بناء جزء من بيت أو قصر، صاحبها ملك سبئي كما يشير إلى ذلك اسمه ولقبه.



الصوت
العربيّة الجنوبيّة
السينائيّة
الفينيقيّة
الأوجاريتيّة
ʾ
b
g
d
h
w
z
ḥ
y
k
l
m
n
s
ʿ
p
ṣ
q
r
š
t

كتابة حروف الأبجديات الأولى

السينائية المبكرة والكنعانية (الفينيقية) المبكرة والمسندية اليمنية (العربية الجنوبية) والأوغاريتية

2. مراحل تطور الخط المسند

أ. المسند البدائي اليمني والعماني (ميفاع والسحتن)

يُرَجَّح أنه ظهر في نهاية العصر على جدران الكهوف والمغارات التي استوطنها الإنسان اليمني، وكانت هذه البداية بسيطة وغير منتظمة، وشواهده ما عُثر عليه في كهف ميفاع بالبيضاء، والكهف نفسه توجد فيه طبقات من الألوان نفسها وتحتها كذلك، ونجد بالصورة من داخل الكهف كتابة لخط قلم المسند في طوره البدائي القديم، وبجانب الحروف رسوم صخرية آدمية وحيوانية، وكلها لُوِّنت من صمغ الأشجار الملَوَّنة المحيطة بالموقع الحُمر والصُّفر والبنّيّة.

يتزامن المسند البدائي اليمني مع المسند البدائي العُماني، الذي هو بداية خط السحتن (المقابل العماني للخط المسند اليماني).



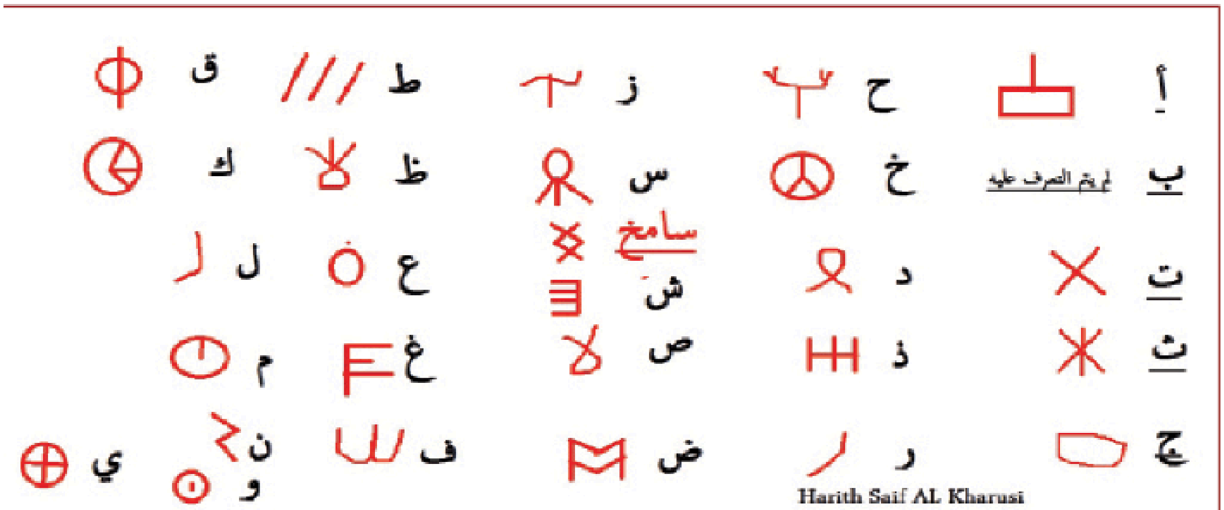
المسند البدائي على جدران كهف ميفاع

هناك نوعان من نقوش الكتابة المسندية:

1. المسندية البدائية التي تجمع بين المسند اليماني والخط الثمودي، فضلاً عن كونها تضم حروفاً جديدة عُثر عليها في موقع رأس الجنز في ولاية صُور بمحافظة الشرقية في عُمان، يقدر عمرها بحدود 2200 ق.م، وهي التي تعاصر المسندية البدائية اليمنية في كهف ميفع، وهي التي ستُسَمَّى لاحقاً بخط السحتن.

«خط السحتن: يوجد في وادي السحتن التابع إدارياً إلى ولاية الرستاق في الحجر الغربي من عُمان، الموقع الذي توجد به خطوط السحتن يُسَمَّى (فسح) أو (فشح)، والحقيقة بأن السين والشين في وسط الكلمة هو حرف سامخ (وهو حرف بين السين والشين ما زال يستخدم في اللهجات العربية الجنوبية المهرية والشحرية)، وبالمناسبة فإن اسم هذه القرية (فسح) أو (فشح) هو اسم عَلَم من العالم القديم، والمكان يقع على مضيق وتنتشر

به الرسومات الصخرية المختلفة التي تعود إلى عصور قديمة والقليل من الكتابات العربية الأحدث، ثم إنه أُنشِئ سدٌّ مائي في الموقع من مادة الصاروج في دولة اليعاربة ما يزال جزءٌ بسيط منه موجوداً إلى اليوم». (الخروصي 2017).



(أحرف الأبجدية العمانية القديمة و ما يقابلها من الأحرف العربية بينما لم يتم التعرف على حرف الباء)

أبجدية خط السحتن (الخروصي 2017).

وهذا يعني أن خط السحتن يقارب خطوط أبجدية السينائية المبكرة، وهذا يعني أننا حصلنا على بؤرة جديدة لنشوء الأبجدية في المنطقة والعالم كلّه، وربما سيفضي هذا إلى كون خط السحتن هو أصل الخط المسند.

2. المسندية اليمنية القديمة والشبيهة بالخط الثمودي التي تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد، عثر عليها في كهوف محافظة ظفار وصحاريها وأودية محافظة جنوب الباطنة وشمال وجنوب الشرقية والداخلية من عمان.

البعثة الفرنسية ـ الإيطالية عثَرَتْ عام 1985 من موقع رأس الجنز على خَتْمين حجرِيَّين صغيرين بحروف مسندية يعودان إلى ما يقرب من 2200 ق.م.

وهناك نموذج آخر من نقوش ظفار (Dhofar 1 = KMGdr 4 ـ Garoo):

(الجرو 2018: مِيلاد الأبجديّة العربيّة، شرق غرب | العدد 18، الملف | 14 November 2018).

/http://sharqgharb.net/meelad - alabjde - att - alarbe - att

1. تقدّم الباحث علي الشحري في تسعينيات القرن العشرين بدراسة لسِمِنَار الدراسات العربية في لندن عَرَض فيها نقوشاً مسندية عثر عليها في كهوف ظفار، ثم نشر الشحري كتابين حول تلك النقوش.

2. قامت بعثة بريطانية بقيادة (ج. م. كينج) بمسح شامل لتلك الكتابات في تقرير موسَّع بمئات الصفحات قُدِّم إلى وزارة التراث عام 1992، لكنه لم ينشر.

3. اكتشف في عام 2009 كلٌّ من حارث ويحيى وهلال الخروصي نقوش السحتن.

4. صُوِّرت في عام 2012 تلك النقوش فوتوغرافيا وَزِيرَ الموقع، وبعد مقارنتها مع نقوش ظفار وُجد أنها قريبة الشبه بها وأنها مسند عماني مختلف عن النقوش المعروفة في شبه الجزيرة العربية.



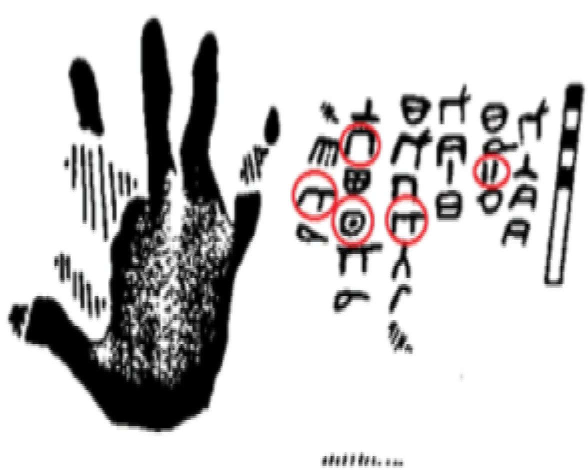
خط الرستن العماني

زارت الدكتورة أسمهان الجرو الموقع مع حارث الخروصي، وبعد مُقارنتها مع نقوش ظفار وَجَدتها قريبة الشبه بها، وأنها مسند عماني مختلف عن النقوش المعروفة في شبه الجزيرة العربية، ثم توصَّلت من خلال الدراسة الأولية لنقوش المسند العماني في كلٍّ من وادي السحتن وظفار إلى استنتاجٍ قالت فيه بأنها «توصلت إلى معرفة أنَّ الكتابة العُمانية عربية بدائية أصيلة، فهي تمزج بين جميع الأبجديات المعروفة في بلاد العرب، وأبجدية لغات الجزيرة لا تتعدى تسعة وعشرين حرفاً، أما أبجدية عُمان فيبلغ عددها ثلاثة وثلاثين حرفاً تقريباً، كذلك فالمسند العُماني قريب في خصائصه المظهرية من حروف أبجدية المسند اليمني والثمودي، أو ما يعرف بالحسمائي والصفوي والديداني واللحياني، وهناك تشابه كبير بين حروف الكتابة النقشية المكتشفة في شمال عُمان (وادي السحتن) وفي جنوبها (ظفار)».

وتوصَّلَت إلى أن «نقوش شمال عُمان نحتت على الجبال بواسطة النقر وبأسلوب الخط المستقيم، أما نقوش جنوب عُمان فقد رسمت بالألوان على الجبال والكهوف، لا يفصل بين الكلمات خط على خلاف ما هو سائد في اللغة العربية الجنوبية (المسند اليمني)، فضلاً عن ذلك يمكن قراءة المسند العُماني من اليسار إلى اليمين أو من اليمين إلى اليسار أو بشكل عمودي من الأعلى إلى الأسفل، والحرف الواحد يمكن أن يُكتب في أكثر من اتجاه، أيضاً بعض النقوش نجدها مصاحبة لرسومات صخرية كالحيوانات والنباتات والأشخاص وأحياناً أشكال هندسية ـ تلك الرسوم تساعدنا على معرفة الفكرة التي يتحدث عنها الكاتب». (محاولة فك شيفرة نقوش المسند العماني بجامعة السلطان قابوس، https://www.omandaily.om/?p=473557، 15 مايو 2017، اطُّلِعَ عليها في 1/12/2020).

«وترى الدكتورة أسمهان الجرو أنَّ نقوش المسند العماني إرث حضاري ومصدر أساسي من مصادر التاريخ العماني ينبغي توثيقها ودراستها، ثم إن حمايتها والحفاظ عليها مسؤولية وطنية كبيرة». انظر (في محاولة هي الأولى من نوعها: أستاذة تاريخ قديم بجامعة السلطان قابوس تحاول فك شيفرة نقوش المسند العماني، https://alroya.om/post/188756/أستاذة ـ تاريخ ـ قديم ـ بجامعة ـ السلطان ـ قابوس ـ تحاول ـ فك ـ شيفرة ـ نقوش ـ المسند ـ العماني).

1.النص الأول:



نقش الجرو/ظفار1

Garoo-Dhofar 1 = KMGdr 4

الرسم التفريغي للنقش: ثلاثة أشخاص متجهون إلى معركة ما، الحروف المدوَّرة بالأحمر سبَق وأن وردت في أختام رأس الجنز.

ترجمة النقش (يقرأ من الأعلى إلى الأسفل): أ ظ ب ب وي ط ع أ ب ن وو أ ب ك ه ل ظ ب وع د ي (.) ط ك ي.

أ ظ ب ب: على وزن أفعل، اسم مشتق من الجذر (ظَ بَ بَ)، جاء ذكره في نقش سبئي (كياس، b4/9541) يعني منطقة مسائل الأمطار، وقد يكون اسم علمٍ لشخصٍ من الجذر (ظب)، ويعني ظبياً، أي غزالاً، وهو اسمٌ مشتقٌّ من أسماء الحيوان.

و: حرف عطف، ي ط ع: اسم علمٍ على وزن فعل، من الطاعة، أ ب ن و: اسم عائلة أو قبيلة (أبنو) ذُكرت في نقشٍ سبئي (إرياني 12). و: حرف عطف، أب كهل: اسم علم تردد في عدد من النقوش العربية الجنوبية بالصيغة نفسها، مثل نقش (RES4115).

صيدم أب كهل: أي إن أبا كهلٍ قد أدى الصيد (المقدس الملزم بتأديته)، وفي هذا النقش جاءت كلمة صيد بصيغة (ص ي د م) بلفظ مفرد، وكهل إله قمري عبده عرب الجزيرة كافة.

ظ ب و: من الفعل (ظ ب أ) فعل ماضٍ ثلاثي، يعني: غزا، قاتل، أو حارب، (نقش ثمودي (16) العنزي 2006)، ورد في السبئية (Ja 635/26).

ع د ي: سار أو مضى (المعجم السبئي 12، 182).

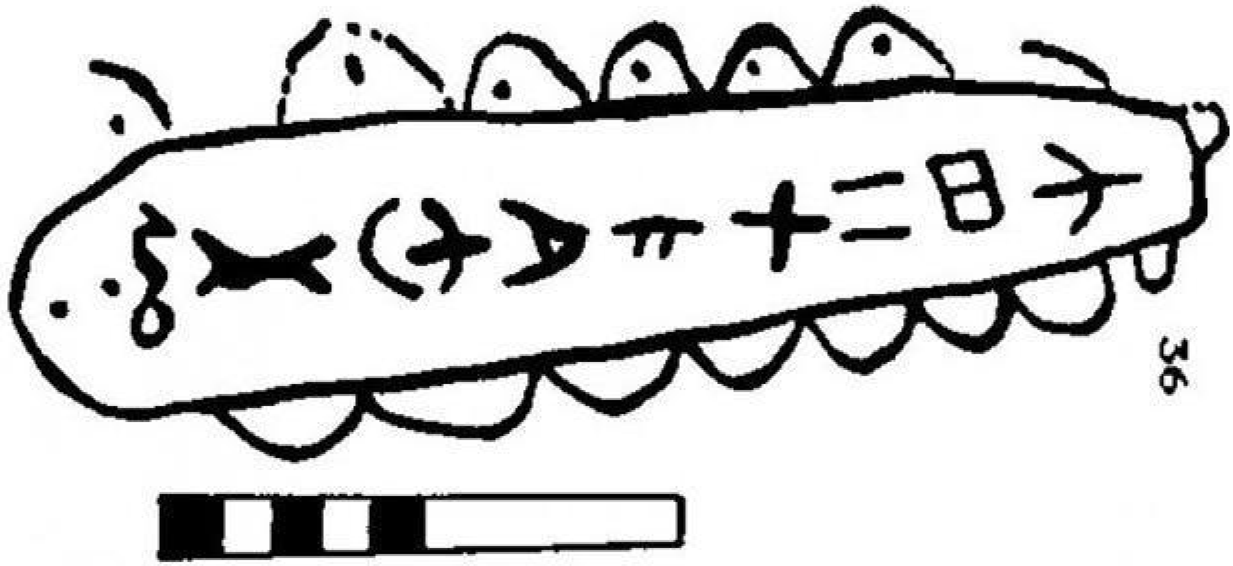
ط ك ي: الحرف الأول من الكلمة مطموس، ربما اسم المكان الذي شهد الحملة العسكرية.

معنى النقش: أظبب ويطع أبنو (ينتمون إلى عائلة أو قبيلة أبنو)، وأب كهل اتجهوا في مهمة عسكرية إلى مكان يدعى (ط ك ي)، فقدنا الحرف الأول من المكان، زُوِّد النص برسمة كف اليد المعروفة عند شعوب حضارات الشرق الأدنى القديم. ترجمة وتحليل الدكتورة أسمهان الجرو:

/http://sharqgharb.net/meelad - alabjde - att - alarbe - att

(الجرو 2018: مِيلاد الأبجديَّة العربيَّة، شرق غرب | العدد 18، الملف | 14 November 2018).(1)

2. النص الثاني:



نقش الجرو/ظفار1

Dhofar 3 ـ Garoo

ترجمة النقش: النقش يُقرأ من اليمين إلى الشمال.

ح وط ت د ب ح ر ا ش ن ن

ح وط ت: حوطة، قد يكون اسماً لشخصٍ، أو فعلاً، من الجذر حوط: أي الأرض المحوطة، تحمل معنيين: منطقة حُوِّطَت لغرضٍ معين أو منطقة مقدسة، في نقوش ظفار يُذكر الفعل، ح وط أكثر من مرة (G25).

ب ح ر: بحر، اسم علمٍ لشخصٍ، معروف في النقوش العربية الجنوبية، وتوجد قبيلة تحمل اسم بني بحر، جاء ذكرها في نقش (أم ليلى/إرياني 76، شمال صعدة)، ونجد اسم بُحير ـ تصغير بحر ـ في أحد نقوش محافظة الشرقية.

أ ش ن ن: الألف مضافة إلى الاسم: شنن أو شنان، اسم عائلة أو قبيلة تكرر ذكرها في عدد من نقوش ظفار، وهي من الفعل (شن)، وكلمة شُدّان في قواميس اللغة العربية تعني السّحاب عندما يشن الماء، وما تزال كلمة (شن) تُستخدم في اللهجة اليمنية، ويقصد بها نفحات المطر، ثم إن الشنان اسم نباتٍ يطلق عليه صابون العرب، ويستخدم كعلاج لعدد من الأمراض.

يمكن القول مما تقدم إن المسند العماني ظهر مبكراً (في حدود 1800 ق.م) وانتقل إلى اليمن وتطور واستعمل في نصوص في حدود القرن التاسع قبل الميلاد، لكن ظهوره المبكر في عُمان لا يعني استعماله كنصوص متداولة على نطاق واسع، وهذا شأن الخط السينائي المبكر والخط الكنعاني المبكر.

السؤال المهم الآن هو: إذا كان السينائي المبكر والكنعاني المبكر قد ظهرا بفعل الصلة مع البكتوغراف المصري القديم وهو ما يتيحه الاتصال المباشر القريب مكانياً، فهل يمكن القول، بناءً على القاعدة نفسها، إن البكتوغراف السومري والكتابة المسمارية هي أصل المسند العماني الذي انتقل إلى اليمن وظهر المسند اليمني؟ سؤال نطرحه ولا نجيب عنه، بانتظار المزيد من الكشوفات الآثارية في هذا المجال.

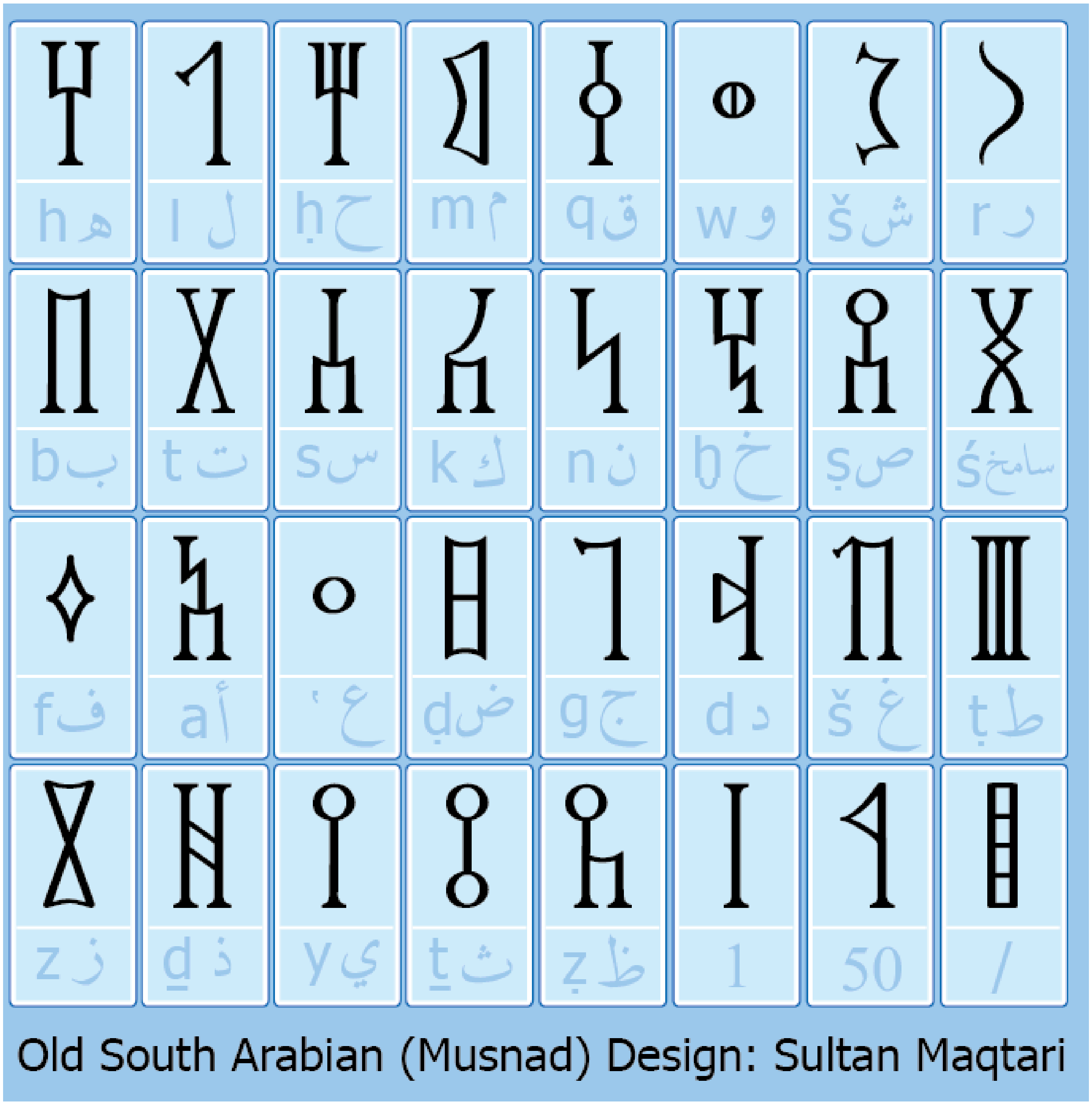
ب. المسند المتطور

2. مسند الخطوط والزوايا: أصبح فيها الخط أكثر انتظاماً، وظهرت الحروف بشكل زوايا وخطوط، وكُتب على الأواني الفخارية في هجر بن حميد ووادي الجوبة في مأرب.

اكتشف (ألبرت جام) عام 1962 حروفاً قديمة في منطقة العبر شمال شبوة، رأى أنها من أقدم الشواهد على الخط المسند، فيما يرى العالم الألماني (هرمن فيسمن) أن أقدم كتابة يمنية قديمة (كهلم) التي عثر عليها في «هجر بن حميد» من وادي بيحان الموسومة بـ«مونو جرام (طغراء) هجر بن حميد» ويعود تاريخها إلى القرن العاشر قبل الميلاد.

3. مسند المحراث: ظهرَتِ الحروف بشكل أحَدّ وأكثر انتظاماً واتساقاً، وصاحب ذلك ما يُعرف بطريقة المحراث أو طريقة المكاربة، فيكون اتجاه الكتابة في الأسطر الوترية من اليمين إلى اليسار وفي الأسطر الشفعيّة من اليسار إلى اليمين، مما يؤدي إلى قلب اتجاه بعض الحروف ليوافق اتجاه الكتابة.

4. المسند المزخرف: ظهرت فيه الزخرفة وازداد رونقه وجماله.



Old South Arabian (Musnad) Design: Sultan Maqtari

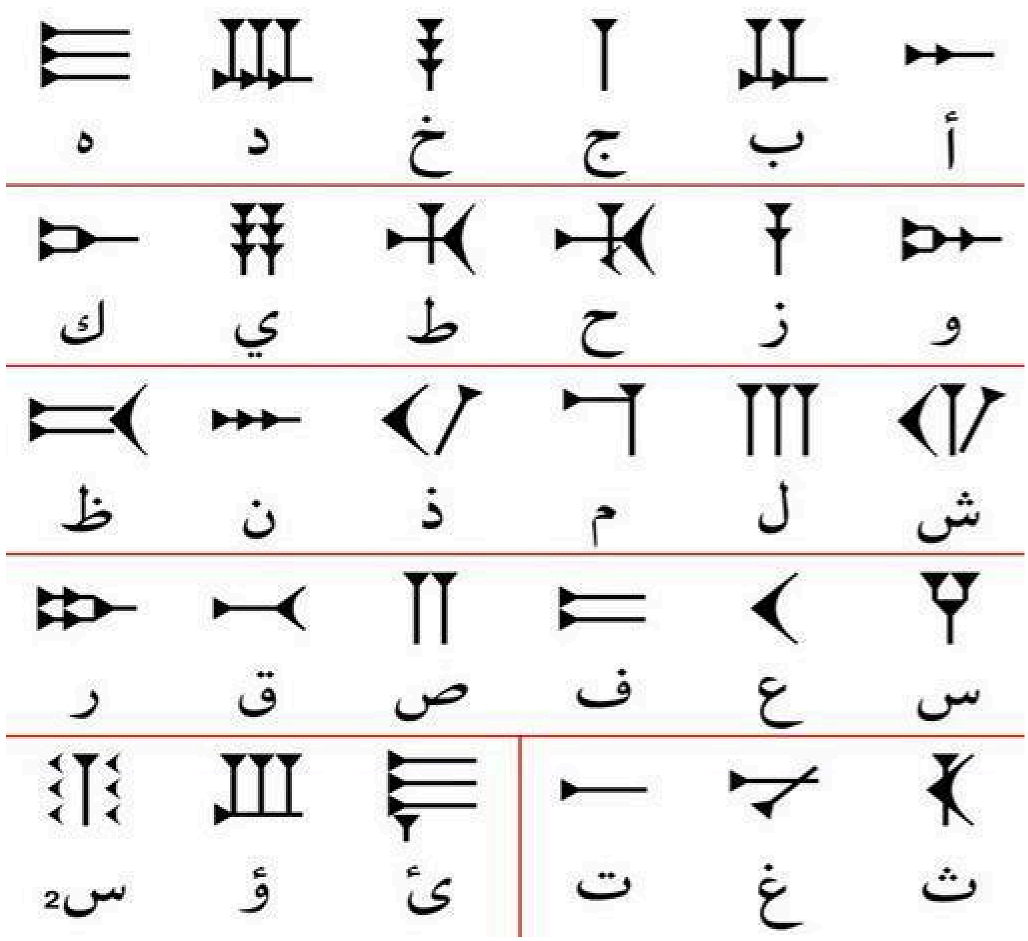
الخط المسند، تصميم: سلطان مقطري

3. علاقات وانتشار الخط المسند

أ. علاقة المسند بالأبجدية الأوغاريتية المسمارية

العلاقة المميزة بين لغات أوغاريت وكتاباتها والمسند لافتة للانتباه «في النسق الألفبائي، ووفرة الأصوات، وأسلوب الفصل بين الكلمة والأخرى، وفي زيادة حرف الميم في آخر

أسماء الأعلام، وفي عدد من الخصائص اللغوية والنحوية الصرفية والمعجمية ـ هذه السمات والخصائص المشتركة تدل على صلة وثيقة بين لغة المسند واللغة الأوجاريتية، وبين الأوجاريتيين والعرب الجنوبيين». (الصلوي 2008: 76).



الأبجدية الأوغاريتية

ب. علاقة المسند بالخطوط العربية:

هناك جدل حول نشوء الخطوط العربية القديمة من الأبجدية الفينيقية/الآرامية، ويعاكسه رأي يقول بنشأتها من الخط المسند، ونرجّح أن الاثنين ساهما في أساس نشوئها، ويُعتقد أن زمن ظهورها يمتد من القرن الخامس ق.م إلى القرن الرابع الميلادي حسب الآراء المتضاربة للباحثين.

هناك أربعة فروع كُتبتْ بها نقوش اللهجات العربية الشمالية، وهي:

1. اللحيانية ـ الديدانيّة في شمال شبه الجزيرة العربية.

2. الثموديّة والصفويّة في الشام وشمال شبه الجزيرة العربية.

3. الأحسائيّة في شرق شبه الجزيرة العربية.

4. كتابات «الفاو» في وادي الدواسر إلى الشمال الشرقي من نجران.

ج. علاقة المسند بالخط الجعزي في إثيوبيا

حمل اليمانيون المهاجرون إلى الحبشة قبل الميلاد الخط المسند معهم واستعملوه في شرق إفريقيا وشمالها، وكان أن تحوّل مع لغات المكان الذي هاجر إليه، كما يلي:

1. تفاعله مع اللغة الجعزية، وهي أقدم اللغات الساميّة هناك، ثم طوّره الأحباش، فحذفوا منه أحرف الثاء والذال والظاء والغين، لأنّ هذه الأصوات لا وجود لها في لغتهم، وأضافوا إليه علامات للحركات بطريقة الإلصاق، فصار لكل حرف سبع صيغٍ، وعكسوا اتجاه الكتابة، فأصبح من اليسار إلى اليمين.



الأبجدية الإثيوبية

2. تفاعل المسند مع اللغة الأمهريّة التي أصبحت لغة الدولة في الحبشة في القرن 13 الميلادي، فزادت عليه حروفاً للأصوات غير المعروفة في الساميّة، وعدّلت فيه بعض التعديل. تُعَدّ إثيوبيا اليوم الدولة الوحيدة التي تستخدم أبجدية متطورة مباشرة عن هذا القلم.



الأبجدية الأمهرية

د.علاقة المسند مع خط التيفناغ في شمال إفريقيا: تفاعل المسند مع خط التفيناغ القادم من الخط الفينيقي، وكتبته شعوب الشمال الإفريقي، ونتج عن ذلك الخط الأمازيغي، بل إن الباحث محمد بن سعيد الدارودي وجد تطابقاً شبه تامٍ بين الخط الظفاري المسندي والخطين التيفيناغ والليبي القديم (وهما أصل الخط الأمازيغي).


مقارنة الحروف الظفارية بحروف التفيناق
مقارنة الحروف الظفارية بحروف الليبية القديمة (البونيقية)
التفيناق
حروف ظفار
الليبية القديمة
حروف ظفار
أ
إ
ب
ت
ج
ح
خ
د
ر-مفخمة
ر-مرققة
ز-مفخمة
ز-مرققة
س
ش
ص
ض
ط
ع
غ
ف
ق
ك
ك
ك
ك
ل
م
ن
هـ
و
و
ي
بين ساكنين
ب
ت
ث
ج
د
ر
ز
س
ش
ض
ط
ظ
غ
ف
ق
ك
ل
م
ن
هـ
و
ي
بين (ز) و (س)
اللوبية
الظفارية

جدول مقارنة بين الخط المسندي في ظفار/عُمان والخط الأمازيغي

(الدارودي 2012: 335)

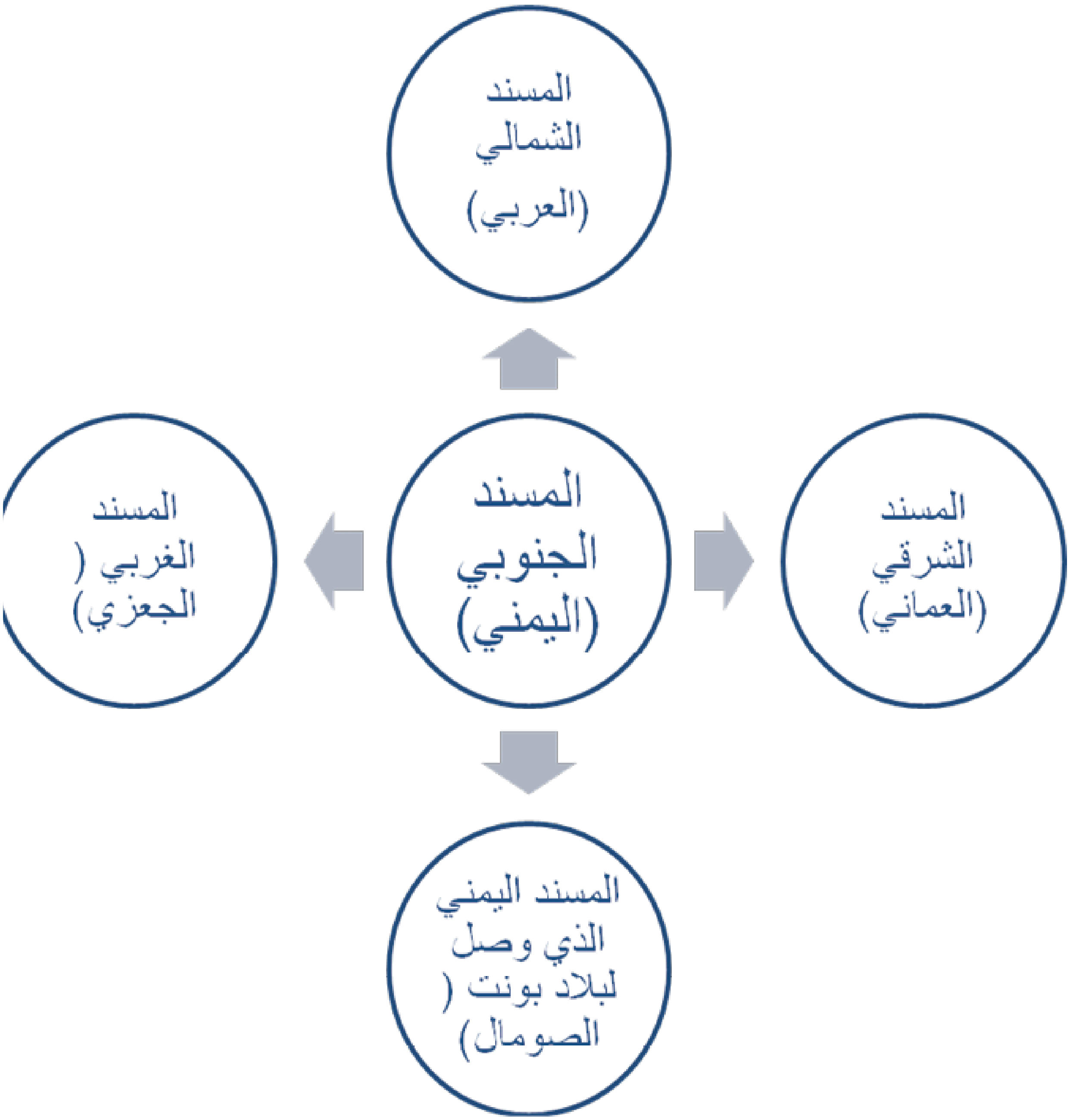
انتشار الخط المسندي: انتشر الخط اليمني المسندي في الجهات الأربع خارج اليمن وكما يلي:

1. الغرب: نحو الحبشة والساحل الغربي من البحر الأحمر، حيث ظهر الخط السبئي المسندي في القرن السابع/السادس قبل الميلاد، فقد حمله مهاجرون من اليمن إلى هناك، وما يزال الخط المسندي في الغرائية الإثيوبية إلى اليوم مع بعض التغييرات.

2. الشمال: كُتبت النقوش الأحسائية (الحسائية) بالمسند باستثناء حرف الغين المختلف بشكله، والثمودية، والددانية، والصفائية.

3. الشرق: نحو عمان حيث ظهر استعمال الخط المسندي.

4. الجنوب: باتجاه بلاد البونت أو الصومال القديم.



انتشار المسند اليمني في الجهات الأربع

ثالثاً: خط الزبور

خط الزَّبور هو الخط الشعبي الذي انبثق من المسند ومعه. يوجد منشأ مشترك ومتزامن للمسند والزبور، فالزبور أخذ يتطور بسرعة إلى خط بحروف مستقلة عن المسند، بأشكالها ورسمها، بسبب الاستجابة للحركة المرنة لليد أثناء الكتابة والحاجة إلى الكتابة العملية

والسريعة والأمور اليومية والكتابة بمواد وأدوات متوفرة ويسهل تداولها والحصول عليها، بخلاف مواد النقش المكلفة للمسند ذي القوالب على الأحجار المهندمة وصخور الجبال والنفائس المعدنية، كَتَبت به حضرموت ومعين وسبأ وقتبان وحِمير.

تسمى أيضاً النقوش الخشبية، وهي «نصوص مكتوبة بخطٍّ نَسْخيّ معروف من المصادر العربية تحت اسم خط الزبور على أعوادٍ خشبية خاصة على العسيب والعلب أو السدر، ومصدرها الأساسي هو الخربة السوداء، وهي مدينة نشان القديمة في الجوف، ويتراوح حجم معظم هذه الأعواد ما بين 10 ــ 30 سم، ويصل طول البعض منها إلى 50 سم، وسمكها نحو 1 ـ 3 مم، وبعضها مكتوب بكلمة واحدة، في حين نجد أن بعضها يحتوي على 15 سطراً». (المرقطن 2003: 31).



شكل المقارنة بين خطّي المسند والزبور

ينقسم خط الزبور على ثلاثة أنواع، حسب نوع المادة التي يكتب عليها، وهي:

1. خط الزبور الحجري

2. خط الزبور (الخشبي) المنفصل الحروف

3. خط الزبور (الخشبي) المشتبك الحروف

خط الزبور (الجلدي) في الكتب بخط منفصل، ثم خط مشتبك الحروف، الذي نتج عنه خط الجزم ثم مراحل تطور الخط العربي ـ كان استخدامه منتشراً قديما بين جميع أطياف الشعب.

نصوص الزبوريات:

يغلب على تلك القطع الخشبية الشكل الأسطواني، والكتابة بضمير المتكلم وبصيغة الفعل المضارع وفعل الأمر، وقد يُعثر فيها على تعبيرات ومفردات مما يجري على ألسنة العامة، وتُعنى بمسائل شخصية ومعاملات يومية، وهي مفيدة في نحو اللغة اليمنية القديمة وصرفها وإغناءٍ لمعجمها، «ويلاحظ أن كثيراً من هذه النصوص قد وجهت على شكل رسائل تبدأ باسم المرسَل إليه ثم المرسل، ويتلو ذلك التحية والدعاء، ثم الغرض من الرسالة كالإخبار أو الطلب أو التوجيه، وأخيراً تختم بالدعاء، وكثير منها صكوك مالية ومعاملات شرعية كالبيع والمشاطرة وما يشبه ذلك، وتُختم أحياناً باسم الكاتب والشهود والتوقيع، ومنها ما هو على شكل قوائم بأسماء الأشخاص والبطون التي تُدون دون ذكر الغرض منها، والنقوش الخشبية يعود قِدَمها إلى القرن الثامن ق.م، ومنها نقش يصنف ضمن مجموعة نقوش ميونخ الخشبية، وهي عبارة عن نقش قانوني وتدل على أن كتابة الأبجدية قد بدأت قبل هذا الزمن بكثير، فاستخدام الخشب كوسيلة للكتابة يبدو أنها ظهرت بعد استخدام الحجر بمراحل، ثم إن أحد النقوش يتحدث عن قانون يحرِّم الوأد، وهذا يدل على استقرار سياسي وثقافي بعيد المدى زمنياً، بحيث يمكن إصدار القوانين التنظيمية، وهذه النقوش عبارة عن مراسلات». (ألويس 2016: 135).

المبحث الثالث: الأدب اليمني القديم

لا شك أن النصوص اليمنية القديمة لم تحمل لنا كل الأدب القديم الذي كتبه أو ردده شفاهياً أهل اليمن القدماء، لكننا عثرنا على بعضه ويمكننا تثبيته هنا على وفق تصنيف

مقبول، ويمكننا تصنيف الأدب اليمني إلى جنسين أساسين هما: الأدب الديني والأدب الدنيوي، كما في هذا الجدول:

الأدب اليمني القديم

أولاً: الأدب الديني

لا نمتلك من كلّ فروع الأدب الديني شيئاً باستثناء نصّين من الأدب الطقسي، وهما (ترتيلة الشمس، وأنشودة محرم بلقيس)، فقد غاب الأدب الأسطوري بسبب غياب نصوص الأساطير، بالمعنى العلميّ الدقيق لها وبالخط المسند، غياباً تاماً، ولا يمكننا، بطبيعة الحال، اعتبار الحكايات الشعبية المتوارثة أدباً أسطورياً قديماً بسبب نزوحها من الماضي القديم واختلاطها بالطراز الإسلامي للحكاية والفولكلور المعاصر، وكذلك غاب الأدب الروحي والأدب السحري.

لم تدون أساطير وحكايات الأساطير في النقوش المسندية، لأسباب نجهلها، لكننا نرجح أن طبيعة التدوين المسندي كانت للنقوش التذكارية، وطبيعة التدوين الزبوري كانت لنقوش المعاملات والأمور اليومية، ولم تكن هناك أداة ووسيلة كتابة لتدوين الأساطير وحكايات الآلهة، ويمكننا أن نقول شيئاً مشابهاً عن ندرة النصوص الطقسية التي تدون طقوس اليمنيين، ونضيف إليها أنها طقوس متباينة من مملكة لأخرى، وكان طابعها العملي الشفاهي هو أكثر ما يمارس، ولذلك غاب عنها التدوين.

الأدب الطقسي كان قليلاً هو الآخر، فتوجد هذه النصوص التي سنذكرها في هذا المجال:

أ. ترنيمة الشمس:

تُعدُّ (ترنيمة الشمس) نصّاً من الشعر الديني الحميري منقوش باللغة المسندية، وهو أقرب إلى (نشيد استسقاء) طقسيّ للإلهة الشمس التي كانت مسؤولة عن سقوط الأمطار، عثر عليها الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبد الله عام 1977 منقوشاً على صخرة في وادي قانية بناحية السوداية في (لواء) البيضاء، ولقد بذل جهداً كبيراً في ترجمته بسبب مصاعب لغوية في بنائه، فعلى الرغم من أن لغة النص هي السبئية الحميرية لكنها بدت غريبة في الكثير من مفرداتها.

كان النص على صخرة تشوّه نصفها الأيمن وصعبت قراءة الخط المسند فيها، وبقي النصف الأيسر قابلاً للقراءة، وكان يتكون من سبعة وعشرين سطراً وفي نهاية كل سطر حرفان مكرران هما حرفا (الحاء) و(الكاف) أي (حك)، والنص يعود إلى القرون الميلادية الثلاثة الأولى، وموجّه إلى إلهة الشمس التي كان لها معبد في المكان الذي عثر فيه على النص، وكانت تلقب بـ(عالية).

وفيما يلي النص المسندي وترجمته لهذه الترنيمة النادرة في النقوش اليمنية القديمة:

ترنيمة الشمس

ب. أنشودة في محرم بلقيس

في أثناء عملية التنقيب الأولى التي قامت بها (المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان) برئاسة (ويندل فيلبس)، كان المؤرخ اليمني (زيد بن علي عنان) قد تعرف نقش أنشودة من محرم بلقيس فاستنسخ أجزاء منه ونشره تحت رقم (11) في كتابه (تاريخ حضارة اليمن)، لكنه لم يترجمه أو يشرحه لأنه كان يرى أنه بحاجة إلى دراسة أكثر، وبعده حاول الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبد الله قراءة النص وتفسيره.

ترجم الأستاذ مطهر علي الإرياني النصّ وفسّره في دراسة منشورة في مجلة (الثوليت)، ويبدو أن الأنشودة هي احتفال بنصر السبئيين تحت راية الإله (إلمقه) الذي يتجلى بصورة الإله (كهل) على إله (كهل) أهل اليمامة.

والنشيد يوضح لهم أن إلههم كهل أو إلمقه هو الأصل والهرم فرع منه، وكانت اليمامة تقع في أعالي نجد، قام بالحرب أو الغزو ثلاثة من الملوك هم (شعرم أوتر ملك سبأ وذي ريدان) و(إلي شرح يحضب الثاني ملك سبأ وذي ريدان ابن فرع بيهب) و(شمر بهرعش ملك سبأ وذي ريدان) ثم (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة)، ويعود النقش إلى واحد من هؤلاء الملوك.

ويرى الإرياني أن طابع لغة النقش هو «الطابع الحميري الريداني، ثم من خط النقش فإنه يغلب الظن أن النقش قد يعود إلى المرحلة الأولى من عهد الملك (شمر يهرعش)، أي إلى النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي.

مكونات النقش: يتكون النص من ثلاثة وعشرين سطراً ومن ثماني فقرات وهي:

1. الديباجة: السطور الأربعة الأولى ويظهر فيها اسم صاحب النقش (رانع) أي (مُنشد) فالرناع هو الإنشاد، فهو أحد منشدي معبد أوام، أي إن (رانع) هو لقب له، والديباجة تذكر القرابين التي قدمت للإله (إلمقه) وهي الثيران أو تماثيلها، والأيل (ذكر الوعول) التي نادراً ما تقدم كقرابين وهي تمثل الإله (عثتر).

ويظهر من الديباجة أن لوح نقش الأنشودة قُدّم كقربان أيضاً، وتسمى الأنشودة بالسبئية (سمدتن) أي (سمودة).

2. سبع مقطوعات رباعية الأبيات يسود فيها الفخر والزهو بالانتصار.

أنشودة من معبد أوام

ثانياً: الأدب الدنيوي

يعاني الأدب الدنيوي اليمني فقراً شديداً، في كلّ فروعه التي ذكرناها في الجدول أعلاه، ولا يوجد أدب حواري، ولا أدب غنائي المضمون ومنه الشعر، فلا يوجد شعر دنيوي من أي نوع، بالمعنى الدقيق أي غير الموجه للآله وليس فيه مضمون ديني، ولا يوجد أدب أخلاقي، وليس هناك أدب للحكمة، على رغم شهرة ما يقال عن اليمن بأنها بلد الحكمة.

1. القصص والملاحم اليمنية

ما دمنا قد تجنبنا المرويات التاريخية التي تسرد تاريخ اليمن في العصر الإسلامي باللغة العربية، فإننا يمكن أن ننظر إليها هنا على أنها خليط من الحكايات والملاحم والأخبار، فهي نوع من الأدب، ومنها كتاب ملوك حمير وأقيال اليمن، وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب الملوك التبابعة، ولكن عيبها الكبير أنها لم ترد بالخط المسند، بل وردت متأخرة بالخط العربي، وهذا يعني أنها فقدت طبيعتها القديمة وأصبحت جزءاً من المرويات والملاحم الإسلامية على رغم حصولها في التاريخ القديم، وسنذكرها هنا، على سبيل التذكير بها فقط، وكتاب خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة (شرح لقصيدة نشوان الحميري: ملوك حمير وأقيال اليمن) لمؤلفه نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ)، وكتاب منتخبات في أخبار اليمن ـ نشوان الحميري، وكتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير لمصنفه أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المتوفى 324 هجرية، وغيرها.

ويمكن جمع الملاحم والحكايات وترتيبها بصفتها فنوناً سردية يمنية تعطي فكرة عن ذلك الزمان، وعلى سبيل المثال، يمكننا أن نفحص فهرس أحدها، ونحاول معرفة مادته الثرية في هذا المجال، وهو كتاب (خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة، شرح لقصيدة نشوان الحميري: ملوك حمير وأقيال اليمن) للمؤلف نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى 573هـ)، تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد، وإسماعيل بن أحمد الجرافي)، وقد اخترنا أهم العناوين التي يمكن أن تتكون منها ملامح شخصيات معروفة وغير معروفة، وكان هذا الكتاب وغيره مصدراً لهذه الملاحم، وسنذكر أهمها مع عناوين الكتاب التي تشملها:

في الشعر، بصفة عامة، ذكرنا قصيدة ترنيمة الشمس وقصيدة من معبد أوام، ولا يوجد شعر دنيوي، وتوجد قصيدة لا بد من التنويه بها وتسمى القصيدة الحميرية أو القصيدة النشوانية أو قصيدة التيجان (تُسمى وتكتب بالخط المسند«𐩱𐩡𐩤𐩮𐩺𐩵𐩩-𐩱𐩡𐩢𐩣𐩺𐩧𐩺𐩩»)، وهي من أشهر القصائد اليمنية القديمة التي قالها نشوان الحميري المتوفى سنة 573هـ، وذكر

فيها تاريخ اليمن القديم وكل ملوك وتبابعة اليمن، لكنها ليست باللسان اليمني القديم بل باللغة العربية التي حلّت محل اللغة اليمنية، وقد طبعت تحت اسم: (ملوك حمير وأقيال اليمن)، وعلى الرغم من أنها لا تصلح نموذجاً نذكره في هذا المجال، لكننا سنذكرها على سبيل التذكير بها فقط، وهذه مقاطع منها:

2. أدب المراسلات

تعد المراسلات في اليمن القديم موضوعاً جديداً، إلى حد ما، في فقه اللغة السامية، وقد نُشرت النصوص الأولى ذات الصلة فقط في التسعينيات، وبالتالي فإن المواد المتاحة ليست واسعة جدّاً.

نشر بيتر شتاين جينا Peter Stein Jena دراسة حول هذا الموضوع مبنية على نحو 100 رسالة سبئية بشكل رئيس، تغطي فترة تاريخية من منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد وحتى القرن الخامس أو حتى القرن السادس الميلادي تفحّم بعضها، فقد كانت المادة المكتوبة عليها أجزاء من سيقان جريد النخيل وقطع أخرى من العصيّ الخشبية، يمكن اعتبار هذا واحداً من أكثر النُّظم التي يمكن الوصول إليها بسهولة وأرخص من جميع مواد الكتابة، ولكنها، مع ذلك، في الشرق الأدنى القديم لا تزال حصرية لجنوب الجزيرة العربية، وكان التركيز على ملف تطوير الصيغ الرسالية على عكس الدراسات السابقة حول هذا الموضوع، فإن التركيب الصيغي قدّم المواد ضمن سياقها النصي الكامل، نقلاً عن الصيغ ذاتها وليس بمعزل بعضها عن بعض، بل في إطار النصوص التمثيلية الكاملة.

المبحث الرابع: الفكر اليمني القديم

لا يوجد فكر يمني قديم بصراحة نصيّة محددة، ولكننا يمكن أن نتلمس بعض ملامحه وصفاته في بعض النشاطات الحضارية التي تعطينا فكرة عنه، وترسم لنا الإطار العام له.

أولاً: الفكر الجغرافي

كان للتنوع البيئي والجغرافي في اليمن الأثر الكبير في تكوّن صورة فكرية متنوعة تعكس هذا التنوع، وفي المقابل كان انعدام وجود أنهار مستمرة الجريان ذا أثر كبير سلبياً، ومثله غياب الأمطار الثابتة وسيادة الأمطار الموسمية، ولا شك أن الفكر الجغرافي التجريبي بطبيعته مَكّن اليمنيين من استغلال طبيعتهم الإيجابية واستثمارها، والتكيّف مع طبيعتهم السلبية، ونرى أن هذا الفكر تجلى في الأمور الآتية:

1. الانتقال من الظروف الجليدية إلى الظروف الدافئة في نهايات العصر الحجري القديم وبدايات العصر الحجري الوسيط أدى إلى ما يعرف بـ(الفترة الرطبة) في سواحل الجزيرة

العربية ومنها اليمن، وتدفق الغبار في المحيط البحري وظهور الرياح الموسمية القادمة من الهند.

سيطر الجوّ الموسمي على اليمن وكيّف اليمنيون مواسمهم الزراعية معه بطريقة جعلتهم يبتكرون فكرة البذار قبل الموسمين الزراعيين الأول والثاني وحصادهما اللاحق، وتهيئة الأرض لمزروعات أخرى، بحيث تستمر موارد الطعام من الزراعة في كل الفصول، وانعكس هذا بوضوح على التقاويم الزراعية التي وصلت إلى أقصى نضجها في التقويم الزراعي الحميري.

2. التنوع البيئي والجغرافي ينوّع طريقة العيش والتفكير عند اليمنيين، ويعدل سلوكهم ويجمعه في لحمة واحدة، حيث التلازم العضوي بين المرتفعات مع الأمطار الموسمية، والسهول والهضاب والأودية الخصبة مع جداول المياه، والصحراء المتربصة باليمن من جهتيها الشمالية والشرقية، والسواحل الرطبة والحارة من جهتيها الجنوبية والغربية، كل هذا يجتمع في بؤرة الجوف التي ستكون مركز الحضارة الأولى في سبأ، فهل كانت سبأ جامعة للتناقضات حولها حتى تكون في صرواح ومأرب وصنعاء؟

3. لعب الفكر الجغرافي العميق، في نفوس اليمنيين، دوراً مهماً في تكوين الحياة السياسية والاجتماعية، وكان أقرب وسيلة للتعبير عن هذا الفكر هو الدين اليمني القديم الذي هيمن عليه ثلاثة كواكب (القمر، الشمس، الزهرة)، وهي تتحكم بالبيئة والجغرافيا بحيث أصبحت آلهتها مسؤولة عن المناخ والرعد والبرق والعواصف والرياح والأمطار.

ثانياً: الفكر التاريخي

أدّت رسومات ما قبل التاريخ الغزيرة في اليمن القديم دوراً في تشكيل أسس الفكر التاريخي الموغل في القدم، فكانت صور الحيوانات ومشاهد صيدها دالة على إشارات سحرية تقديسية وطوطمية، وكانت مترافقة مع حضور الانسان وأدوات صيده، وظهور مشاهد الرقص والحركة، فهي تشير إلى العلاقة بين الإنسان والحيوان.

في العصور التاريخية، وخصوصاً في العصر الحديدي، ظهر الاهتمام بالتدوين التاريخي من خلال الخط المسند، وكانت هناك نزعة تاريخية شمولية تتمثل في رفع مستوى حركة التاريخ في هذه البلاد من جمودها القبلي الى حركتها النشطة في تكوين ممالك ترفع المنجز الحضاري بقوة وتنقله إلى مستوًى جديد، وهذا يعني، باختصار، دمج حركة التاريخ بالحضارة والعيش في مستوى جديد من الوجود النوعي.

كانت عناصر الحضارة تتكون ببطء في عناصرها الخمسة عشر كلها التي ذكرناها، وسرعان ما نضجت في عطائها مع تشكيل المملكة السبئية الكبيرة التي ضمت إليها الممالك الأخرى في تفاعل حضاري ناجح.

بهذه الطريقة اتضحت معالم النزعة الفكرية التاريخية، وصارت تشتغل في جانبها العملي لتصنع حيّزاً حضارياً استغرق ما يقرب من أربعة عشر قرناً.

ثالثاً: الفكر السياسي

نضجت مسارات الفكر السياسي في اليمن القديم، وكانت أهم مظاهرها تقييد سلطة الملوك بسلطة مجالس المسود، فضلاً عن عمليات التعيين والانتخاب الدقيقين لأعضاء المسود.

كانت مجالس القبائل مجالس لتسيير شؤون الأفراد المنتمين للقبيلة وللتشاور، وكان هناك المجالس الاستشارية، التي تتكون من كل القبائل باستثناء العبيد والرقيق، ومهامها التشاور في الموضوعات العامة، بعد أن تعرض في مجلس القبائل، ثم يأتي دور الملك، صاحب السلطة العليا، فينظر في إصدار المراسيم والقوانين بموافقة المجلس الاستشاري، وكان تدوين هذه المراسيم والقوانين يجري في تجمع عام وعلى أحجار كبيرة، ثم تُشهر هذه في الساحات العامة لتكون عهداً معلناً واجب التطبيق والمتابعة والحراسة.

رابعاً: الفكر الاجتماعي

كان الانقسام بين الطبقات الاجتماعية واضحاً، فكانت الطبقات العليا تعيش رغداً ملموساً وَصَفه الكاتب الإغريقي أرتميدورس بأنه (بذخ أنثوي)، فقد كانوا يصنعون لأنفسهم الآنية الذهبية والفضية المرصعة بالأحجار الكريمة، وكانت الوظائف العليا المتحكمة والمترفة حِكْراً على أبناء الملوك وأقاربه، ويكرّس النظام الطبقي منع أفراد الطبقات السفلى من الانتقال إلى طبقة أعلى عن طريق العمل والمال والزواج، وهذه حالة عانت منها اليمن في تاريخها بين القرنين الأول قبل الميلاد وبعده بشكل خاص، وهي فترة الانتقال من المرحلة السبئية إلى المرحلة الحِمْيرية.

كانت كلمة (شعب)، في كثير من الأحيان، تشير إلى القبائل في المدن، ولكنها تشير أيضاً إلى وجود قبيلة مهيمنة تحكم بقية القبائل، وهذا يعني جمع الانقسامين الطبقي والقبلي بعضهما مع بعض.

ربما لاحت، لأغلب المؤرخين، أزمة القبيلة والحضارة في اليمن، وهو نظام عجيب تنفرد به اليمن، حيث القبيلة لا تذوب في الحضارة بل تظل متماسكة، ويشير هذا، من وجهة نظرنا، إلى أمرين متّصلين هما الخوف من التخلي عن القبيلة والاندماج في المجتمع المدني الذي تفرضه الحضارة، وتَمَسُّك وجهاء القبائل بامتيازاتهم القبلية ومواقعهم وحمايتها بعدم الانصهار في سديم الحكم الملكي العام.

خامساً: الفكر الديني

يمثل غياب النصوص الأسطورية في الديانة اليمنية نقصاً واضحاً في صياغة المكوِّنات الرئيسية لها، وعائقاً واضحاً في إنتاج مساقٍ فكري ديني متميز، فقد كانت الأساطير خزانة الفكر الديني، وربما حاولت الرموز الدينية الثرية سدّ هذا النقص، فالرمز ـ كما يقول وبستر ـ هو ما يعني أو يومئ إلى شيء عن طريق علاقة بينه وبين غيره، كمجرد الاقتران أو الاصطلاح، أو التشابه العارض غير المقصود.

وهذا يعني، على مستوى الفكر الديني، وضع منظومة رمزية متفق عليها، من رموز حيوانية ونباتية ومسندية وهندسية، تبرر أو تلمّح إلى غنى الأساطير الداخلية والفكر الديني للفرد والجماعة.

النزعة الكوكبية للديانة الكوكبية تضعها في مسار يجعل منها أقرب الى الديانة التنجيمية، فهي تربط مصاير الملوك والخصب والطبيعة والمطر والظواهر بالثالوث الكوكبي (القمر، والشمس، والزُّهَرة).

من ناحية أخرى فإن الإله القومي (إلمقه)، وهو الإله الرئيسي لأغلب الممالك، هو إله القمر ـ على الرغم من أن هناك من يرى أنه إله شمسيّ في طبيعته ـ، وهذا يجعلها تنفرد بجعل القمر ـ لا الشمس ـ هو الموجِّه الأساسي لديانتها، أي إنها ديانة قمرية، ومعروف أن الديانة القمرية تحتفي بالجانب الأنثوي والأمومي، وهو ما لم نلمسه بوضوح في الحياة اليمنية.

(1) النقش التالي من المصدر نفسه.

الفصل التاسع المظهر الاجتماعي



رأس امرأة من المرمر من مملكة قتبان

رأس امرأة من المرمر من مملكة قتبان، نحو القرن الأول قبل الميلاد/بعد الميلاد.

القاعدة برقبة طويلة، وجه بيضوي مع ملامح وجه منمقة، بما في ذلك تقوس الحاجبين المشقوقين فوق عيون لوزية الشكل، مطعَّمة بالحجر الأبيض، أنف طويل مستقيم بفم صغير أسفله، شعر يتساقط خلف أُذُنَيْن نصف دائريتين، مثبتة على مرمر متدلٍّ متمركز.

29.5 سم

_ arabian _ ancient _ https://zaidanca.wordpress.com/2019/07/07/06
/footnotes _ with _ engravings

المبحث الأول: المجتمع اليمني وطبقاته

أولاً: المزايا الأساسية للمجتمع اليمني

1. الوَحَدات الأساسية للمجتمع اليمني الأربع:

أ. الأسرة: هي النَّواة الأولى التي تتكون من الزوج والزوجة والأبناء، وهي الجوهر الصلب الذي تُكَوِّنه رابطة الدم والمصير.

ب. العشيرة (البيت): وهي المكونة من الأسر والمرتبطة برابطة النسل والدم، ويرأسها (كبير) العشيرة ومجلسها.

جـ. القبيلة: وهي مجموعة العشائر التي تربطها علاقات الدم والأرض، ويكاد النظام القبلي يتحدى الزمن، فهو ما زال إلى اليوم قوياً مهيمناً، ولها مجلس يسمى (عهرو) أو (عهر) يناقش الحروب والضرائب والمنازعات، وهي المكوِّن الاجتماعي الأقوى في اليمن.

مفهوم القبيلة في اليمن القديم لا يقوم بالضرورة على صلة القرابة بالدم والجد الواحد المشترك، إذ يذكر (رودو كناكيس) أن «لفظة «قبيلة» كانت تستخدم للتعبير عن نظام خاص يقوم على أساس الروابط الاقتصادية والسياسية وروابط العمل، لأن الحالة الاقتصادية والسياسية هي التي تفرض وظيفة الجماعة، وهذه تسمى قبيلة». (انظر رودو كناكيس 1958: 126 ـ 127) و(الشربجي 1990).

ويرى (جواد علي) مؤيِّداً رودو كناكيس «أن القبيلة في اليمن قد تتكون من قبائل وعشائر مختلفة، ومن جماعاتِ عمل تمثل الحِرَف انضمت إلى قبيلة كبيرة أو إلى مالك للعمل في أرضه أو لأداء خدمات له، ونتيجة لطول بقائها اندمجت في القبيلة الكبيرة أو في قبيلة المالك الكبير، وبالتالي أصبحت جزءاً منه أو من أتباعه، وقد يُنسبون إليه بعد أجيال ويصبح جدهم المشترك (انظر جواد علي، جـ7، 1980: 141).

د. الشعب: وهي مجموعة القبائل المتحدة في كيان سياسي واحد داخل المدينة، تجمعها وَحدة المصير والأرض واللغة والتاريخ المشترك، وتكون القيادة فيها لقبيلة أقوى وأكثر تحضراً.

2. يتكون المجتمع اليمني من ثلاثة مجتمعات فرعية هي:

أ. المجتمع الحضري: وهو مجتمع المدن الذي تَسُود فيه المهن والتجارة والحياة المتمدنة في كل تفاصيلها من بيوت وأسواق، ومن هذا المجتمع تتكون الإمارات والممالك اليمنية بالدرجة الأساس.

ب. المجتمع الريفي: وهو مجتمع المناطق الزراعية والفلاحين الذي يستقر عادة في أطراف المدن وتكون فيه القبائل والعشائر أنشط.

جـ. المجتمع البدوي: وهو مجتمع البدو في الصحراء، وتوصف به تجمعات البدو سواء في اليمن أو في جزيرة العرب ويسمى باليمنية (ع ر ب ن).

3. تتكون البنية الاجتماعية اليمنية من فئات اجتماعية يمكن أن تُصنف على أسس اقتصادية ومهنية وثقافية وسياسية وغيرها.

4. كانت الزراعة وسيلة من وسائل استقرار المجتمع اليمني، ثم تأتي بعدها التجارة والحِرَف والمهن التي كانت تشير إلى فاعلية حركة هذا المجتمع في المدن وخارج اليمن وداخلها، وكان الإقطاع هو المسيطر على الأراضي الزراعية، حيث لم يكن الفلاحون يمتلكون الأرض التي يزرعونها ويحصدونها، فهي ملك المعبد والملك وأهل النفوذ، على الرغم من وجود ما يُعرف بصِغَار المُلاّك في النقوش ويُعرفون بـ(ق س ط)، فهم يمتلكونها بناءً على مِنَّة من الملك أو بالشراء، وكان لهؤلاء مجلس خاص بهم يسمى (ط ب ن) في قتبان تحديداً.

5. كانت طبقة العبيد والعبودية في اليمن على ثلاثة أنواع وهي:

أ. العبودية للإله: وهي عبودية دينية فقط، تشير إلى علاقة الإنسان بالآلهة وهي تشمل الجميع، من الملك إلى العبيد، ولا تشير إلى أي استغلال اقتصادي.

ب. العبودية للملك: وتشير إليها ألقاب (ع ب د م ل ك ن)، أي إن الشخص تابع للملك أي المؤسسة الملكية، وقد يكون المقصود منها الولاء للملك بوثيقة أو مرسوم.

وهناك تابعون للملك بالعمل مثل العناية بالإسطبلات والخيول والمزارع والقصور الملكية، وهؤلاء لا يطلقون على أنفسهم صفة محددة بل هم من أتباع الملك بسبب العمل ومرافقته في حملاته.

جـ. العبودية لشخص محدد: وهؤلاء هم العبيد الفعليون لأنهم بلا حرية، وليس بالضرورة هم تحت نير العبودية فالمصطلح (ع ب د) يشير إلى تدَنِّي المكانة الاجتماعية والفقر الاقتصادي، وليس للعبد حقوق بل عليه واجبات فقط، وهناك لفظة (ا د م) التي تشير إلى العبودية للإله والعبودية للأشخاص، وكانت التجارة مصدراً للعبيد في اليمن بوصفهم سلعة من السلع، تضيف إليها الحروب التي كان الأسرى يتحولون فيها إلى عبيد.

6. المجتمع اليمني مجتمع طبقي: فالتفاوت الاجتماعي والاقتصادي فيه واضح، ويتكون الانقسام من ثلاث طبقات رئيسية تنقسم كلٌّ منها إلى طبقتين فرعيتين، ومن الصعب

تجاوز طبقاته بالعمل والاجتهاد، لأن التركيب القبلي لا يسمح بذلك.

7. الزواج الشائع في اليمن القديم هو الزواج الأحادي (الزواج من امرأة واحدة)، وكان تعدد الزوجات نادراً، وكان هناك زواج مؤقت، وسيدات تزوجنَ أكثر من رجل بعد وفاة أزواجهنَّ.

8. المرأة اليمنية تجلت مكانتها الأكبر في بيتها، أما في الحياة العامة فكان لها دور في المجتمع وفي التجارة وفي المؤسسة الدينية ككاهنة، ولم تنفرد مَلِكات بحكم اليمن بل كانت زوجات الملوك ملكات يتبعن لأزواجهنَّ ومكانتهنَّ شرفية لا غير.

9. الأسرة والقبيلة أهم الوحدات الاجتماعية، فقد تغيب كل الوحدات الاجتماعية والسياسية في الأزمات والحروب لكن هاتين الوحدتين هما الأصمد والأقوى. وما زال هذا الأمر قائماً حتى يومنا هذا.

ثانياً: مراحل تطور المجتمع اليمني القديم

1. المجتمع المشاعي:

هو المجتمع الذي ظهر في عصور ما قبل التاريخ، وخصوصاً قبل ظهور الزراعة، حيث ظهر الصيادون وجامعو الثمار كنوع من الجماعات غير المستقرة، وظهرت منها جماعات الرعي المتمثلة بالأقليات الصغيرة (البدو) المتنقلة كالتي نشأت في وسط الجزيرة العربية وشمالها، والتي ظلت تدور في البادية وعاداتها وتقاليدها، وقد بقيت في اليمن حين ظهرت المجتمعات اللاحقة، وكانوا يسمونها (عربن)، والذي ما زال وجوده واضحاً في المناطق الرعوية في اليمن حين تشترك القبيلة كلّها في ملكية أرض الرعي.

2. المجتمع القبلي البدائي:

مع اكتشاف الزراعة في العصر الحجري الحديث وتوسع الاعتماد على الحيوانات المدَجَّنة ظهر المجتمع القبلي، وظهرت ملامح حياة شبه مستقرة، وظهر إطار مجتمع أكثر استقراراً بسبب التربة الخصبة وتنوع التضاريس والمناخ، ثم تطور هذا المجتمع في العصر البرونزي وظهرت المدن والموانئ وطرق القوافل التجارية.

أثرت بيئة اليمن وجغرافيته على الإنسان اليمني، وجعلته يحاول ابتكار زراعة دائمة عن طريق المدرجات الزراعية والسدود وصهاريج المياه، فنضج عقله وجسده واستخدمهما في كل هذه المهمات، ويرى الباحثون أنه لولا هذا لكان مشابهاً لعرب الجزيرة في صحرائهم وبيئتهم القاحلة التي جعلت بداوتهم هي السائدة، أصبح اليمنيون مزارعين ومهندسي ريّ وبناة بُيوت ومدن وأصحاب حِرَفٍ ومهنٍ، وطوَّع الإنسان اليمني القديم بيئته وموارده من أجل حياة وعلاقات اجتماعية أفضل، لكنّ تضاريس اليَمّ المتنوعة والمقطّعة بالوديان

والجبال والهضاب ساهمت في نشوء المجتمعات الصغيرة المتكاثفة والمتراصة والتي نشأت عنها القبيلة، وبدأ بالاستصلاح الزراعي وبناء المدرجات الزراعية، وخزانات وصهاريج المياه، ونشط في شق الطرق وقنوات الري والسدود.

3. المجتمع العبودي القديم:

ربما نشأت العشيرة على أساس رابطة الدم في بدايات العصر البرونزي، وربما في بدايات نشوء القبائل حدث هذا، ولكن القبيلة بدأت تنسحب تدريجياً من رابطة الدم والنسل، وهو ما لم يحصل مع العرب البدو في جزيرة العرب، ونشأت على أساس رابطة العمل والسكن، ولذلك صار من السهل تكوين اتحادات قَبَلية على هذا الأساس أيضاً مضافاً إليها عامل العدو المشترك الذي يجابه قبائل الاتحاد أو السيطرة على طرق التجارة.

لم يستعمل مصطلحا عشيرة وقبيلة (قبل) بشكل واسع، وإنِ استُعمل فهو دال على المهنة والوظيفة والعلاقات الاقتصادية، بل كان مصطلح (شعبن = شعب) هو الأكثر استخداماً وهو يشير إلى الاتحاد القبلي في المدينة، والذي سيظهر بوضوح مع ظهور دويلات المدن اليمنية في بداية العصر الحديدي (1200 ق.م) وترَسُّخ عاداتها الاجتماعية والسياسية، بِذَا ظهر المجتمع العبودي القديم، وظهرت الاتحادات القبلية، وظهر مصطلح (شعبم) الذي يشير إلى التحالفات القبلية التي جمعتها المصالح المشتركة، وقد نتج عن توسع الزراعة والمهن والتجارة نشوء تكوينات اجتماعية واسعة تبذل جهداً يدوياً كبيراً لإدامتها، وأصبحت رابطة العمل والاقتصاد أهم من رابطة الدم، وكان التحالف أهم من القبيلة والعشيرة، ولذلك ترَسَّخ مفهوم العمل والسياسة، وانقسم المجتمع على متنفذين وأقوياء من جهة وفقراء وعبيد من جهة أخرى، وهذا هو أسلوب الإنتاج العبودي الذي يُنتج ما نسميه بالمجتمع العبودي القديم.

استخدمت مفردة قبيلة و«قبل» متأخراً في حياة اليمنيين القدامى أو لعلها كانت تدل على تجمعات عشائرية من حيث القرابة أو المصالح المشتركة في الأرض والاقتصاد، وكان الشائع هو استخدام كلمة (شعب) على رغم أن هذا المصطلح كان دالاً على قبائل المدن، وهو يستدعي الارتباط بإله مُعَيّن كمعبود لذلك الشعب وكأبٍ ينحدر منه نسل الشعب، وهو يعني القبيلة التي تقود القبائل التي معها التي لم تنضج سياسياً بعد، وهو يملك أرضه وأرض القبائل الأخرى التي يقودها.

هكذا تحولت القبيلة من الدم والنسل إلى العمل والإنتاج ووضع مجلس لأعضائها يرأسه شيوخ القبيلة، وأصبحت هذه المجالس نَوَاة ما عُرف بمَسُود الشعب الذي كان أساس دول المدينة أو الممالك اليمنية.

بهذه الطريقة شكلت القبائل (الشعوب) نواة المملكة والدولة القائمة على نظام اجتماعي طبقي صارم ومصالح اقتصادية واضحة صارت هي السبيل إلى تكوين حضارة خاصة على

الرغم من عدم ذوبان القبائل في نسيج هذه الحضارة، لكنها، في الأقل، أصبحت قبائلَ متحضرة.

من جهة أخرة كان تَخَلُّف أفراد الشعب قوة طاردة للتحضر، وأحد أسباب عدم الاستقرار السياسي والحروب العسكرية الداخلية بين الممالك والمدن والقبائل والملوك، وقد لعبت دوراً كبيراً في تكريس القَبَلية وجعلها شرطاً من شروط الحياة، فكانت هناك مجالس قبلية تصدر قراراتها وترسلها للملك الذي كان يخشى عدم الالتزام بها وتطبيقها، ونرى أن النظام القبلي هو سبب الحروب الداخلية، ولو أن القبائل ذابت داخل الحضارة اليمنية لَمَا اضْطُرت الممالك إلى القتال بهذه الطريقة التي لم تتوقف حتى نهاية هذه الحضارة.

كانت فترة الدولة الحميرية بمثابة نهاية للحضارة اليمنية القديمة، فبعد قرنين من حكمها دَبّ الضعف في اليمن، حين ضعفت السلطة الدنيوية فيها وجاء محلها الحكم الديني أو باسم الدين، خصوصاً أن الصراع بين الممالك قد أنهكها وازاد انتشار الأوبئة، وقَلَّت روح الإبداع، وكانت الضربة القاضية لها دخول الدينَيْن اليهودي والمسيحي فيها، وبَدْء تحول الولاء من البلاد إلى الدين.

4. المجتمع الإقطاعي:

بدأت بوادر انهيار النظام العبودي مع نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، ومع حكم الدولة الحميرية لليمن أصبح انهياره واقِعَ حالٍ وبدأ احتضاره الفعلي الذي انتهى مع ظهور الإسلام ونشوء المجتمع الإقطاعي الذي سيكون خارج زمن بحثنا.

استقل الأقيال (المشايخ) وكَوَّنوا لهم سيادات خاصة، ثم الأذواء وهم الأمراء في المخاليف بمقاطعاتهم وإماراتهم الصغيرة، ونزحت الجماعات اليمنية شمالاً باتجاه المشرق القديم، وانهار نظام العبودية، ودخل الغزاة الأحباش باسم المسيحية لليمن، وسيطر البيزنطيون على البحر الأحمر، ثم استولى الفرس الساسانيون على اليمن، وهكذا تدمرت حضارة اليمن وقوتها الزراعية والتجارية وفقدت سيادتها.

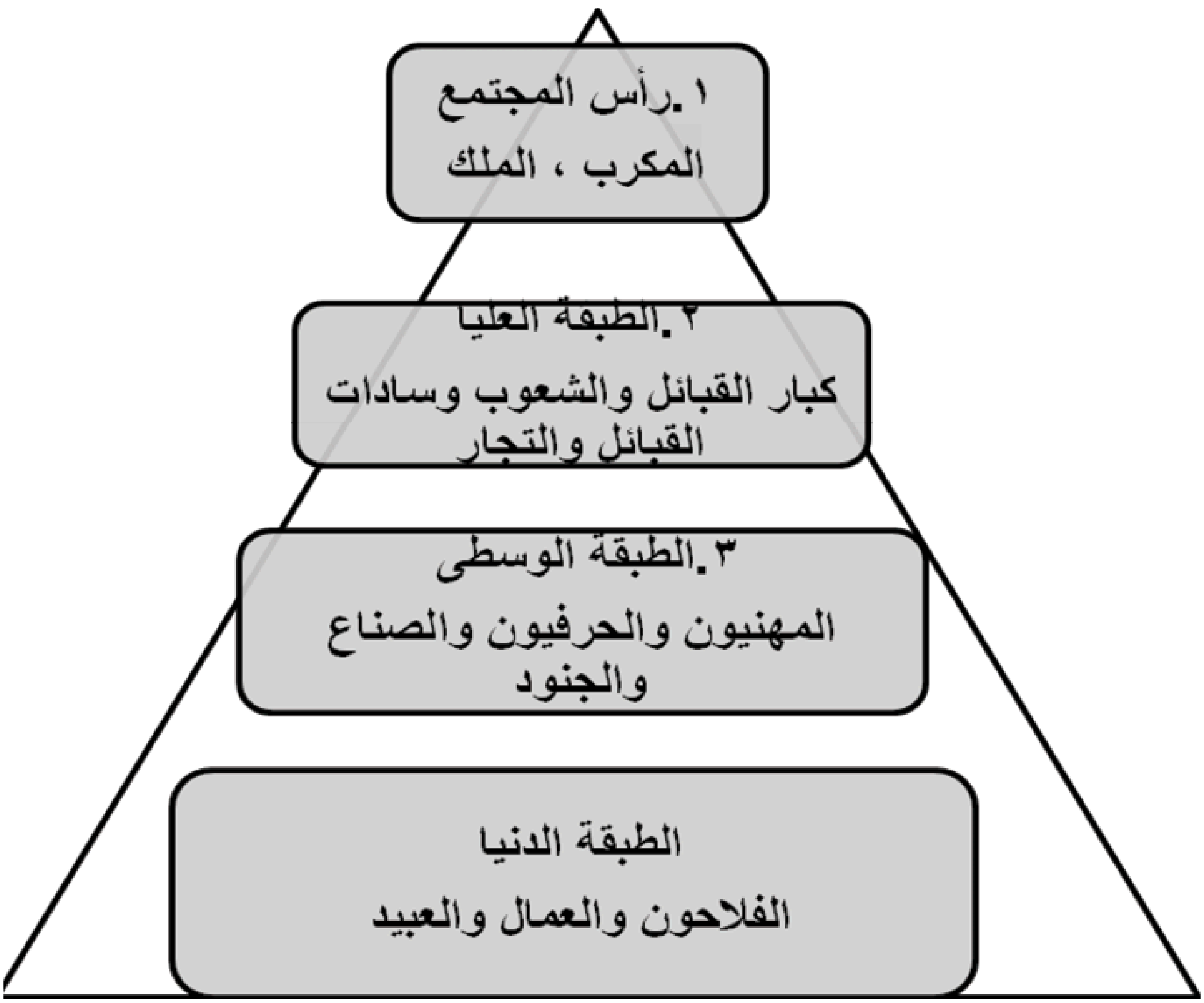
مثلما لعبت القبائل دوراً كبيراً في التخلف والحروب وتكريس النظام الطبقي ونظام العبودية، فقد لعبت دورها في مناصرة النظام الإقطاعي وتكريسه حين أُسِّس.

مع بداية القرن الميلادي الأول ظهر النظام الإقطاعي في ظل تفكك النظام العبودي من جهة، وضعف سلطة الدولة المركزية واستقلال شيوخ القبائل والمخاليف، إلى الدرجة التي أصبحت فيها سلطة الملوك شكلية لا قيمة لها، وهكذا استولى هؤلاء وقبائلهم على الإقطاعيات المبعثرة، وصعدت معها النزعات الفردية للشيوخ والأقيال والأذواء، فتولدت الملكيات الخاصة وحلت محل الملكية العامة للدولة، وتدريجياً ظهرت الملكيات الإقطاعية

الكبيرة، استمر هذا حتى القرن السادس الذي شهد اضطرابات واسعة لمدة قرن ونصف، وظرت النزاعات والحروب بين الملوك والإقطاعيين.

تحولت الأرض ووسائل الإنتاج فيها إلى احتكار وملكية شخصية بيد الأمراء، وحلت المخاليف بدل الممالك، من الناحية العملية، ورافق ذلك انقسام جديد في حياة الناس، وهو الانقسام الديني ـ الطائفي حين اشتعلت الحروب بين يهود اليمن ومسيحييها وأهل الديانة الأصلية القديمة، وكان هذا مؤشّراً على نهاية حضارة عريقة.

ثالثاً: الهرم الاجتماعي اليمني وطبقاته



الهرم الاجتماعي اليمني القديم

1. الطبقة الأولى كان هناك الكاهن الحاكم، ثم المكرب الذي يمثل رأس الطبقة الاجتماعية، لكنه لم ينفرد بالحكم، فقد كان هناك مكاربة آخرون بالأهمية ذاتها التي هو عليها، وقد يتشاركون معه في حكم المملكة فيكون هناك اثنان أو ثلاثة مكَارِبة معاً.

جاء الملك بعد المكرب وكانت له أعلى مكانة اجتماعية لكنها مقَيَّدة بمقررات مسود المملكة، «وترتب على ظهور الملوك في دول اليمن القديمة نتيجة الصراع بينها تَغَيُّر البنية الاجتماعية فيها فحلت الأسر الملكية الحاكمة محل أسر المكارب وبالتالي عاد رجال الدين لا يُشَكلون المرتبة الاجتماعية الأولى في اليمن القديم، وورثتهم في هذه المرتبة الأسر الملكية، وتلاها في الترتيب الاجتماعي زعماء القبائل وشيوخها والأذواء والكبراء والأقيان، وكان لهذه الطبقة الاجتماعية دور كبير في الجانب الاجتماعي والسياسي، فقد احتلت المرتبة الثانية في السلّم الاجتماعي، وأصبح أفرادها يديرون المناطق التابعة للدولة وتكونت منهم المجالس التشريعية (المزود) وخاصة في قتبان، وأصبح لهم حق التشريع والتصديق على القوانين بعد الملك، ومن ضمن هذه الطبقة الموظفون والإداريون والعسكريون أي (الفقضة) و(البنن) وخاصة في قتبان، وكانوا يشاركون في إصدار القوانين إلى جانب الأذواء، إلا أن النقوش القتبانية لا تشير إليهم بلفظة (ذو) بل تذكر أسماءهم مجردة». (عطبوش، عبد الله 2008: 386).

2. الطبقة الثانية (العليا) تضمّ جماعة اسمها «أبعل: مفردها بعل ويعني سيد»، تأتي بعد المكرب، وتضم سادة المجتمع وصفوته وأشرافه ووجهاء أقوامهم، ومعها جماعة تدعى «أسود: ومعناها الأكثر سيادة»، وهم الأقل قداسة من الأبعل، وهم الزعماء الذين يتزعمون أكثر من قبيلة ولديهم أراضٍ وإقطاعيات واسعة، يشاركهم هذه المنزلة الأقيال: وهم ملاك إقطاعيون ممن يمتلك أراضِيَ كثيرة، ولها نفس معنى أبعل بالضبط، وطبقة اسمها الأذواء وهم أشراف وسادة ولكنهم ليسوا ملوكاً، فنجد عبارات مثل «ذو يزن» ومعناها رئيس أو صاحب بيت يزن فهو شريف، ولكنه ليس بدرجة المكرب أو الملك، ويقال لهذه الفئات بلغة المسند «قطن» و«آدم» و«صغرم».

الطبقتان الأولى والثانية تأنفان العمل، ولها مواردها الاقتصادية بسبب مكانتها الاجتماعية والسياسية، ولذلك لا تعمل بيديها بل تأمر وتنهى.

3. الطبقة الثالثة: في الطبقة الوسطى، كان فيها الحرفيون والمهنيون والصناع الذين يكسبون مالهم بجهدهم الخاص، ومعهم طبقة الجنود والمقاتلون ويشار إليهم في النصوص بلفظة «أسدم»، وهم الذين يكسبون مالهم من الدولة، وكوّن التجار وأصحاب القوافل طبقة خاصة بهم وعُرِفوا باسم «مكر» في نصوص المسند وهم دون الأقيال والأبعل ولكنهم مهمون وعِمَاد اقتصادي للبلاد بسبب الضرائب التي يدفعونها.

4. الطبقة الرابعة: وكانت هناك طبقة من المزارعين ويقال لهؤلاء «قسدن» وجمعهم «قسود» وهم مزارعون يعملون لقاء أجر للأقيال والأذواء ومفروض عليهم الخدمة العسكرية والقتال عند وقوع الحرب.

«طبقة عامة الناس الأحرار من مَالِكي الأراضي والتجار والفلاحين والصناع والحرفيين، وفي المرتبة الأخيرة الأتباع (أدم) والعبيد مِمّن يُؤسَرون في الحروب أو يشترون من الأسواق، وقد أصبح المجتمع اليمني القديم ثابتاً بطبقاته حتى القرن الثاني ق.م، وما بعده». (عطبوش، عبد الله 2008: 386).

أدنى الطبقات كانت طبقة العبيد ويشار إليهم بألفاظ «عبدن» و«عبدم» و«آدم»، أما عوامّ الناس يقال لهم «جوم» وهي مرادف قوم لأن الجيم تنطق مصرية في العربية الجنوبية القديمة، أو «أخمس» وهي كلمة تحدد وطن الشخص. وُجدت كلمة «جوم» مقرونة بآلهة فيقال «جوم مقه» أو «جوم عثتر»، وهي آلهة تتشارك عدد من الأقوام في تقديسها فلا يستدل بها على مملكة الشخص، عكس كلمة «أخمس» فيقال في النصوص »أخمس معن» وتعني مُواطني مَعِين.

وتستعمل كلمة »شعبن» و«شعبم» كذلك وهي أقرب إلى قبيلة، وتختلف المصطلحات من مملكة إلى أخرى، فالسبئيون كانوا يطلقون كلمة ملك على ملوك المقاطعات التابعة لهم أما المعينيون فكانوا يستعملون كلمة «كبر» (كبير) لوصفهم، وهم المسؤولون عن المقاطعات البعيدة ويقومون مقام حاكم الولاية.

تعمل الطبقتان الثالثة والرابعة بكفاح طويل الأمد في استثمارها للأرض وفي مساهماتها في الصناعة والحرف، وهما محطّ احتقارٍ من قبل الطبقتين الأولى والثانية على رغم أنهما المسؤولتان عن توفير المواد والطعام للناس ومواد التجارة وغيرها.

وهذا ما أسميناه (المجتمع العبودي) الذي كان هو السائد في تاريخ اليمن القديم قبل القرن الميلادي الأول، أي إلى ما يقرب من ألف عام.

«نعلم هذا الانقسام الطبقي من شاهد وهو الكتاب اليوناني أرتميدوروس، إذ يذكر لنا في مجال حديثه عن السبئيين أن: «الملك ومن حوله يعيشون في بذخ أنثوي»، ويتحدث عن الطبقة الثرية من السبئيين والجرهانيين أنهم يتفننون في الأواني المصنوعة من الذهب والفضة المرصعة بالأحجار الكريمة وأن وظائف الدولة قاصرة على أولاد الملوك، مما يدل على أن منصب الملك كان بالتناوب بين أفراد الطبقة الأرستقراطية، وهذا يعني أن وظائف الدولة هي الأخرى حكر على هذه الطبقة، ونجد تقسيماً في مجتمع العربية الجنوبية أواخر القرن الأول قبل الميلاد وأوائل القرن الأول الميلادي يصنّف المجتمع إلى فئات لها طابع طبقي، إلى فلاحين وحرفيين وعاملين في جمع المر واللبان، ولا يمكن أن يغير فيه أحد مهنته لينتقل من فئة إلى أخرى، ومن ثم فهو يكرس الطبقية في صورة حادة ومستمرة في

الوقت ذاته، وإن طبقة أصحاب الحرف أو من كانوا يعملون بالأجر يُنظر إليهم على أنهم يمارسون عملاً متدنياً، على رغم حاجة المجتمع إليهم». (شلالقة 2016: 315).

المكوّنات المدنية والفلاحية والبدوية والبحرية للشعوب اليمنية:

كان الحضر يجعلون من الحصون والقلاع وسيلة لحماية أنفسهم، أما البدو فكانت الأحلاف تقوم مقام الحصن والسور، بسبب عدم ثباتهم في أرضٍ معينة واستقرارهم فيها، لأن الصحراء كانت مكاناً لا يصلح للبناء والحصون والأسوار، وكان الحضر والبدو يتمسكون بالقبيلة، فالحضر يرون أن التحالف الطويل الأمد يعمل معنوياً على رَصّ صفوف قبائلهم معنوياً، والحصون والأسوار تقوم بحمايتهم مادياً على الأرض، ويمكننا في جميع الأحوال تعرف المكونات المختلفة لتجمعات اليمنيين في العصر القديم كما يلي:

1. المكونات الحضرية (شعبن): سكّان المدن

2. المكونات الفلاّحية: سكان الأرياف من الفلاحين والمزارعين

3. المكونات القبلية (معشر، قبل): العشائر والقبائل اليمنية المستقرة

4. المكونات البدوية (عربن): العشائر الراحلة غير المستقرة

العرب والبدو في اليمن:

السؤال الذي يشغل بال الجميع هو: ما المقصود من مصطلح (عربن)؟ هل هم البدو اليمنيون أو الساكنون في اليمن، أو المقصود بهم شعب آخر غير يمني يختلف عن السبئيين والحضرميين والقتبانيين والمعينيين وغيرهم؟

مصطلح (بدو Nomads) في المعاجم الأنثروبولوجية «مشتق من الكلمة الإغريقية Nemo أي يرعى، ويستخدم في الأنثروبولوجيا للإشارة إلى أسلوب الحياة الذي لا يقتصر على البدو الرعاة فقط، ولكنه يدلّ أيضاً على بعض الأنواع الاجتماعية الأخرى التي يغلب عليها الافتقار إلى الإقامة الدائمة، أو التوطّن والاستقرار، وكذلك يمكن الإشارة إلى الصيادين وجامعي الطعام على أنهم بدو، أما الجماعات التي تتناوب فيها فترات البداوة والتخلخل السكاني مع فترات التركز السكاني والإقامة الأكثر استمراراً في منطقة واحدة، فتسمى بالجماعات شبه البدوية». (سيمور– سميث 2009: 136).

«بدأَتِ القوى البدوية الشمالية الاحتكاك مع المجتمع اليمني الحضري منذ عهد الملك نشاكرب، ملك سبأ، في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، كما يتضح من خلال النص: إن أعراباً قد أغاروا على جماعة من السبئيين (أرض سبأ)، وإن الملك قد أرسل قوة

عسكرية من الجيش والأهليين إلى أرض هؤلاء (الأعراب)، فنجحت الحملة في التعامل مع جيش الأعراب، واسترداد ما غنموه من أسلاب وأسرى، وفي اعتقادي أن الأعراب قد أغاروا على قافلة تجارية، كما يبدو من قراءة النص، بدليل قوله: جماعة السبئيين، وباستعادتهم للأشياء المسلوبة والأسرى، وإن كان بافقيه يقول: إنهم هاجموا الأراضي الواطئة إلى الشرق والجنوب من نجران، في اتجاه الصحراء، وقيل إنه قد حُلَّ ذلك النزاع ودياً من قبل وجهاء مأرب، ويُعَدّ هذا النقش الأول وأقدم النصوص المسندية التي أشارت إلى (الأعراب) وغاراتهم على السبئيين وقوافلهم». (سعيد 2006: 100).

ويتّضح من هذا النقش أنهم لم يكونوا من سكان البلد فهم قادمون من الشمال أي من صحراء جزيرة العرب، يمكننا القول إن أغلب العرب في جزيرة العرب هم من البدو، وكان القليل منهم من سكان المدن (التي كانت تسمى بمدن القوافل)، وأغلب العرب من سكان المدن كانوا في بلاد وادي الرافدين والشام.

«وقد ظهر الأعراب كعناصر مخربة، تغير على أطراف الأراضي الزراعية في مأرب وحاشد قادمة من أطراف الربع الخالي، مغيرة أو متسللة من خلال السراة إلى تهامة، ومع نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلادي، في عهد الملك (وهب إلى يحوز) من زعماء قبيلة همدان أغار في حملة على الأعراب في مناطق سمعي الشمالية، رداً على غاراتهم المتكررة على المناطق الشمالية، إلى الشرق من يرسم، إلى الشمال الشرقي من صنعاء، وفي تلك الفترة ذكر محارب سبئي من الأراضي العالية (الأعراب) في منطقة (م ن هـ ت م)، تدعى اليوم حزمة (أبي ثور)، الواقعة على وادي الخارد بالجوف». (سعيد 2006: 101).

لكن حضرموت، مثلاً، حاولت استيعابهم في جيشها، «ففي الوقت الذي نجد الدولة السبئية تكرس جهودها لدرء مخاطر الهجمات البدوية وقذفها بعيداً عن أراضيها، نرى حضرموت تعتمد على الأعراب (البدو)، كجيش يقاتل إلى جانب جيوشها نحو عام 150 م، ويشير نقش المعسال إلى أن الجيش الملكي يضم في قوامه قوة بدوية، يتزعمها قائد حَمَل لقب (س ود) (ع ر ب ن): سيد الأعراب». (سعيد 2006: 102).

لعب البدو (عربن) دوراً سلبياً في الحياة الاجتماعية، فقد كانت مجاميعهم تهاجم المجتمع القبلي المستقر وتنهب ممتلكاته وتعترض طرق القوافل التجارية وتسلب وتقتل، وكان من الصعب إخضاع هذه القبائل البدوية، وهو ما جعل القبائل المستقرة تعيش حالة تأهب دائمة، وتظل متمسكة بسلوكها الدفاعي العسكري، وهو ما ساهم بصعوبة ذوبانها كتنظيمات اجتماعية محفِّزة لرد الفعل.

وفي كل الأحوال كان وضع البدو العرب مختلفاً كلياً عن عشائر اليمن وقبائلها التي كانت لا تستسيغ سكن الصحراء ولا الترحال ولا الاعتماد على السلب والغزو، وهذا يرجّح فكرة أن

هؤلاء البدو كانوا من عرب الجزيرة الذين اسْتُوعبوا تدريجياً في الجيوش اليمنية، و«كان السبب الرئيس في صراع الدولة اليمنية ضد البدو الشماليين إساءتهم للقيم الحضارية اليمنية وتهديد مصالحها، مما دفع الملوك العظام (شعرم أوتر، وشمر يهرعش، وأب كرب أسعد) إلى شن الحملات المتكررة لتأديب تلك القوات البدوية، مستخدمين معهم سياسة القوة حيناً، والتحالف والدمج حيناً آخر، فقد وجدنا أنه مع بداية القرن الرابع أصبحت الوَحَدات البدوية الخاصة تقاتل إلى جانب الجيش النظامي اليمني (الخميس)، بل وقد ذُكر البدو ضمن اللقب الملكي». (سعيد 2006: 110).

المبحث الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية

أولاً: البيوت اليمنية

سمّى اليمنيون أماكن سكناهم بكلمة (ب ي ت) وكلمة (م خ د ر) أي منزل أو سكن، وقد أوضحت الكشوفات الآثارية بأن البيوت اليمنية القديمة كانت متلاصقة أو متجاورة بعضها مع بعض، أغلبها بطابق أرضي واحد وكثيرٌ منها بعدة طوابق، منها ما بني في السهول أو على سفوح الجبال والتلال، وكانت الشوارع تخترق تجمعات البيوت، ولذلك كانت البيوت تلاصق الشوارع وتقع على جوانبها.

كان الشكل العام للبيوت مربعاً أو مستطيلاً، وكان بعضها يقع داخل أسوار المدينة وهي، في الغالب، قصور الأغنياء والحكّام والرؤساء ومبنية من الحجر، أما البعض الآخر فيقع عادة خارج أسوار المدينة، وهي بيوت الفلاحين والعمال وأهل الطبقة الوسطى وتكون مبنية من الطين.

البيوت الأولى التي سبقت ظهور الممالك اليمنية المعروفة، في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، كانت مصممة على طريقة الفناء الداخلي الذي تحيط به غرف صغيرة متلاصقة لها مدخل بسيط، ومرصوفة أرضيته بالطين وأحياناً بالطابوق، ثم تطورت البيوت وبُنيت بالحجر، وتطور معها شكلها وتكوينها الداخلي والخارجي.

الطوابق: أكثر من طابق على الأغلب بين 3 ـ 4 طوابق وقد تصل إلى ستة.

واجهة البيت: تزينه لوحة مكتوبة لجلب الحظ.

مساحة البيت: الصغير نحو 180 متر مربع، غرف، سلالم (علوه)، سقوف (طلل، مسقف)، بئر.

صالة البيت: في الطابق الأرضي عادة.

النوافذ: من الزجاج الملون (مصبح).

كان امتلاك البيوت يجري وفق وثيقة قانونية مكتوبة تورّث لأبناء مالك البيت بعد وفاة المالك الأب، وكان يجري بناء بيت أو شراؤه أو إصلاحه بعد أخذ الإذن من سلطات الملك بطريقة قانونية.

«وقد تطورت المنازل بعد ذلك وأصبحت تبنى من الحجر عوضاً عن اللبن، وأصبحت أكثر من طابق، وهو ما اتضح من حفائر البعثة الفرنسية في شبوة، ويمكن إيجاز بعض الصفات المعمارية لتلك المنازل على النحو التالي:

ـ الأساسات عبارة عن ألواح من الحجر الرملي.

ـ القاعدة من الحجر الجيري يبلغ ارتفاعها من 2 إلى 4 م، وغالباً ما تكون الحجارة المنحوتة بشكل متقن، ويوجد المدخل أعلى القاعدة.

ـ الأدوار العليا عبارة عن هيكل خشبي تُملأ فراغاته بالطين أو اللبن». (مرسي 2006: 149).

كانت البيوت تتكون من عدة طوابق، ويبدو أن هناك أنواعاً من البيوت، حسب ما تذكره النقوش اليمنية، ربما تدلّ على تصميمها أو سعتها أو شكلها، ومن هذه الأسماء: شعبن، يافش، يحضن، يافعم، إلخ. وكانوا يضعون لوحة مكتوبة على واجهة البيت لجلب الحظ.

«في بعض الأحيان كان البعض يستغلون الجزء السفلي من المنازل في أغراض أخرى غير سكنية، مثل استخدامه كورشة أو مصنع ويستغل الطابق العلوي للسكن، وهو ما يفعله البعض في الوقت الحالي. نقش «Ja 119»:

1. ث وب م/ب ن/ي ش ر ح ع م/و س ب ح م/و هـ وف ع م/ذ ت و.

2. م هـ ص ن ع م/ش أ م/و ظ ر ب/ب ي ت س/ي ف ش/و ك ل/أ خ ط ب س.

1. ثوبم بن يشرح عم صبحم وهوف عم من أسرة

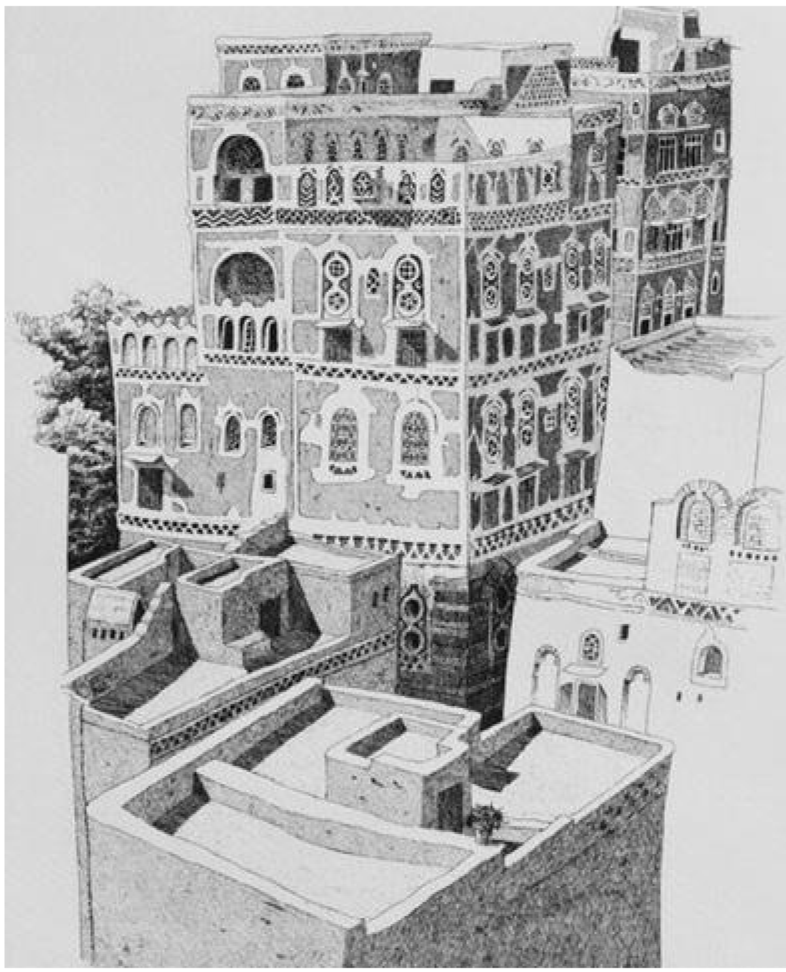
2. مضن عم (...) وامتلكا بصفة قانونية بيته يافش وكل ورشه.

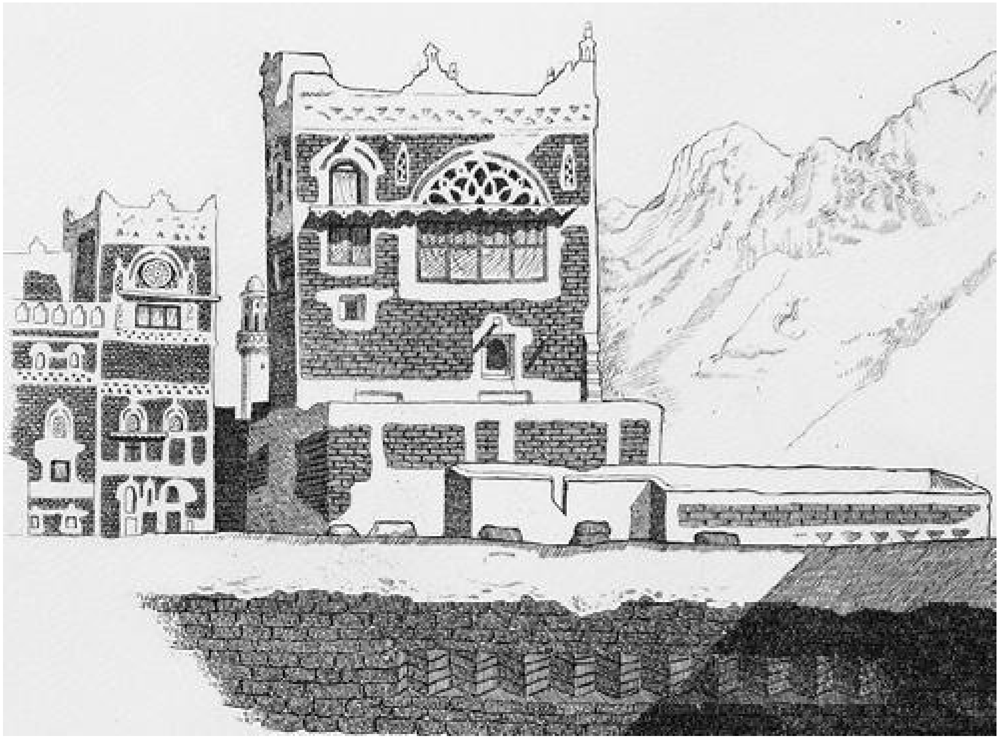
ويبدو أن استخدام جزء من المنزل كمكان للتجارة كان منتشراً في اليمن القديم، مما استدعى صدور تشريع يفرض على كل من يستخدم منزله كمكان للتجارة أن يقوم بدفع ضريبة للملك. نقش (Res4337B).» (مرسي 2006: 151).

1. كانت واجهاتُ البيوت منقوشة باسم البَنَّاء أو باسم مالك البناء واسم أحد الآلهة.

تحفر الحفر حول البناء المراد بناؤه، وتُحضر الصخور والطين والإسفلت أو الـ«زلتن» (الزلت) وتخلط بالماء وتترك إلى أن تجف، وتبنى الجدران بمادة النورة ويطلى الجدار الخارجي للمنزل، أما الداخلي فيرسم بنقوش الوعول والثيران وغيرها.

عُرف البناء العالي المرتفع بكلمة «صرحن» (الصرح)، أما الأبراج والقلاع والحصون فعُرفت باسم «محفدن» (المحفد) من حجر البلق القديم وتحوط بخنادق كثكنات عسكرية للجنود.





منازل يمنية من القرن التاسع عشر يمكن أن تعطي فكرة عن البيوت اليمنية القديمة

https://www.behance.net/gallery/5016699/THE-YEMEN-ETCHINGS-1988-1990

ثانياً: الأسرة اليمنية

على الرغم من أن الوحدة الاجتماعية الأساسية في اليمن هي القبيلة، لكن الركن الأساسي في القبيلة هي الأسرة، والركن الأساسي في الأسرة هو الرجل، والعلاقة بين أفراد الأسرة هي أساس تلازم أسر القبيلة ضد القبائل الأخرى، وهكذا تبدأ العلاقة المتماسكة من الأسفل ممثلة بأفراد الأسرة ثم الأفخاذ فالبطون فالعشائر، ثم الأحلاف، وكان للنسب أهمية قصوى في هذا التماسك، وبسبب النسب وعلاقة الدم نشأ ما يعرف بـ(العصبية القبلية).

يبدأ تكوين الأسرة من الزواج ويستمر مع إنجاب الأبناء، ويتواشج مع علاقة الدم والنسب بين الأسر التي هي خلايا القبيلة الواحدة.

1. الزواج

يسمى الزواج باللغات اليمنية (نكاح)، ويسمى الزوج (بعلاً) والزوجة (بعلة)، أي إنها ملك وحيازة رجل معين.

المرجع الديني لفكرة الزواج يأتي من عبادة الثالوث الكوكبي اليمني، فالإله الأب هو القمر الذي نجده الإله الرئيسي في كلّ ممالك اليمن القديمة وفي مملكتيه الموحدتين سبأ وحمير، أما الإلهة الأم فهي الشمس زوجة القمر، والإله الابن هو عثتر الذي هو الشكل الذكري لكوكب الزُهرة، وعندما ينظر اليمني إلى السماء يرى أن القمر يلاحق الشمس ويتبعها ويصل إليها ويكون معها في ثلاث ليالٍ يغيب فيها أثناء خلوته هذه، ثم يعود من جديد بعيداً عن الشمس ليلاحقها مرة أخرى ويحصل عليها وهكذا، فدورته الشهرية هي ملاحقة الشمس والاقتران بها في النهاية في زواج سماويّ، وينتج عن هذا الزواج ظهور الزهرة الذي هو كوكب المساء والصباح، فهو طفلهما الذكريّ المفضل الذي يستيقظ صباحاً وينام مساءً، ربما كانت حركة الثالوث الكوكبي مصدر إلهام للزواج والإنجاب عند اليمني.

الزواج أساس الأسرة، والرجل هو الذي يبادر إلى تأسيسها، فيبدأ باختيار المرأة الوَلُود المناسبة ذات النسب الجيد ويفضلها أن تكون قريبة الأصل منه أو من القبيلة ذاتها التي ينتسب إليها، وكان الزواج من خارج القبيلة محكوماً بأعرافٍ وقوانين، فقد أصدرت حكومة معين، على سبيل المثال، تشريعاً ينظم عملية زواج مواطنيها بالأجانب من ديدان، وهو ما نجده في النقش (Res 3699):

«1... وغ/ن هـ ن/... م ل ك/م ع ن م/و ب هـ ن س

2... س/د د ن ي ت/أ. ب ن/ب أ ر/ذ أ خ ر هـ/ب،

3... م ع ن ي ت/ك د د ن ي/و ك ذ/أ خ ر هـ

4... م ع ن م/و ب هـ ن س م/و ب ن ت س م/و أ وش ك هـ/...

5... م ع ر ب/ك ل/و ل د/ت ل د/م ع ن ي ت/ك ك ل/ذ أ خ ر هـ/

6... ن ع م ي/... ذ ب

1. قرار من ملك معين وأبنائه

2. أي رجل من معين يقترن بسيدة من ديدان وكذا أي (سيدة)

3. من معين تقترن برجل من ديدان

4. فإن أبنائهم وبناتهم وزوجاتهم...

5. يصبحون معينيين وكل ولد تلده السيدة المعينية». (مرسي 2006: 111).

أنواع الزواج في اليمن القديم:

1. زواج البعولة: وهو الزواج الطبيعي والمألوف في اليمن القديم وفي أنحاء جزيرة العرب، ويقوم على أساس الخطبة والمهر والإنجاب والقبول، ولذا فهو الزواج التقليدي (الشرعي)، وهو ما يسمى أيضاً بزواج البعولة، ومن ثَمّ فقد وُجدت عندهم كلمة (نكاح)، وفُسّرت على أنه يُقصد بها (الزواج)، حيث يقَدَّم إلى المرأة مهراً من الأنعام والمال، وهذا أقرب إلى الطبيعة الإنسانية، وأكثر تأييداً لنظام الأسرة والرفع من شأن المرأة، فيصبح الرجل فيه بعلاً أي راعياً وحامياً لزوجته، وتصبح المرأة بعلةً أي تابعة للرجل وقائمة على رعايته وإنجاب الأبناء له، وكان زواج البعولة ينقسم إلى نوعين هما:

أ. الزواج الأحادي Monogamy وهو زواج الرجل بامرأة واحدة، وهو زواج البعولة الشائع في حالات السلم والحياة الطبيعية، خطواته معروفة هي: الخطبة والمهر والتراضي وإشهار الزواج والاحتفال به.

ب. تعدد الزوجات Polygamy وهو زواج الرجل بعدد غير محدد من النساء في آنٍ واحد، يظهر غالباً في حالات الحرب فيحصل الرجل على واحدة من النساء الأسيرات ويعاشرها، وحين تلد له أولاداً تصبح زوجة له ويصبح هو بعلاً لها، وكانت الزوجة تعامل كجزء من تركات الرجل بعد وفاته لأنها ملك له.

2. زواج المشاركة Polyandry: وهو زواج تعدد الأزواج أي اشتراك عدد من الرجال في الزواج من امرأة واحدة، وهو زواج محدود وغير منتشر يؤيد ظهوره عدد من النقوش السبئية.

عَرَف العرب في العصور القديمة حالات زواج غير عادية ومنها نكاح (زواج) المشاركة وهو تعدد الأزواج، أي اشتراك عدة رجال في الزواج من امرأة واحدة، وهناك نقوش سبئية أكدت وجود حالات من زواج (نكاح) المشاركة، أو تعدد الأزواج، التي مارسها المجتمع العربي، واليمن القديم، ولكن هذا النوع من الزواج لم يكن سائداً ومنتشراً، وإنما كان محدوداً ونادراً، ومن النقوش السبئية التي تعود إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين ما يؤيد وجود تعدد الأزواج، وهي كالآتي:

يتبين من النص السابق أن الملك نشأ كرب يأمن الثاني يهر حب (260 ـ 275 م) انتسب إلى كل من أل شرح يحضب الثاني، ويازل بين (240 ــ 260 م) مَلِكَي سبأ وذي ريدان.

3. الزواج المؤقت: وهو زواج الرجال المؤقت من نساء يصادفهن في طريق عمله بالتجارة أو التغرب والترحال، أو اضطرار النساء إلى الزواج برجال عابرين للحصول على أطفال،

وفي جميع الأحوال يكون إنجاب الأطفال حاسماً يجعل من هذا الزواج ذا هدف واضح ويكون الأطفال أعضاء في أسرهم.

4. الزواج السياسي: وهو زواج المصاهرة بين القبائل بسبب فضّ النزاعات أو لدعم الأواصر الجيدة بينها.

2. المرأة

أولاً: مراحل حياة المرأة وأحوالها فيها:

1. إنجاب الطفلة: لا شك أن مجتمعاً ذكورياً قَبَلِياً كالمجتمع اليمني يفضّل إنجاب الأولاد الذكور على الإناث، ولم نجد نقشاً يودّ إنجاب البنات. كان وأد البنات في المجتمع اليمني نادراً، وكان يحصل بسبب ما أورثته الحروب من تداعياتها، التي كان يتفاخر بها المنتصرون بسبي البنات والنساء، وتوزيعهن كالغواني بينهم، وعلى الرغم من ذلك كان هناك ما يشير في أحد قوانين مدينة مطرة على منع وأد البنات. «وقد ألزم المجتمع بأسره بتحريم وأد البنات للحفاظ على حياة الإنسان وصَوْن كرامته، مما أوجب سَنّ مثل هذا النوع من القوانين الخاصة، التي تهدف إلى الاستقرار الاجتماعي داخل المجتمع اليمني، فظهر في النقش: لا يجوز تزويج بنات مدينة مطرة إلى مناطق أخرى ومدينة غير مدينتهم، ولا يجوز وأد أي بنت من بنات القبيلة التي تُسمى مطرة» (مهران ـ أمل 2011: 64).

وكان هناك ما يشير إلى دور الأب في وأد البنت أو بقائها على قيد الحياة، فقد ذُكر أن «المرأة اليمنية أره إليه للسيدة مجد حلك ذكرت أنها منذ أن وضعت ابنتها المدعوة خسف، خصها (أبوها) أبو حمد (وربما تقصد المعبود هران رب رحبان) أن تبقى على قيد الحياة، فإن كان المقصود أن أباها هو الذي خصها بالحياة فإن ذلك يوحي أنه كان من الممكن أن تقع تلك المولودة في دائرة الوأد» (الحدّاد 2003: 437).

وبشكل عام كانت الطفلة المولودة تعامَل بشكل جيد من قِبَل والدها ووالدتها، فقد حفلت بعض الأدعية الخاصة بالأسر اليمنية بالدعاء للبنات والأبناء بالصحة والرعاية، وكان لهن حب الأسرة وكامل رعايتها (الحدّاد 2003: 430).

2. الفتاة والمرأة وانتسابها لوالدها أو والدتها أو زوجها: اختلف انتساب المرأة، فقد كان ـ في الأغلب ـ لوالدها قبل الزواج، وهناك حالات نادرة لانتسابها لوالدتها، وكانت هناك حالات انتساب إلى زوجها بعد الزواج.

3. زواج المرأة وحقوقها: تصلح المرأة للزواج قانونياً بين (10 ـ 12) سنة في القوانين الحميرية المتأخرة، وفي حالة منع قيامه تفرض الدولة غرامة مالية على مَن حال دون قيامه، وذلك بما يتناسب ووضع الأسرة المادي (القوانين الحميرية: مادة 13).

كانت المرأة المتزوجة تُسَمّى (حشكت)، وفي حالة الزواج السياسي تُسمى (محشكت).

كان الزواج يوثَّق رسمياً بنقش قانوني، وكان ملوك معين، مثلاً، هم من يُصدرون أوامر موافقتهم على عقود الزواج، وكانت المرأة تحصل بموجِب العقد على مهرها أو صَدَاقها قبل الزواج (مهرت)، وكان أهل كندة يغالون في قيمة المهور، ويبدو أن للزواج أشهراً مفضلة.

«وكانتِ المرأة اليمنية تُمارِس حياتها الطبيعية فى البيت، من الطبخ والتنظيف، وإذا كانت من الطبقات العليا يتولى الطبخ لها في البيت (طباخ) خاص وخادمات يتولين الطحن والتنظيف». (الموسوي 2007: 73).

الأطفال الذين يأتون نتيجة الزواج كان بعضهم يحملون اسم الأب وبعضهم اسم الأم، ويعيشون في رعايتها كأي فرد من أفراد قبيلتها ويتمتعون بحق الإرث، وكان للمرأة الحق فى إقامة علاقات عاطفية قبل الزواج، مثل (الشن وعشيقته فيوسيكا)، ويحق لها الزواج من داخل القبيلة أو خارجها من طبقة أدنى أو أعلى، لكن الزواج ـ في جميع الأحوال ـ لا يكون رسميا إلا بعد اكتساب الصفة القانونية من الدولة.

كان يمكن للأخ أن يتزوج زوجة أخيه، بعد وفاة الأخ، وكان يمكن لابن الزوج الزواج من امرأة أبيه (ليست أمه) من أجل الإرث، ويسمى (زواج المضيزن) أو (زواج الأرث)، وكان الطلاق موجوداً في بعض الحالات كما هو في نقش (YMN 19).

4. الحمل ورعاية المرأة الحامل: كانت رعاية المرأة واسعة عند حملها وكانت رغباتها تُلبّى، وكنَّ يلدن في بيوتهن أو بيوت أهل أزواجهنَّ، وكانت سلامة المرأة عند الولادة مشفوعة بنذور تقدّم إلى الآلهة.

5. النساء في شيخوختهنّ: كانت المرأة المسنّة محترمة ومكرّمة من قبل الجميع، وكانت تكرّم بألقاب رفيعة مثل (ذات حضر، ذات يفرع، ذات بني عرق).

6. قبور النساء: شاركت المرأة زوجها في قبره أو في مقبرة واحدة مع أفراد أسرتها، أي إنها مقبرة عائلية، ويظهر هذا واضحاً في نصٍ مدَوَّن على صخرة «لمقبرة منحوتة في الصخر، في قرية بيت الأحرق من جبال مراد، يسجل أن رجلاً بنى قبراً لرجال عائلته ونسائه... ويدعى ذرجان بن أبي ذخر من آل خبزان (ينتمي إلى قبيلة) رفة، وقف وسوى وأنشأ مقبرته صنعان، وكذلك كل مباخر المقبرة ومدخليها وجيرها ومبناها ليقتبر بها كل أحرار بيت غيلان وحُرّاته» (الحداد 2003: 452).

«لم تكتف بمشاركة الرجل في حياته بل شاركته في قبره أيضاً، وتدل بعض النصب الأخرى على أن بعض المقابر خصصت للسيدات دون الرجال، حيث ترى المرأة منفردة على بعض النصب في النص والصورة تتحدث عن نفسها وتظهر في أوضاع محدودة تتناسب مع

كونها سيدة، على عكس ما ظهر عليه الرجال على نصب قبورهم من أوضاع كثيرة تعبر عن كثرة حركتهم وسعيهم من أجل تحصيل الرزق في أحد أعمال الحياة الدنيا (المناظر التي تمثلُه يعمل في حرث الأرض ومتنقلاً على ناقته من مكان إلى آخر)، وتدلل النصوص المدونة على نصب تلك القبور على وجود مقابر خاصة بالمرأة دون غيرها، ومن أمثلتها نصب لامرأة من الجوف، يرجع لما بين القرنين الأول والثاني الميلاديين من حجر المرمر محفوظ بمتحف صنعاء الحربي، وقد دُوِّن على إفريزه العلوي سطران بالخط المسند كنَصٍّ يقرأ على النحو التالي:

ص ور ر ض ك ح رم ذ أ ت هـ ع ل ل ول ي ق م ع

ن ع ث ت ر ش ر ق ن ذ ي ث ر ن هـ و

والمعنى هو:

صورة رضك ذات هعلل فيقمع

عثتر الشارق من يكسره». (الحداد 2003: 450 ـ 451).

ثانياً: وظائف المرأة:

1. العناية بزوجها وبالبيت وتربية الأطفال، ولذلك حازت رضا الزوج وأصبحت وريثته مع أبنائه وشاركته الموت في مقبرة واحدة، وحازت حقوق معقولة في قوانين الأحوال الشخصية والزواج.

«وكان للمرأة حرية اختيار الزوج وتفضيله على غيره، وإقامة علاقات عاطفية قبل الزواج، وخير مثال على ذلك (الشن) وعشيقته (فيوسيكا)، إذ ذكر أن (الشن) اخترق قوانين حاكم مدينة مطرة (مطرتم) وبني سخيم التي تقضي بتحريم الزواج من مدينة (مطرة) لأناس من خارجها، وهذا يدل على أن في اليمن نوعين من الزواج: داخلي (أي داخل القبيلة أو المدينة)، وخارجي (أي خارج القبيلة أو المدينة)، فضلاً عن ذلك كان هناك زواج سياسي تقتضيه مصلحة الدولة، مثال ذلك زواج أخت الملك السبئي شعر أوتر في القرن الثاني من ملك حضرموت، وخير مثال لحرية اختيار الزوج تصريح (رومي بنت إزمع) بعد مقتل زوجها (كانت لي رغبة في أن أمتلك زوجاً آخر مما عازني زوج)، وهذا يعني أنها أعلنت عن حقها في الزواج مرة ثانية» (الموسوي 2007: 74 ـ 75)، والقوانين الحميرية، المادة 13، المنشور في كتاب (بيغوليفسكيا د. ت.).

2. العناية بأملاكها في البيت والتجارة والزراعة، ولها حق التصرف اقتصادياً في الشراء والبيع، وحريتهن في القنص والصيد.

3. الحقوق السياسية للنساء وتلَقَّبها بألقاب سياسية، وعلى الرغم من أن وجود ملكات يمنيات متفردات بالحكم لم تؤيده الآثار، لكن زوجة الملك كانت تُلقّبُ بلقب الملكة وتعيش مع الملك في القصر الملكي.

وشغلت المرأة المناصب السياسية والعسكرية والإدارية، فالمنصب (مقتوت) كان يمنح الملقبات به صلاحيات سياسية وعسكرية، وللمرأة حق اللجوء إلى السلطات القضائية لتأخذ حقها، ومن المؤكد أن هذا يتم في الطبقات العليا للمجتمع دون غيرها.

4. الحقوق الإدارية للنساء حيث شغل بعضهنَّ وظائف مهمة في الدولة مثل بيت المال.

5. الحقوق الدينية للنساء، إذ شغل بعضهنَّ لقب (كاهنة) ومارسن بحرية طقوس العبادة وقدّمن النذور وكفّرن عن خطاياهنَّ.

6. الحقوق الشخصية للنساء فيتزوّجن من يرغبنَ في الزواج به، وحين يختفي أزواجهن بسبب الموت أو السفر لهن الحق بالزواج مرة أخرى.

7. واجباتهنَّ في أثناء الحرب الوقوف مع الرجال وإبداء مساعدتهنَّ في كل ما يعزز انتصار الجهة التي ينتمين إليها.

8. سيدات الجمال والزينة والرفعة وهو ما تكشف عنه صورهنَّ ومنحوتاتهنَّ، حيث أناقة الأزياء وجمال الملامح، وقد كشفت النقوش أيضاً عن هذه الصفات.

9. كان للمرأة أهمية كبرى في أسرتها، فهي فضلاً عن تربيتها للأبناء والمساعدة في شؤون البيت، تعمل مع الرجل في الأرض والزراعة، وفي التجارة، بل وفي الشؤون الدينية أيضاً، فقد تولت المرأة درجات من المناصب الكهنوتية داخل المعبد ككاهنة (ر ش وت)، وكان الكاهن يسمى (ر ش و)، ومن يتولى هذا المنصب يجب أن يكون ضليعاً بالمعرفة الدينية وأسرارها، ولذا فهو يتوسط بين الآلهة وأفراد الشعب، لذلك لا بد أن يكون على دراية ومعرفة بالطقوس الدينية داخل المعبد.

في دولة قتبان عُثر على نقش في مدينة (تمنع) ذكرت فيه امرأة باسم (ب ر أ ت) لها وظيفة دينية وهي (ر ش وت) كاهنة الإله (ع م)، وهو الإله الرسمي لدولة قتبان، وجاء في النقش تحذير للناس بأنهم قدموا القرابين خطأً للإلهة (ذات بعدن)، وقررت الكاهنة غرامة نقدية عليهم بمقدار عشرين قطعة نقدية كان عليهم دفعها للمعبد.

كان للمرأة أيضاً دور هام في مجال العقيدة والدين، فقد عملت المرأة بالكهنوت في معابد الآلهة، وهو ما تؤكده بعض النصوص، إذ نجد أن السيدة «برعات» زوجة رند غل قد تقلدت منصب كاهنة لعم، وكذلك السيدة «أبحمد» من أسرة هبرم قدمت القرابين لآلهة المعبد

عندما كانت كاهنة للمرة الثالثة، وكان في معين بعض الكاهنات يسمين (أو أتن) بمعنى اللبؤة ومن غير المفهوم سبب التسمية، وربما أنهن كنَّ يهبن أنفسهن إلى المعبد وينبذن الحياة الدنيا ويعتكفن في المعبد، كان للنساء الحق أيضاً أن يقدمن القرابين وينذرن النذور للآلهة من أجل أغراض معينة كالرجال، ففي النقش (Ja 350) تقدّم إحدى السيدات قرباناً نذرياً للإله وذلك لكي يهتم بتمثالها الأنثوي ضد من يحاول العبث به» (مرسي د. ت: 121).

ثالثاً: تجليات المرأة اليمنية في الخيال والواقع:

1. النساء الأسطوريات: التي عجّت بهنَّ الأساطير الدينية كإلهات، أو الأساطير التاريخية كنساء خارقات في صفاتهنَّ، مثل بلقيس.

2. النساء الملكات: هناك لبس في ما يخص هذا الموضوع، فأغلب مَن نسمع عنهن من الملكات اليمنيات هنّ زوجات وأخوات الملوك أكثر من كونهن ملكات حقيقيات حصلن على المُلك وحكمن فعلاً، ففي النقش الموسوم بـ(E/3) جاء ذكر للملكة (ملك حلكت) فهي بنت الملك (علهان نهفان) وأخت للملك (شعرم أوتر).

3. النساء المحاربات: شهد التاريخ اليمني ظهورهنَّ في معارك ومواقف كثيرة، فقد ورد في أحد النقوش منصب (مقتوت) وهي لفظة مسندية مؤنثة للفظة (مقتوي) أي القائد العسكري.

4. النساء الكاهنات: وردت لفظ (لوات)، وهو منصب ديني وراثي لإدارة أملاك المعبد من الأراضي، ومنصب (أمنهت) لإدارة معامل المعبد، ولفظة (أمنت) وهو منصب نسائي ديني يعني وكيلاً أو أميناً، وهناك بعض النساء اشتغلن بالمعبد بصفة (بغايا مقدسات) وهو منصب تشريفي يُوهبن فيه للإله، فإما أن يهبن أنفسهن إليه أو يهبهنّ أهلهنّ إليه، وكانت فكرة الزواج المقدس معروفة عند أغلب الشعوب الساميّة.

5. النساء المميزات في حقول العمل والديانة والتجارة والمال وغيرها، وقد ساهمت النساء في تتويج الملوك، فقد ورد في نصّ مسندي أن عشر نساء اشتركن في تتويج ملك حضرموت العزيلط (25 ـ 65 م) في حصن (أنود).

6. النساء التاجرات: كثيرات من نساء اليمن القديم مارسن العمل التجاري، وجاء ذكر امرأة باسم (رومي بنت أزمع) من عشيرة جو النجرانية، كان لها ثروة كبيرة ورثتها من زوجها وكان لها أولاد فكان وضعها الاقتصادي مستقلاً في عهد الملك معد يكرب (490 ـ 510 م)، ومارس بعضهن الاشتغال بالأعمال الحرة وتنقلت تجارتهن بين المدن وخارج اليمن مثل (منشم) التي كانت تبيع العطور اليمنية.

7. النساء الصديقات: كشفت بعض النقوش مراسلات بين نساء صديقات، إذ يذكر نصّ بخط الزبور اليمني القديم مكوّن من خمسة أسطر رسالة إلى «خنم وطمحة من حموت، فلتسمع منكما مكتوباً، وتوجهت بالدعاء (الصلاة) من أجل صدوركما، وأنتما اكتبا لها وقد تداوت من المرض الذي أصاب عينها ولكما دوام النعمة» (الحداد 2003: 450).

8. النساء الخادمات: كانت الخادمة تسمى أَمَة (أم ت) في نصوص المسند اليمني، وكانت الأَمةُ تنسب أحياناً إلى إله من الآلهة، مثل أَمَة إلمقه، وأَمَة شمس، وأمة عم، وأمة كهل، إلخ.

«(هؤلاء هن) دلهم عثت وأبي شاف و... يش... والابنة شفن نسر المنتسبين لجرهم (الجرهميات)، أما رشون (الكاهن) تقرّبن (إلى المعبود) المقهو ثهوان سيد أولم بصنم وثلاث صنمات من أجل سلامتهن، وسلامة أولادهن شفن نسر وهحي عثت وحمن نسر ورأفأن ثهوان بنات آل جرهم، ولكي يسعدهن المقهو بالنعمة وطوالع اليمن، وينتشلهن من البأساء وشرور كلّ عدوٍّ حاقد بحق عثتر وبحق المقهو وبحق ذات بعدن» (الحداد 2003: 430).

3. الأطفال

العناية بالأطفال كان أمراً مألوفاً في اليمن القديم، وكانت هذه العناية تشمل الرضاعة والتربية والإطعام، والحماية من الأخطار، وكما أسلفنا، فإن أعظم تميّز حظيت به المرأة اليمنية هو دورها الأكبر في بناء الأسرة والعناية بأطفالها.

ومن النقوش التي تعبر عن مدى حب اليمني القديم للأولاد وحرصه على الإنجاب هو نقش (إرياني 16)، ومنه نتبين مدى حرص اليمني على سلامة أولاده وصحة أبدانهم وعافيتهم من الأمراض، وهو ما دعاه إلى تقديم تمثال برونزي قرباناً لإلمقه كان قد نذره لسلامة أولاده وأحفاده.

1. بادية بن... وأبنائه مالك وجذيمة وسعد وآل حرث الحدايون من بني بدا وتُبّع أصحاب ذات يفرع من رعايا الملك شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان بن ياسر بهنعم ملك سبأ وذي ريدان

2. قدموا (للمقه) ثهوان سيد أوام تمثالاً برونزياً كان قد نذره بأدية لسلامة أبدان أولاد مالك وجذيمة وسعد وآل حرث وولد ولوده اغوم بن ذي لملم

3. ويستمر المقه في المنّ عليهم بصحة الأبدان له ولبنيه وبني بنيه...» (مرسي د. ت: 124 ـ 125).

وعلى الرغم من تلك الأدلة التي تدل على أن اليمني لم يكره إنجاب الإناث، فإنه «توجد أدلة أخرى تدل على أن البنات لقين معاملة سيئة وكنّ غير مرغوب فيهن، حيث يطالعنا

نقش (Qutrat 1) وهو عبارة عن قانون لمدينة مطره، يمنع قتل (وأد) بنات المدينة:

6. وال/س ن/هـ ر ج/ب ن ت هـ و/ب

7. ن/ك ل/ش ع ب ن/ذ م ط ر ت م/

6. ولا يحق قتل بنته

7. من بين (بنات) شعب مطره.

يترجم «A. Jamme» كلمة (هـ ر ج) بمعنى «أبعد» أي لا يحق لأحد إبعاد ابنته، والإشارة في هذا النص إلى قتل بنات المدينة تعد أقدم إشارة إن صح معناها إلى عادة وأد البنات، وبالطبع فإن صدور قانون بتحريم هذا الفعل إنما هو دليل على وجوده» (مرسي د. ت: 129).

التبني:

يبدو أن التبني كان موجوداً في اليمن القديم، وإنْ لم يُعثر على الأدلة الكافية من النقوش، «إلا أنه عثر على نقش في مأرب يرجع إلى القرن الثالث الميلادي يذكر صاحبه أنه أهدى قرباناً إلى الإله إلمقه من أجل سعادته وسعادة ابنه، الصبي الذي عثر عليه في مأرب، وعلى الرغم من هذه المكانة الرفيعة التي احتلها الأبناء داخل المجتمع اليمني، خاصة لدى آبائهم، فإن هذا لم يمنعهم من أن يكونوا في بعض الأحيان في موضع قربان للآلهة، إما بالعمل على خدمتها وإما لغرض آخر مجهول، ولكن سبب التقديم يكاد يكون واحداً، وهو طلب الحماية والأمان من المعبود، ففي النقش (Res 2699) الذي عُثر عليه في الحجر يذكر صاحبه أنه نذر كل ولد تلده معينت من آل آخر إلى إله ما، وهذه إشارة إلى إمكانية أن يكون هذا التقليد في الأسر المعينية، بمعنى أن كل أسرة تنذر أبناءها للآلهة بنص مكتوب، كذلك نرى إشارة أخرى في نقش آخر من الحجر إلى أن قبيلة بكيل وعهرو تكرّس أو تنذر أولادها إلى الإله وَدّ، ومن سياق النص يكون الغرض هو حماية قوافل معين في البر والبحر، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن الآلهة كانت تتدخل أحياناً في هذا الأمر، إذ تطلب بنفسها أن يقدم إليها الأطفال كقرابين، خاصة البنات، ففي نقش سبئي من مأرب يتضح منه كيف كانت هناك معاملات سيئة للبنات من جانب الآباء بناء على طلب الآلهة التي تطلب من الأب أن يعاقب أو يقسو على ابنته ويقدمها إلى الآلهة، وغالباً لا يعني النذر هنا الضحية البشرية وإنما تعني أن يكونوا في خدمة المعبد» (مرسي د. ت: 130 ـ 131).

ثالثاً: الهدايا

برع الملوك اليمنيون في استخدام الهدايا وسيلة لتدعيم العلاقات بين اليمن والدول والممالك الأخرى، وقد ذكرناها في الفصل الخاص بالمظهر السياسي، ونخص بالذكر هدايا سبأ لأول ملكين من الأسرة السرجونية في آشور، ونذكرها هنا على سبيل التذكير بها موجزة:

1. الملك الآشوري سرجون الثاني: قدم الهدايا نيابةً عن الملكِ السبئي الحاكمُ السبئي المقيم في واحة ديدان.

2. الملك الآشوري سنحاريب: هدايا من كرب إيل ملك سبأ والأرجح أنه أحد حكام القبائل شمال غرب الجزيرة العربية، وهي عبارة عن أحجار كريمة وأعشاب عطرية.

وهناك تبادل هدايا واسع بين ملوك اليمن ومصر والحبشة وغيرها.

أما على المستوى الاجتماعي فقد كان تبادل الهدايا واسعاً بين الناس في مناسبات كثيرة، كالزواج والبناء وغنائم الحروب والسفر وغيرها، ولعله من الطبيعي أن تكون أثمن الهدايا هي البُخُّور واللادن والمرّ والأحجار الكريمة والذهب والفضة التي زخرت بها الآثار.

وكانت هناك الهدايا الدينية التي تقدّم للمعابد كنوعٍ من النذور والهبات للآلهة ومعابدها، وقد تكون الهدايا الدينية للمعابد على شكل أراضٍ جديدة، أو هي من غنائم الحروب.

رابعاً: اللهو والألعاب والرياضة

كانت هناك سُبلٌ كثيرة للهو وممارسة الهوايات في حياتهم اليومية، منها الألعاب المتنوعة التي لم تُدَوّنها النقوش، ومنها ركوب الخيول والتنزه وألعاب الرياضة كالمبارزة وغيرها، لكن أبرز هذه كانت الصيد، والذي كان يُنظر إليه من أربعة منطلقات أو وظائف، وهي:

1. الصيد الغذائي: وهو صيد الحيوانات لتوفير الطعام، وهو أقدم أنواع الصيد الذي ما زال إلى يومنا هذا، فقد شهدت عصور الباليوليت، بشكل خاص، هذا النمط من الصيد وجسدته رسومات ونقوش صخرية كثيرة.



لوحات الصيد في النقش الصخري اليمني

2. الصيد التدجيني: وهو صيد الحيوانات وتدجينها وتربيتها لتساعد الإنسان في أعماله اليومية، مثل الكلاب، وقد ظهر هذا النوع من الصيد في عصر الميزوليت، وكانت بعض الحيوانات تدجن لكي تؤكل أيضاً مثل الخراف والماشية.

3. الصيد الديني: وهو صيد الحيوانات من أجل تقديمها كنذور للآلهة أو كجزءٍ من الشعائر الدينية مثل الاستسقاء أو مواسم سقوط المطر بشكل عام، وقد ظهر هذا النوع من الصيد منذ عصر النيوليت، وقد ظهر في اليمن مع مجموعة معينة من الحيوانات مثل الوعل، الذي كان يُقدم قرباناً للإله عثتر، إله المطر والخصب، وهناك صيد مقدس لنوع من الوعول والغزلان لتألب والشمس، وفي قتبان كان الصيد المقدس يقام للشمس، وفي معين الصيد المقدس يقام لحلفان وهكذا، كان إله الصيد، في النقوش السبئية، يسمى (كورم).

«ص د، ص ي د (فعل)، ’صاد‘، ’قنص‘، ص ي د (اسم)، ’صيد‘ ري 544/3، ر 4176/7. والصيد من الأمور التي اهتم بها العربي الجنوبي، وأصبح رياضة وهواية للملوك والسادة، خاصة بعد تدجين الخيول، وكان حرفة لبعض الأفراد والمتمرسين في هذا المجال، ومن المعتقد أنه كان يُدِرّ عليهم مكاسب مالية من بيع ما صادوه من الحيوانات المختلفة، ويعرف الصياد أو القناص في نقوش المسند الجنوبي بـ«ص ي د ن ـ ن بر» (ينبق ـ 1، وقد استخدمت في ذلك وسائل متعددة، وفي نقش يصف رحلة صيد وُسم بـ«جام 949» الآتي: ث ب ر و/ب ن ص ي د م ن/و هـ ر ج و/خ م س/و ث ل ث ي/ب ق ر م/و ث ن ي/و ث م ن ي/ح ور و/و خ م س ت/و ع ش ر ي/ص ب ي م/و ث م ن وت/أ ف هـ د، وتفسير ذلك ما يلي: عندما عادوا من الصيد، ذبحوا خمساً وثلاثين بقرة، واثنين وثمانين حواراً، وخمسة وعشرين ظبياً وثمانية فهود، وورد في نقش آخر: أنهم صادوا في غارتهم سبعة وعشرين ومئة حمار» (البريهي 2000: 150).

من أقدم نقوش هذا النوع، النقوش التي عثرت عليها البعثة اليمنية ـ الإيطالية في منطقة (يلا) بالقرب من مأرب، التي يعود تاريخها إلى زمن المكاربة تقريباً ما بين القرن 9 ــ 7 قبل الميلاد، وعددها نحو ثمانية عشر نقشاً منشورة في كتاب المرحوم مطهر الإرياني (نقوش مسندية وتعليقات، صـ242 ــ 481).

وتجدر الإشارة إلى أن الإرياني تطرق في تعليقاته إلى أن عدد الطرائد يشير بأن الصيادين كانوا يعتمدون في الصيد على طريقة الزوابي، وهي حُفر تُحفَر في الأرض، ثم يطارد الصيادون الحيوانات لتسقط فيها ولذلك تكون أعدادها كبيرة.

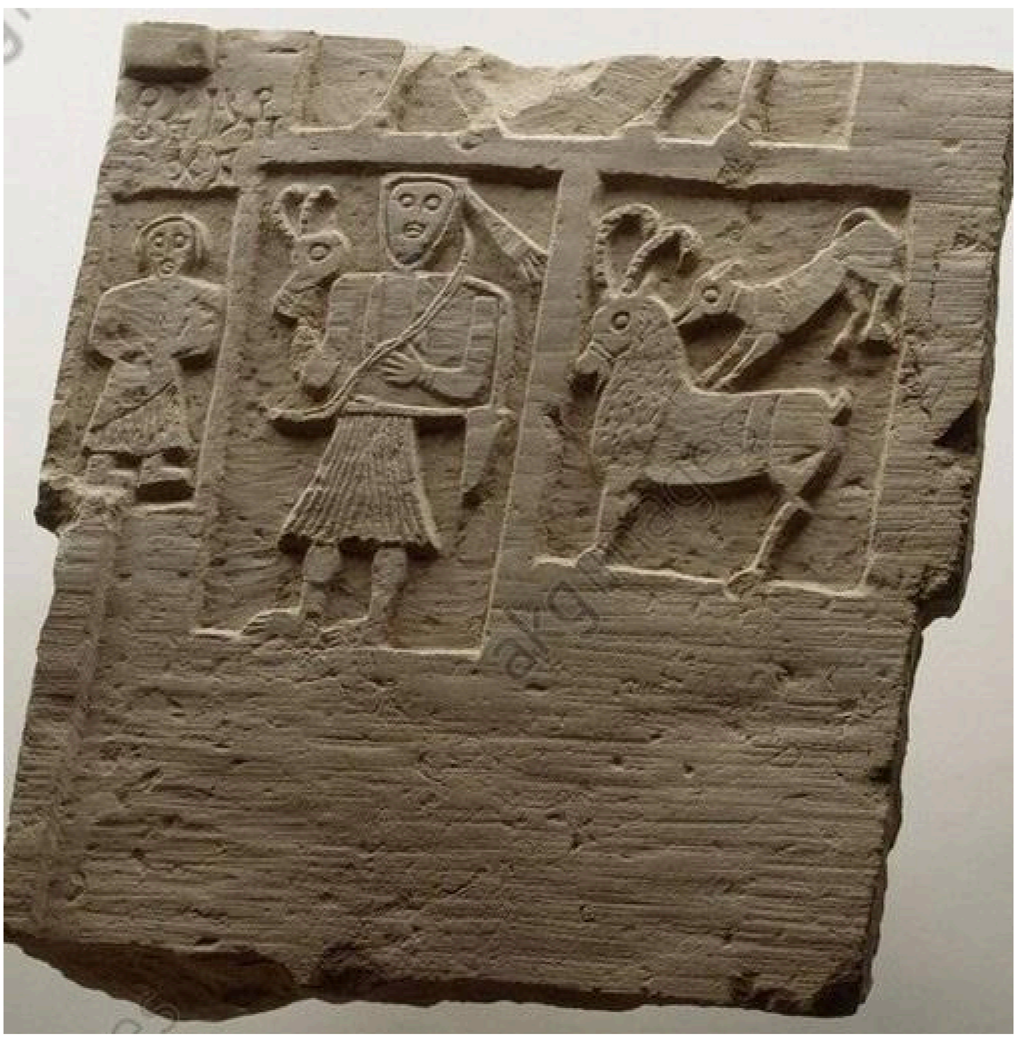
يحتمل معنيين: الأول أنه من طقوس الصيد المقدس الذي كان يستخدم فيه الحُفر (الزوابي)، والثاني أن كروم نفسه يعد إله الصيد، وهو الراجح لوجود نقوش أخرى تؤكد

ذلك.

يذكر الإرياني في تعليقه على هذا النقش بأن مناسبة الصيد كانت تخص الإله كروم، والنصب أقيم بعد الانتهاء من رحلة الصيد، وهذا يشير إلى أنه كان لكل إله موسم صيد خاص به، وأن إله الصيد العمومي هو كروم.

4. الصيد الرياضي: وهو صيد الحيوانات كنوع من الرياضة، وكان يمارسه الملوك والأمراء والأقيال ورؤساء القبائل من عِلْية القوم، وغايته هو التسلية وممارسة الرياضة.

كانت أدوات الصيد متنوعة مثل الأقواس والسهام، والرماح التي كانت تصنع من قطعتين، قناة الرمح من الخشب والنصل (الرأس) من الحجر أو المعدِن، وهناك ما يشير إلى وجود محميات لبعض الحيوانات لمنع صيدها إما بسبب عائديتها لشخص مهم وإما لحمايتها من الانقراض.



شاهدة جنائزية/صيد الماعز

تصوّر صيد الماعز، بطول 33سم وعرض 32 سم، زمنها يتراوح بين القرنين 1- 3 الميلاديين، موجودة في المتحف الوطني في صنعاء

خامساً: الزينة والنظافة

الزينة: كانت زينة الرجال والنساء والأطفال أمراً شائعاً بين اليمنيين الميسورين، بشكل خاص، وكانت تستلزم لبس أجمل الثياب والأحذية والحُلِيّ، وخصوصاً أيام الأعياد والمناسبات الخاصة المفرحة كالزواج.

أما الملوك والأمراء فكانت زينتهم أمراً طبيعياً وملزماً لأن جمال مظهرهم كان له علاقة بمكانتهم وهيبتهم، وقد تفنّن أهل بلاد اليمن في هذا بسبب ثراء البلاد ووفرة العطور والبخور وغيرها.

النظافة: وردت كلمة نظافة في اللغة اليمنية القديمة بعدة ألفاظ متقاربة هي «ظيي/ظيو ظ ي ي/ظ ي و»، وتعنى نظيفاً أو طاهراً (لعبادة)، وردت هذه الكلمة فى النقش (CIH 634 RES=504) بالشكل الكتابي ظيت «ظ ي ت»، ولكنها جاءت بعد أداة النفي «أل» ليكون معناها فى سياق الجملة «غير طاهرة»، في حين أن «ظي» في النقش (YM41/9 ـ r1/11.CIAS39) قد استخدمت كصفة مؤنثة في تلك النقوش (5)، ووردت كفعل بمعانٍ مختلفة فى النقوش التالية (6 ـ 5) و/(6) ،(C504, 16/120 F، ولم ترد شواهد أخرى لهذه المفردة من النقوش القتبانية (7)، وغيرها من النقوش العربية الجنوبية». (خطّاب 2021: 48).

وردت مجموعة من الألفاظ تضمّ أسماء النظافة العامة والمقدسة وهي كما يلي في هذا الجدول:

انظر (خطّاب 2021: 49 ـ 50).

1. النظافة العامة: وتشمل نظافة الجسد والملابس والمكان والأغراض، وكانت تجري بواسطة المياه النظيفة في البيوت أو في الينابيع والآبار والبرك وفي المعابد.

2. النظافة المقدسة: كانت تشمل كل عوامل النظافة العامة مضافاً لها نظافة الروح، وكانت تجري على وفق طقوس دينية ولها ضوابط وشروط دقيقة، بعضها كان يجري في المياه المقدسة التي حُرّم إلقاء الأوساخ فيها، ولكن المعابد كانت الأماكن الأفضل للطهارة، حيث يوجد (المطهر)، وهو مكان يتوسط المعبد ويحتوي على ماء نظيف.

كانت النظافة المقدسة أو الدينية تسمى (الطهارة) وهي أساس الطقوس المقدسة كلّها، وكانت أي نجاسة بمثابة خروج أخلاقي على الدين، وتعطي هذه القاعدة انطباعاً راسخاً أن النظافة أمر لا بد منه، في الحياة العامة أو عند ممارسة الطقوس الدينية، وقد عرفنا من القوانين الدينية أن من يرتكب مثل هذا الجرم لا بد أن ينال العقاب المناسب، فهو إما يؤدي كفّارة لذلك المعبد تؤدِّي إلى رضا الإله ورجال الدين عنه لكي يعاود دخول المعبد وزيارته، وإما أنه يمنع من دخول المعبد نهائياً، «إذ يتحتم على قاصدي المعبد الاغتسال قبل الدخول إلى المواضع التي تمارس فيها الطقوس الدينية، حيث يغسلون أجسامهم وملابسهم في المطهر ـ بركة ذات ماءٍ نقيّ تقع في وسط المعبد ـ حرمةً وتقديراً لهذه الأماكن، والمخالف يُعَدّ آثماً يُعاقَب على ما أقدم عليه بالاعتراف العلني بالذنب، ويدفع الفدية أو الكفّارة، ويُحرَّم على زائري المعبد الشغب وإثارة الفوضى في بيوت الآلهة، ومن يعمل ذلك يقدّم ثوراً قرباناً في المكان المسمى (أثرت) وينفق المأكولات» (محمد 2001: 59).

كانت الطهارة الروحية/النفسية مهمة جداً في الطهارة المقدسة، لأنها تطهّر أعماق الإنسان وداخله، وكانت تتم بالصلاة والتراتيل، وحين يخطئ المرء عليه أن يتطهر بالاعتراف، «لذا فقد مارس عرب الجنوب نوعاً فريداً من الشعائر الدينية، وهو ما اصطلح عليه (الاعتراف العلني)، أي التضرع إلى المعبودات والاعتراف علانية أمام الجميع بنوع الذنب الذى أقدم عليه المذنب، ويعتقد الباحث أن هذه الطقوس فى مضمونها هى إحدى الوسائل للطهارة النفسية للروح» (محمد 2001: 59).

وهذان نصّان مسنديان لهما علاقة بالنظافة والطهارة:

يبدو أن هذه السيدة دخلت معبد الإله إلمقه، وملابسها غير طاهرة، والنقش يذكر المخالفة وغرامتها بنذر تمثال لمعبد الإله، دون تفاصيل، بسبب عدم طهارة ملبسها.

يتحدث النص عن شخصين هما «أجرم» و«شرحم»، قد قدَّما تمثالاً من الفضة لأنهما ارتكبا معصية في معبد الإله إلمقه، وكان ذنبهما أنهما أكلا نباتات كريهة الرائحة كالبصل حين دخلا المعبد.

سادساً: البيرة والنبيذ والخمور

بعض أشجار اليمن القديم أصبحت رموزاً مقدسةً في حياته اليومية مثل «اللبان، والمُر، والشذاب، والعنب، والقمح»، ونسجت حولها الحكايات والكلمات وأصبحت في صلب الفولكلور اليمني، فالعنب في اليمن كان يدخل في طقوس اليمنيين وشعائرهم، مثلما كان يساهم في غذائهم وبهجتهم.

أسماء الخمور: كانت ثمار العنب والقمح والشعير والذرة والتمر تدخل في إنتاج الخمور، يمكننا تصنيف أنواع المشروبات المُسْكِرة والخمور في اليمن القديم كما يلي:

1. بتع: وهو خمر العسل من النحل، حيث يُطبخ العسل حتى يُعقد.

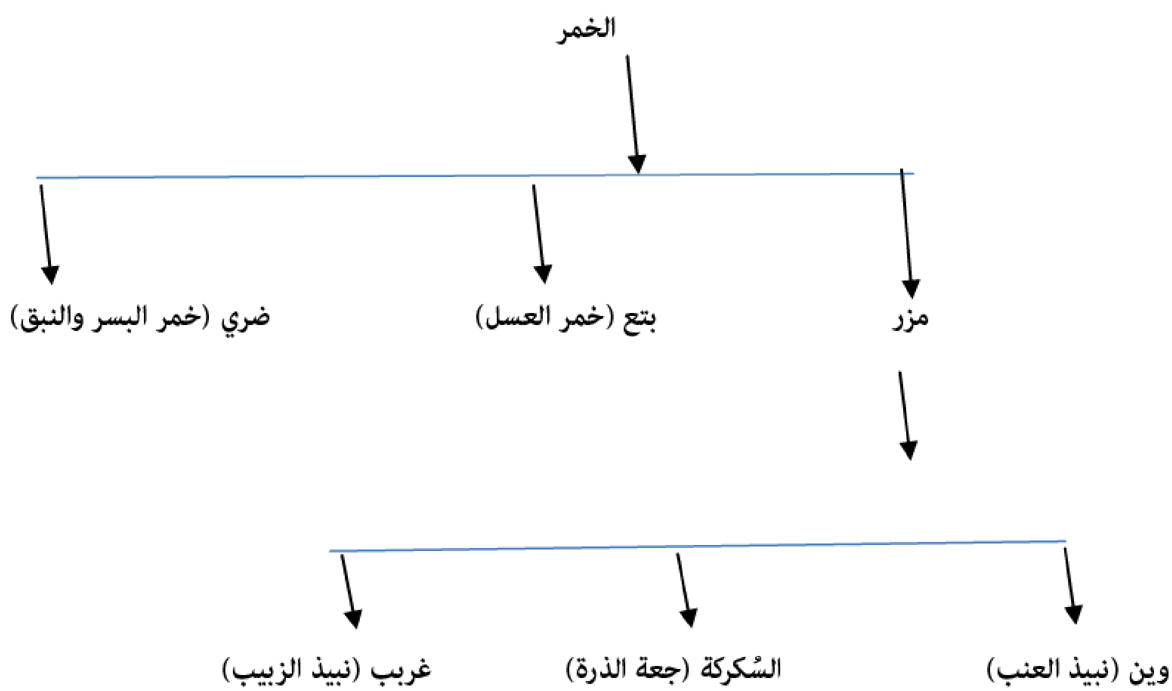
2. مزر (م ز ر، م ز ر م): وهو الخمر أو نبيذ العنب واسمه باللغة اليمنية القديمة (وين)، ومزر باللغة اليمنية القديمة تعبر عن الـ(خمر) بشكل عام، وهناك نوعان من المزر:

أ. مزر التمر: النبيذ، ويُسَمَّى باليمنية القديمة (وين).

ب. مزر الحبوب: البيرة أو الجعة والسكركة وهو جعة الذرة.

3. غريب (غ ر ب ب): وهو «نوع نبيذ الزبيب، كـ540/48، 93 + 541/128، والزبيب: ذاوي العنب، معروف، واحدته زبيبة، وقد أزب العنب، زبب فلان عنبه تزبيباً، واستعمل أعرابي، من أعراب السراة، الزبيب في التين، فقال: الفيلحاني تين شديد السواد، جيد الزبيب، يعني يابسه، وهو أرق العنب وأجوده، وأشده سواداً، وقيل الغرب: الخمر» (البريهي 2000: 229).

4. الضري: ويعمل من البسر الأحمر والأصفر (بُسْرُ النَّخْلِ: ثَمَرُهُ قَبْلَ أَنْ يَرْطُبَ) فيمزج مع النبق.



«كلمة وين (وجمعها أيون، بإبدال بين الواو والياء، إذ وردت بصيغة يين كذلك تعني حقول العنب في لغة النقوش العربية الجنوبية، وفي العربية الفصحى وَين تعني عنباً أسود أو أبيض، كلمة ذات أصل ساميّ، الجدير بالذكر أن وين السامية الغربية تعني أيضاً «نبيذ»، فيبدو أن الكلمة اليونانية أويان (في الجعزية) تعني (عنباً، نبيذاً، كرماً)» (مرقطن 2020: 61).

وهذا نقش سبئي يوضح معنى كلمة وَيْن:

في نقش (ترنيمة الشمس) جاءت لفظة (وين) مقترنة بلفظة (مزْر) التي تعني باللسان اليمني القديم (خمرة)، وفي المعجم السبئي تعني: نبيذاً، إذ يقول شطر الترنيمة: وين مَزْر كن كشقحك، وترجمته تعني: والعنب صار خمراً عندما سطعت، وتُظهر الترنيمة مناخاً تعبدياً طقسياً، ويبدو أن شراب العنب كان جزءاً من هذه الطقوس التعبدية في التضرع والابتهال للإله الشمس.

أسماء الكروم

وفقاً للموسوعة اليمنية، بلغ عددُ أصناف العنب الذي كان يزرع في مناطق اليمن ما يقارب ستين صنفاً، وهو ما ذكره كتاب «رحلة إلى شبة الجزيرة العربية» للعالم الألماني كارستين نيبور، رئيس البعثة العلمية الدنماركية التي زارت اليمن سنة 1762.

أنواع الكروم والأعناب اليمنية كثيرة جداً، وقد ذكر الأب أنستاس الكرملي بعضها في كتابه (معجم الألفاظ اليمنية) نقلاً عن المؤرخ (الواسعي)، أن أصناف العنب اليمني كما هي مرتبة على حروف المعجم هي: الأشهب، وأصابع زينب، وأطراف العذارى، والبياض، وبيض الحمام، والتبوكي، والتربي، والجرشي، والجوزة، والجوفي، والحاتمي، والحبشي، والحسيني، والحمنان، والحلواني، والدربج، والدولالي، والذيبيني، والرومي، والزيتون، والزبدي، والسكري، والسيسبان، والشامي، والضروع، والعذارى، والعرقي، وعيون البقر، والقبر، والقزاقز، والقوارير، والقهمي، والكشمش، والمختم، والملاحي، والناهر، والوادي، والنواسي، والنشاني، والرازقي.

أدخل اليمنيون القدامى شجرة العنب وثمارها كعناصر في التشكيلات المعمارية في عمارتهم، وكذلك قدسوا شجرة العنب وجعلوا لها إلهة باسم «ذات مزر»، ويعني اسمها «إلهة النبيذ أو الخمرة»، وكان يُجعل من الخمرة نذوراً تقدم لها ويستعملونها في الطقوس الدينية وفي العلاج.



المتحف البريطاني: لوحة (ذات مزر) تعود إلى منتصف القرن الثاني الميلادي وكانت ضمن متحف قلعة مأرب حتى العام 1962، الأبعاد والقياسات (52 سم × 54 سم × 13 سم)

يمكن تقسيم اللوحة على ثلاثة أجزاء رئيسية:

الجزء العلوي الأيسر: يظهر نحت لمخلوق أسطوري يتكون من رأس أسد مجنح متصل به جسم ثعبان ملتف ينتهي بذيل سمكة، وأعلى منه نحت لطفل يمسك بيده اليمنى خنجراً، رمزاً للحماية، ويده اليسرى تمسك بظهر المخلوق.

الجزء الثاني: عمود قُطري على شكل أحد أضلاع المثلث، والعمود مزخرف بأشكال هندسيه وأغصان نباتية وأزهار بشكل جميل جداً.

الجزء الثالث الموضوع الرئيسي يَظهر فيه نحت يصَوّر إلهة الخمــر اليمنيـة بنصف جسدها المغطى بأوراق وعناقيد العنب متمايلة ومتموجة رمزاً للخصوبة، تحتويها قاعدة مثلثة مزينة بمخطوطات، وفي زوايا المنحوت زوج من الوحوش الأسطورية المجنحة «رمزاً للانتصارات»، وشاب (وقيل طفل).

تُعَدّ لوحة تمثال «ذات مزر» أي «إلهة الخمرة» من روائع القطع الأثرية اليمنية في المتاحف العالمية، والقطعة الأكبر والرئيسية من تمثال ذات مزر في متحف وَالْترز في بالتيمور

بالولايات المتحدة الأمريكية، والقطعة اليمنى الصغيرة لرأس الأسد المجنح في المتحف البريطاني، وبحسب ما جاء في وصف المتحف البريطاني للقطعة، فإن القِطع يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثاني الميلادي، وإنها كانت ضمن متحف قلعة مأرب ـ شرق اليمن ـ حتى العام 1962 قبل أن تُنقل إلى متحف مدينة عدن ـ جنوب اليمن.

الفرق بين ألفاظ المزر والوين والبتع السبئية:

وين Wine: لفظة سبئية بمعنى العنب، وتشير إلى الخمر، ويبدو أنها انتشرت مع تجارة اليمن إلى أوربا وظهرت في اللغة الإنجليزية وباقي اللغات الأوربية بمعنى (خمر العنب).

مزر: النبيذ من غير العنب، مثل نبيذ الشعير والحنطة والحبوب والذرة.

بتع: نبيذ العسل.

يوجد طقس التضحية بالخمر، والإله إلمقه ربما لعب دور ديونيسيوس إله الخمر الإغريقي.

السكّار هو صانع الخمر، البتّاع هو تاجر الخمر، المزّار هو بائع المزر.

تذكر المصادر العربية أن تناول الخمور يكون في أماكن خاصة أو في المنازل أو في البساتين، وكان الأمراء والملوك يصاحبون القينات في مجالس الخمر.

أسماء النبيذ



يصور وليمة تعزف فيها قينة وهناك كؤوسCIH 445 شاهد جنائزي سبئي

سابعاً: الحب والجنس

لم تتحدث النقوش والآثار اليمنية القديمة عن الحب والجنس، وربما هو أمر مستغرب في حضارة عريقة مثل حضارة اليمن، وقد تحدثت عنهما المرويات الإسلامية سواء في اليمن أو عند العرب بشكل عام، لذا سنعتمد على بعض البحوث العلمية في استنباط ما عُرف عنهما في اليمن القديم.

«وعن علاقة المرأة بالجنس، فإن حقوقها مساوية لحقوق الرجل، ففي لوحة نَحْتية ترجع إلى القرن الثالث عشر الميلادي صُوّر عليها رجل وامرأة وقُربهما تنين مكشوف وبِنِسَبٍ طبيعية، ووُجِد تمثال من النحت البديع في منطقة (مكيراس) للأعضاء التناسلية عند كلٍّ من الرجل والمرأة، وهذا يعني أن ذلك ليس فيه عيب أو دونية، والأكثر من ذلك فيما يتعلق بالأعضاء الجنسية التناسلية للمرأة». (الموسوي 2007: 73).

يعطي (نكاح المشاركة) فكرةً عن بعض ممارسات الجنس في اليمن القديم، الذي تحدث عنه سترابو (66 ق.م ـ 24 م)، فيذكر أن امرأة واحدة يتشارك بها عدة رجال يعاشرونها الواحد بعد الآخر، وكان كلّ من يعاشرها ينصب العصا (العكاز) أمام البيت، وهذان نقشان مسنديان يشيران إلى وجود زواج ونكاح المشاركة في اليمن القديم:

CIH523=Haram

يبدو أن الزنا كان ممنوعاً من الناحية الرسمية، «فقد أشار أحد النقوش (CIH523=Haram 40) إلى ارتكاب رجل الزنا مع امرأة، ففرضت عليه عقوبة بدفعه كفارة للتحلل من ذنبه (النعيم، 2000)، وفي نقش آخر وجد في معبد ذي يغرو في وادي شظف أن عليم بن قيس منوتم اعترف لذي سموي في معبد يغرو أنه جامع امرأة أنثى في معبد يغرو، والنص مدون على تمثال ملصق بلوحة من البرونز، ويصور العملية الجنسية بصورة فجة (بافقيه، 1994)، وتشير نورة النعيم (2000) إلى أن هذا الاعتراف يقع في إطار احتمالين: الأول، إنّ ممارسة العلاقات الجنسية في المعابد محرمة، والثاني أنّ العلاقة التي مارَسَها عليم كانت غير شرعية، خاصة بين المحصَّنين رجالاً ونساءً، أمّا إذا حدث فعل الزنا بين الحرة والرجل الأعزب فهذا الذي عُدّ عيباً، خلافاً للزنا مع الإماء» (النعيمات والسويدات 2014: 5).



تمثالان من البرونز من اليمن (العربية الجنوبية) في مشهد جنسي، من القرنين الثاني والثالث الميلادي، منقوش عليهما أسماء، ارتفاع 9 سم (التمثالان من مجموعة خاصة)

«من خلال الدراسة التي قام بها موللر (Mueller) لبعض الكتابات القديمة عن وجود صلاتٍ جنسية طبيعية بين الرجل والمرأة قبل الزواج، ومن دون أن تسبب هذه الصلات دونية بنظر القبيلة أو العشيرة، سواء للرجل أو للمرأة، أي إن هناك حرية فى إقامة الصلات الجنسية ضمن الحدود المعينة للرجل والمرأة، ففي إحدى الكتابات السبئية تذكر قصة امرأتين من الجواري لأحد الأسياد من (كبس) كانتا عاقرتين فنصحهما الكاهن بتقديم ذبيحة نَذْراً، وفي أثناء تقديم الذبيحة سوف تحمل واحدة منهما، وجاء رجل ليس له اسم

فى اليوم السادس وعاش معهما فى البيت، وحدث أن واحدة منهما حملت ولم يحدث بعد ذلك ما يشير الى أن هذه المرأة أو غيرها سقطت خلقياً في نظر مجتمعها، أو أنها شذّت ثم أصبحت من المنبوذين أو المنبوذات فى أسرتها أو قبيلتها، وهذه العادة لم تكن دليلاً على قوة سلطة الرجل أو تفوقه، أو أن المرأة بمجرد دخولها إلى غرفة الرجل ومضاجعته لها تصبح أقل شأناً منه وأقصر عقلاً أو أعجز منه في إدارة شؤون حياتها الخاصة والعامة، أو ممارسة شيء غير مألوف، ويبدو أن الأطفال الذين يأتون نتيجة هذه العلاقات الخارجية ينتمون إلى العشيرة مثل أي فرد ويحملون اسم الأم، ويعيشون فى رعايتها، وكانوا يتمتعون بحقوقهم الشرعية فى الإرث» (الموسوي 2007: 73).

كان سبي النساء في الحروب يتيح لكثير من الرجال المشتركين فيها ممارسة الجنس معهن، ولا شك أن الأماكن الخاصة لممارسة الجنس كانت موجودة.

ثامناً: المطبخ اليمني

شحيحة هي المعلومات عن المطبخ اليمني، ولا نعثر على الأسماء والوصفات الدقيقة له، ولذلك سنكتفي بما تيسّر لنا من المعلومات عنه، خصوصاً تلك التي وردت في النقوش المسندية والزبورية، ويمكننا القول ـ إجمالاً ـ إن أساس المطبخ اليمني الشعبي آنذاك كان من التمر واللبن والسمن واللحم والدقيق، ومن البرّ أو الشعير، والدبس وهو عسل التمر، أما المطبخ في المدن اليمنية الكبيرة وعواصم الممالك القديمة فيختلف، فقد كانوا يتناولون طعاماً أرقى وأغنى باللحوم والأسماك، وكان الطهو عندهم حرفةً معروفة، وكانوا يتعاطون أطعمة دخلت لليمن من بلاد الفرس والرومان، مثل الخروق والخريزة والربيكة.

«ط ب خ م (فعل) [أي] «طبخ»، وردت هذه اللفظة في نقش (شرف 65/22) كالآتي: وط ب خ م/ث ل ث ت/أ ل ف م ذ ب ي ح م/و ب ق ر م/و ق ط ن ت م/ع م/ث ن ي/م أ ت م/و س ب ع ت/أ ل ف م/ق ط ن ت م، ومعناها: وطبخ 3000 ذبيحة من البقر والضأن مع 7200 من الغنم، والطبخ: إنضاج اللحم وغيره، وقد يكون الإطباخ شواءً واقتداراً، وقيل القدير ما كان يفحي الطبيخ ما لم يفح وقد طبخنا ــ اتخذنا طبيخاً واقتدرنا ــ اتخذنا قديراً» (البريهي 2000: 227).

أما كلمة (مطبخ) فتأتي كاسم (ط هـ و)، وهو المكان الذي يمارس فيه الطبخ.

«ط هـ و(اسم)، «مطبخ»، وهو مكان الطهو، ولعل هذه اللفظة مشتقة من طها أي: طها اللحم يطهوه طهواً وطهياً وطهاية: عالجه بالطبخ أو الشّيّ، وأصل الطهو الطبخ الجيد المنضِج، والطهو علاج اللحم بالشيّ أو الطبخ، ونلاحظ أن الأعداد الهائلة من الذبائح المتنوعة التي استهلكها العمال الذين بنوا سد مأرب من خلال الجملة آنفة الذكر وغيرها في نقوش أخرى تدلنا بوضوح إلى وجود طباخين ومساعدين لهم لصنع الأطعمة اللازمة من اللحوم وغيرها لهؤلاء العمال، فضلاً عن وجود الجزّارين، ولا أستبعد وجود محلات

خاصة، أو ما نسميه بالمصطلح الحديث (مطاعم) لصنع الأطعمة للمسافرين وغيرهم، يديرونها لحسابهم الخاص، كما استخدم أصحاب المال والثراء طباخين أعاجم لطبخ الأطعمة المختلفة لهم» (البريهي 2000: 227 ـ 228).

أسماء أدوات الطبخ: فيما يلي جدول مبسط لأغلب أدوات الطبخ في اليمن القديم:

انظر (عامر 2005: 101 ـ 102)

الأطعمة اليمنية المحلية (أكيلم)

يُعتقد أن هناك مجموعة من الأطعمة اليمنية ذات جذور تعود إلى اليمن القديم، وربما تشترك مع عموم الأطعمة العربية قبل الإسلام، وهي:

1. الحساء: وهو الشوربة، وأشهرها شوربة القمح، أو شوربة البر اليمني من الشوربات المشهورة في اليمن بمختلف طرق تحضيرها باللحم والدجاج.

2. العصيدة: خلطة من الطحين الأسمر أو الأبيض ومنها العصيدُ بالمرق، والعصيد بالتمر، والعصيد بالعسل.

3. الثريد: وهي التشريب أو الفتة، من فتات الخبز واللحم، فضلاً عن المرق.

4. الحنيذ: هي أكلة يمنية يُعتقد أنها تعود إلى اليمن القديم، وما يزال بعض اليمنيين يصنعونها، وطريقة صنعها كما يلي: «أن يقطّع اللحم أعضاء، ويصب له صفيح الحجارة فيقابل، ويكون ارتفاعه ذراعاً وعرضه أكثر من ذراعين في مثلهما، ويجعل له بابان ثم يوقد في الصفائح بالحطب، فإذا حَمِيت واشتَدَّ حرُّها وذهب كلُّ دخان فيها ولَهَب أُدخل فيه اللحم، وأغلق البابان بصفيحتَيْن قد كانت قدرتا للبابين ثم ضُربتا بالطين وفرث الشاة وأدفنت إدفاءً شديداً بالتراب، فيُترك في النار ساعة ثم يُخرج كأنه البسر قد تبرأ العظم من اللحم من شدة نضجه، وله أيضاً طرق أخرى في الصناعة» (البريهي 2000: 227).

5. الحليب ومشتقاته: اللبن، والجبن، والقشطة، والزبد.

يُسَمَّى اللبن الرائب (ش ن ن م) هو الشنين أو اللبن الحقين، جاءت اللفظة في نقش (ك 584/12)، ويُصنع اللبن بتسخين الحليب ثم إضافة الخمرة له حتى يصبح كثيفاً، ويسَمّى الزبد (خ م أ) كما في النقش (ك 540/96)، وهو خلاصة خضّ اللبن.

6. السمك: السمك طعام رئيسي في المائدة اليمنية، وخصوصاً أنواع الأسماك البحرية.

6. **اللحوم:** لحوم الماشية والوعول والإبل والماعز وغيرها كانت المصدر الرئيسي للطعام اليمني.

7. **الدقيق:** وهو طعام أساسي من طحين القمح يسمى (د ق ق، د ق ق م).

8. **الدبس:** عسل التمر، (د ب س) ويستخرج من رص التمور الناضجة في أبراج خشبية وتنقيتها.

9. **العسل:** وهو عسل النحل، وهناك آثار تشير إلى وجوده.

10. **المبرت:** السكر باللغة اليمنية، ذكرته نقوش المسند، ويستعمل في صناعة الحلويات.

11. **الحبوب:** تسمى حبوب الحنطة والشعير (ح ب ب، ح ب ت).

المشروبات: تسمى باليمنية القديمة (س تي، م س ت ي) أي شراب، مثل شراب العنب، البسر، التمر، وحتى الخمر يطلق عليه اسم شراب، «س ت ي، م س ت ي (اسم)، «شراب» (ك 563+956/2)، والشراب: ما شُرب من أي نوع كان، وعلى أي حال كان، وهو: كل شيء لا يُمضغ، فإنه يقال فيه: يشرب، وقد استخدم سكان جنوب الجزيرة العربية المعاصر اليدوية أو المطاحن التي تدار بالماء للحصول على عصائر الفاكهة المختلفة، وخاصة ما يدخل في صناعة الخمور مثل: العنب، والبسر، والتمر، والخمر يطلق عليه أيضاً اسم: شراب، فقد جاء في الحديث: حُرمت الخمر، وما شرابهم يومئذ إلا الفضيخ البسر والتمر، ثم إنه يُعمل من الحبوب مثل: الشعير والذرة والحنطة وغيرها» (البريهي 2000: 228).

الأطعمة اليمنية الوافدة

1. **الخروق (الخرديق):** وهو طعام شبيه بالحساء، وهو من أصل فارسي وهو خورديك، إذ كانت تقوم المرأة صاحبة البيت بإعداده، وإذا كانت الأسرة ميسورة مادياً فكانت تستخدم طباخين لإعداد ذلك النوع من الطعام» (عامر2005: 99).

2. **الخريزة:** «ويقوم ذلك النوع من الطعام على اللحم والدقيق، إذ كان يوضع قدر به ماء على النار ثم يقطع اللحم قِطَعاً صغيرة ويوضَع في القدر بعد أن يكون قد غُلي ماؤه، فإذا نَضجَ اللحم وُضع عليه الدقيق بعد أن يكون قد أُضيف إليه الملح، وتلك الأكلة كانت من الأكلات الشهيرة بين أشراف مكة وأثريائها» (عامر 2005: 100).

3. **الربيكة:** «وهو طعام يتكون من دقيق وسمن وتمر، وكان شائع الاستعمال في أنحاء شبه الجزيرة العربية» (عامر2005: 99).

تاسعاً: الصحة العامة (صحة المجتمع(

ع وس، عوس، عوص: في النقوش اليمنية بمعنى وباء، طاعون، وهو الداء الغامض الذي لم يعرف له دواء، ولذلك يلجؤون إلى الآلهة بالدعاء للخلاص منه والشفاء، وبتقديم القرابين لها وخصوصاً الثور. كان اسم إله الطاعون واسم معبده عندهم هو (مقيت)، وهو إله سماء عندهم، الذي صار أحد أسماء الله الحسنى في الإسلام، وصار معناه في القاموس العربي: الحفيظ والشهيد، والقائم على كل شيء بالتدبير، والقدير، والذي يعطي القوت.

عاشراً: المدرجات الزراعية، حدائق اليمن المعلقة

Agricultural terraces المدرجات الزراعية

انتشرت الحدائق والبساتين في اليمن القديم، خصوصاً أن القصور والمدن، كانت تشَيَّد على سفوح مرتفعة، ولكن اليمن تميزت بالمدرجات الزراعية التي كانت نوعاً من الحدائق المعلقة على مدى الزمن بسبب ثروتها النباتية وريّها المطري المستمر وفائدتها الزراعية الاقتصادية في توفير أهم المزروعات التي يتداولها الناس كل يوم.

بعد اكتشاف الزراعة والسيطرة على الريّ، ظهرت المدرجات الزراعية في اليمن حيث تمكن قدامى الفلاحين اليمنيين من ابتكار الآلاف منها وبنائها، وكانت تسمى (المصاطب) ويسمونها (الشِعاب).

ظهرت الشعاب على سفوح الجبال والمرتفعات الجبلية العالية الوعرة، بارتفاعات تتراوح بين بضع مئات من الأمتار إلى نحو أكثر من ثلاثة آلاف متر فوق سطح البحر، شُيِّدت لزراعة محاصيل الحبوب، مستفيدين من حصاد مياه الأمطار واستغلال مياه السيول، وتَؤول بعضها إلى بساتين وحدائق معلقة تطورت بالسيطرة على عوامل التعرية والانجراف.

المدرجات الزراعية ليست من تكوينات الطبيعة في اليمن، بل شيدها الإنسان من الأحجار والطين، وبذل جهداً كبيراً في بناء كل مدرج زراعي على حدة، وكانت صيانة المدرجات تتم بعمليات شاقة.



صورة حديثة للمدرجات الزراعية في حجّة وهي تذكرنا بما كانت عليه في الماضي

https://holmakhdar.org/news/stories/4356/

أنواع المدرجات الزراعية:

أنواع المدرجات الزراعية

«محمد قريبصة، المدرجات الزراعية، الموسوعة العربية http://arab-ency.com.sy/detail/9812/المدرجات%20الزراعية».

أهمية المدرجات الزراعية:

1. تحمي خواص التربة الفيزيائية والكيمياوية وتُثريها وترفع خصوبتها بسبب سماد النباتات المتبقية فيها.

2. تحافظ على مكونات الخصب وتكوينات التربة وتغذيها باستمرار.

3. تصون التربة وتحميها من الانجراف والتعرية والتهتك.

4. تحفظ المياه ولا تبددها، فهي خير علاجٍ لأرض لا تسقيها الأنهار ويسودها مناخ أمطار موسمية.

5. تغذية الينابيع والجداول وزيادة تدفقها واستمراريتها وفي دعم الاحتياطي المائي للخزانات الأرضية السطحية والجوفية.

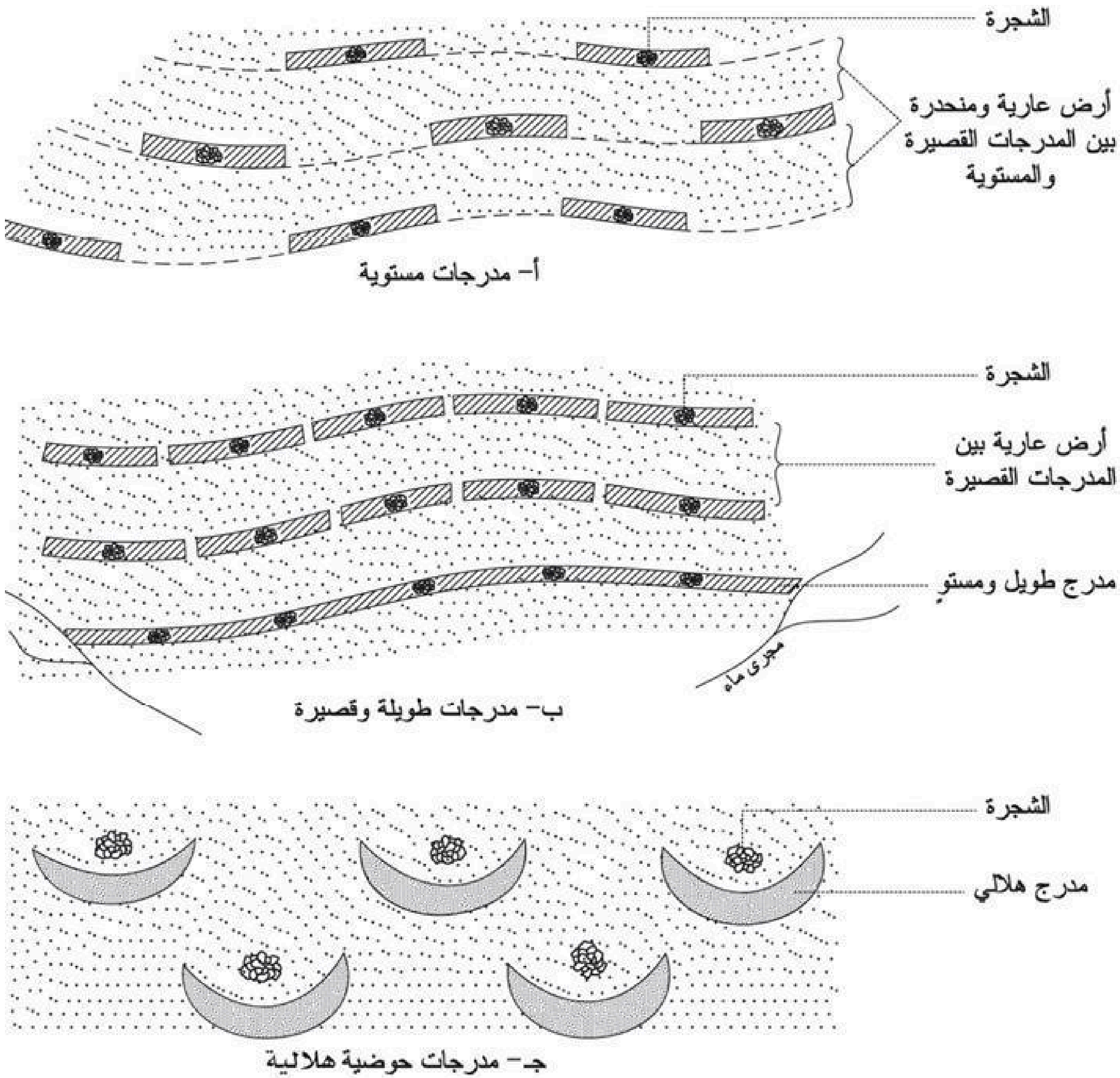
6. استثمار غبار التربة وطميها.

7. التحكم بجريان الروافد والجداول.

8. تساعد في عمليات البذار والحصاد وصيانة المزروعات.

المدرجات الزراعية على أنواع، وأغلب نوع في اليمن هو المدرجات الأفقية أو المستوية.

«المدرجات الأفقية أو المستوية level terraces: تتماشى هذه المدرجات مع الخطوط الالتفافية تماماً على المنحدر، وتكون ذات سَعَة كافية لاستقبال جميع كميات الأمطار الهاطلة فيما بين كل مدرجين متتاليين، وتُقام في المناطق الجافة ذات التُّرَب العميقة والنافذة».(2)



المدرجات المنبسطة (شكل توضيحي)

(2) المصدر نفسه المذكور في الجدول السابق (محمد قربيصة: المدرجات الزراعية)، وكذلك الشكل التالي عن المدرجات المنبسطة.

الفصل العاشر المظهر النفسي



تماثيل صغيرة من المرمر يعود تاريخها إلى مملكة سبأ، اليمن: 24 × 24 بوصة

المبحث الأول: السايكولوجيا الاجتماعية والحضارية

أولاً: السايكولوجيا الاجتماعية

يمكننا رصد السايكولوجيا الاجتماعية في اليمن من خلال رصد المتغيرات النفسية الفردية وأثرها في الجماعة والمجتمع، والسبيل لهذا يكمن في فحص ميول الأفراد المؤثرين في المجتمع وقدرتهم على إحداث شعور جماعي واضح، ولا شك أن المكرّب كان في مقدمة هؤلاء، فهو بتأثيره المبكر في تكوين المجتمع اليمني كان له الدور الكبير في التقريب بين القبائل وخلق أجواء اجتماعية ونفسية تساهم في ظهور اتحادات قبلية أدت فيما بعد لنشوء ممالكَ توَحَّدت تحت قيادة سبأ، وكان هذا النزوع نحو التوحّد قد ساهم فيه المكربون مساهمة كبيرة، فضلاً عن مكانتهم الدينية المؤثرة، فقد كانوا يجمعون بين قوتي الدين والسياسة بطريقة نوعية ساهمت في بدايات قوية للحضارة اليمنية.

وحين انحسر دور المكربين جاء دور الملوك الذي أخذوا على عاتقهم الدور المسؤول عن قيادة الممالك، والأوامر القانونية التي ساهمت في بناء دول المدن والممالك الأولى، وكان تأثير الملوك في شعوبهم كبيراً، فقد كانوا بمثابة القائد الفعلي لهم، ولكنهم كانوا مقيَّدين بمجالس المسود المختلفة، وعلى الرغم من ذلك نشاهد تأثيرهم في عقائد الناس وديانتهم، فعندما أصبح الملك ذو نواس الحميري يهودياً أصبح أغلب الحميريين يهوداً وتركوا دينهم الذي توارثوه.

أما التأثير المباشر لرئيس القبيلة (كبير) فهو كبير وعلى تماس مع أبناء العشيرة، ومثل الكبير ما يعرف بالأقيال والذؤون... الذين سيكونون قادة المجتمع اليمني المفكك بفعل المنازعات الدينية والقبلية، وهم يشبهون أمراء الحروب.

لم تكن هناك نخب يمنية حرة وواسعة التأثير، بل هي رهن الملوك والأمراء، وكان الصراع بين الفرد والمجتمع ضعيفاً بسبب سلوك القطيع الاجتماعي، لم تكن العلاقة بينهما واضحة، فالفرد يصبح قوياً حين يذوب وسط الجماعة، ولذلك يجب أن يفقد حريته لكي يتعايش مع الجماعة.

كان سلوك الفرد تحت تأثير الجماعة، وتطبّع الإنسان على أنه كائن اجتماعي ولم يكن سلوك الأفراد محَطّ عناية خاصة من قِبَل الجماعة إلاّ بقدْرِ تواشُجِه معها.

كان تأثير أفكار الأفراد ومشاعرهم وسلوكهم بالحضور الفعلي أو المتخيل أو الضمني للآخرين، كالاستجابة للمثيرات الاجتماعية، وكالتحدي الذي تواجهه القبيلة أو المملكة إزاء غمط حقوقها أو عدوان أو غزو، فقد كان مسلسل الحروب اليمنية يقضي بصهر المصالح الفردية لصالح الجماعة القبلية.

ثانياً: السايكولوجيا الثقافية (الحضارية)

لا تنشأ الحضارة إلاّ من خلال الأثر الذي تُحدثه الثقافة في الإنسان، والثقافة بمعناها الجوهري هي ما يضيفه الإنسان إلى الطبيعة من فعلٍ بشريّ، واليمن نموذج يُحتذى به في هذا المجال، فقد اجتهد الإنسان فيها بطريقة مبدعة خلّاقة منذ عصر النيوليت، وحين بنى المدن في نهاية العصر البرونزي أظهرت لنا نتائج هذا الفعل نشوء ممالكه الحضارية الأولى.

توجهات السايكولوجيا الحضارية تتبع قدرة الثقافة على تغيير سلوك الإنسان الاجتماعي، وتُمَكّنه من رفع أنظمته الثقافية لتدور وتتشكل وتتلاحم في جهاز واحد عملاق هو الحضارة.

ثم إن الثقافة تُلازم العقل، والنظرية المتأصّلة في ثقافة واحدة تكون محدودة القابلية على التطبيق عندما نطبّقها على ثقافة أخرى مختلفة، ولذلك نحتاج مع الثقافة اليمنية إلى

استنباط نظرياتها الخاصة التي تنشأ داخل منجمها الحضاري.

والسرديات أداة بناء الثقافة دون منازع، وأي حضارة تخلو من السرديات الخاصة بها يصعب فهمها جيداً، ونقوش المسند والزبور أَمَدَّتنا بسرديات جيدة نسبياً، وعلى الرغم من الثراء الهائل للسرديات اليمنية القديمة في التراث الإسلامي فإنها مشحونة بالمبالغات ولا تصلح أن تكون سرديات دقيقة لحضارة اليمن الحقيقية، بل يمكن اعتبارها سرديات إسلامية عن التاريخ القديم إجمالاً والذي يمكن إضافته إلى فن السرد وليس إلى علم التاريخ.

أما المقارنات بين الثقافات اليمنية من جهة، وما يقابلها من ثقافات في الحضارات الأخرى، فهو أمر مفيد وضروري لا لكي نتابع الأسبقيات بل لكي نلتقط الفروق المتشابهة والمختلفة.

ثالثاً: سايكولوجيا عابرة للثقافات

تمنحنا سايكولوجيا عبر الثقافات الفرصة في معرفة طريقة تنظيم التقاليد الثقافية والممارسات الاجتماعية وتحديدها وتحويلها للنفس البشرية، مما يؤدي إلى وجود وحدة نفسية للجنس البشري تقلل من الاختلافات العرقية في العقل والنفس والعاطفة، وهذا ما يربط الحضارة اليمينة بحضارات العالم القديم بشكل خاص.

السايكولوجيا الاجتماعية التي تُشكل إيقاعاً شبه مشترك بين البشر يضع حضارة اليمن في سياق ما يمكن تسميته بالسايكولوجيا الحضارية القديمة.

قد يكتسب النمو البايولوجي للفرد طابعاً ثقافياً يتدخل في تحديد سمات السايكولوجيا الجماعية، وفي حالة اليمن نلمح هذه السايكولوجيا وهي تحرك معطيات حضارتها وتنتج من خلالها ذلك النمط الخاص الذي يُشبه قسمات الوجه والجسد.

هناك ضرورة لتحليل التحديدات المتعلقة بمفهوم الثقافة على ضوء سياقات التطور البشري والتفاعلات القائمة بين هذه السياقات من جهة والفرد من جهة ثانية، واليمن موطن قديم للإنسان منتصب القامة الذي انتقل من تانزانيا ورحل من اليمن للهند وأقاصي آسيا، والمعطيات الثقافية يمكنها أن تشير لنا إلى ترددات التطور البشري وتفاعلاته مع البيئة التي يتنقّل فيها.

العلاقة بين الثقافة والنفس تؤثر في سلوك الفرد وتعيد تشكيله فيزيائياً وبايولوجياً وروحياً وفكرياً، لأن الثقافة عامل تفاعل حيوي راسخ ومؤثر، وهناك تأثير للثقافة والتقاليد والممارسات الاجتماعية في النفس البشرية نكتشف، من خلالها، وحدة الجنس البشري وتنوعه في الوقت نفسه.

المبحث الثاني: السايكولوجيا الاجتماعية

أولاً: ملامح السايكولوجيا الاجتماعية

تباينت نشأة المجتمعات الأُوَل في اليمن القديم، ولا بد من العودة إلى عصور ما قبل التاريخ لرسم العتبات الأولى لأنماط هذه المجتمعات، فالعصر الحجري القديم كان مَهْداً لنشوء مجتمعات البداوة والصيد، التي ظلت على حالها دون أن تتطور وتمتهن المهن التي جاءت بعدها.

أما عصر النيوليث فقد كان حاضنة لنشوء المجتمعات الزراعية الصغيرة المنتشرة في أرجاء اليمن، وكان للطبوغرافيا اليمنية ولجغرافيتها الشديدة التنوع الأثر الكبير في نشوء مجتمعات متباينة، فهناك سكان الجبال الذين يترقبون الأمطار الموسمية ليخزنوا مياهها، وهناك سكان السهول والأودية والهضاب الخصبة، من جهة أخرى ظلت الصحارى بمساحتها الشاسعة مكاناً للبدو والصيادين، أما السواحل البحرية فقد أحاطت اليمن من ثلاث جهات بشريط محصور بين البحار والمرتفعات.

هذا المناخ المتنوع والجغرافيا المتنوعة ألقت بظلالها على السايكولوجيا الاجتماعية لأهل اليمن بطريقة مباشرة وغير مباشرة وبشكلٍ بطيء، فهو يحدد نوع سلوكهم بشكل خاص، أما طريقة تفكيرهم فستعمل المدن على تحديدها بطريقة أعمق وأوسع، بسبب سَعَة تلاقح الأفكار وتفاعلها وإمكانية نشوء أفكارٍ جديدة.

المدن اليمنية القديمة كانت مكاناً للقبائل بقدر ما هي أمكنة للمهنيين والحرفيين والصنّاع، هؤلاء الذين كانت تحكمهم زعامات قبلية، ولذلك هيمنت طبائعُ القبائل على المدن، وهو ما يفسر سيادة الغزو والحروب والمعارك بين المدن والممالك اليمنية.

كان اليمن في قعر الجزيرة العربية محصوراً بين ساحلَيْن بحريين عظيمين تجوب فيهما السفن والوفود التجارية من آسيا وإفريقيا وأوربا، كل هذه الأمور كانت عوامل مهمة لكي تنهض المدن والممالك اليمنية بطريقة مدَنِية متحضرة وتترك العصبية القبلية، وهو ما فعلته مملكة مَعِين بشكلٍ خاص، لكن الطموح السياسي المتطرف لمملكتي سبأ وحِمْير منع ذلك، وتهاوت اليمن في أيام سبأ نحو العصبية القبلية، وهَوَت حميرُ فيها ثم ازداد تراجعها مع تبنيها لليهودية والمسيحية والسماح للنفوذين الحبشي والساساني بتقرير مصيرها.

حين نراقب طبيعة آلهة اليمن فسنراها كوكبية، ويعكس هذا ربط علاقة الكواكب بالحياة العامة والخاصة للناس، فقد كانت هذه الآلهة ترمز إلى كواكب معينة ولكنها مسؤولة عن الخصب والزراعة والأمطار، في الوقت نفسه، وكان هذا يعكس فكرة مميزة عند اليمنيين، فهم أبناء الآلهة ينحدرون منه نسلياً، وهذه فكرة طوطمية كما هو معروف، لكنهم يربطون

هذه الآلهة بعوامل الخصب من ناحية أخرى، فهم يجمعون السماء والأرض في عبادتهم، ويحاولون السيطرة على الظواهر التي يعيشون في خضمّها.

كان للبيئة الجغرافية والمناخية أثرها الواضح في شكل العمران ونوع التقاليد والعادات، ونظم السياسة ونظم الفكر والسايكولوجيا الاجتماعية، لكننا نزعم أن النزعة القبلية كانت هي الأساس في نشوء طريقة التفكير، التي ينتج عنها حبّ للسلطة والوجاهة ويجعل الكثيرين يحاولون الحصول عليها وتكريسها حبّاً في الزعامة والتحكم بالآخرين وهروباً من العمل المباشر في الأرض بشكل خاص.

التنوع في البيئة، جغرافياً ومناخياً، هيمنت عليه القبيلة بالـ(كبير، والذو، والقيل)، وهؤلاء كانوا الطبقة السميكة بين مركز الملوكية وطبقة المحاربين الذين يمكنهم تحشيد العدد الكبير من أبناء القبائل للغزو والحرب.

كان المناخ يساهم في تحديد حركة الإنسان وتنقله على الأرض، ويتحكم في قدرته على التكيّف الجسدي معها، أما التضاريس الجغرافية فقد كانت تتحكم في التكوين الجسدي وتنوعه، حيث القرية تصنع القبيلة من خوفٍ يسود الجماعة ويدعوها إلى التآزر، من خلال علاقة الدم والقرابة، وهو ما رسخ فكرة انحدار الجماعات من طوطمٍ إلهي كوكبيّ بشكل خاص.

أدى هذا التطلع الإلهي دوراً مهما في تحسين الفكر والتفاعل الفكري وصناعة إنسان المدينة، ولكنه ظلّ محكوماً بسياق القبيلة، بسبب عدم الشعور بالأمان من ناحية الجماعة والشعور بالوجاهة من ناحية زعامات الجماعة، ولهذا طغى الجانب العملي على الجانب الفكري وتعطل ظهور الأدب والفلسفة على سبيل المثال، بسبب حاجة هذين القطاعين للحرية، تلك التي كان من الصعب توفرها في هذه البلاد في تلك الأزمان.

في ظروف كهذه لا بد أن تكون السياسة مرتع الطبقة العليا، والتجارة مرتع الطبقة الوسطة وسبيل تحقق هويتها، والفلاحة والحروب مكاناً أبدياً لبسطاء الناس ممن شعروا أن حريتهم العميقة قد دُفنت تحت الأرض التي يفلحونها، وبين الأسلحة التي يستخدمونها للغزو الذي لم يتوقف يوماً في اليمن على الرغم من تحضرهم.



نحت من المرمر اليمني (نحو ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الميلادي الأول)، المرمر محفور بلوحة غائرة ذات شكل ملتف مواجهاً مركزياً يحمل شيئاً على صدره، وتوجد بقايا من سطرين كتابيين مثبتة أعلاه، ارتفاع 5 بوصات (13.3 سم).

ثانياً: سايكولوجيا المجتمع اليمني في مواجهة الأزمات

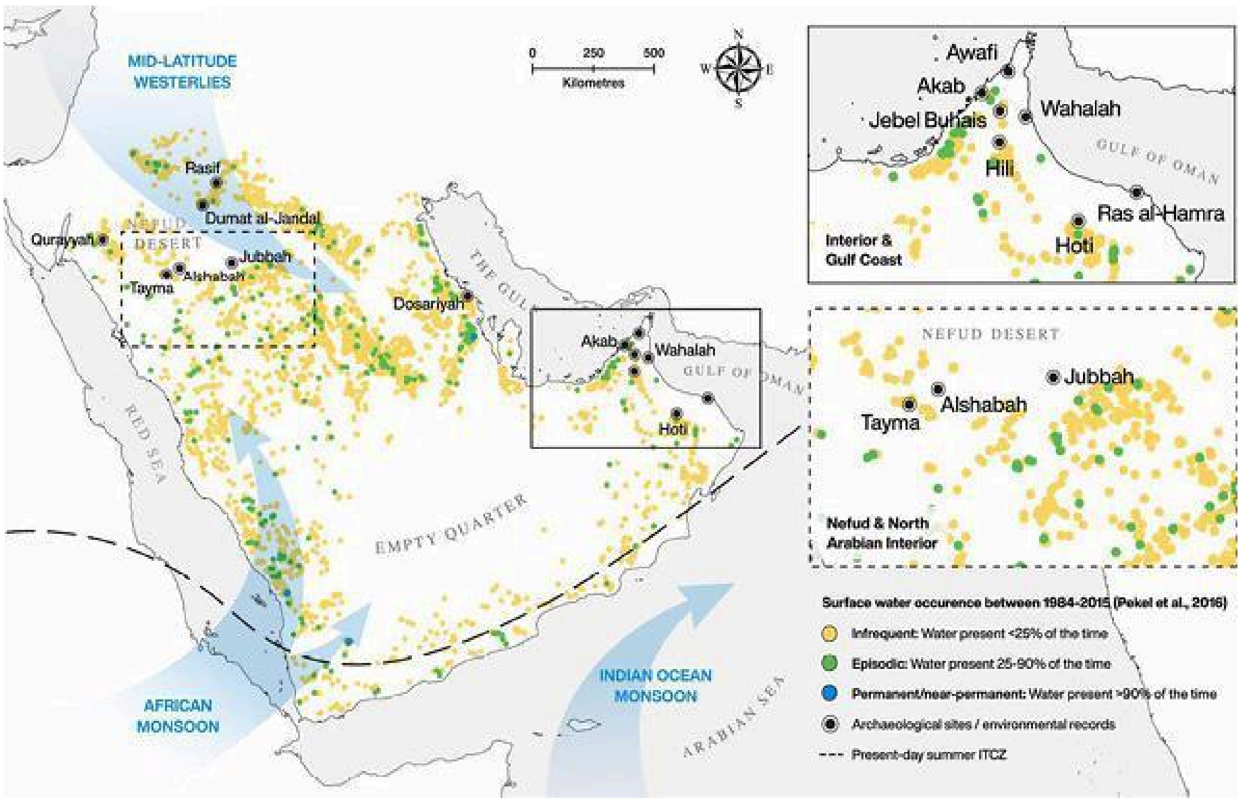
1. أزمات المناخ والمياه

عُرّض المجتمع اليمني القديم للكثير من الأزمات التي سببت له خدوشاً في تكوينه النفسي الجمعي، وهو ما انسحب على طريقة أدائه الحضاري، ولعل أهم هذه الأزمات قلة المياه والأمطار الموسمية الشحيحة وانحباسها وحصول الجفاف الذي كان يدمّر المزروعات والحيوانات والبشر.

ظهرت التحديات المناخية بوضوح في اليمن، أدى أغلبها إلى مجموعة واسعة من الاستجابات التكنولوجية والاقتصادية والثقافية الناجحة، وأدى القليل منها إلى الانهيار المجتمعي، وترافقت حالات الجفاف القديمة مع تراجع المهن وتحركات السكان إلى المناطق الغنية بالموارد على الساحل، مع تأثيرات مجتمعية تحويلية، وتشير البيانات إلى إدارة ناجحة لمصادر المياه وتوفير السدود والخزّانات والمدارج الزراعية، وتحويل اقتصادهم نحو المهن والصيد.

تعمل الأبحاث الأثرية والبيئية القديمة متعددة التخصصات الحديثة في شبه الجزيرة العربية على تغيير فهمنا للمجتمعات البشرية القديمة في سياقاتها البيئية، تم تطوير الفرضيات حول التأثيرات الثقافية والديموغرافية لسلسلة من حالات الجفاف في المقام الأول من السجلات البيئية والأثرية في اليمن القديم، ورصد هذه التفاعلات بين الإنسان والبيئة، وقد تباينت الاستجابات عبر المكان والزمان وشملت التنقل على مستويات

مختلفة، فضلاً عن التكيفات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتنوعة، مثل إدارة الموارد المائية، والاهتمام بطرق الحياة الرعوية، وبناء أنواع مختلفة من الهياكل الحجرية. القصة طويلة المدى للمجتمعات البشرية في شبه الجزيرة العربية كلّها، وهي قصة المرونة في مواجهة تغير المناخ، لكن التحديات المستقبلية تشمل ارتفاع درجات الحرارة والفيضانات السريعة. يمكن أن يوفر تاريخ استجابات الإنسان للتغيرات المناخية والنظام البيئي في شبه الجزيرة العربية دروساً مهمة لكوكب يواجه الاحترار العالمي الكارثي والتغير البيئي. (انظر 8263 ـ 8270 (Petraglia et al. 2020:



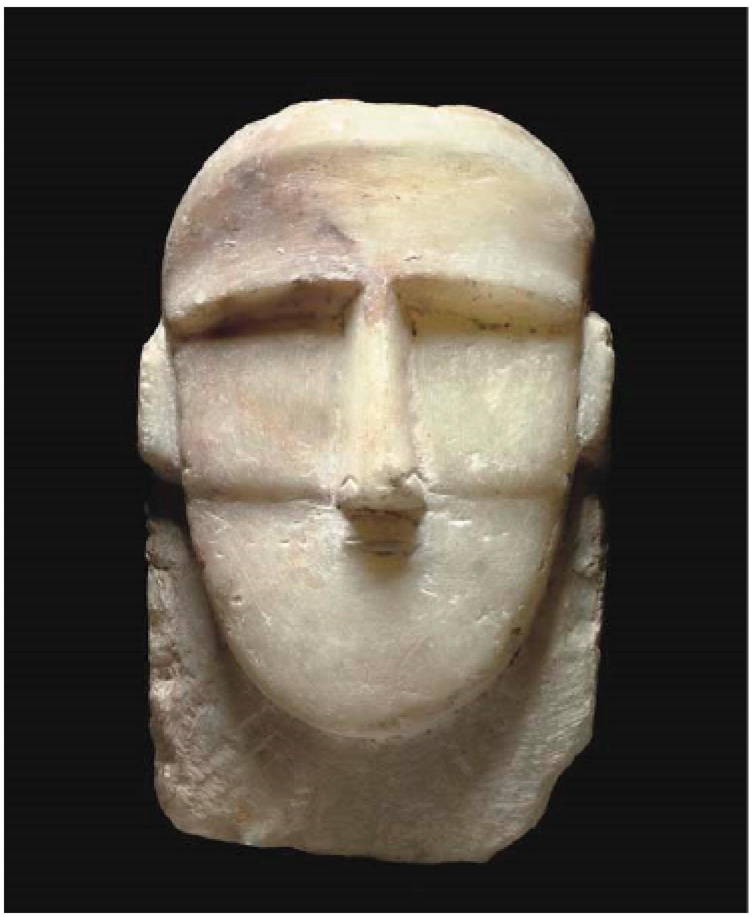
خريطة شبه الجزيرة العربية توضح المواقع الأثرية الرئيسية والسجلات البيئية مع خريطة لوجود المياه السطحية بين عامي 1984 و2015 وتوزيع المسطحات المائية ITCZ، منطقة التقارب بين المناطق المدارية (انظر8364 (Petraglia et al 2020:

كان الردّ الأساسي على مثل هذه الأزمات هو في العمل الهندسي الذي نتج عنه بناء السدود والخزانات والصهاريج لحفظ المياه والاستفادة منها في مثل هذه الأزمات، وهو ما يصوّر صلابة الشخصية اليمنية وقوتها في مثل هذه الأحوال، ويعكس مهارتها العملية في كيفية معالجتها، وكان هناك الجانب النفسي الذي كان جمعياً ويتلخص في أداء طقوس استنزال المطر الدينية، إذ يؤدي إلى تضامن روحي جماعي والتحام بموروث متواتر وبآلهة تعدّ الأب الرَّحُوم للشعب الذي ينحدر منها، ونرى أن نقش القصيدة الحميرية (ترنيمة الشمس) الذي

اكتشفه وترجمه الدكتور يوسف محمد عبد الله هو نص استسقاء بامتياز، فهو، بطريقة كتابته وبألفاظه، أكثر من أن يكون ترنيمة أو أنشودة للشمس، لأنه نصّ طقسي.

وهناك نقش عن صلاة الاستسقاء هو (ja 375) يتضمن وصفاً لممارسة طقوس الاستسقاء بعدما أصاب بلاد سبأ من جفاف استمر عاماً ونصف العام، مما دفع بقبيلة سبأ وبنات مأرب إلى السير إلى مُقَام الإله إلمقه في معبد أوام في موكب ديني دعوا فيه وتضرعوا وقدموا القرابين، ثم طافوا في المعبد حتى هطلَتِ الأمطار وروثَ أرضهم، وكان دور المرأة في هذه الشعائر الطقوسية مميّزاً ويؤكد الخصوبة، من جهة، ومناداة الشمس من جهة أخرى كإلهة أنثى.

هذا المزدوج السايكولوجي المتكوّن من الأزمة وحلّها، سواء كان بالعمل أو بالطقوس أو بهما معاً، كان فاعلاً وقوياً، ويؤشر على تشكيل نمطية سايكولوجية واضحة للشخصية اليمنية.



رأس مرمر من اليمن القديم، القرن الأول قبل الميلاد/م، أو في وقت سابق، ذو شكل منمق، بجبهة بارزة، وأنف طويل إسفيني الشكل وفم صغير7½ بوصة (19 سم).



رقم المتحف البريطاني (1995.0617.3) وصف ثلاثي الأبعاد تقريباً، رأس إنسان من مادة الكالسيت ـ المرمر العربية الجنوبية مع ترتيب شعر منمّق يرتبط عادةً بأشكال أنثوية ومآقي عيون منحوتة بعمق، محفورة تقريباً على الجانب السفلي، مكسور في العنق.

https://www.britishmuseum.org/collection/object/W_1995 ـ 3 ـ 0617

2. أزمات الحروب المستمرة

لم تنقطع الحروب الداخلية ثم الخارجية، في اليمن القديم، منذ بدايات سبأ في القرن الثامن ق.م، وظل شبَحُ الحرب يخيّم على النفوس ويحفر بها جرحاً عميقاً، وكانت الآلهة

والأديان تُضْطر إلى أن تكون في هذا الموضوع، فالحروب تجري تحت أسمائها ورايتها، وخصوصاً في العصر الحميري.

وقد شكّلت هذه الحروب تهديداً مستمراً للأمن والاستقرار السايكولوجي للفرد اليمني وللجماعة اليمنية، وقد تحدثنا عنها مراراً.

ونَوَدُّ أن نثبت أيقونة رمزية جَسّدتها بعض المنحوتات اليمنية حول الصراع بين الأفعى والنسر، وهي المواجهة بين الأمومة والذكورة، وتعبّر عن استحواذ الرجل، في عصر الانقلاب الذكوري، على السلطة وقيادة المجتمع، وهي وجه من الوجوه الرمزية لحروب اجتماعية، من نوعٍ آخر، حيث تُقمع المرأة تحت سلطة الرجال.



منحوتة الأفعى والنسر من متحف إسطنبول



جزء من كتلة من المرمر والكالسيت مع نحت بارز في المقدمة مع تصوير لنسر يمسك أفعى، مع حرف واحد مسندي على اليسار، ورمز فاصل على اليمين ومخلب أسد مع بقية الحيوان انقطع، تشويه قديم في وجه النسر، مأرب، سبأ

الارتفاع: 26.50 سنتمتراً، الطول: 46 سم، السماكة: 15 سم

في الختام، نرى أن تشكيل الممارسات الاجتماعية لمجموعة معينة من الثقافات والعمليات المعرفية بطرق مختلفة، يؤدي بالنتيجة إلى ظلال سايكولوجية، وهو ما حصل في الكثير من الطقوس والأفعال اليومية في اليمن القديم.

لا بد من دراسة طريقة تنظيم التقاليد الثقافية والممارسات الاجتماعية وتحديدها وتحويلها للنفس البشرية وتوسيع النظريات الاجتماعية الثقافية بحيث تصبح أكثر ملاءمة للتوقعات والأوصاف والتفسيرات الخاصة بكل السلوكيات البشرية، ومنها سلوك السايكولوجيا الاجتماعية في اليمن القديم.

الفصل الحادي عشر المادة والطاقة والتكنولوجيا والعمل



إعادة تصميم معبد برّان وأعمدته الستة، مدينة مأرب

المبحث الأول: المادة والطاقة والتكنولوجيا والعمل

أولاً: المادة (الموارد الطبيعية)

أ. تنوع المواد والبيئة:

1. التضاريس: تضاريس اليمن نموذج للتنوع، وكانت كلها مصادر مادية مفيدة للزراعة والسكن وبناء القرى والمدن والحواضر الكبرى، كانت الوديان هي الأماكن المفضلة للمدن والحواضر، وكانت المرتفعات أماكن لإقامة المدرجات الزراعية بشكل خاص.

2. المياه: على رغم وقوع اليمن بين ضلعين مائيين كبيرين هما البحر الأحمر وبحر العرب، فإنها تُعَدّ من البلدان الفقيرة بالمياه، بسبب عدم وجود الأنهار الدائمية، وعدم قدرة مياه الجداول كي تكون بديلاً نافعاً لأنها مؤقتة وسريعة الجفاف.

كانت الأراضي قبل تشييد السدود الأولى تُعَرَّض لاستصلاح متواصل بالترافق مع إنشاء العديد من المدرجات الزراعية منذ نهاية الألفية الرابعة قبل الميلاد، ولذا فإن السدود ظهرت عند أرضٍ مزروعة بشكل دائم، وكانت السدود تُوَثَّق بنقوش مسندية أو بخط مسندي على الصخور القريبة منها.



نقش وتوثيق لإنشاء سد وادي حصاية (لقطة بعثة قتبان)

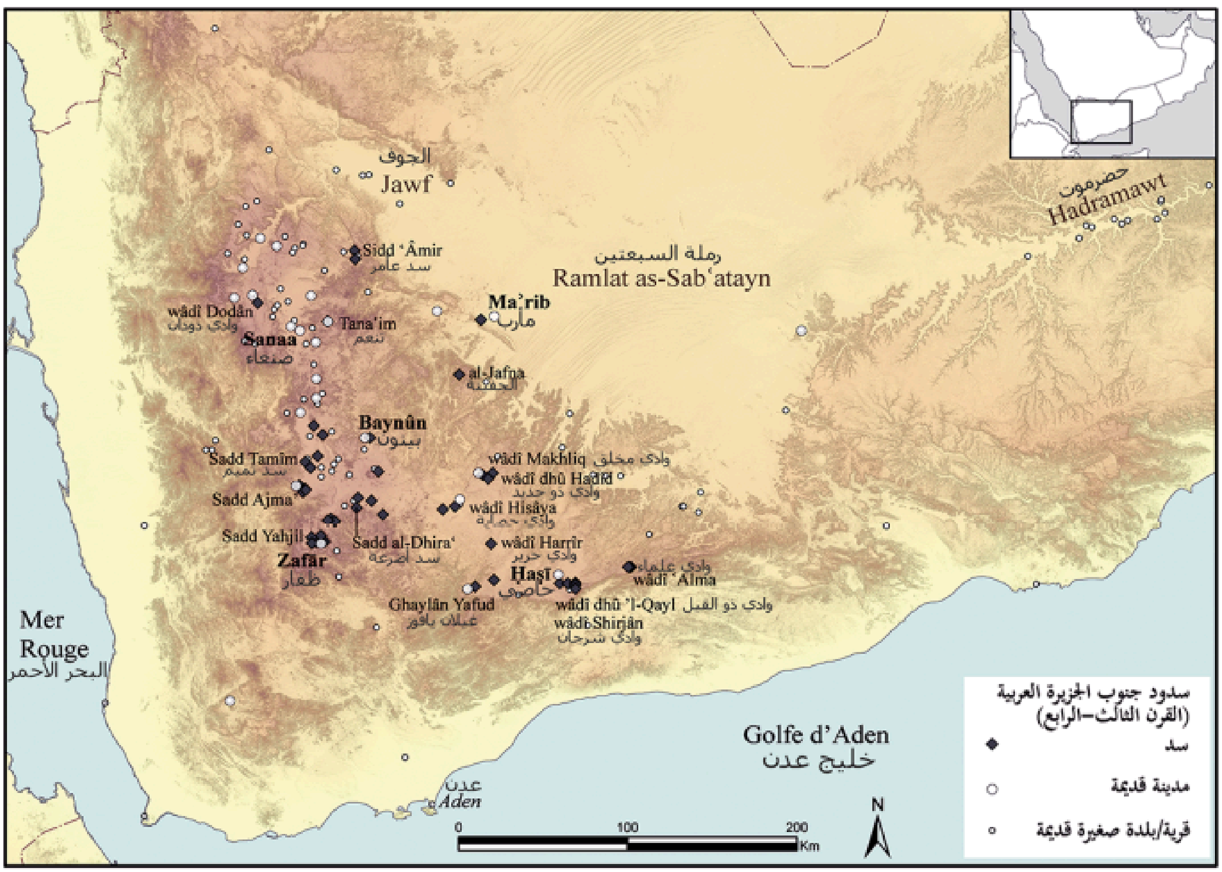
جوليان شاربونيه وجيريمي شيتكات

تُحَوِّل المياه في الأودية المنخفضة، بالاستفادة من الأمطار الموسمية، وقد ساهم في إحياء الزراعة على مساحات واسعة وصلت إلى الصحراء والواحات.

كان متوسط ارتفاع السدود، في اليمن القديم، يصل إلى 2000 متر في المناطق الجبلية والهضاب ذات الأمطار الموسمية في الربيع والصيف، وهي سدود متينة وكبيرة تواجه تدفق المياه، بسبب جدار الحفظ الطويل المبني بشكل جيد، وبسبب قنوات تصريف المياه، كمنافذ تسمح بجريان المياه خارج الخزان في قنوات الري.

الغريب في اليمن أن السدود ارتبطت بصعود الحضارة اليمنية وممالكها وسقوطها، فمع أول صعود لهذه الحضارة في القرن الثامن قبل الميلاد وصعود سبأ كان سد مأرب رمزاً لهذا الصعود، ومع سقوطها وسقوط النظام السياسي لحمير في مطلع القرن السادس توقفت السدود عن وظيفتها وانهارت ولم يعد ممكناً ترميمها.

الأمر الراسخ الذي بقي من حضارة اليمن هو المدرجات الزراعية التي كانت كعمارة زراعية شاهقة صامدة في وجه الزمن والبيئة.



خريطة لتوزيع سدود المرتفعات اليمنية القديمة (خريطة جوليان شاربونيه وجيريمي شيتكات).

3. الرياح: كانت الرياح مصدراً من مصادر الطاقة الجوية التي تؤثر في حركة الغيوم وسقوط الأمطار، وفي الزرع، و«يعد الضغط الجوي أحد العوامل المؤثرة في المناخ، حيث تُعَرَّض اليمن للرياح الشمالية والشمالية الشرقية الجافة، والرياح الجنوبية الشرقية الآتية من المحيط الهندي، فإذا كانت الرياح جنوبية غربية فإنها تكون محملة برطوبة من البحر الأحمر، ففي فصل الصيف يتشكل مركز ضغط جوي منخفض فوق شمال الجزيرة العربية، أما في فصل الشتاء وبسبب البرودة نلاحظ أن تمركز الضغط الجوي يرتفع في وسط الجزيرة العربية بما فيها اليمن، لذا فإن هذه المناطق تصبح مصدراً للتيارات الهوائية الباردة والجافة، التي تتجه نحو وسط إفريقيا وجنوبها على شكل تيارات هوائية شمالية وشمالية شرقية» (الجاويش 2012: 52).

4. الحرارة: كانت درجات الحرارة متفاوتة في اليمن، حسب طبيعة أرضها، فكان مناخ السهول الساحلية دافئاً بمعدل درجات الحرارة السنوي نحو 25ْم، وكان البحر الأحمر يُلطّف الحرارة صيفاً ويدفئها شتاءً، مع تباين في نسبة الرطوبة مرتفعة في أشهر الشتاء مقارنة مع الخريف، أما مناخ المرتفعات الوسطى فترتفع معدلات الحرارة الشهرية صيفاً وتهبط شتاءً.

5. الأمطار: كانت الأمطار تختلف في نوعها وكميتها حسب مكانها وزمانها وعلاقتها بوسطها في الطبيعة، «فكلما ابتعدنا نحو الداخل من سهل تهامة ازدادت الأمطار وبدأت الحياة الزراعية بالظهور فوق السهول الفيضية الرباعية وخاصة في نهايات الأودية وتنتشر هنا أشجار الطلح (Acacia) متقاربة كثيفة تارة ومتباعدة متنافرة أحياناً، حسب درجة تأثير الإنسان وعمق المياه الجوفية ونوعيتها، أما في الأودية فكلما ارتفعنا نجد هذه الأشجار مضافاً إليها أشجار السرو والموز والتمر الهندي، في حين أننا لو سرنا في شاطئ البحر الأحمر غرباً عبر سهل تهامة ثم الجبال الغربية ثم أواسط البلاد ثم انحدرنا نحو الصحراء، لشاهدنا وعلى خط أفقي لا يزيد طوله على بضع مئات الكيلومترات أوساطاً طبيعية متنافرة تنقلنا من عالم طبيعي إلى آخر، ففي الشريط الساحلي للبحر نجد الكثبان الرملية المثبتة بالنباتات، والعارية منها، وتقترب المياه الجوفية المالحة غالباً من السطح فتظهر النباتات المحبة للملوحة (Halophytes)» (الجاويش 2012: 57 ـ 58).

السبئيون، على سبيل المثال، كانوا من أكثر الشعوب اليمنية مبادرة للاهتمام بالمياه ومشكلتها في بلادهم، «فأنشؤوا شبكات رِيٍّ واسعة، ومصارف لخروج المياه وتوزيعها بانتظام، حيث تعد الموارد المائية من أهم العوامل المؤثرة في الزراعة بشكل رئيسي، ومن ثم كان لموارد المياه ونظم الري مكانة خاصة في حضارة اليمن القديم بشكل عام وفي الحضارة السبئية بشكل خاص، إذْ كانتِ الحقولُ الموحدة بنظام واحد للري بمثابة الخلية

الرئيسية للاقتصاد اليمني، مشكّلاً بذلك أهم مورد من عناصر البيئة وله دور أساسي في التنمية الاقتصادية بجوانبها كافة، بل إن ثراء الحضارة السبئية كان قائماً في الأساس على الزراعة المروية ضمن نطاقها الجغرافي الكبير» (الجاويش 2012: 74).

6. الرطوبة: ترتفع الرطوبة في السواحل خلال أشهر الشتاء وتنخفض في الخريف، وتزداد الرطوبة في جنوب المرتفعات الوسطى، وتقل الرطوبة النسبية في الهضبة الشرقية، وتقل الأمطار.

7. التربة: عموم التربة اليمنية خصبة في الوديان والسهول وعند سفوح الجبال، وهي غنية بالمعادن، وكثيرة الرمال في الصحارى.

ب. الانفراد بإنتاج البخوريات وتجارتها:

«ومن الأدلة على الصلات الاقتصادية بين الدولة البابلية الجديدة وسبأ ما ذكره هيرودوت من أن الكلديين كانوا يحرقون نحو طنين ونصف من البخور للإله سنوياً في العيد الديني لهم، ولا شك أن البخور كان يستورد من بلاد سبأ، وأنه كانت هناك حاجة إلى الاستخدام اليومي للبخور لدى الكلديين، ونستذكر في هذا المجال أن الملك الكلدي نبونيد (56 ـ 59 ق.م) قد هجر عاصمته التاريخية بابل، واتخذ من تيماء مقراً لحكمه من أجل الإشراف المباشر على تجارة جنوب الجزيرة العربية مع بلاد الرافدين، التي كانت منطقة تيماء إحدى محطاتها الرئيسية» (النواب 2011: 204).

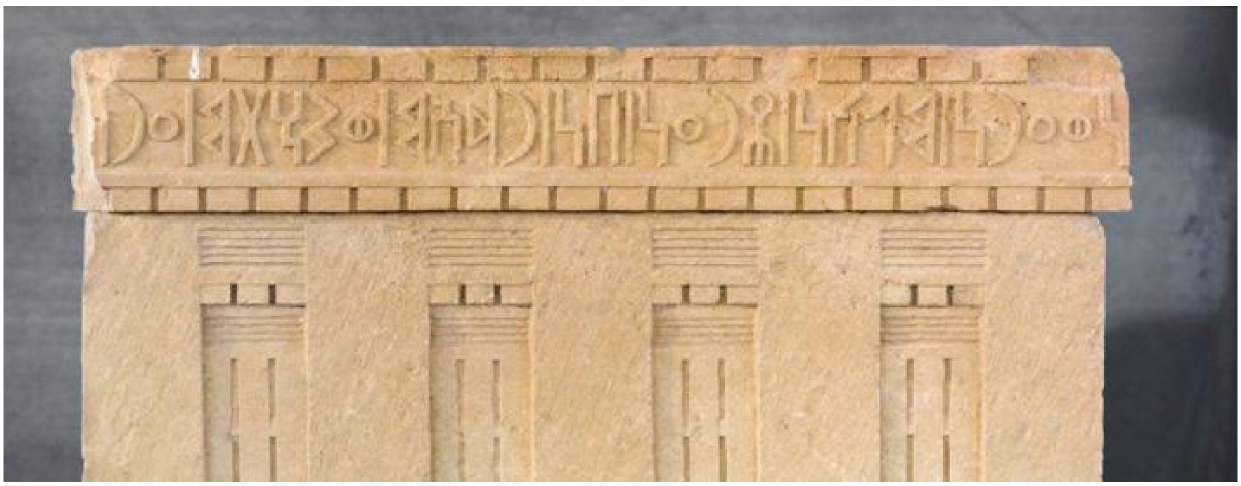
«لذا يعد السبئيون من أفضل وأغنى التجار الذين تاجروا بالذهب والمعادن والأحجار الكريمة، والأنواع المتعددة من البخور والتوابل، فضلاً عن منتجات غالية الثمن كمادة المر والمسك، فضلاً عن التجارة بالإبل والجمال، أما الطيب فهو من أهم المواد التي تاجر بها العرب الجنوبيون، تاجروا بتصديره إلى خارج العربية الجنوبية، إلى بلاد الشام ومصر والعراق، وتاجروا به في الداخل أي في أسواق اليمن» (النواب 2011: 206).

ج. مواد العمارة اليمنية:

تلعب وفرة مواد البناء اليمنية، مثل أنواع الأحجار والصخور والطين والرمل والطوب المحروق، دوراً في تجهيز المواد الأساسية لتشكيل العمران القديم، ولعب الطمي والملاط دوراً في توفير الصلصال اللازم للبناء، وقد استطاعت هذه المواد أن تتناغم مع بيئتها الملاصقة لها وتنتج عمران الحضارة اليمنية كما يجب، وربما ساهم تعدد أنواع المواد الأولية والبيئات المختلفة في نشوء التنوع الحضاري والثقافي للحضارة اليمنية أو ساهمت به في الأقل.

المواءمة بين مواد البناء في اليمن وعملية البناء متوازنة مناخياً، ولذلك كانت هناك منافع صحية واضحة، وصارت المواد التي استخدمت في البناء مقاومة للرطوبة، ومن صفاتها المتانة، وهي متفقة مع الفراغات، وكانت أساس تكوين المباني كوحدات متماسكة ومترابطة ولها خاصية الاستمرارية، وتُدمج الأجزاء في الشكل وتتكامل، إذ أتت الأشكال والفراغات متناسبة مع النظام الإنشائي.

إن استعمال المواد المأخوذة مباشرة من البيئة ذاتها، بل من الموقع ذاته، زاد جعل هذا التلازم بين المادة وظروفها المناخية والبيئية.



تفاصيل نقوش مذبح يمني قديم

(Photo: Pawel Wolf, DAI)

ثانياً: الطاقة

مصادر الطاقة في الحضارة اليمنية

الأشجار والحيوانات: كانت الأشجار الكبيرة مصادر داعمة لبناء البيوت والعربات والمراكب وغيرها، أما الحيوانات الداجنة فمصادر غذاء وعمل، ولعبت «الحيوانات البرية دوراً حيوياً في الحفاظ على التوازن البيئي وتلبية احتياجات الإنسان المعيشية، وعلى الرغم من اختلاف البيئات وتنوع المناخ والتراكيب الجيولوجية في الجزيرة العربية وتنوع الحياة النباتية، فإن الحيوانات البرية التي كانت تعيش في اليمن القديم ذات أعداد كبيرة، ونستدل على ذلك من خلال ما ورد من أعداد الحيوانات البرية التي كانت تُصطاد في موسم الصيد المقدس، وهذا على سبيل المثال لا الحصر، والسبب في ذلك يعود بشكل

رئيس إلى اتساع النطاق الجغرافي للنفوذ السبئي في الجزيرة العربية، وكذلك وجود المراعي والاهتمام الديني ببعض تلك الحيوانات مثل الوعول، ويعد طقس اصطيادها عند الإنسان في اليمن القديم ذا مكانة روحية خاصة، إذ يدخل في شعائره الدينية مثل (صيد عثتر)، وهو صيدٌ خُصِّص للآلهة (عثتر)، كذلك كان ضمن مراسيم تتويج الملوك، وذهاب الملك بعد الاحتفال إلى الصيد، فضلاً عن فائدة الصيد الاقتصادية، فهو نوع من أنواع تسليتهم المفضلة، وقد كانت الطبيعة متهيئة لها تماماً» (الجاويش 2012: 201).

المعادن والتعدين: زخر اليمن القديم بمعادنَ كثيرة ومواقع التعدين، فقد اكتشفت بعثة سويدية جيولوجية وتعدينية مناجم قديمة للنحاس في السوادية بمحافظة البيضاء، وحولها أفران الصهر للمعدن الخام في حالة جيدة، وبجانبها المساحيق الناتجة عن طحن الخامات، وتزَيَّنت الصخور فيها بكتابات مسندية.

وتوسع النشاط التعديني للإنسان اليمني القديم إلى شمال الجزيرة العربية، «حيث وجدت مناجم قديمة للذهب والفضة بالقرب من المستوطنات القديمة التي أقامها اليمنيون على طرق القوافل التجارية، مثل مستوطنة دادان في وادي القرى إلى الجنوب من مدائن صالح، وتشتهر بقربها من مناجم الذهب، ومستوطنة قرية الفاو (ذات كهل) في وادي الدواسر الذي توجد في نواحيه مناجم للذهب أشهرها منجم صعاد» (الجاويش 2012: 264).

وكان الكتّاب الكلاسيكيون قد وصفوا موارد (اليمن السعيدة)، «إذ أجمع (أغاثارخيدس) و(أرتيمدوروس) و(سترابو) على أنه لا يوجد شعب أغنى من السبئيين وأهل جرها، فقد كانوا وكلاء لكل شيء يقع تحت اسم النقل من آسيا وأوروبا، وهم الذين جعلوا سوريا البطلمية غنية بالذهب! وإن السبئيين هم الذين أسبغوا على جزيرة العرب اسم (السعيدة) الذي تكرر لدى كتّاب اليونان والرومان حتى وقت متأخر، وهكذا تمكنوا من جمع كميات كبيرة من الذهب والفضة في بلادهم، حتى إنهم كانوا يشربون بآنية ذهبية، وكانت أرائكهم وأسرّتهم مرصعة بالفضة، واتسم أثاثهم الذي يستعملونه بفخامة لا يكاد يصدقها العقل، وزينوا مداخل منازلهم بأعمدة طويلة بعضها مُذهب، وبعضها مزين بتيجان تحمل رسوماً فضية» (الجاويش 2012: 264).

كان معدن الذهب أثمن المعادن التي كان التعدين يسعى بها، وللذهب أسماء يمنية وعربية كثيرة أشهرها النضار أو النضر، وبه سُمي عود النبع والإبل نضاراً لصفرتهما وعتقهما، ويسمى العسجد والتبر والسام (عروق الذهب)، وسُمّي بالعقيان الموجود في الأرض الغبراء، وهناك ذهب الزعفران الموجود في صنعاء بجبل نقم، ومعادن من الذهب والفضة والحديد، وكان الحميريون يصنعون منه ما يعرف بالسيوف اليرعشية، ويوجد في إب والمعافر.

وفي جبل هيلان معدن الكبريت والكحل وهو دليل على وجود الذهب، وفي منطقة صرواح يوجد ذهب جيد، ويوجد الذهب في منطقة حريب جنوب مأرب.

وفي الجوف (بيحان الجوف) وفي جبل برط معادن كثيرة يوجد فيها الرصاص الأسود الصافي الجيد والذهب والفضة وغيرهما، وفي محافظة مأرب في الجبل الأبلق قرب سد مأرب يوجد معادن، فالمتصل بالجبال الزُّرق الزبرجد الأخضر والجزع.

ظهرت آثار لمناجم الحديد القديمة في مواقع شمال غربي محافظة صعدة، وتبعد عنها نحو 30 كيلو متراً، ومنجم الفضة في الرضراض بمديرية نهم.

نزعم أن هذه المعادن وطاقتها لم تستخدم بشكل جيد في حياة اليمنيين، فقد ذهب أغلبها المتين، بشكلٍ خاص، في صناعة الأسلحة كالحديد والبرونز والنحاس، والجميل الثمين منها في الحليّ، وفي صناعة العملات كالذهب والفضة، ولم تستخدم المعادن على نطاق واسع في العمارة والبناء.

من الأحجار الكريمة، التي ظلت اليمن تحتكرها لزمن طويل، العقيق اليماني والجزع بأنواعه، وصناعتها الخاصة بأدوات الحلي والزينة.

الفنون اليمنية كانت طاقة إبداعية في العمل وتحتاج إلى الكثير من المهارات المتوارثة للحفاظ على هويتها المميزة.

ثالثاً: التكنولوجيا (التقنيات)

التقنيات الأساسية التي ظهرت كانت لامتلاك المياه وخزنها، فظهرت السدود وقنوات الريّ والآبار والبرك والمآجل والصهاريج والكروف والأنفاق وغيرها:

1. السدود: لعلّ الجهد الهندسي والتقنيات التي رافقت بناء السدود يعد علامة فارقة في حضارة اليمن، فبالإضافة إلى فهم تقنيات حفظ الماء هناك تقنيات لصرفه، وهي تستخدم لتصريف المياه الزائدة كي تخفف الضغط على السد حين يستقبل تيارات مياه الأمطار والسدود، من خلال القنوات المنحوتة في الصخر، ونظام تفريغ عند قاعدتها يسهل عملية صيانة حوض الماء.

وسدود المرتفعات كانت بمثابة خزانات مياه، فهي تغلق الأودية التي تشيد فيها، وتصير منافذ المياه ضيقة، وكانت هناك تقنيات فيها تعمل على تحويل جزء من سيول الأودية وتصريف المياه الزائدة.

2. الصهاريج والخزّانات الكبرى: العمل بالصهاريج والخزّانات لحفظ المياه بعد الأمطار، كان يعتمد على تقنيات من نوع آخر، تعتمد على إدامة حفظ المياة وتنقيتها وتحضيرها للاستخدامات اليومية أو الزراعية.

3. السقاية: تقنية جمع مياه الأمطار وتخزينها داخل بركة مغلقة السقف، تكون للاستهلاك المنزلي كمياه يمكن تنقيتها واستخدامها للشرب، أما ري المزروعات فيعتمد على المياه غير النقية.

تُبنى السقاية بالحفر في جوف الأرض الصخرية لمسافةٍ تصل إلى 2 ـ 3 أمتار، وتستعمل الصخور وبينها الطين أو الجص، وتتكون من مبنًى يحيط ببركة ويُسَقّف بالأعمدة والحصران ولها باب وسلالم تبدأ من قاع البركة وتصل إلى باب السقاية، وتجمع المياه بمزاريب السقف التي تصب في مخزن المياه.

رابعاً: العمل

الرعي هو أول الأعمال البدائية الذي كان يعتني بالحيوانات المستأنسة كالماشية، وكان الرعاة ينتشرون في الصحارى وفي الأرض المزروعة بالكلأ الطبيعي، ثم صارت الزراعة هي العمل الأساس، وجاءت التجارة بعدها.

كانت ممالكُ اليمن تتنافس على تجارة الطرق البرية، وكانت هذه الطرق مثل العَصَب الاقتصادي للكثير من الممالك، «وإذا كان حُكَّام حضرموت قد تمكنوا من إرغام التجار على استخدام الطريق البري فيبدو أن ذلك يرجع إلى تحالفهم مع القبائل الداخلية من جهة ومن جهة أخرى لحرصهم على عدم مرور بضائعهم في أراضٍ يسيطر عليها منافسوهم من السبئيين، استطاع منافسوهم السبئيون أن يتوصلوا في القرن الثاني ق.م إلى اكتشاف مصدرٍ مُنَافِس لإنتاج اللبان، ويذكر لنا أجاثارخيديس (Agatharchides) عام 130 ق.م أن السبئيين تمكنوا من صناعة طوافات وقوارب جلدية لحمل بضائعهم، ولكنه لا يذكر لنا شيئاً عن نقطة انطلاقهم أو نقطة وصولهم، ثم جاء أرتيميدوروس (Artemidoros) عام 100 وذكر لنا أنهم استخدموها للانتقال من إثيوبيا إلى العربية، واصطلاح إثيوبيا يعني في العصر الحديث شرق إفريقيا بصفة عامة، وفي هذه المنطقة عثر على اللبان والمُر بكميات كبيرة، كما سبق أن اكتشف قدماء المصريين ذلك، وكان أرتيميدوروس يعرف أن السبئيين كانوا يتاجرون بالطيوب المحلية والمستوردة من إثيوبيا، ولم يأتِ القرن الأول الميلادي إلا وقد أصبح اللبان الإفريقي له نفس أهمية الأصناف العربية، بينما احتل المُر الإفريقي المكانة الأولى، وفي القرن السادس غدا اللبان الإفريقي النوع الوحيد الذي وجد التاجر كوزماس (Cosmas) أنه جدير بالذكر، وما يزال هذا النوع هو المسيطر على الأسواق حتى الآن، ويمكننا أن نقول إن هذا الاكتشاف السبئي قد قرر بطريقة عنيفة مصير احتكار بضاعة التجار الحضارمة» (كرون 2005: 61).

كان ضعف طرق التجارة البرية والعمل فيها بسبب نشاط التجارة البحرية، وكان لظهور الدين المسيحي بشكل خاص أثره الكبير في تجارة البُخور المنقول برّاً، «فالمعروف أن الطيوب في العالم القديم تداخلت وامتزجت بحياة كل من الأفراد والآلهة، ورفض المسيحيون ذلك النمط من الحياة، حقيقةً لقد ارتبط اسم السيد المسيح (عليه السلام) بالطيب، ولكنه لم يكن بحاجة إليه، لكي تقدر له الحياة، وبلغ ما يُحرَق في الاحتفال بأعياد الإله بعل بـ1000 تالنت، وأحرق في جنازة الإمبراطور جستنيان كمية من البخور تُعادل إنتاج محصول اللبان العربي لعام كامل، كما سبق ورأينا الكم الهائل الذي قام الإمبراطور نيرون بحرقه في جنازة زوجته بوبايا (Poppaea)، وأسدل الستار الآن على إسراف أرستقراطية المجتمع اليوناني الروماني ومن سار على نهجهم ووضع حداً له، وانتهى الآن ذلك العصر الذي كان البخور يعد فيه مادة الترف اليومي كالنبيذ والسجائر في العصر الحديث، وفي العصور الوسطى اقتصر استخدام البخور في كل من الإمبراطورية الرومانية والغرب على الاحتفالات الجنائزية، ومختلف أنواع الطقوس الدينية» (كرون 2005: 65).

كانت دولة حمير صناعية وتجارية وكان العمل فيها مهماً ودقيقاً أكثر من العمل الزراعي، ومن أهم أعمالها الصناعية/التجارية استخراج الذهب ومصنوعاته وتجارته، وهناك استخراج وتعدين وصناعة الفضة، ويأتي الحديد بعدها، ويستخدم في صناعة الأدوات الزراعية والفؤوس والمناشير لتقطيع الأشجار والأخشاب والعسكرية، وكانت طاقة العمل مختَلِفة في السفن التجارية وحمايتها، ويوجد العمل في الصناعات الغذائية والعطرية والجلدية.

المبحث الثاني: الصادرات والواردات اليمنية

أولاً: المنتجات والصادرات اليمنية

كان عموم اليمنيين، مثل العرب، يأنفون من العمل الصناعي، ولم يلجؤوا إليه إلاّ حين ضعفت التجارة والزراعة، فقد تُركت الحِرَف للعبيد، «وقد امتهن الصناعة الكثير من الأفراد، فوُجد النساجون، والحدادون، والنجارون وغير ذلك من هذه المهن، وقد تنوعت الصناعات في شبه الجزيرة العربية لتوفر المواد الخام في أراضيها، واستيراد بعضها، فتميزت بعض المناطق في شبه الجزيرة العربية بصناعات معينة، كالسيوف اليمنية والمنسوجات والجلديات وغيرها من الصناعات التي أسهمت في زيادة الزخم التجاري والتبادل التجاري بين مناطق شبه الجزيرة العربية والمناطق المحيطة بها» (محمد 2017: 268).

بنشاط الصناعة والمهن والحرف زادت صادرات اليمن، و«من أهم البضائع التي كانت تنقل من اليمن سواء كانت من إنتاجها أو مما يصل إليها من الشرق أو من إفريقيا أو من الجزر

القريبة من سواحل اليمن هي الأفاويه والبخور والطيوب والمر والصمغ والكافور والورس واللبان اليمني والتوابل والسيوف الهندية والحرير الصيني والعاج والذهب الإثيوبي والصبر من جزيرة سقطرى القريبة من ساحل اليمن الجنوبي، والمعادن من عشم وضنكان، والرصاص والفضة والحديد والأحجار الكريمة منها العقيق وكذلك العنبر، واشتهرت اليمن بتصديرها العطور» (النواب 2011: 204).

أصبحت تجارة الطيوب والعطور اللبان والمرّ من أهم عناصر الصادرات اليمنية، فقد كان «اللبان من أهم عناصر التجارة الشرقية واكثرها أثراً في مهمة الوساطة العربية التي كانت تقوم بها قوافل العرب الصحراوية عبر الصحراء، فاللبان أفضل أنواع البخور على الإطلاق وأغلاها ثمناً، وأفضل اللبان هو ما تنتجه منطقة ظفار في وسط الشاطئ الجنوبي للجزيرة العربية، وهو يفوق اللبان الهندي والصومالي جودة وثمناً، ولشدة الطلب على هذه المادة التي تستخدم في المراسم الدينية وتعفير البيوت والاحتكار جنوب الجزيرة العربية لإنتاج أفضل أنواعه، استطاعت القبائل العربية على مر العصور أن تتمرس في تجارة القوافل الصحراوية، وتجهيز نفسها بما يلزم لهذه التجارة من وسائل نقل وخبرة بشرية، فطريق القوافل هو أقصر الطرق مسافة لنقل اللبان من ظفار وجوارها إلى بلاد الشام ومصر» (محمد 2017: 262).

كانت البخوريات عموماً أهم أعمال التجارة قبل القرن الميلادي الأول بشكل خاص، فقد أصبح اليمن المصَدِّر الأول لها في العالم القديم، و«البخور من السلع الهامة في تجارة الطيوب وإلى جانب أنواع أخرى من الطيوب التي تاجر بها العرب في داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، وعُرف في لغة المسند واستخرجت منه أنواع متعددة من الأشجار، وجلب بعضها من مناطق خارج شبه الجزيرة العربية مثل الهند وإفريقيا، وكان يصدر إلى مصر وأسواق بلاد الشام والعراق منها: اللادن، والرند، والضرو، والمقل» (محمد 2017: 263).

ظهرت مهن وأعمال كثيرة أخرى في اليمن القديم منها أعمال دباغة الجلود وصناعة المواد الجلدية، وأعمال العناية بالقسط، والسليخة (الأكاسيا)، والقرفة والقرنفل والعود والصبر، والطيب، منها طيب الخلق وطيب الغالية، ودهن الكاذية، والمسك، والعنبر، والكافور وغيرها.

ومن المنتجات الزراعية التي كانت تحظى بعناية صناعية وتجارية: التمر، والعنب، والقمح، والدقيق، والشعير، والذرة، وزيت الزيتون، والخمور اليمنية التي تسمى الوين والبتع.



إلهة الخمر اليمنية/المتحف البريطاني (العبيدي 2005: 189).

ثانياً: الحاجيات والواردات اليمنية

كانت القوافل اليمنية تعود إلى اليمن من المشرق القديم وسواحل المتوسط وبلاد فارس بالكثير من الحاجيات، فهناك «القرنفل وهو من المواد المستوردة من الهند وما وراءها، وقد استعملوه طِبّياً وعالجوا به، وهناك الكندر وهو ضرب من العلك، وقيل هو اللبان، وقد عولج به، واللبان مشهور في العربية الجنوبية» (النواب 2011: 206).

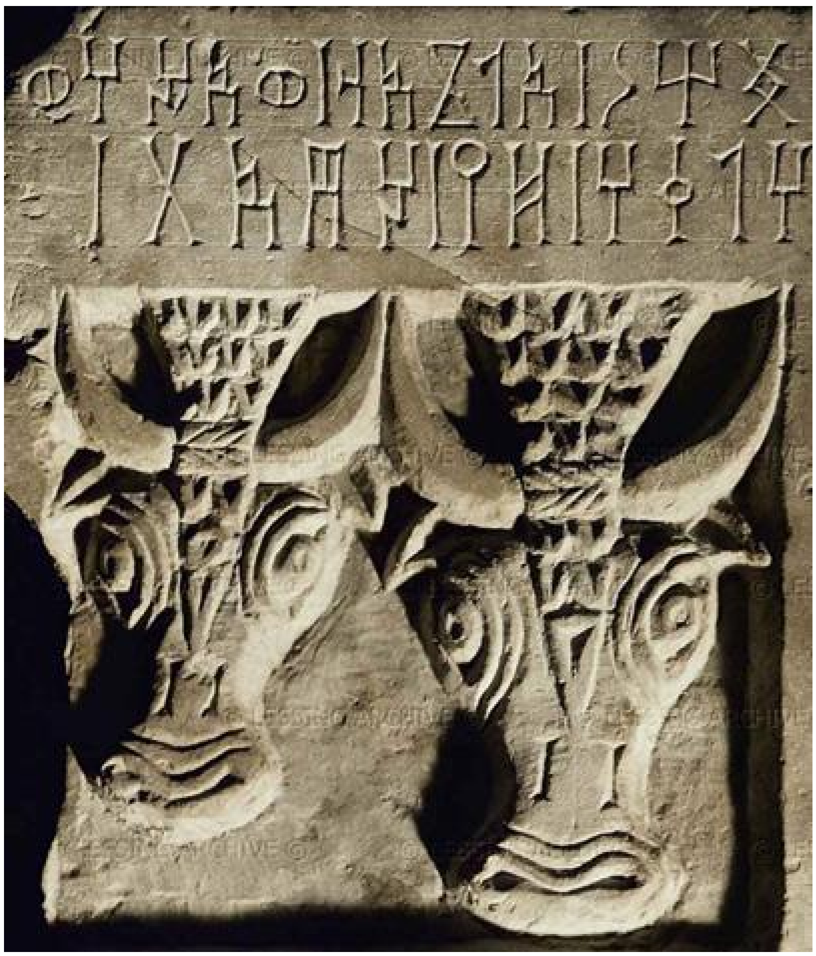
«فضلاً عن هذه المواد فقد حملت قوافل شبه الجزيرة العربية كل مادة حصلت عليها، وتنتج ربحاً منها كالعاج وخشب الصندل والتوابل والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانيات والأرجوان والميعة والزعفران والأواني المصنوعة من الفضة والنحاس والحديد، وحملت هذه القوافل حاصلات إفريقيا الشرقية مثل العطور وخشب الأبنوس وريش النعام والرقيق، وأيضاً حملت هذه القوافل السيوف والبرود اليمانية إذ امتلك اليمن القدرة على إنتاج النسيج وصناعة الثياب الكتانية والقطنية والحريرية ثم تصديرها إلى أرجاء الجزيرة العربية وإفريقيا» (محمد 2017: 265).



طرق التجارة عبر الجزيرة العربية

الفصل الثاني عشر المظهر الديني





رمزا الإلهين عثتر وإلمقه

اللوحة العليا: الهلال والقرص رمزا الإله عثتر

اللوحة السفلى: رأسا ثورين، رمز الإله إلمقه

القسم الأول: المكونات الرئيسية للدين اليمني

المبحث الأول: المعتقدات الدينية

أولاً: المعتقدات الألوهية

الآلهة:

تشكّلت الآلهة اليمنية على وفق نظام خاصٍ بها، فلم تسر على ما كانت عليه مجاميع (بانثيونات الآلهة) في الديانات المشرقية القريبة منها (الرافدينية والشامية والمصرية) بشكلٍ خاص، بل ظهرت بطريقة مختلفة، فهي تتكون من ثالوث كوكبي أعلى من الآلهة (القمر، الشمس، الزُهرة)، وهي آلهة سماوية، ومن آلهة محلية أخرى أرضية أو طبيعية تشمل جوانب الحياة الأخرى مادياً ومعنوياً.

أولاً: آلهة الثالوث الكوكبي:

لو تأملنا الآلهة الرئيسية القومية التي تترأس الآلهة في أديان الشرق الأدنى القديم، لوجدناها آلهة شمسية أو طقسية، فالشمسية مثل (شمش إله الأكديين، ورع وحورس إلها المصريين، وأهورا مزدا إله الفرس، وبعل حامون إله الموريين في شمال إفريقيا).

أما الآلهة الطقسية التي هي بمثابة الآلهة القومية، فهي (إنليل إله السومريين، ومردوخ إله البابليين، وآشور إله الآشوريين، وبعل إله الكنعانيين، وحدد إله الآراميين، وهبل إله العرب).

أما الإله القمر فقد أصبح الإله القومي في الشرق الأدنى مرتين، فكان إله السومريين في عصر سلالة أور (نانا، ننار)، واليمن حيث تعددت أسماؤه حسب الممالك التي عبدته.

1. إله القمر:

2. إلهة الشمس:

3. إله الزُهرة:

ثانياً: الآلهة المحلية

وهي آلهة متفرقة (ذكور وأناث) كان أغلبها من الطبيعة أو إنها تمثل أموراً معنوية، وعددها كبير، نذكر أمثلة منها هنا في ممالك اليمن:

الكائنات الإلهية (الملائكة والشياطين):

الملائكة:

الدكتور منير عربش والدكتور محمد مرقطن نشرا بحثاً مشتركاً ناقشا فيه أصل كلمة ملائكة في القرآن الكريم في ضوء نقوش سبئية ومعينية جديدة، وتَوَصّلا إلى أن الجذر لَأَكَ بمعنى «أرسل» والمصطلح ملأك بمعنى «رسول» في النقوش العربية الجنوبية القديمة في سياقها السامي، علاوة على ذلك يُدعم هذا البحث بنقش معيني، واللغة العربية نحتت من الجذر لأك الجذر ألك بالمعنى ذاته، وكان يعتقد معظم الباحثين بأن أصل كلمة ملائكة دخلت لغة القرآن الكريم من العبرية أو الآرامية (السريانية) أو الحبشية.

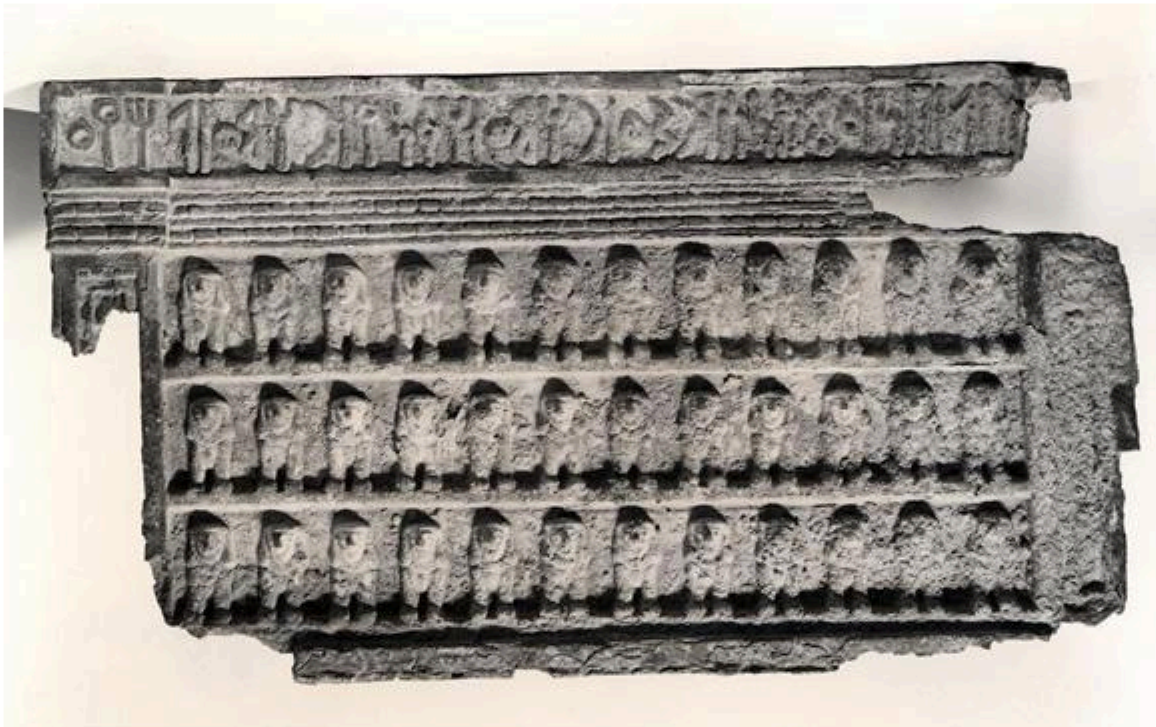
«الجذر L'K للإرسال والتسليم، ومصطلح ملك « messenger» في النقوش العربية الجنوبية القديمة في سياقها السامي، علاوة على ذلك، ينشر المؤلفون هنا نقشاً معيناً جديداً مجهول المصدر، على الأرجح من المواقع المعينية القديمة معين (قرنا) أو براقش (يثل)، يذكر هذا النص لأول مرة مصطلح مليكت الذي يقابل كلمة «رسالة» باللغة العربية، ويعطي هذا الدليل مزيداً من الأفكار حول الاستخدام التاريخي لجذر LʾK في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، ويقترح تقييم أصل المصطلح القرآني malāʾikah واستخدامه الديني، تناقش هذه الدراسة إمكانية تطوير هذه الكلمة في شبه الجزيرة العربية وأننا عدنا لا نكون في حاجة إلى اعتبار أنها تتوافق مع كلمة مستعارة عبرية أو حبشية في القرآن» (Arbach and Maraqten 2018: Abstract).



لوح حجري تظهر فيه منحوتة بجناح يمكن أن تكون ملاكاً

أبو الهول اليمني (رهمو):

يبدو لنا أن أبا الهول اليمني، ويسمى رهمو، كان له علاقة بالتأثيريات الإقليمية المصرية بشكل خاص، لأنه منقطع الجذور عن مجموعة شاملة تظهر كنوع من الرسل والوسطاء بين الآلهة والبشر، ولذلك نراها مقتصرة على الكائنات الهوائية المجنّحة، في حين أن الأمر يذهب ليشمل جميع العناصر الأربعة التي كانت منها كائنات خاصة بها ولها أسماء مميزة.



لوح برونزي/أبو الهول (رهمو) من اليمن معروض بالمتحف البريطاني

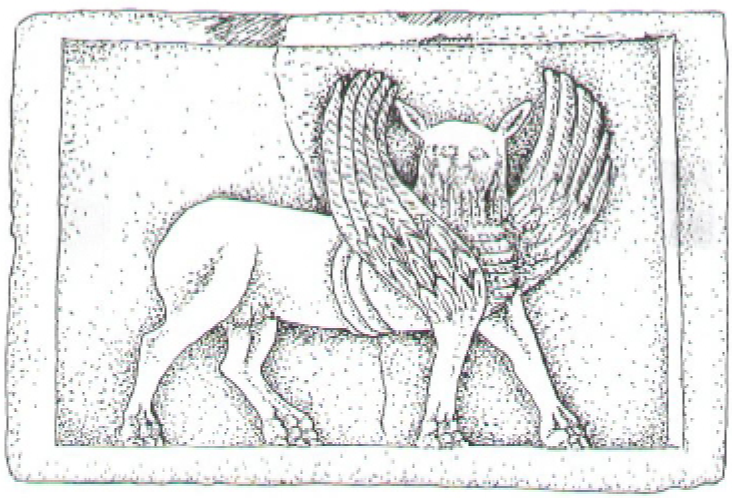
https://www.britishmuseum.org/collection/object/W_1970-
0604-1



الجزء الأعلى من لوحة من سبائك النحاس عليها نقش إهداء سبئي اللغة لإلمقه، في الأعلى زوج من تماثيل أبي الهول المتناقضة مع مقدمة واحدة مرفوعة على جانبيها شجرة الحياة منمنمة في الوسط، مؤطرة بزوج من نخيل التمر في الفاكهة الكاملة، حدود مزخرفة ونقوش نباتية، ربما يعود اللوح إلى ما بين القرنين الأول ق.م والقرن الميلادي الثاني.

وظهرت بعضُ تماثيل وزخارف أبي الهول المصري بمنحوتات يمنية توضح المثاقفة الحضارية بين مصر واليمن، وفي المتحف البريطاني هناك لوح مذبح البرونز حول الكورنيش، شكل رؤوس ثيران في المقدمة، وتحت الكورنيش ثلاثة صفوف من تماثيل أبي الهول، موضحة في المواجهة الأمامية (زخرفة أبي الهول)، يعود تاريخها إلى بين القرنين الأول ق.م والأول الميلادي، وهي من الحفريات السبئية في مأرب.

كذلك ظهرت رسومات الأسد المجنّح في اليمن القديم.



أسد مجنّح من اليمن/متحف إسطنبول (العبيدي 2005: 178).

الشياطين والأرواح الشريرة: لم نلمح ما يشير إلى وجود عالم أسفل عند اليمنيين، ولم تظهر الإشارات واضحة لاحتمال وجود الشياطين، لكن الأرواح الشريرة كان لها وجود من خلال تعاويذ وطقوس السحر التي تطرد هذه الأرواح وتبعدها، وكذلك هناك اعتقاد بالعين الحاسدة (ش ص ي).

الحياة الآخرة:

كان لعناية اليمنيين بالقبور وطقوس الموت، ووضعهم للأدوات المنزلية وأدوات الزينة والأسلحة وغيرها، ما يعتقد أنه يدلّ على إيمانهم بالحياة الآخرة، فضلاً عن اهتمام الكثير من اليمنيين بالتحنيط كنوع من التصور بمحاولة بعث أجسادهم بعد الموت، ولعلّ ما يعزز هذا أن القبور والمقابر اليمنية كانت ـ غالباً ـ قرب المعابد في محاولة لطلب شفاعة آلهة تلك المعابد في الحياة الثانية.

ثانياً: المعتقدات (الدنيوية) العملية

1. الحلال والحرام:

يعتمد الدين على تقسيمه لفعاليات المؤمنين به على أساسين مهمين هما الحلال والحرام، فالحلال هو ما يسمح به الدين ويطلبه كالعبادة والإيمان بالآلهة والعمل والصلاة وكل الفعاليات التي يراها لصالح الآلهة، والحرام (التابو) الأمور التي ينهى عنها ويحرّمها، فقد كان يحرّم السرقة والقتل والنجاسة، وكانت هناك مجموعة من المحظورات التي كان يمنعها في الحج لمعبد (ريام) للإله (تالب) وهي:

«1. يحظر الإله تألب على الحجاج في منطقته دفع الرسوم الضريبية.

2. يحظر رعي الماشية عمداً في يوم (ت رع ت).

3. يحظر صيد الوعول الحوامل والمرضعات.

4. يحظر سوق الناقة بطريقة تسبب لها الأذى في فترة الإحرام.

5. يحظر على سمعي عَمَلُ كمائنَ صيدٍ في فترة (الحج).

6. يحظر الجِماع (أثناء الحج)، وهناك عدة نقوش تزكّي هذا الحظر، إذ يعد الجماع في الحج خطيئة يستوجب عليها التكفير والاعتراف العلني بالذنب.

7. يحظر على سكان (ر هـ ب ت) التباهي بالآباء في يوم (ت ر ع ت).

8. يحظر النزاع في أثناء الحج» (الجرو 1998: 179).

2. الإثم والخطيئة والاعتراف:

كان ارتكاب الإثم والخطيئة من أكثر الأمور إدانة في الديانة اليمنية، وكانت الخطايا على أنواع، فالكفر بالآلهة والتجديف بها وعدم احترام قداسة المعبد والنجاسة والقتل وعدم أداء الفرائض الدينية والخروقات الأخلاقية التي تمَسّ الشعائر الطقوسية، كلها أمور تقع

في حقل الآثام والخطايا، ولكن الدين اليمني ابتكر ـ قبل المسيحية بزمنٍ طويلٍ ـ طقس الاعتراف العلني بالخطايا والآثام، وهناك اعتراف فردي أمام رجل الدين في المعبد، وقد ذكرنا في أكثر من مكانٍ في الكتاب نصوص الاعتراف المدَوَّنة بالمسند.

3. العقاب الإلهي:

ارتبطت العقوبة الإلهية بالخطيئة والذنب والإثم من الناحية الدينية بشكل خاص، وكان لكل ذنب عقابه وكفارته، دون تفريق بين الناس ومكانتهم، فلا يُستثنى الحكام والميسورون والأمراء من العقوبة عليهم، على الرغم من أنها يسرت سبل العفو والمغفرة في أداء الكفّارة والاعتراف. وقد كان لهذا الفعل ومساواة تطبيقه من قبل المعبد ورجال الدين أثره في تحقيق العدالة الإلهية، وكانت ضمن ما يمكن أن نسميه بالشرائع والقوانين الدينية.

ثالثاً: المؤسسة الدينية

1. المؤسسة الإلهية:

لم يكن البانثيون الإلهي نظامياً وشاملاً، بل اقتصر على الثالوث الكوكبي في أعلاه، والآلهة المحلية الأرضية والمعنوية في أسفله، وغابت بداياته الهَيُولية القديمة، وتسلسل آباء الثالوث الكوكبي وأجداده ومن أين نزحوا، فإذا أضفنا لذلك غياب النصوص الأسطورية الواضحة والمطولة فسنكون إزاء ميثولوجيا يمنية ضعيفة لم تتوفر فيها تلك العناصر التي توفرت في غيرها من الميثولوجيات الخاصة بما حولها في الشرق الأدنى القديم.

لكننا نشير بوضوح إلى إمكانية البحث عن جذور الآلهة في فن الرسوم والخربشات الصخرية الذي تزدهر به اليمن، وتتماهى مع الجذور الأسطورية في عصور ما قبل التاريخ والعصر البرونزي بسبب غياب الكتابة فيهما، و«لفهم مدلولات الرسوم الصخرية في اليمن، علينا في الوقت نفسه أن نلم بأسس الميثولوجيا التي ارتكزت عليها هذه الفنون كواحدة من الأساسيات التي شكلت الفكر القديم، وأسهمت في إثراء المعرفة لدى الفنان اليمني القديم، فجعلت رسومه انعكاساً لفكره الديني والميثولوجي مهما كان حجمه، وعلى الرغم من الاختلافات في مسألة أشكال القصص الميثولوجية وأنواعها، وفي ظل عدم وجود أساطير مدونة، إلا أنه يوجد تقارب كبير في جوانب أخرى مثل أسماء الإلهات والمعبودات الرئيسة، فضلاً عن وجود سرد لبعض القصص والحكايات الشعبية المتأخرة (لقمان 1989؛ مرتاض 1989؛ سليمان 2000)، وعلى الرغم من عدم توثيق بعضها، فإن هذا يعزز أثر التواصل والعلاقات بين الشعوب القديمة». (العيدروس 2017: 3).

مع بداية العصر الحديدي وظهور الممالك اليمنية ترسخ ظهور الثالوث الكوكبي بشكل خاص، وأصبح القمر هو إله اليمن، بسبب تربع إله القمر وسيادة الثالوث على كلّ تلك

الممالك والآلهة كلّها، وفي التوحيد السبئي لليمن أصبح الإله (إلمقه) يرمز للقمر على رغم مرجعيته التي تشير إلى كونه إلهاً للأوبئة أو للخصب أو للمياه أو للمكانة العالية كآمِرٍ وناهٍ ومتحكم.

«وبظهور الملوك والدولة، تطور مفهوم الملكية، فالأرض، عادةً، لا تكون كما كانت ملكاً عاماً للقبيلة أو العشيرة، وإنما أصبحت ملكاً لله، وتحت إشراف الملك والمعبد، أي تحت إشراف الدولة، وأصبحت القبائل وأفرادها تملك حق الحيازة فقط، كما أصبحت «آلهة» القبائل الكبيرة بعد ظهور الملك والدولة ذات شأن كبير» (عمر 1970: 18).

خضعت الشعوب للآلهة وخضع الملك، «حيث استمر يعبر عن فكرة الدولة بثلاثة رموز: الإله الوطني، والملك، والشعب، وهذه العلاقة الثلاثية تعبر عن التحالف الوثيق بين أركان الدولة الثلاثة، فالآلهة رأس الدولة، وهي السلطة الأولى، تليها سلطة الملوك، ثم سلطة الشعب، يتضح ذلك في عدد من النقوش، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر النقش المعيني الآتي: (وبكل آلهة مَعِين ويثل وب أبيدع يثع ملك معين وبشعوبهم معين ويثل (6 - 5/(RES2774» (باخشوين 2014: 122).

وحين ضعفت المملكة السبئية كانت آلهة الممالك تنشط وتقوى حتى نُسي الإله إلمقه كونه في أرض سبأ وهي بعيدة عنه، ومع ظهور الدولة الحميرية ساد إلهها القمري (ذو سماوي) وزوجته (شمس) مشهد جميع الآلهة في اليمن، ومع دخول اليهودية والمسيحية اليمن ظهر التوحيد المحلي لليمن بصورة أقوى وأصبح الإلهان (ذو سماوي) و/أو (رحمن) دون قرائن عائلية معهما، فهما رمز التوحيد اليمني الأصيل، وكان اليمن القديم يطوي أنفاسه الأخيرة وهو يستقبل جحافل التوحيد المدججة والطَّمُوحة لبناء إمبراطوريات كبرى من خارجه.

2. المؤسسة الكهنوتية:

المؤسسة الكهنوتية هي المسؤولة عن تأسيس الأديان، ورجال الدين يعملون على وضع سلطة قوية للأديان من خلال استغلالها لمكانة المقدّس في نفوس البشر، وهكذا «برز سلطان الدين كعملية تبرير ضرورية لكل التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في المجتمع، وكان لا بد من نمو مؤسسات الدولة المختلفة التي تمثلت بالإدارة الحكومية المرتبطة بشخص الملك، وبالمعابد وكهنتها ودورها المؤثر، وبالقبائل ومجالسها، وبالمجالس الشعبية التي كانت تضم ممثلين عن كل طبقات المجتمع بما فيهم فئة المزارعين، ولو أن النفوذ الحقيقي كان بيد الطبقة العليا، وكانت سلطة الملوك في العهود الأولى ذات صبغة دينية بوصفهم كبراء الكهنة، وكل أعمالهم إنما كانت تستهدف إرضاء الآلهة كما كان الشأن عند مختلف طبقات المجتمع وفئاته، لذلك فقد «دخل دين العرب الجنوبيين كل صورة من صور حياتهم، ولما كانوا يرون أنه لا بد من حماية الآلهة لتوفيق كل حي ونجاح كل عمل، فقد كان للقبائل والأسر، بل للدول والجماعات الزراعية، والتجارية أيضاً، آلهة تحميها،

وكانت تقام عند أداء أي عمل له أهمية ما، احتفالات لاسترضاء الآلهة وتكريس ذلك العمل لها، وكانت المعابد والقنوات والقوانين ومراسيم الدولة وأنصاب القبور توضع كلها في رعاية الآلهة، وكان على الآلهة أن تنتقم من كل من ينتهك تلك الأشياء أو يدنسها» (عمر 1970: 18 ـ 19).

ويرى بعض الباحثين أن هيمنة رجال الدين على الحياة في اليمن القديم كانت مؤقتة، فهم «شكلوا طبقة ثرية بسبب سيطرة المعابد على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، مما وهب لها من غنائم الحروب أو مما يهبه السكان من أراضٍ وممتلكات للمعبد، إلاّ أن سيطرتهم على شؤون الحكم انتهت مع تحول ممالك اليمن القديم إلى مرحلة الملكية» (عطبوش، عبد الله 2008: 386).

لكننا لا نتفق مع هذا الرأي، فقد استمر نفوذهم وقوتهم في كل مراحل حضارة اليمن القديم، وكانت وظائفهم تجري بالتنسيق مع المؤسسة السياسية والقبلية، وهم يعملون على تسيير أمور المعابد، والمحافظة على ديمومة اقتصادها وضرائبها وممتلكاتها ومقتنياتها، وهم يمتهنون الوساطة بين الناس والآلهة، فهم يمثلون الآلهة على الأرض ويسهرون على ديمومة الطقوس والشعائر، واستلهام الوحي، وانتظاره.

هرم هيكل الكهانة اليمني

1. المرتبة العليا: مكرب (الكاهن الأعلى ورئيس الشعب):

المكرب هو المقرّب بين القبائل والأحلاف لتكوين ما يُعرف بالـ(شعب) الذي سيكون عماد تكوين الدولة والأمة، وهو صانع العهد والوثيقة بين القبائل، وهو من الناحية الدينية المقرّب بين الناس والآلهة، وقد جمع المكرب بين الوظيفتين الدينية والسياسية، وإذا كان الكاهن الحاكم درجة كهنوتية سبقت المكرب فإن المكرب أصبح الكاهن الأعلى ورئيس الشعب في دول مثل السبئية والحضرمية والقتبانية إلخ، وبقيت وظيفته حتى بعد تحوّل الدول إلى ممالك، ففي مملكة سبأ بقي حتى القرن الثالث الميلادي وبعده بقليل.

ناقشنا بما فيه الكفاية وظيفة المكرب السياسية، وهنا سنركز على وظيفته الدينية، فقد كان رئيساً لرجال الدين ويكرّس التقدمات للمعبد ويترأس مواسم الأعياد الدينية، والمسؤول عن تقديم الطعام المقدس للآلهة، فضلاً عن وساطته وتقريبه الناس نحو الآلهة.

2. المرتبة الكبيرة (كبر: كاهن القبيلة ورئيسها):

كبر (ك ب ر) أي الكبير هو مصطلح يشير إلى وظائف دينية، والوظيفة الدينية هي في كونه يمثل (رئيس كهنة القبيلة)، والوظيفة المدنية تمثل (رئيس القبيلة أو شيخها)، وتسمى عند القتبانيين (قطر).

وقد ناقشنا مفصلاً الوظائف المدنية للكبير، أما الوظائف الدينية فقد كانت من الأهمية بمكانٍ بحيث إن صاحبها الكبير يُختار بدقة وفق نظام يطلق عليه (قائمة الأشخاص) أو (قائمة الكهّان)، حيث يُختَار كاهن عثتر في سبأ من بين ثلاث قبائل كبيرة، ويستمر في منصبه لسبع سنوات فقط.

وفضلاً عما كان يقوم به الكبير من وظيفة مدنية، «فقد كان يتمتع أيضاً بمنصب رفيع في المعبد، ولا سيما في مملكة سبأ، إذ كانت وظيفة الكبير دينية أصلاً كما هو واضح من إشرافه الواضح في المعبد على بعض الهيئات التي تضم الكهنة وتنظيم أعمالهم، وتبرز مكانة الكبير الدينية بوصفه الكاهن الأعلى في المعبد، وذلك من خلال شَغْله رِياسة مجلس الكهنة في المعابد الكبيرة، إذ عثر في معبد الإله إلمقه بران بالقرب من مدينة مأرب على نقش يؤكد على رياسته للكهان، والإشراف على جمع الضرائب الخاصة بالآلهة التي تسمى «العشر»، فضلاً عن قيامه بتقديم القرابين للإله «عثتر»، ورياسته لطقوس وشعائر الاستسقاء، وتوضيح تعاليم السحر المرتبطة بالمطر والرِّيّ، وكان الكبير في مملكة حضرموت يشرف على تأدية الطقوس الدينية داخل المعبد، ولا سيما في البناء الرئيس المركزي من المعبد، فقد نصبت مائدة قرابين ذات ميزاب طويل لتقديم قرابين الأضاحيّ وإسالة الدم، ونصب عمود كبير على شكل مبخرة لإحراق البخور، إلى جانب وجود عدد من الأواني الفخارية المتعلقة بالطقوس الدينية وخاصة الاحتفالات، ومن المحتمل أن الكبير كان يصعد على المذبح ليقوم بطقوس الأدعية المباشرة للإله في تقديم القرابين» (حسن 2015: 465).

3. المرتبة المتخصصة (قين، أفكل): وهي المرتبة التي تضم كهنة متخصصين بأمر محدد لا يجيده غيرهم، وهناك نوعان من الكهنة هما:

أ. القين (ق ي ن): ومعناه الحرفي المسؤول الإداري، ولكنه يعني بدقة المشرف على المعبد من الناحية الاقتصادية، ويكون عادةً مرتبطاً بالملك، ووظيفته قد تشمل معبد أكثر من إله، فهو أمْيَلُ إلى الجوانب المدنية من الجوانب الدينية.

ب. الأفكل (أ ف ك ل): وهو في مدينة نشن (السوداء) في اليمن القديم، ويعتقد أن الكلمة لها علاقة بـ(أبكالو)، وهم كهنة المعرفة للإله أيا أو إنكي في الديانة السومرية، وهم العرافون الذين نقلوا المعرفة من إنكي للبشر، فهم كهنة وسطاء بين الآلهة والناس، ولم تكن هذه الكهانة منتشرة في اليمن، وظهرت في معين، وكانت هذه المرتبة هي المرتبة الأعلى للكهنة في مدينة الحضر في وادي الرافدين قرب المَوْصل.

4. المرتبة الإدارية (أرباي): وهو مدير المعبد، ويكون عادة مسؤولاً عن ضرائب المعبد.



هرم رجال الدين في اليمن القديم

5. المرتبة العادية (رشو، رشوت، شوع): وهي مرتبة عموم الكهنة في اليمن القديم، والكاهنة كانت تسمى (رشوت) أو (رشوة)، كان الكاهن أو رجل الدين بصورة عامة يطلق عليه عند السبئيين والحضرميين اسم (رشو، ومعناها المعطي أو الواهب)، أما القتبانيون فيسمونه (شوع ومعناها خادم أو تابع أو نصير)، والرشو كان مسؤولاً عن التقويم السبئي والحج وشعائر الاستسقاء.

«يعد منصب (**رش و**) منصباً له طبيعة خاصة، وقد تقلدته النساء فهو ليس حكراً على الرجال فقط، فالذي يتولى هذا المنصب يقوم بالوساطة بين الآلهة وأفراد الشعب، لذلك لا بد من أن يكون على دراية ومعرفة بالطقوس الدينية داخل المعبد، وقد عُثِرَ على نقش في مدينة (تمنع) عاصمة دولة قتبان يتحدث عن امرأة ذكرت باسم (**ب ر أ ت**) لها وظيفة دينية وهي (**ر ش وت**) الإله (**ع م**) المعبود الرسمي لدولة قتبان في معبده الخاص

المعروف بـ(ذ د ب ور)، وهي في الوقت نفسه كاهنة إلهة الشمس (**ذات بعدن**) في «سبأ»، وجاء في النقش تحذير للعامة بسبب الخطأ الذي وقعوا فيه بأنهم تقدموا بالقرابين للإله (ذات بعدن) في معبدها من دون الاستعانة بالكاهنة المنوط بها هذا العمل المقدس داخل المعبد، بل وقعت عليهم عقوبة مادية على هذا الخطأ، وهي غرامة مالية تبلغ قيمتها عشرين قطعة عملة نقدية، حتى لا يتكرر هذا العمل مرة أخرى (مهران، أمل 2011: 60). (3)

قائمة أسماء الكُهان Eponyms List: هي قائمة أسماء من كهنة الرشو السبئية، التي اقترح البروفيسور جامي Jamme أنها وثيقة تتكون من قائمة أسماء الكهنة السبئيين ودورة سبع سنوات من التسميات الخاصة بالكهنة، ثم أثبت ارتباط الوثيقة بنظام eponymate من خلال حقيقة أن جزءاً من النقوش هي النصوص الخاصة بكهنة (رشو، يوم ywm/ršw).

وبعضها يعرف بـ(نقوش جبل البلق الجنوبي) منها نقش قديم لعثتر، ومنها النقش GL.1762/4:

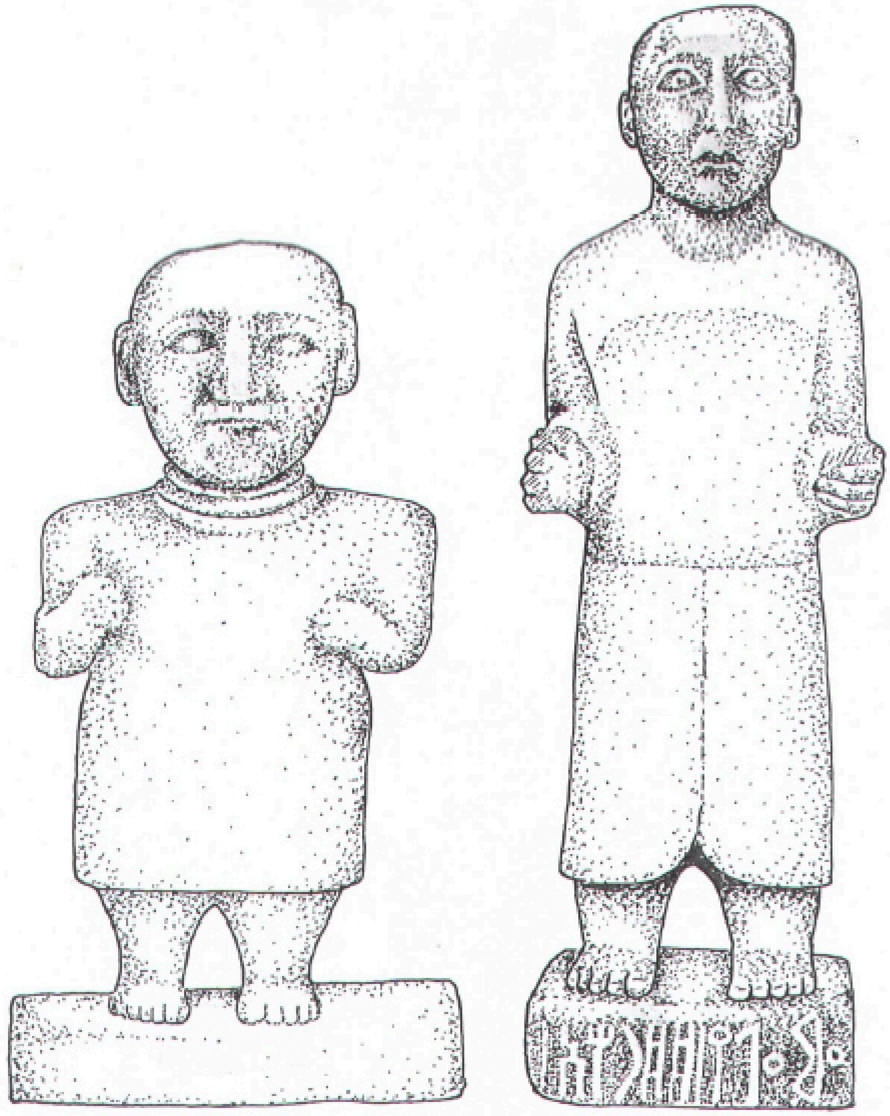
6. المرتبة الخدمية: سدنة، حجاب، خدم المعبد

أ. سموسن: سادن المعبد، وهي تقابل (شماس) في الديانة المسيحية، وربما اشتقت كلمة شماس منها.

ب. شأم عنوق: أصل كلمة وظيفة سموسن.

ج. منصفت (منصف): ومعْنَاها الخادم، وهو الذي يخدم في المعبد طيلة حياته، وأغلب هؤلاء من الأسرى الذين يوظَّفون كالعبيد في هذه الوظيفة.

«وكذلك وجود الحِرَف التكميلية الأخرى المتعلقة بالتعبد وأداء الطقوس الدينية، ومنها الحلاقون المكلفون بحلق الشعر والنتف التعبدي التام الذي كان لازماً لأداء الطقوس الدينية، كما هو الحال عند الفينيقيين، كذلك عمال جلب المياه إلى المعبد والمنظفون، والطباخون الذين كانوا قائمين على توفير الطعام للعاملين في المعبد والولائم الدينية، كذلك لا تخلو من وجود الخطاطين والنقاشين الذين يكتبون النقوش النذرية في المعابد» (حسن 2015: 469).



متعبدان من اليمن القديم (العبيدي 2005: 171).

3. المعابد والمباني الدينية

أسماء المعابد وأقسامها

أسماء المعبد:

1. بيت: وهو اسم درجت عليه بعض الأديان السامية التي تعد الديانة اليمنية واحدة منها، والأرجح أن هذه التسمية جاءت من كون المعبد هو مكان إقامة الكهنة في المعبد، أو أنه يطلق على غرف أو غرفة مهيبة واسعة كمكان لإقامة كهنة المعبد، ومعنى البيت هنا يعطي الإيحاء بالقدسية.

2. حرم، محرم: تعني المكان المقدّس، ذُكر في النقوش السبئية (Ja 723/4) و(RES 4233/5).

أقسام المعبد:

على عكس المألوف في مدن الحضارات القديمة، كانت أغلب المعابد في اليمن تبنى خارج المدينة، وأحياناً خارج أسوارها، وربما كان هذا الأمر لجعل زيارتها تبدو كأنها الحج الديني لها، وكان ذلك يسهل زيارتها بالنسبة للغرباء عن المدينة.

يمتاز الشكل العام للمعابد اليمنية بكونها مستطيلة أو مربعة أو بيضوية، ويحدد ذلك من خلال سورها، وفيها رواق المدخل، والسلالم، وباحة أعمدةٍ، وعتبات معمّدة، وغرفة محرابٍ تسمى الحرم، وهي المكان الأقدس في المعبد حيث يُعبَد فيه الإله، وهناك مذبح للتقدمات، وهناك حوض وقناة ماء لأداء طقوس النظافة والتطهير، ويمكن أن تظهر النقوش المسندية على بعض جدران المعابد والأعمدة.

ترد الكثير من الأسماء الخاصة بالمعبد اليمني القديم ومنها:

1. صرح: بهو المعبد وهو المخصص لاجتماع الناس ولتأدية الشعائر الدينية بصورة جماعية ومهيبة، وهو ذو أبهة وجمال، متميز بسعته وأناقته، وعلو موضعه وارتفاعه عن غيره من أجزاء المعبد.

2. مختن: وهو مكان ذبح الذبائح في المعبد أو مكان الختان.

3. مسأل: وهو مكان تلقي الوحي من الآلهة بالنسبة إلى الكهنة أو المؤمنين الذين يسألون الإله في أمرٍ ما.

4. محراب: وهو المكان الأقدس في المعبد حيث يكون تمثال الإله أو ما يشير له، أو مكان الصلاة المباشرة للإله، ويسمى قدس الأقداس.

5. المذبح: المكان المخصص لذبح الأضاحي.

6. المطهر: بركة الماء النقي في وسط المعبد من أجل التطهير والاغتسال.

واردات المعبد:

1.الواردات الثابتة والدائمة: وهي واردات أراضي المعبد التي كان يشتغل فيها فلاحون لقاء مورد بسيط لهم، فيما تذهب قيمة واردات زراعة الأرض إلى المعبد.

«أراضٍ زراعية ـ من تلك الأراضي الشاسعة المزروعة ـ بما تحويه من نخيل وأعناب، ومزروعات مختلفة، والملاحظ أن نقوش المكربين تميزت بتقديم الأبنية الدينية كالمعابد، والعسكرية كالمحافد، والمدنية كالمنازل، والزراعية كمنشآت الري المختلفة كالآبار، وأحواض المياه، وقنوات الري، إلى جانب تلك التقدمات تمتلك المعابد القطعان الوافرة من الأنعام والمواشي الحيوانية المختلفة مثل الأحصنة والثيران (CIH 306) وغيرهما، وكان ثمة هبات من نوع آخر يختلف عن هذه الثلاثة، هي عبارة عن حصص عينية مقررة من ريع الأراضي الزراعية ومحصولاتها المختلفة، إذ كان هذا النوع على شاكلة تلك الحصص المعلومة الواجب دفعها إلى الحكومة، مما كان مفروضاً على أصحاب الأراضي الزراعية الوافرة العطاء والنماء. (الجرو 2003: 161 ـ 162).

وهناك الممتلكات العقارية للمعبد التي وُهبت له من قبل الملك والدولة، وكذلك الضرائب الدينية وواردات الأوقاف التي بحوزة المعابد، وأهمها «ضريبة العشر»، وهناك مقادير من الضرائب المقررة للدولة، ونسب منها مما كان مفروضاً على العقارات من الأراضي الواسعة، سواء أكانت تلك الأراضي زراعية مسقية أم لا، وكان المقدار الواحد من تلك الضرائب يسمى عندهم عشراً، وقد ورد هذا الاسم بعينه في عدد من النقوش، ومنها النقش (إرياني 26) الذي ينص ـ فيما نص عليه ـ قائلاً: «أسعد أوام، وأخوه أحمد أزداد يقدمان زكاة العشر من أموالهما ـ (أي أموال الأراضي) ـ المسقية والبعل لإله سبأ، ويبدو واضحاً من هذا النقش أنّ مقدار (العشر) من الضرائب كان مخصصاً كزكاة ضمن الواجبات الدينية، وكان يعد زكاةً فعلاً لارتباطه أساساً بأداء الشعائر المقدسة عندهم، بحيث كان يؤول إلى المعابد ليقدم إلى الآلهة فيها، يحصد الإله العشر المقدس من المحاصيل الزراعية ومن الثروة الحيوانية ومن الضرائب المخصصة، تلك العوائد تغطي مصاريف الصيانة وترميم المنشآت الدينية، وينفق فيها على المصالح التابعة للمعبد وعلى الكهنة، كما تُصرَف تلك الموارد بقوانين خاصة يصدرها المعبد» (الجرو 2003: 162).

2. الواردات غير الثابتة: وهي النذور والعطايا والهبات التي كانت تقدم للمعبد من قبل الناس والوجهاء والإتاوات.

تخطيط المعابد اليمنية:

سيطر شكل المعبد المستطيل على عموم المعابد اليمنية القديمة، وظهر على نمطين أساسيين في تخطيطه الأرضي وهما:

1. المعابد المستطيلة المعززة بالأروقة: وهي الأغلب والأعم، ظهرت مبكراً، وبدأت في سبأ واستمرت لزمن طويل يقترب من نهاية التاريخ القديم، ظهرت في كل المدن والممالك اليمنية القديمة، تصميمها يتكون من فناء مستطيل له أروقة متعددة يبتدئ من بوابة كبيرة وينتهي بغرفة أو فناء مقدس جداً (قدس الأقداس) الخاص بإله ذلك المعبد، وتختلف محتوياته من رموز وتماثيل من معبد لآخر، ومن أهم نماذجه معبد أوام ومعبد عثتر في المملكة المعينية.

2. المعابد المستطيلة المعززة بالأعمدة: وهي مخططة على أساس تقسيم المساحة المستطيلة من الداخل بصفوف من الأعمدة التي تختلف من معبد لآخر، ويكون أغلب المعبد مسقّفاً، ومن نماذجه معبد الإله عثتر داخل مدينة قرناو عاصمة مملكة معين، وعدد كبير من معابد حضرموت مثل معبد منطقة الهجرة.

معابد ممالك اليمن القديمة

أولاً: أهم معابد مملكة سبأ:

1. أوام (محرم بلقيس): وهو معبد إلمقه في مأرب.

2. برآن (عرش بلقيس، العمايد): وهو معبد إلمقه في مأرب.

3. معريم (المساج): وهو معبد إلمقه في منطقة المساجد.

4. وعول صرواح: معبد إلمقه في صرواح.

5. ذي مسمعم: معبد الإله ود في وادي قطوطة/مأرب.

6. ذات حميم: معبد إلهة الشمس في حفة همدان.

7. ترعة: معبد الإله تالب ريام في همدان.

8. شحرار: معبد إلهة الشمس في المعسال ــ رداع.

9. ذات حميم: معبد إلهة الشمس في الهامد باجل ــ الحديدة.

ثانياً: أهم معابد مملكة حضرموت:

1. ذي ميفعن: معبد الإله سين في قرية ريبون.

2. ذي أليم: معبد الإله سين في مدينة شبوة.

3. ذات حميم ذات رحبان: معبد إلهة الشمس في وادي حضرموت.

4. ذات كفس: معبد إلهة الشمس في وادي حضرموت.

ثالثاً: أهم معابد مملكة معين:

1. ذي رصفم: معبد الإله عثتر خارج مدينة قرناو.

2. ذي قبضم: معبد الإله عثتر داخل مدينة قرناو.

3. ذي رصفم (معبد بنات عاد): معبد الإله عثتر خارج مدينة نشن.

4. ذي رصفم: معبد الإله عثتر بالقرب من براقش.

رابعاً: معتقدات الأبدية

لم تتضح صورة المعتقدات الأبدية في الديانة اليمنية من خلال النقوش، بل نجدها متناثرة بشكل غير حاسمٍ هنا وهناك، إذ يصعب تأكيد وجود عالم آخروي واضح المعالم، أما العلاقة بين المعبد والمقبرة فنجدها واضحة من خلال ارتباط المقابر بالمعابد «حيث تؤكد الشواهد النقشية أن المعابد والمقابر بنيت في فترة واحدة كمعبد (أوام) للإله (إلمقه) في مأرب، والمقبرة، ولعل الاحتمال الأول لمثل تلك العلاقة هو تسهيل ممارسة الشعائر الطقوسية للموتى، ثم إن تلك المقابر في الغالب ملكية، أي تضم شخصيات من السلالة المالكة، وهذا يبرر العناية الفائقة بها والحرص على تشييدها بالقرب من المعبد، فالآلهة قوة خارقة والملوك قوة مسيطرة ومهيمنة وبيدها السلطة الإلهية على الأرض، ولا بد من أن يكون للملوك نسب وأن تكون لهم قرابة بالآلهة، وهذا ما يبرر انتساب الملك والشعب إلى إله، مثل: شعب (قتبان) يسمى أولاد (عم) الإله القومي لهم، وملكهم يسمى (كبير أولاد عم)، كذلك الشعب السبئي يسمون أنفسهم بأولاد (إلمقه)، وملوك أوسان يعدّون أولاد (ود) معبودهم الوطني» (الجرو 2003: 178).

المبحث الثاني: مِثولوجيا اليمن القديم

أولاً: آلهة الممالك

كان الثالوث الكوكبي على رأس الهرم الميثولوجي في جميع الممالك اليمنية، ويمكننا أن نقف على صورة له في الممالك الرئيسية لليمن:

الآلهة المحلية لكلّ مملكة يمنية كثيرة، ويصعب حصر عددها وأسمائها، لكننا نجد بالإضافة إلى ما ذكرناه أعلاه آلهة أخرى مثل الإله (منضح، مناضح)، والإلهة نوشم، والإله قينن، وحلف (حلفان)، ورمن، ونسر، وسمع (سميع)، والوزعان إلخ.

الشكل الموحد لمجلس الآلهة في كلّ مملكة



وعلى الرغم من الأهمية الكبرى للإله (إلمقه) بوصفه الإله القومي لليمن كلّها، فإن هناك اهتماماً أكبر بالإله (عثتر) الذي هو إله الزُهرة، وهو سلالياً ابن الإله إلمقه، وهذا متأتٍ من المنافسة بين الإله الابن والإله الأب بوصفه الأكثر حيوية وفاعلية ونشاطاً من الإله الأب إلمقه.

«لا يحتمل ألمقه في عصر المكربين أياً من الألقاب، بغض النظر عن صاحب النقش الذي يرد ذكره فيه (باستثناء نقش واحد فقط هو 1128+1129 gl)، ومن اللافت أنه على الرغم من مكانته الأولى كإله للدولة، فإن اسمه لا يُذكر في التضرعات في المرتبة الأولى، وإنما في المرتبة الثانية أو حتى في المرتبة الثالثة، أما من يحتل المكان الأول دائماً فهو عثتر دون أن يؤثر في ذلك، أي من الآلهة التي تذكر أو من الذي كتب النقش، وليس من تفسير للأسباب التي جعلت له هذه الأولوية غير التوقعات فحسب. المكرّب يدع إيل ذريح (670 ق.م) يسمي عثتر ذات مرة «حامياً»، كما في نقش (CIH 366)، فهل يا ترى ثمة علاقة خاصة بين الأسرة الحاكمة وعثتر، حتى يتوصل هذا الإله إلى مرتبته العليا هذه، أم أن لهذه المرتبة العليا سبباً آخر جعل الأسرة الحاكمة تختاره حامياً لها؟ ولعل سبب هذه المكانة العالية يعود إلى علاقته بالسقاية وبالخصوبة، إذ تُعد هاتان عصب الحياة في الدولة الزراعية، وهذا وضع ممالك العربية الجنوبية القديمة» (الشيبة 2008: 116 ـ 117).

ثانياً: آلهة التوحيد

1. إيل: الاسم العام للإله، ومصدر هذا الإله هو (إيل) الكنعانيّ، على الرغم من أن جذره الأبعد هو الإله الأب الشامل إله السماء عند السومريين وهو (آن) الذي أصبح (آنو) عند الساميين عموماً، وكان يشار إليه بالعلامة المسمارية (دنجر) بأشعته الثمانية، التي قُرِئت منذ الأكديين بلفظ (إيل، إيلو).

2. ذو سماوي: إله همدان.

3. رحمن: أصله من رامان إله الرعد والبرق المشرقي القديم.

سنتحدث عن هذا الثالوث التوحيدي في الفِقرات والمباحث القادمة.

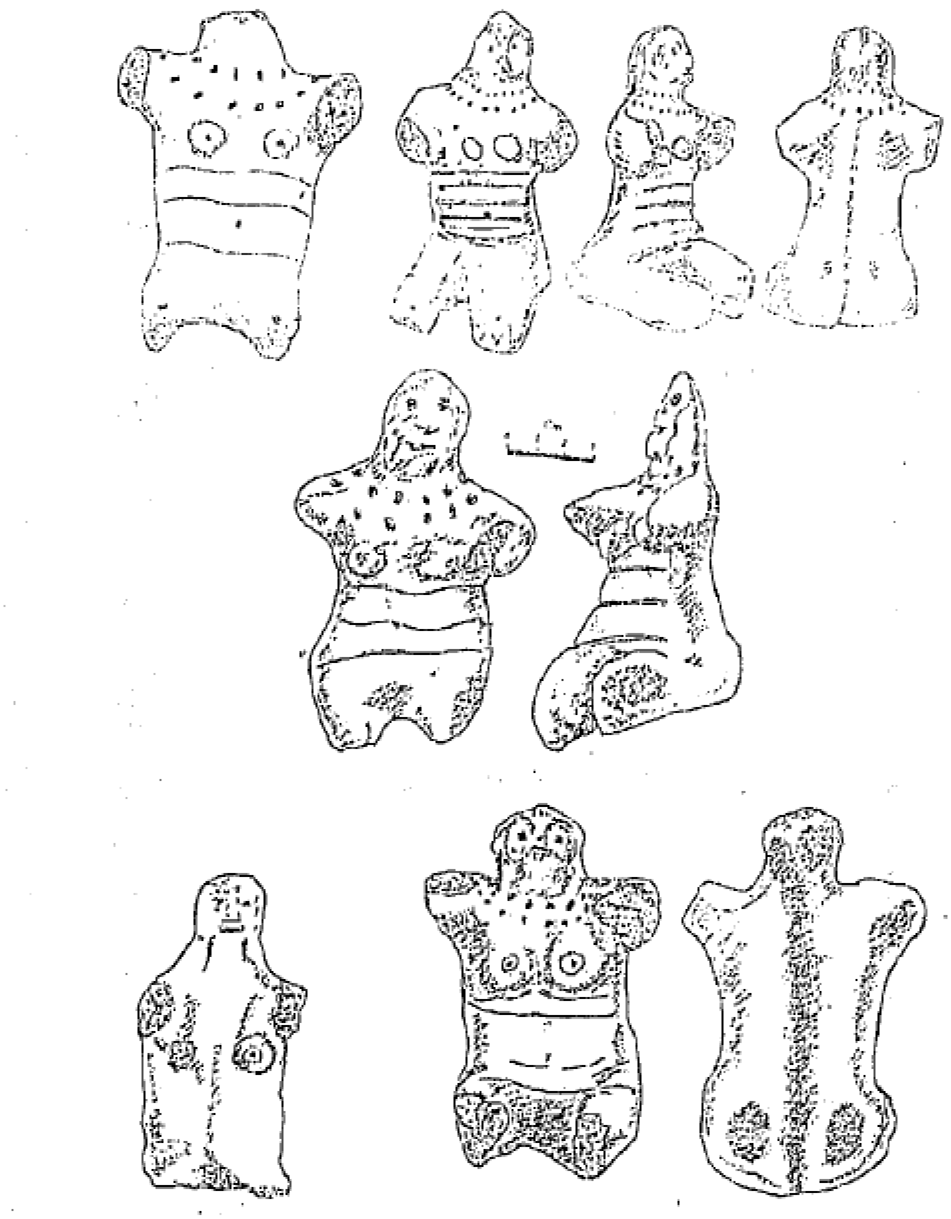
جدول توزيع الآلهة في الممالك اليمنية القديمة وتوابعها

ثالثاً: شجرة الآلهة اليمنية

كان من المفروض أن تتكون شجرة الآلهة اليمنية من سبعة أجيال كبيرة من الآلهة، لكنها للأسف اقتصرت على ثلاثة أجيال فقط، وسنذكر هنا ما افتقرت إليه، ثم سنذكر ما ترتب على هذا الأمر، وهي:

أولاً: الآلهة العتيقة (الهيولى): لم تظهر الإلهة اليمنية الأم الأولى، ولم يظهر معها ثالوثها الذي يتكون منها ومن الأب والابن، وربما يذكّر ساحل تهامة بالإلهة البابلية الأم تيامت، لكن تهامة لم ترد كإلهة.

وعلى رغم ظهور تماثيل الإلهة الأم، من الطين المشوي، في مملكة معين، فإنه يصعب الربط بين هذه التماثيل وتيامت أو تهامة.



تماثيل الإلهة الأم، من الطين المشوي، مملكة معين

(Yassen, G.T 1996) (العريقي 2002: 382)

ثانياً: آلهة الكون الأول: لم تظهر أزواج الآلهة البَدْئية الأولى.

ثالثاً: آلهة العناصر الأربعة (عددها 4): لم تظهر آلهة العناصر الأربعة الأولى، وهي الأرض (التراب)، السماء (النار)، الهواء، النار، وإن وجدت فهي لا تشكّل نسقاً ثيولوجياً.

رابعاً: آلهة السماء والكواكب والطقس: وهي آلهة الكواكب المتبقية (عطارد، المشتري، المريخ، زحل) التي لم تذكرها النقوش اليمنية، أما آلهة الطقس فكان يشير إليها الإله (رحمن) الذي أصله من (رامان) المعروف في مجمل الديانات السامية القديمة، وقد أوكلت أحوال الطقس والبرق والرعد والرياح إلى الآلهة الكوكبية الثلاث بشكل خاص، وذُكر الإله بعل بوصفه إله الأمطار والخصب.

سنذكر ما حُذف أو أهمل في شجرة الآلهة اليمنية، وسنقتصر في تنظيم الآلهة اليمنية على ما توفر منها، ابتداءً من الثالوث الكوكبي الأعلى.

الشكل العام لشجرة الآلهة اليمنية

المبحث الثالث: الآلهة والرموز والمعابد

القسم الأول/الطبقة الأولى (الثالوث الكوكبي)

1. الإله الأب: القمر

أولاً: عبادة الإله القمر

ورد اسمه في النصوص المسندية باسم (ورخ) وهو اسم سامي أكدي له، و(شهر) وهو اسم سومري/أكدي قديم (سار، شهر)، وأصبح إله التقويم اليمني وله علاقة بالفصول والمواسم الزراعية، وأصبح مصدر الأمان والخصوبة والراحة، ولذلك أصبح القمر هو الإله القومي لليمن، في حين كان الشمس هو الإله القومي للعرب المجاورين لهم، ولا شك أن المكان والمناخ له علاقة بذلك.

آلهة القمر: تعددت آلهة القمر في اليمن بأسماء مختلفة حسب الممالك، وهي كما يلي:

1. إلمقه: يُكتب بأشكال كثيرة أهمها: المقه، إلمقه، يلمقه، المقت، مقهو، ولم يكن الإله (إلمقه) قبل الاتحاد السبئي إلهاً للقمر، وهناك احتمالات كثيرة لصفاته في حينها، فربما كان إلهاً للمياه أو للمكان أو للخصب، على رغم أننا نُرَجّح أنه كان إله السماء الذي يترجاه الناس للشفاء من الأوبئة وخصوصاً الطاعون.

إله المكان وهو إله الأرض والمعبد، وإله السماء والعواصف، وأحياناً يشيرون إلى علاقته بالقمر، وهو الإله القومي لليمنيين، وكان إلهاً قبلياً لقبيلة فيشان السبئية العريقة، وصار إله السبئيين كلهم بعد اتفاق القبائل على أن يكون إلهاً لتوحيدها تحت عبادة إله مشترك بينهم جميعاً.

الاعتقاد السائد منذ دراسة (Nielsen, 1927, 177) حتى وقتنا الحاضر أن (إلمقه) إله القمر، وقد اعتبر كلٌّ من (Breton, 1998) و(Garbini, 1973 - 1974) و(Pirenne, 1972, 119 - 120) بأن (إلمقه) إله شمسي وليس قمريّاً، مبرهنين فرضيتهم بجملة من القرائن. وقد زكت بعض الدراسات الحديثة هذه الفرضية (Saifullah, M. S. M. & Abdullah David, 2006)، خاصة وأن النقوش في اعتقادهم لم تحدد هوية الإله، فرضة كهذه جديرة بالاهتمام، خاصة إذا ما عرفنا أن الإله الرئيس في حضارات الشرق الدقيم هو إله شمسي وليس قمريّاً (الجرو 2009: 2).

عُبد هذا الإله في اليمن عند السبئيين، وفي دمت في أكسوم شمال إثيوبيا وفي أرتيريا، وليس هناك ما يشير إلى كونه إله القمر عند السبئيين، ويبدو أن بعض رموزه مثل الثور دفعت البعض إلى جعله إله القمر، لكن هذا الرمز عند السبئيين كان يدلّ على القوة والخصب أكثر من كونه إلهاً للقمر.

أما كون جذر اسمه يكمن في كلمة (ماخ) أي الرأس، فهو أمر مستبعد كليّاً لأن هذه الكلمة سومرية الأصل ولا علاقة لها بالأمر، فهو مجرد تقارب لفظي مقحم، ويتبع ذلك ربطه بمكة والحرم المكعب للكعبة عند العرب، وهي أوهام لا قيمة لها.

ربما هو إله المكان (مكا)، والمكان هنا قد يكون تلك الأرض التي هو عليها أو معبده، ونرى أن الإله عثتر هو الإله القومي لليمنيين الذي أنجب ثلاثة آلهة هي (القمر، الشمس، الأرض)، وهي على التوالي (سين، شمش، إلمقه).

لكننا نرى، بعد دراسة معمّقة في هذا الشأن، أن الإله (إلمقه) مشتق من إله يمني خاص بالأمراض وهو الإله إمقه Imqh، وهو الإله مقيت، إله السماء الذي يخلّص الناس من الأوبئة، وبشكل خاص الطاعون، فقد كان الناس يتوجهون إلى معبده ويدعون فيه ويقدمون له الأضاحي لكي يجنبهم أو يشفيهم من مرض الطاعون، وقد وجد فيه السبئيون الملاءمة ليكون ممثلاً للسماء وللقمر، وعُرف في التراث السامي عموماً بعلاقته مع الأمراض، وقد أضافوا إليه لازمة (إل) وأصبح إلمقه، ويسمونه أيضاً المقيت، وهو الذي تسرب الى أسماء الله الحسنى في الإسلام باسم (المقيت) الذي يخلص من الأمراض.



الرموز الحروفية التي تظهر على وجهي عملتين سبئيتين من أوائل القرن الثاني الميلادي إلى منتصف القرن الميلادي الثالث

الأولى : لرأس الثور الذي يظهر أعلى رأسه على شكل قيثارة، محوطاً من الأعلى برمز (ن) الذي يشير إلى اقتران الزهرة و القمر، ومن اليمين برمز حرف النون المسندي الذي يشير لرمز الإله المقه ، ومن اليسار برمزاسمه (حمر) الذي ربما أشار لحِمير

الثانية: لوجه رجل (محارب؟) محوطاً من الأعلى برمز (ن)، ومن اليمين برمز السهم، ومن اليسار برمز لعلامتين تشيران إلى الإله إلمقه.

2. الإله سين (إله القمر في حضرموت): أصل التسمية أكدية وبابلية وآشورية، وانتشر بين الشعوب السامية بهذا الاسم، عبدته حضرموت، ومن رموزه: النسر، وكانت له تسميات مختلفة حسب أسماء المعابد التي عُبد فيها:

«كان إله القمر في قتبان يحمل اسم عم الذي يعني حرفياً «أخو الأب»، وكان مثله مثل إلمقه في سبأ إله الدولة الرئيس، أي إنه كان يحتل المقام نفسه كما يظهر من الصيغة الرسمية المستخدمة في قتبان ومن منزلته في الأدعية والنذور، وتتضح علاقته بالقمر من خلال ألقابه، كما في رابعان «بمعنى النامي»، أو «رابعان وساهر»، المتنامي والدائري، وذو شقير، والمشع، وذو يسير، والصغير، والقليل إذ يشار بذلك إلى هيئته وهو كامل أو وهو هلال، ويظهر مرتين بصيغة عم ذو شقير، ومرة بصيغة عم ذو ريمت، ربما بمعنى «العالي»، وقُدّس في تمنع العاصمة باسم عم ذو دون (ذ ــ د ون م) في معبد حطيب، ويبدو أن لعم في هذه الهيئة منزلة سامية لأن باسمه هذا وبمبادرة منه كانت تصدر مراسيم وقوانين تتضمن ترتيبات أساسية تتعلق بالممتلكات والأراضي» (الشيبة 2008: 156).

3. ود (إله منطقة الجوف): كان يعبد في منطقة ماذن شمال صنعاء، ومنطقة سهمان، ومنطقة سبأ وفي بيت دغيش، وكان يوصف بأنه (شهران) و(قمر) ويدخل في أسماء الأعلِام المركبة، ويرد باسم (ود أبم) أي (ود الأب).

ثانياً: رموز الإله القمر

الثعبان، الثور، الوعل، ورمزه المسندي المتمثل بالحرف (هاء).

1. رمز الهلال والقرص: يكاد هذا الرمز يوجد في أغلب المنحوتات والرسوم والنقوس الدينية، وهو يشير إلى الهلال والقرص على شكل قريب من شكل حرف نون العربي (ن)، اقتران القمر والزُهرة، ولعل المقصود منه الإله القومي لليمنيين القدامى وهو الإله (عثتر).

2. الثور the Bull:

3. الوعل Ibex:

من الرموز الأخرى للإله إلمقه هي:

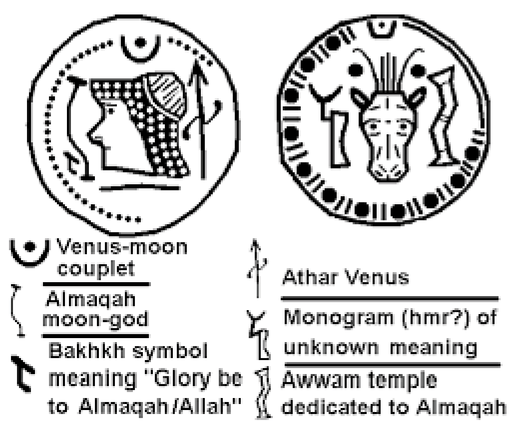
الهراوة The Club

صاعقة البرق lightning bolt

القرص النجمي Astral Disk

مفصل اليد Hand joint

الرموز الحروفية المسندية:



عملة سبئية أُصْدِرَت (من أوائل القرن الثاني إلى منتصف القرن الثالث الميلادي)، تظهر فيها رموز الإله إلمقه، ويرى سيمبسون أن الثور بقرون على شكل قيثارة مع عمود بين أوتارها، والثور رمز من رموزه، ويظهر في الوجه الثاني للعملة (يساراً) رمز البخاخ الذي له أهمية خاصة، وُضِعَ على وجه بعض العملات السبئية بجوار رمز السلم المنحني لإلمقه، كان

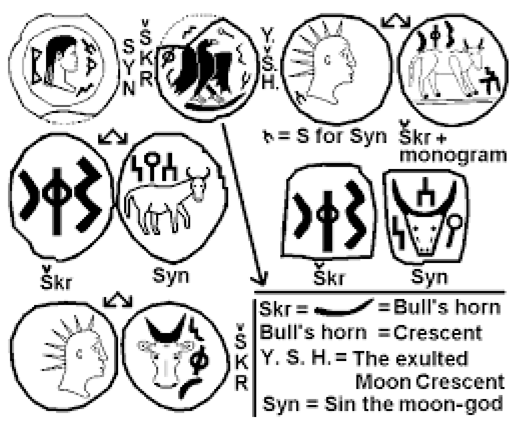
رمز بخاخ يعني «سبحان الله» وربما كان يُعرَف إلمقه بـ(الله) في عصور ما قبل الإسلام، قال إجيرتون سايكس إن «الله» كان لديه من سبقه وهو (أكا إلمقه) إله القمر إلمقه».

حزمة البرق والقلم المزدوج: مثّل حرف الخاء/الهاء (بشكل الزنبقة أو الكأس) والذال (بشكل السلّم) الإله إلمقه، وظهر كثيراً في عصر المكربين المبكر، وربما الأصل في هذا هو قرنا الوعل الذي هو حيوان رمزي للإله إلمقه، أو البرق الذي له علاقة بالمطر والمياه، أما السلّم أو القلم المزدوج فيشير الى الإله ذو سماوي.

«ولو سألنا الآن إن كان تالب يمثل واحداً من الثالوث الإلهي لرأينا أنه يتطابق مع أحد أشكال إله القمر في صورة ما، ما دام يحل محل سماع في منطقة سمعي، وهو الإله الذي عرفنا فيه إله القمر، ويضاف إلى ذلك أن الوعل كان حيوانه المقدس وهو الحيوان الذي كان يُذبح في الصيد الطقسي الخاص بهذا الإله، وأن الاسم تألب نفسه يعني «الوعل»، ويحمل معبده ظبيان، وهو الاسم نفسه الذي يحمله معبد ظبيت سماع في مهل القديمة الذي يعني «ظبية»، وقد يعني ترْعت من جهة ثانية «النبات النضر ذا العصارة النَّدِيّة»، وهذا يحملنا على التفكير بلقب لتألب في زمن لاحق ينص على أنه «رب المرعى الندي»، وتدل لفظة ريام أخيراً على معنى «عالٍ»، وبمعنى أدق «الموقع العالي»، والمعبد كان يقع فعلاً على قمة جبل، أو بمعنى عظيم أو سامٍ» (الشيبة 2008: 130).

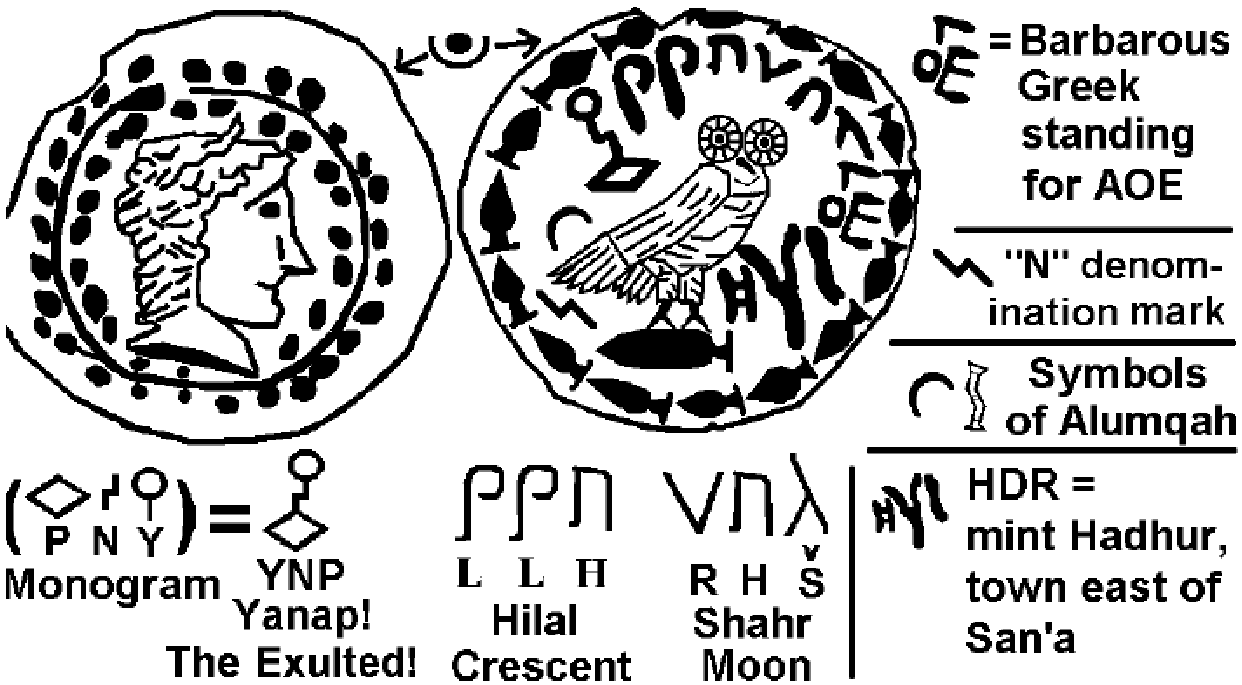
رموز القمر على عملات حضرمية، من اليمين أعلى: 1 و2 ملك سين،

3 و4 و5 و6 ثور سين، 7 و8 صقر



رموز سين الحروفية للإله سين (القمر)

عملات القمر (سين حضرموت) من النصف الأول من القرن الميلادي الأول إلى أواخر القرن الثالث الميلاد، يبدو أن SKR يعني »هلال قرن الثور«، (عملة نسر سين) هو رسم من الفلاح الجنوبية، لوحة 44 (ص85).



الرموز الحروفية لإلمقه على العملات اليمنية

العبارة من اليمين إلى اليسار الموجودة على عملات البومة المحوطة بقوارير قديمة: «عند السبئيين والقتبانيين هي (ي ن ب) شهر (قمر) أو (هلال)، التي ربما تعني [كن مبتهجاً!]»، ومكتوبة كعلامة حروفية (مونوغرام) كحرف ثلاثي الأحرف وفي إصدارات «النمط الجديد» لهذه العملة (غير موضحة هنا)، استُبدل النقش بزوج من الأحرف الأحادية على جانبي البومة، وأضيف رمز السلم المنحني لإلمقه إلى يمين مخالب البومة، وبعضها زوج هلال والزُهرة أو أعلى صورة الرجل على الوجه.

ثالثاً: معابد الإله إلمقه (إله القمر)

على الرغم من أننا لا نجزم بأن الإله إلمقه هو إله القمر، لكنه شاع هكذا عند السبئيين، بعد الاتحاد السبئي، على رغم أصوله الحربية المرتبطة بالأمراض، حيث تنتشر في كل المناطق البيئية معابد إلمقه، لكن معبده الرئيس والأهم هو معبد إلمقه (أوام) بمأرب، ومعه معبدان آخران يأتيان بالدرجة الثانية في مأرب التي هي عاصمة السبئيين.

معابد محافظة مأرب Ma’rib المهمة (معابد إلمقه Al - Maqah الكبرى)

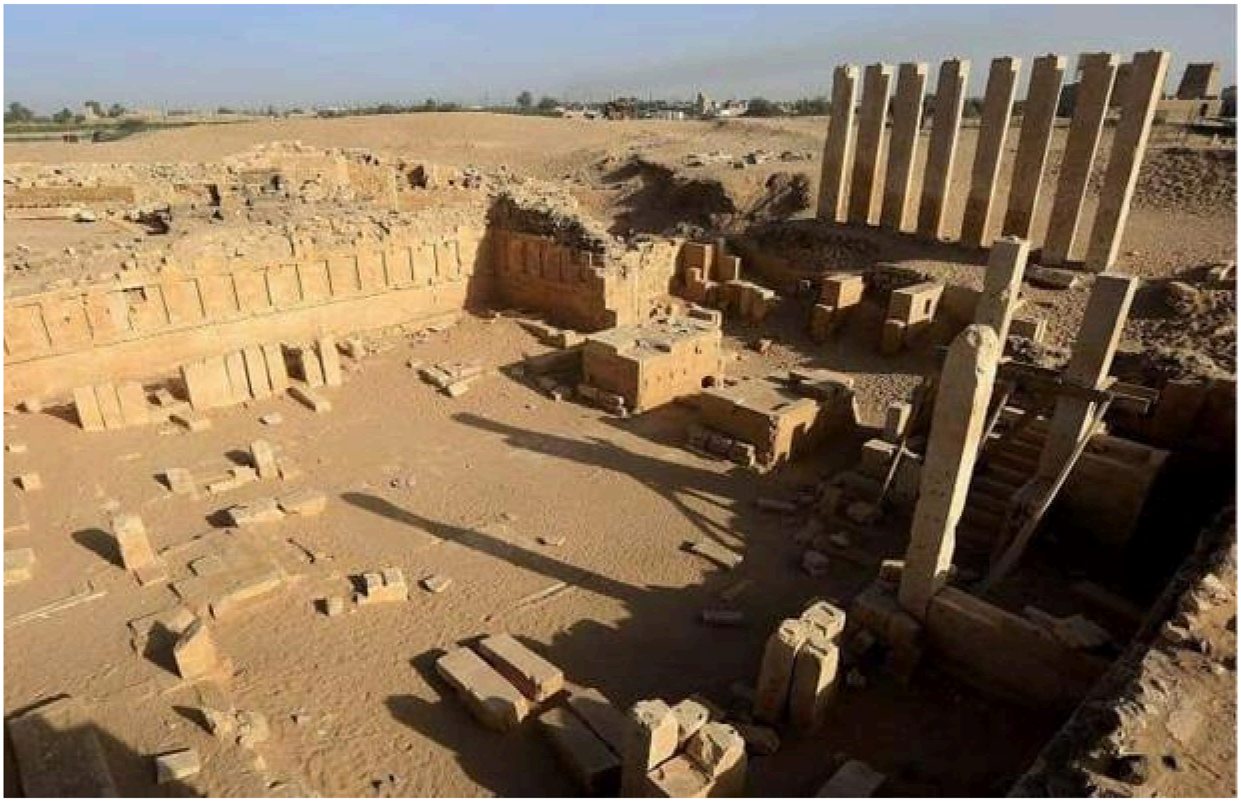
1. معبد أوام Awwam Temple:

يعني اسمه أوام (الملجأ)، يسمى شعبياً (محرم بلقيس) ولا علاقة له بأسطورة بلقيس، ويقع على بعد سبعة كيلومترات جنوب شرق مدينة مأرب القديمة، خارج أسوارها، شُيّد لأول مرة في القرن العاشر قبل الميلاد وربما قبل ذلك، على منصة طبيعية عالية، واستمرت العبادة فيه إلى بداية النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، بني خارج أسوار مأرب لتتاح للناس فرصة الحجّ إليه، فهو معبد الحجّ الأساسي لليمنيين قبل الإسلام.

تطور المعبد من ضريح صغير إلى مجمع هائل يشمل العديد من الهياكل المرتبطة بالمعبد، أي منازل للكهنة، وغرف مساعدة، وقاعات للتنجيم، ومقبرة متصلة بالمحمية والمنطقة السكنية.

هو المعبد الرئيسي للإله (إلمقه) الإله الرسمي لدولة سبأ، وهو إله القمر، ويحتل المعبد مكانة مميزة بين معابد إلمقة في اليمن القديم، وهو أشبه بمكان الحج لليمنيين، ومن كل الجزيرة العربية يتجمع العديد من الحجاج في مدينة مأرب ويتوجهون إلى معبد إلمقه هارونوم لأداء طقوسهم الدينية، ويستمرون إلى حرم أوام باستخدام طريق موكب.

الأعمدة الأثرية الأساسية: الأعمدة الثمانية propylaeum التي تشير إلى المدخل الرئيسي من داخل المجمع، والأعمدة هي الميزة المعمارية الأكثر انتشاراً المستخدمة في الهياكل الدينية القديمة في اليمن القديم.

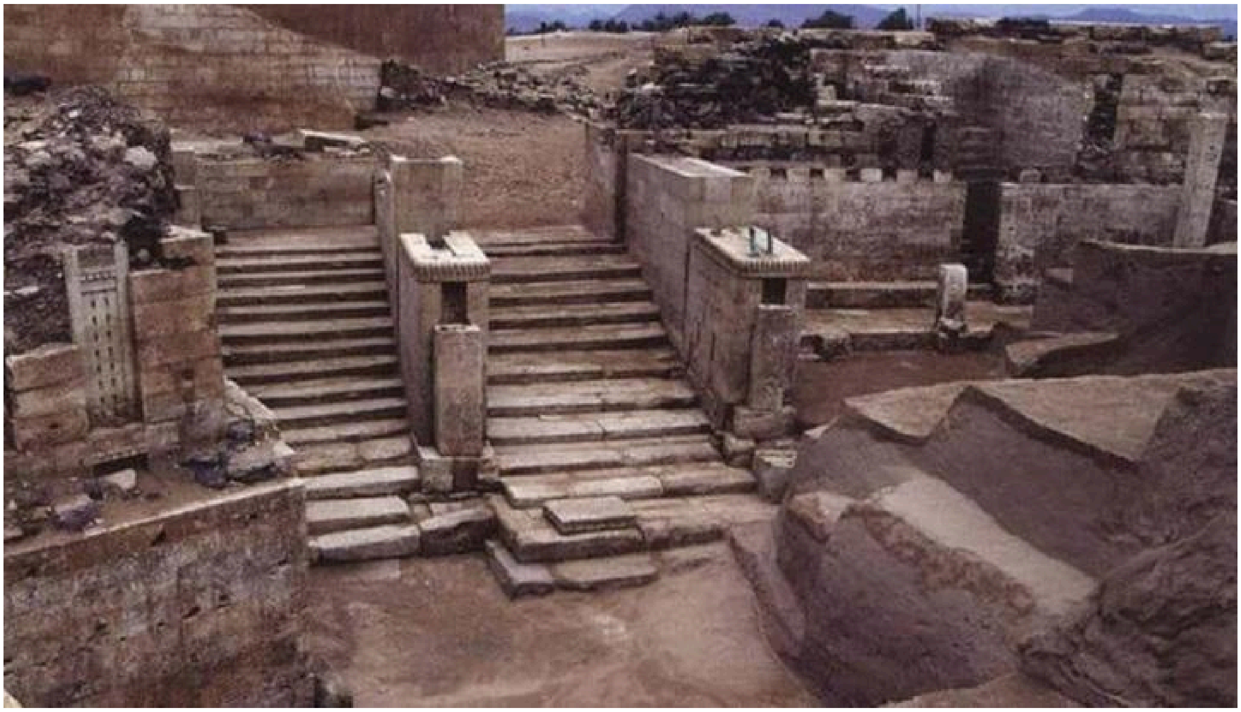


الأعمدة الثمانية في مدخل معبد أوام

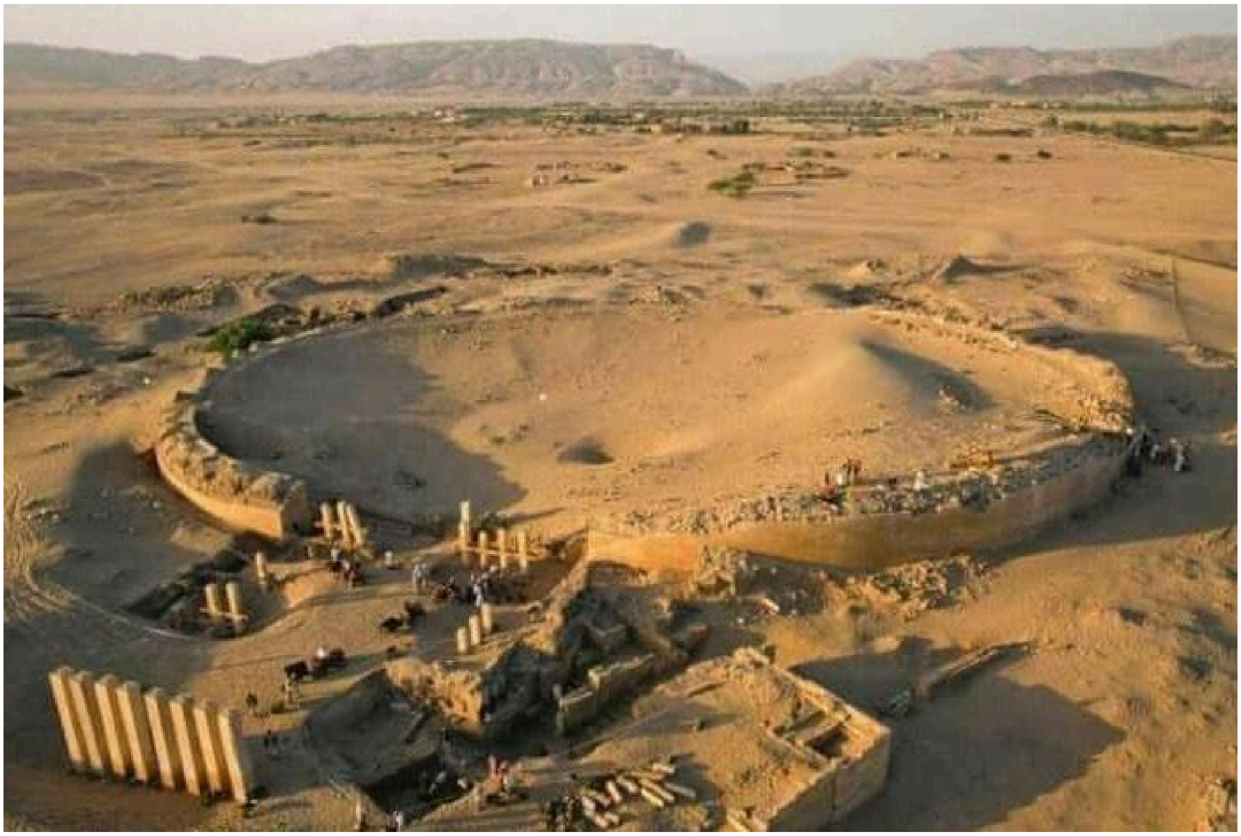
نظّفت الحفريات الجزئية لأعمدة أوام في 1951 ـ 1952 من قبل المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان التي قادها ويندل فيليبس قاعة المدخل بالكامل تقريباً واكتشفت العديد من الاكتشافات، مثل التماثيل البرونزية المتقنة، واستخدام المدخل الجنوبي في الجدار الإهليلجي لطقوس الوضوء قبل الدخول إلى الغرفة الداخلية، إذ عُثر فيه على ما يقرب من 800 نقش مسندي سبئي، نشر منها 462 نقشاً.

يشير أقدم نقش عثر عليه في المعبد إلى بناء السور العظيم للمعبد، بواسطة مكرب يدع إل ذريح الأول في منتصف القرن السابع قبل الميلاد، مبيناً الفترة المبكرة من بناء المعبد نقش يدع إل محفور خارج السور، ويحتوي على ما يلي:

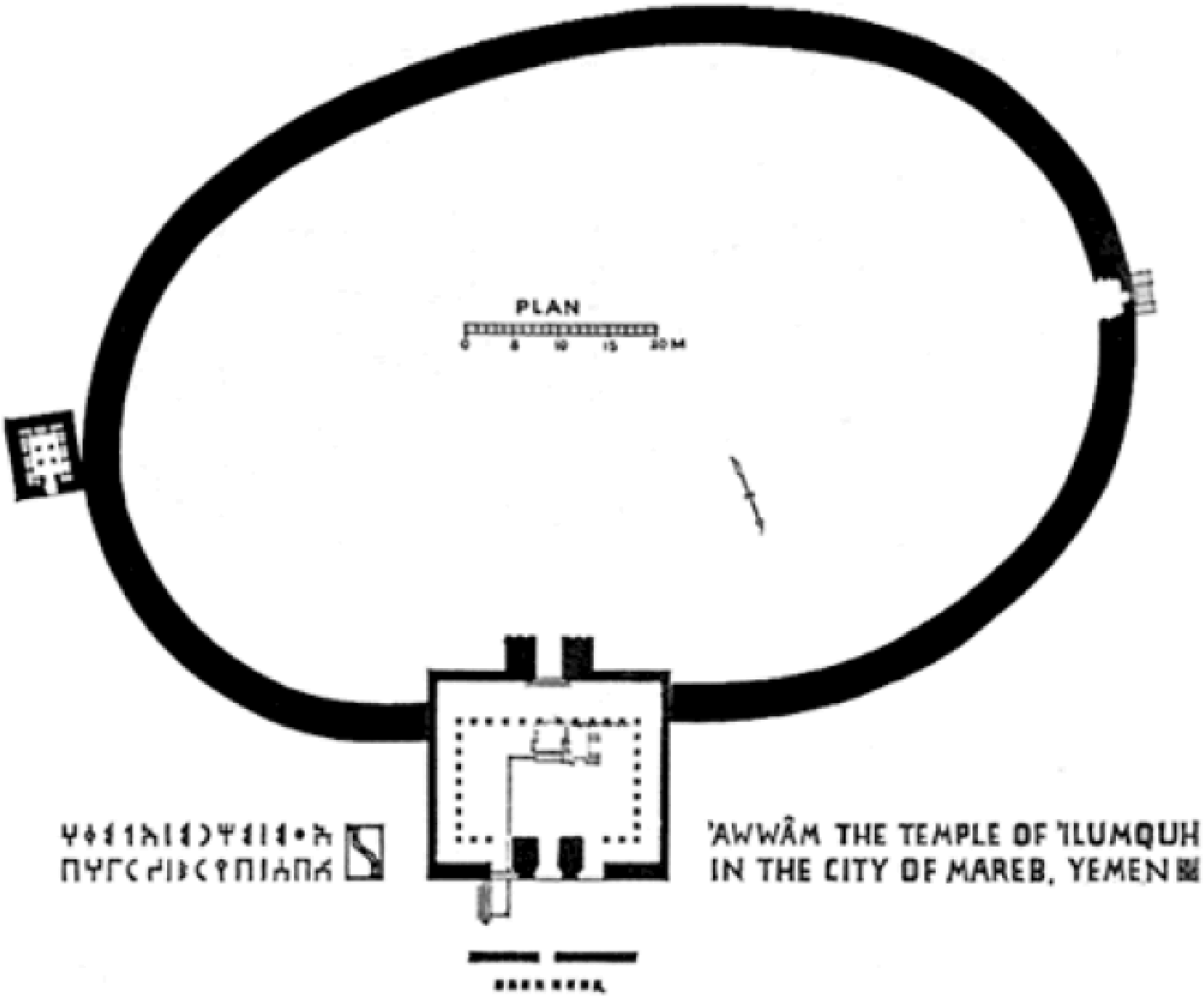
«يدع إل ذريح بن سموهع علي، مكرب سبأ، سور معبد إلمقه، عندما ضحى لعشتار وأسس الاتحاد من قبل إله وراعي ومعاهدة سرية بواسطة عشتار وحواس وإلمقه».



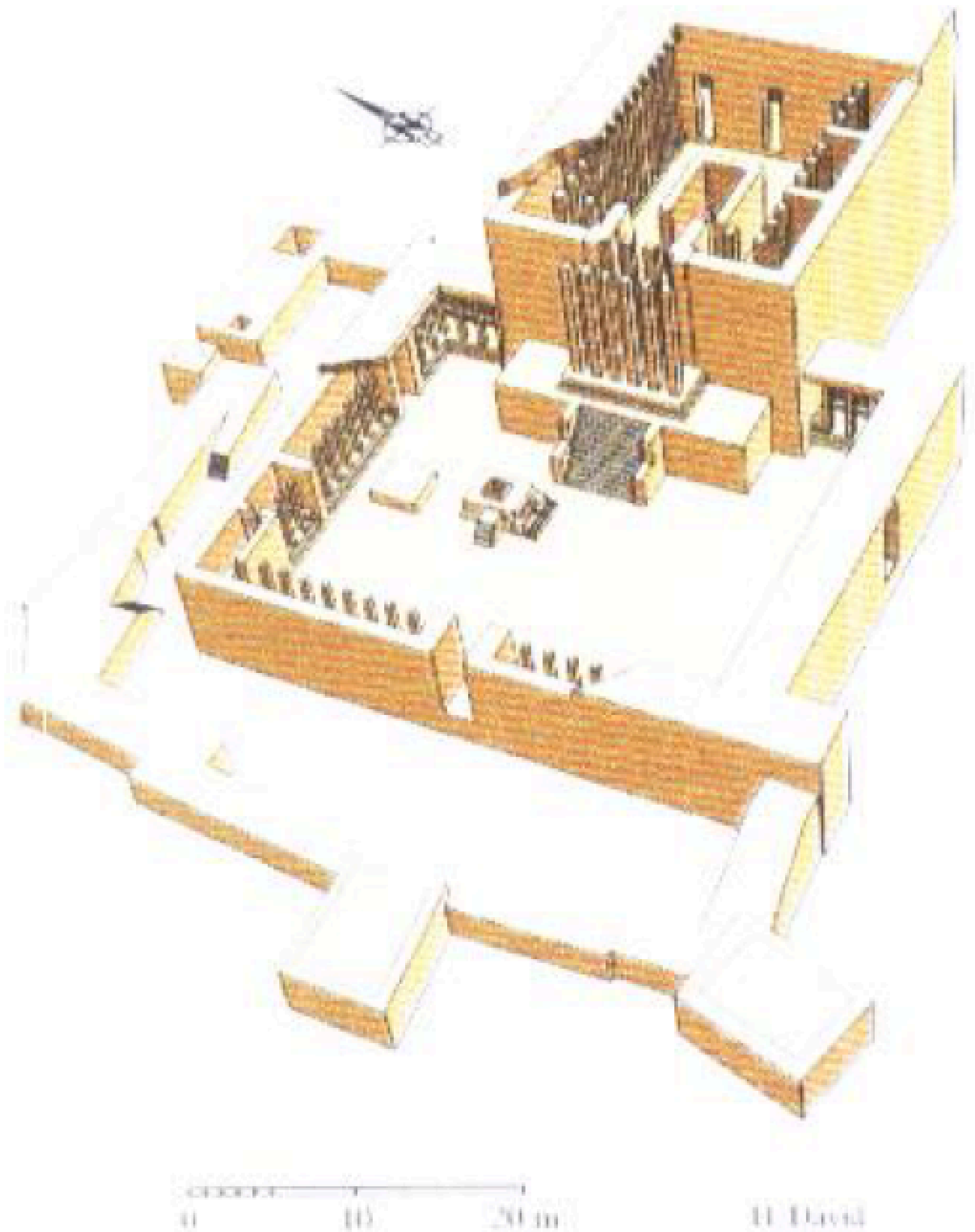
مجمع أوام: المنطقة أ، المبنى الأول ـ البوابة، ممر الدرج، زخرف نقش مزدوج (فحص) من قبل أمدان بين يحقبيش، الجزء الداخلي من الدرج الرئيسي (في الصورة أعلاه: المنطقة أ، المبنى الأول ـ البوابة، ممر الدرج)، يذكر النقش إهداء تمثال حصان لإلمقه (- MB 2001 I 102)تظهر بوابة الحان نحفان في الخلفية السفلية مع مِنَصَّتَيْن podia.



منظر جوي للمجمع مع سور بيضوي كبير من تصميم مكرب يداع إل ذريح الأول في منتصف القرن السابع قبل الميلاد.



معبد أوام (محرم بلقيس) من تخطيط البعثة الأمريكية 1951 ـ 1952



إعادة بناء افتراضية للشكل الخارجي لمعبد أوام (البعثة الألمانية)

مكوّنات المعبد

1. الساحة البيضوية: تحتل الجزء الأكبر من المعبد، وهي ساحة محوطة بجدار حجري ذي مخطط أرضي بيضوي غير منتظم، وعلى الجدار الداخلي للقاعة كان هناك عشرات النقوش

من الفترة المتأخرة في مملكة سبأ.

2. سور المعبد: على الرغم من تهدم جزء كبير منه، كان خارج السور يحمل نقوشاً كبيرة معظمها محفور على خط أفقي يشير إلى تعلية السور، مبني بالأحجار المهندمة من الصخور الكلسية التي يبلغ طولها نحو (752 م) بسمك يتراوح من (3 ـ 5 م)، وقد بقي من محيط السور نحو 333 م، ارتفاع الجدار الضخم أكثر من 12 م، وفيه أكثر من 64 مدماكاً منضداً، واجهتا طرفي الجدار من كتل من الحجر الكلسي المستطيل المستوي، بينهما 64 زوجاً من الحواجز من الحائط والحشو.

3. بوابة ومدخل المعبد.

4. الرواقان الجانبيان: وهما من نوع الأروقة البروبيلية (برو تعني أمام، بيلي تعني باب)، وهي أروقة تتكون بسبب الأعمدة على شكل بهو يظهر كأنه مبنًى مستقل مزوَّد بالأعمدة، وقد ظهر في المعابد الإغريقية.

5. بهو الأعمدة: مستطيل ناقص الشكل متجه نحو مشرق الشمس بين الشمال الغربي إلى الجنوب الغربي، مساحته نحو (42 ×19 م)، يتكون من فنائين أمامي فيه 8 أعمدة، وبيضوي فيه 12 عموداً، ورواق البهو مزخرف بـ64 نافذة عمياء أو منحوتة للقرابين النذرية مع 32 عموداً متراصة، باستثناء اثنين كانا يدعمان الحزم الحجرية، وقد يعكس الرقم ثمانية رقماً مقدساً، إذ استُخدِمَ عند المدخل والأعمدة الداخلية (8 × 4) والنوافذ (8 × 8)، وواضح أنها خُطِّطت مسبقاً وفقاً لنظام القياس المتقدم بدلاً من الاستخدام العادل للمساحة، ويتضمن بلاط القاعة كتلاً منقوشة وبعضها يذكر أسماء ملوك من القرن الرابع الميلادي، وتصطف على جانبيها أعمدة ضخمة وسلالم ومنحوتات رائعة من البرونز والمرمر والعديد من النقوش.

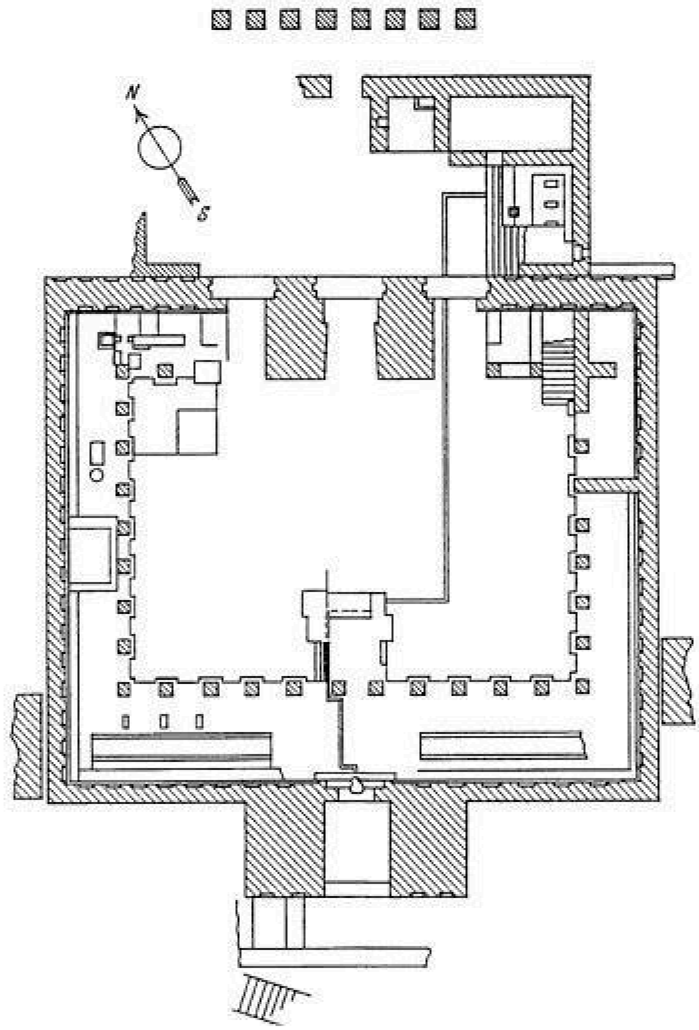
6. مجرى الماء وحوض البرونز.

7. الضريح: بناء في الجانب الشمالي الشرقي.

8. مقبرة أوام: وهي القبور الجانبية التي تقع على بعد 100 متر جنوب غرب الفناء البيضوي، كانت الطقوس تجرى في المعبد البيضوي، ثم تدخل إلى المقبرة حيث احتفالات ما قبل الدفن، وتتألف المقبرة من هيكل مكون من أربعة طوابق من الحجر الجيري المصقول والمنحوت جيداً، كانت الجدران الخارجية مزينة، أحياناً، بأفاريز ونقوش منخفضة لوجه الميت كشواهد للموتى، وأحياناً تنقش أسماؤهم، وكانت المقبرة تُعرف باسم «محرم جنزتن».



مِسَلة أو شاهدة تحمل نقشاً سبئياً، مكرسة للإله إلمقه من معبد أوام



مخطط أرضي لبهو الأعمدة في معبد أوام



مقبرة أوام

9. طريق الموكب: اكتشفت مؤخراً أجزاء من طريق المواكب الذي يربط بين معبد حَرُونُم (في مدينة مأرب) ومعبد أوام، حيث كان الحجاج يؤدّون بعض الشعائر الدينية في معبد حَرُونُم (القريب من معبد أوام) ثم ينطلقون باتجاه معبد أوام، ويسيرون في ما يُعرف بـ(مسبأ أوام)، أي «طريق المواكب لمعبد أوام»، ووُثِّقَت أجزاء مبلطة مغمورة على عمق نحو مترين أو أكثر تحت الرمال ابتداءً من البوابة الغربية لمعبد أوام، حيث تسير الطريق المبلطة باتجاه مدينة مأرب القديمة لعشرات الأمتار.

ويبدو أن هذا الطريق المسمى مسبأ أوام كان يستخدم من قبل الحجاج وللأعياد والزيارات الملكية وللمناسبات الدينية مثل احتفالات بداية العام الجديد، وهناك إمكانية بأن هذا الطريق كان يستخدم للسعي ما بين معبد حَرُونُم ومعبد أوام في طقس ديني مشابه للسعي بين الصفا والمروة في مكة (انظر Maraqten 2004).(4)

7. مكتبة معبد أوام:

وهي مكتبة ألواح حجرية عثر عليها في معبد أوام مأرب، وتضم المكتبة عشرات الألواح، وقد اكتشفتها بعثة آثار (المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان)، تتكون المكتبة من رفوف حجرية وضعت الألواح مرتبة عليها، وضمت كتابات مسندية نشر بعضها، وما زال أغلبها لم ينشر بعد.



مكتبة أوام

حفريات المعبد:

بدأت الحفريات الجزئية لأعمدة أوام في 1951 ـ 1952 من قبل (المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان) التي قادها ويندل فيليبس، واستمرت مواسم الحفريات لأكثر من ستة مواسم ولسنوات قريبة، وما زال المكان بحاجة لمواسم قادمة.

المراجع

- Luckenbill, D. D. (1926) Ancient Records of Assyria and Babylonia. .Chicago
- political ـ Islamic Yemen: Socio ـ Korotayev, Andrey (1996). Pre organization of the Sabaean cultural area in the 2nd and 3rd centuries .6 ـ 03679 ـ 447 ـ AD. Wiesbaden: Harrassowitz. ISBN 3
- Robin, C. J. (1996) »Sheba.»Supplément au dictionnaire de la Bible: .1043–1254. Paris
- examining the Identity of the Awwam Temple in Marib, Yemen. ـ Re (n.d.). Retrieved May 8, 2019, fromhttps://www.arcgis.com/apps/MapSeries/index.html?appid=61cbcc421ba74bb89d3ced5332298744 Form and Context in Awwām Temple Oval Precinct
- Dan., (2018, February 26). Mahram Bilqis. Ancient History /Encyclopedia. Retrieved from https://www.ancient.eu/image/8220
- Mark, J. J. (2018, March 02). Kingdom of Saba. Ancient History Encyclopedia. Retrieved from /https://www.ancient.eu/Kingdom_of_Saba
- Krista LEWIS (University of Arkansas at Little Rock, USA) & Lamya KHALIDI (Centre Français d’Archéologie et de Sciences Sociales de Sanaa, Yemen) 16:10
- Müller (Hrsg.), Walter W.; von Wissmann, Hermann (1982). Das Grossreich der Sabäer bis zu seinem Ende im frühen 4. Jahrhundert vor Christus. Die Geschichte von Saba’II [The United Kingdom of the Sabeans to its end in the early 4th century BC. The history of Saba’II]. historische Klasse (in ـ Sitzungsberichte [Meeting notes]. Philosophisch

German). 402. Wien: Österreichische Akademie der Wissenschaften
.9 ـ 0516 ـ 7001 ـ [Austrian Academy of Sciences]. ISBN 3

- Le Baron Bowen Jr., Richard; Albright, Frank P. (1958). Archaeological Discoveries in South Arabia. Publications of the American Foundation for the Study of Man. 2. Baltimore: Johns .Hopkins. OCLC 445765
- political ـ Islamic Yemen: Socio ـ A. V. Korotaev (1996). Pre Organization of the Sabaean Cultural Area in the 2nd and 3rd Centuries .5 ـ 03679 ـ 447 ـ 3 ـ AD. Otto Harrassowitz Verlag. p. 82. ISBN 978

2. معبد برّان Barran Temple

ورد ذكره في النقوش السبئية القديمة في معبد بران منزل الإله إلمقه (القمر)، وتذكر النقوش أيضاً ذات حميم (الشمس) وعثتر (الزهرة)، يقع على بعد نحو 600 متر غرب معبد أوام، عثر علماء الآثار على تماثيل لنساء في معبد بران.

يقع في مدينة مأرب، على بعد 170 كيلومتراً شرق صنعاء، وقد حُفِرَ جزئياً بواسطة بعثة وندل فيليبس الاستكشافية في 1951 - .1952

تعني كلمة برّان (البارئ من الذنوب والأمراض)، وهو للإله إلمقه إله سبأ، ويسَمَّى شعبياً بـ(عرش بلقيس، العمايد)، ولا علاقة للمعبد بأسطورة بلقيس، وهو الموقع الأثري الأشهر بين آثار اليمن، ويقع على بعد 1400 متر إلى الشمال الغربي من محرم بلقيس، وهو معبد سبئي كُرّس لإله القمر «إلمقه» ويلي معبد أوام من حيث الأهمية.

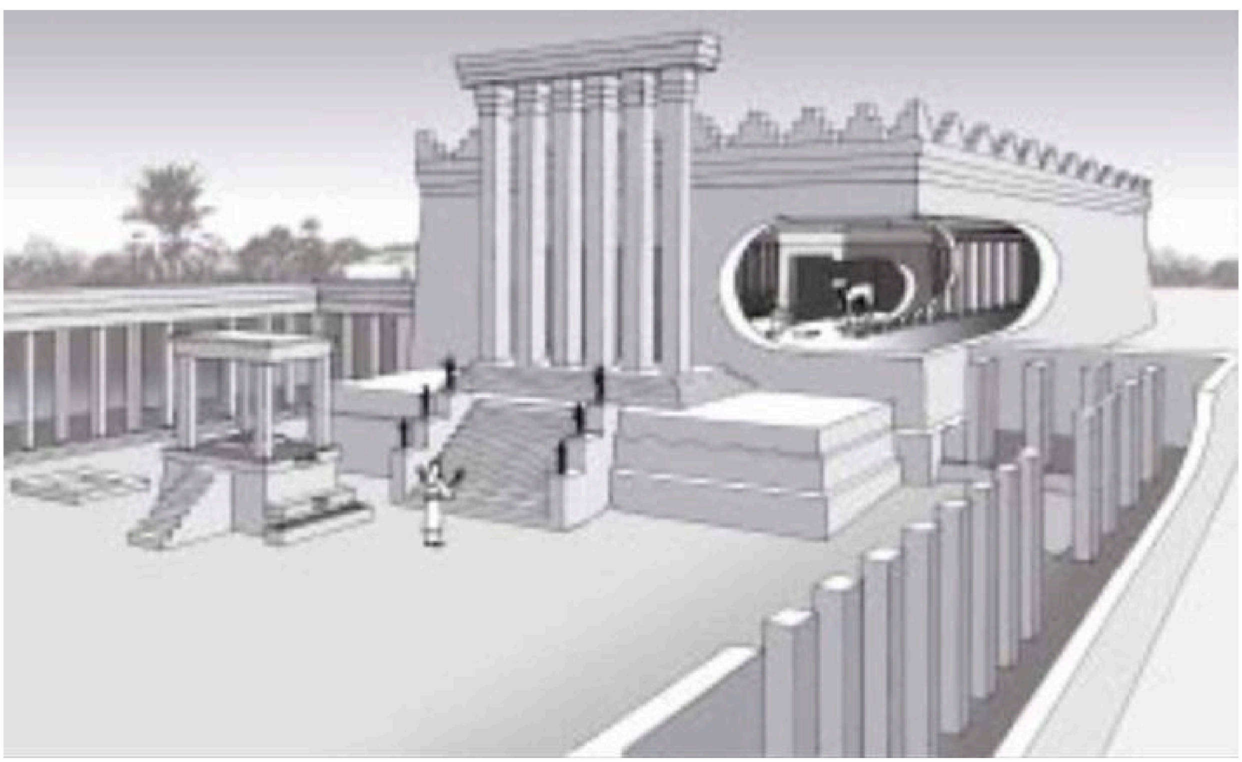
سور من اللبن «الطين» وله أبراج، ويقع باب المعبد في الجهة الشمالية، عُرف بأعمدته الخمسة، أما العمود السادس فهو مكسور.

الساحة الداخلية المكشوفة المربعة تتوسطها البئر المقدسة، وحوض ماء حجري يصل إليه الماء بواسطة مَصَبّ من فم الثور المقدس.

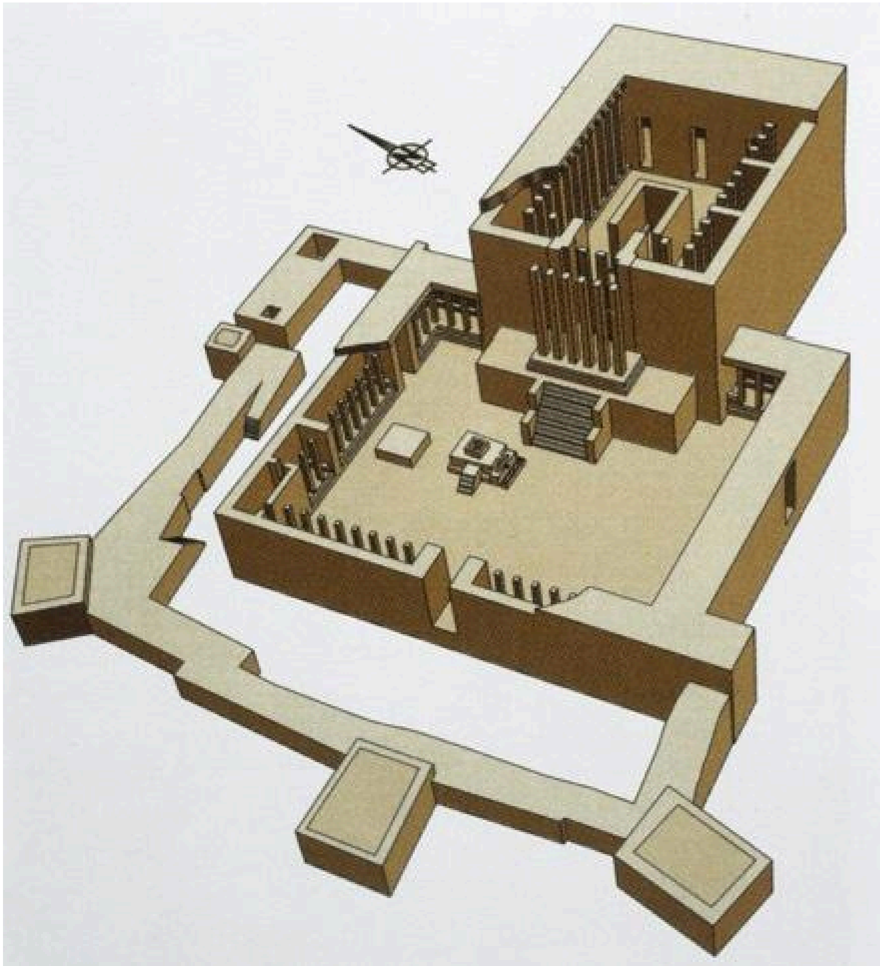
القاعة محوطة بعدد من الجدران من الشمال والغرب والجنوب، وأمام الجدار الغربي ينتصب عدد من المقاعد المَرْمَرِية ومن القاعة المكشوفة، توجد 12 درجة تؤدي إلى قدس الأقداس حيث الأعمدة الستة، ويوجد حالياً خمسة أعمدة والسادس مكسور، وهي ذات تيجان مزخرفة بالمكعبات، ويزن العمود 17 طناً و350 كجم، ويبلغ طوله 12 متراً، وسُمكه 80×60 سم.



قدس الأقداس وأعمدتها الستة في معبد برّان



إعادة تصميم معبد برّان وأعمدته الستة



إعادة بناء تصويرية مفصّلة لمعبد برآن

3. معبد صرواح

المدينة والموقع: في مدينة صرواح الآثارية وهي العاصمة الثانية للسبئيين بعد مأرب، وتقع الآن في محافظة مأرب على بعد 40 كم في الجهة الغربية لمدينة مارب، وتبعد عن صنعاء 120 كم شرقاً، تقع على وادٍ يسمى باسمها، وهو الوادي الذي أقيم عليه سد مأرب، وفي صرواح ثلاثة مواقع أثرية: الأول في منطقة (بنا) وهو مكان السد القديم، والثاني في منطقة القصر، أما الثالث وهو الأهم فيقع بالمنطقة المعروفة باسم الخريبة، وهو اسم معاصر يطلق على مركز المدينة القديمة، وقد بُنيت على تلة صخرية محوطة بسور بيضوي كبير بارتفاع 8 أمتار، ما زال أثَرٌ منه يظهر واضحاً، يتوسطها معبد الإله إلمقه.

وصرواح اسم مشترك بين ثلاثة أماكن في اليمن، أهمها صرواح خولان العالية التي نحن بصددها.

الاستكشافات الآثارية: بدأت في نهاية عقد السبعينات أعمال توثيق للنقوش المكتشفة داخل المعبد، وعلى سوره البيضوي الشكل، ثم أعمال الحفريات الأثرية فيه عام 1992، وفي عام 2001 أصبحت مدينة صرواح القديمة والسهل المحيط بها من ضمن المشاريع الهامة التي ينفذها المعهد الألماني للآثار.

بنى المعبد الحاكم السبئي «يدع إل ذرح»، في منتصف القرن السابع قبل الميلاد.

جاءت الأهمية الأثرية لهذا المعبد من وجود نقش النصر في بهوه، وقد وُجد النقش على عمود من المرمر في وسط المعبد يشير إلى صاحبه «كرب إيل وتر» الذي أنشأ مملكة سبأ بعد معارك وفتوحات كثيرة طالت الممالك التي حوله.

اسم المعبد: (أ وع ل/ص ر وح) أي معْبَد أوعال صرواح.

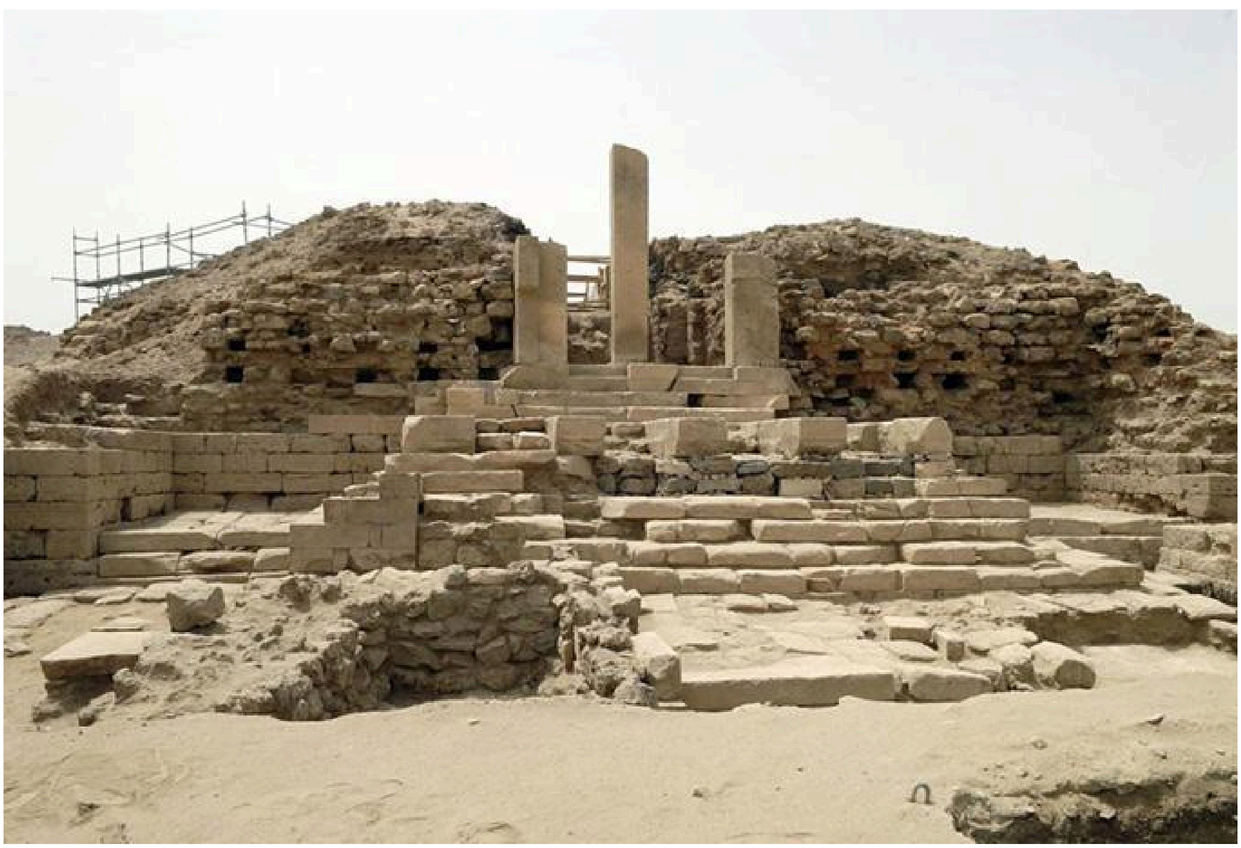
سور المعبد: سوره الجامع الذي يصل إلى ارتفاع 16 متراً تقريباً.

سور المعبد بيضوي الشكل، مشيد بأحجار منتظمة، يحيط بجداره الشرقي سورٌ بشكل نصف دائري ممتد، وفي جداره الخارجي تبرز أفاريز لرؤوس الوعول بمقدار (3 ـ 5 سم)، تشاهد على ارتفاعات مختلفة منه، تشير النقوش الموجودة على الوجه الخارجي للسور البيضوي للمعبد.

وجدت على دعائم البوابة الخارجية للمعبد نقوش تذكر أسماء بعض الأماكن، علماً أنه قد أعيد تصميم البوابة الخارجية رسماً بالدعائم الست.



سور معبد صرواح



الأعمدة عند مدخل المعبد من القرن السابع قبل الميلاد، اكتُشِفَ من قبل علماء الآثار الألمان في صرواح

شكل المعبد: مبنًى مستطيل الشكل.

القسم الغربي من المعبد: مدخلان للمعبد لهما أعمدة وفِناء مرصوف يؤديان لبهو المعبد.

وسط المعبد: في المجال الداخلي للمعبد المرصوف بالحجارة مرافق للمآذن المقدسة، وطقوس العبادة ما زالت بحالة جيدة، وتضم مجالس وطاولات حجرية ومذابح وقواعد للنذور.

في بهو معبد إلمقه يوجد النقش الحجري المشهور والمعروف بـ«نقش النصر»، الذي يعود إلى الملك السبئي كرب إيل وتر... وقد كتب على جانبي صخرتين موضوعتين الواحدة فوق الأخرى، وطول كل منهما 8.6 متر وتزنان نحو 5.2 طناً، ويتحدث النص في أحد الجانبين عن طقوس القرابين المقدمة وصيانة مرافق استغلال المياه بمأرب... وعلى الجانب الآخر وصف للغزوات الحربية التي نفذها الملك السبئي كرب إيل وتر لتوحيد القبائل اليمنية.

نقوش المعبد: النقوش التي عُثِرَ عليها تشير إلى وجود معابد أخرى في المدينة القديمة من ضمنها معبد قديم جداً، غير أن تعرُّف معالمه شبه مستحيل.

وتؤكد النقوش القديمة التي أمكن العثور عليها في المنطقة أن تاريخ إنشاء معبد «إلمقه» يعود إلى أوائل القرن السابع قبل الميلاد، أما الكتابات المنقوشة في إحدى دعائم البوابة الخارجية للمعبد التي تتألف من عدة سطور فيُقال إنها لا تنتمي إلى المعبد مباشرة، إذ إن واضعها هو «يكرب ملك وتر الثاني» ملك سبأ وابن «يدع إيل بين»، وذلك نحو عام 245 قبل الميلاد.

إضافة إلى أنه يوجد مبنًى آخر ذكر أنه مبنى إلمقه بعل، إلى جانب عمودين منفردين متناقصي القطر نزولاً غربي الخربة الرئيسية.

و يوجد في الجهة الغربية مدخلان للمعبد لهما أعمدة وفناء مرصوف يؤديان إلى بهو المعبد.

ويوجد في المجال الداخلي للمعبد المرصوف بالحجارة مرافق للمآذن المقدسة، وطقوس العبادة ما زالت بحالة جيدة، وتضم مجالس وطاولات حجرية ومذابح وقواعد للنذور.

الوعول المقدسة:

منذ العصر السبئي المبكر، أسس طقس ديني هو الصيد المقدس، وخاصة (صيد عثتر) الذي كانث تُقام له شعائر موسمية، يتصدرها المكرب أو الملك السبئي وكبار القوم، وكان الوعل هو قوام هذا الطقس.

إن اليمنيين القدماء اتخذوا من الوعل، وخاصة من الفحل ـ قائد القطيع ـ، رمزاً يجسد الإله عثتر إله المطر والخصب والإخصاب، وكان عثتر إلهاً عاماً لجميع اليمنيين وليس له خصوصية، ولهذا كان له معابد في جميع أنحاء البلاد، وكانوا يتقربون إليه في هذه المعابد بأصنام كثيرة على شكل الوعل، وتعد اللوحات المنحوتة بزخارف أشكال الوعل من أبرز ما عُثر عليه في المعابد من عناصر زخرفية، وخير مثال على ذلك معبد برآن.

الكثرة العظيمة التي كانت لقطعان الأوعال في جميع أنحاء اليمن وخاصة في المشارق، والمرابع الأولى للحضارات اليمنية القديمة، وللتدليل على ذلك يُذكر نقش مسندي واحد أن صاحبه وهو (شريح ـ شرحم ـ أيمن الهمداني) صاد (مع أعوانه) ثلاثة الآف وعل من جبال صولان في منطقة مرهبة من بكيل، يرجع تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد، وأُلحِقَ الضرر بصف من الوعل المنحوت على الجزء الخارجي من جدار المعبد، وقد سقط بعضها مع أعمدته، مما أحدَثَ شظايا مدَمِّرة العام الماضي، وقد صمدت كل هذه الهياكل على مر القرون.

كانت صرواح ـ مع ذلك ـ سفينة تجارية رئيسية على طريق البُخُّور الذي يربط شبه الجزيرة العربية مع شرق إفريقيا، ثاني أكبر قرية في سبأ مع مركزها الديني البارز، كان المعبد الرئيسي في داخل صرواح مكرساً لإله السبئيين إلمقه، الذي كان لقبه الداخلي في صرواح «بعل أوعل»، أو «سيد الوعل»، وهو ما يفسر عدد رؤوس الوعل المنحوتة في الموقع، لقد قيل في كثير من الأحيان إن الوعل يمثل الإله إلمقه نفسه، نظراً إلى أنه يُدعى سيدهم.

2.الإلهة الأم: الشمس

أولاً: عبادة الإلهة الشمس (المؤنثة)

عبدت إلهة الشمس كأنثى في عموم اليمن القديم، وعند المعينيين عُبدت كذكر يسمى (نكرح)، كان لها المكانة الأولى لدى بعض الأقوام اليمانية مثل قبيلة (بني جرة) الواقعة أراضيها جنوب شرق صنعاء.

أهم معبد للآلهة (الشمس) في اليمن القديم هو المعبد المعروف بمعبد (المعسال)، الكائن ضمن أطلال مدينة (وعلان) الأثيلة وبين خرائبها، تلك المدينة التي كانت عاصمة (ردمان) قديماً كان يطلق عليها (عليت) أي: العالية، وثمة معبد آخر لهذه الآلهة عثر على آثاره في همدان وخاصة في منطقة (حقة) الواقعة شمال صنعاء.

لفظ الشمس هو اسم مؤنث عند اليمنيين الأقدمين وعموم عرب شبه الجزيرة، لكنه اسم مذكر عند عرب الشمال، وعند شعوب الشام وبلاد الرافدين.

كان اليمنيون يشيرون إلى الشمس بلفظ الإشارة (ذات) الدال على التأنيث، فالسبئيون: (ذات حميم) و(حميم) أي ذات الحرارة الشديدة، والقتبانيون: (ذات بعدن) أي البعيدة، وقد ذكرت في نقش مسندي بـ(أم لات)، وهذا يؤكد علاقتها بالإلهة اللات إله الشمس عند العرب.

ومن أسمائها الأخرى عند السبئيين «ذات غضرن، وذات برن»، وعند القتبانيين «ذات صخرن، وذات رحب»، وعند القتبانيين (أث ر ت) أي المتوهجة.

كانوا يرمزون إلى الشمس برموز شتى، فمنهم من رمز إليها بالنسر لما له من سيادة وهيمنة و(قوة وشموخ)، وكان الحصان كذلك يمثل حيوانها المقدس فينوب عن الإلهة (الشمس) ومن ثم يرمز به إليها.

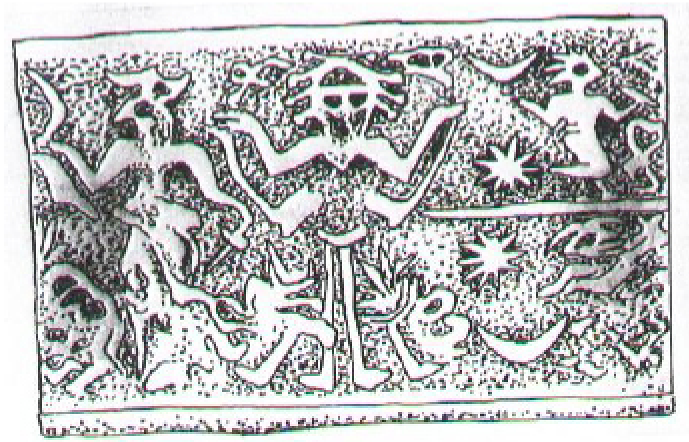
الإله الشمس مذكّراً (نكرح):

الإله (نكرح) ومعبد نكرح إله الشمس عند المعينيين اليمنيين القدماء: كانت أسماء (الشمس) وأوصافها عند قدماء اليمنيين قد تعددت تبعاً لتعدد المناطق اليمنية واختلافها آنذاك، فالنصوص المعينية تذكرها باسم (نكرح).

عثر على آثار الإله (نكرح) في (درب الصبي) بأنحاء (براقش) من إقليم الجوف (2980 RES) وتفيد النقوش أنه كانت تقام لهذا الإله المراسيم القدسية مع الإله (ود) في معبد معيني كائن في منطقة (دَدَان) العلا الواقعة شمال الحجاز (RES 3696)، ناهيك بأن ذكره كان قد ورد أيضاً مع الإله (أنبي) وذلك كما هو منصوص عليه في أحد النقوش على النحو الآتي: «أنبي ونكرحم».

نعتقد أن اسم نكرح في اليمن جاء من اسم نركال في وادي الرفدين مع تصحيف واضح في اللفظ، ونركال هو إله شمسي، ويمثل الشمس في الليل وهي تمخر ظلام العالم الأسفل بعد غروبها حتى شروقها في اليوم الثاني، ونركال هو إله العالم الأسفل.

2. شمس Shams: إله الشمس ابن الإله القمر، إله الشمس والعدل، وأحياناً يأخذ طبيعة أنثوية، فهي إلهة الشمس العربية والأراضي الخصبة والمحاصيل والحياة المنزلية، كانت لديها القدرة على مباركة حقول المحاصيل ولكنها كانت مسؤولة أيضاً عن تجفيف الأراضي، من بين ألقاب شمس الأخرى «شمس العلي» (شمس عليات Shams - ‘Aliyyat)، و«لوفي Lofty»، و(تنوف)، و«سيدة الحرارة» (ذات حميم).



طبعة ختم تمثل إله الشمس/متحف شيكاغو (العبيدي 2005: 191)

«يأتي ترتيبها في الثالوث الإلهي الرسمي في معين، حيث يأتي اسمها عادة في الكتابات المعروفة مسبوقاً بلفظة «ذات»، واسمها هنا (نكرح)، ولا ترد تسمية شمس في معين، ويبدو أن المرة الوحيدة التي سبقت فيها بلفظة «ذات» ليست معينية الأصل، ولَمّا كان الثالوث الإلهي يتمثل في النجم والقمر والشمس في سبأ وقتبان (وربما في حضرموت أيضاً) فإن نكرح تمثل إلهة الشمس من دون ريب، ولم تتوصل المحاولات التي قامت لتفسير معنى نكرح إلى نتيجة نهائية، وقد مال بعضهم إلى تقريب اللفظة المعينية إلى لفظة مكرو الآشورية التي تعني «زُحل»، وهو أمر غير محتمل، وارتأى بعضهم مقارنة التسمية باسم إلهة الشفاء الرافدينية نين كرك، وقد يكون في ذلك مراعاة للتشابه اللفظي، أي من الناحية الظاهرية، ولكنه لا يتطابق وطبيعة الحال لأسباب داخلية وجيهة، ويقدم نكرح مشكلة أخرى غير المعنى، وهو أن نكرح لا يحدد كونه ذكراً أو أنثى، إذ لا تفصح الكتابات عن ذلك، وهي لا تؤكد كونه مؤنثاً كما في المناطق اليمنية الأخرى بحسب المألوف» (الشيبة 2008: 165).

ثانياً: رموز الإلهة الشمس



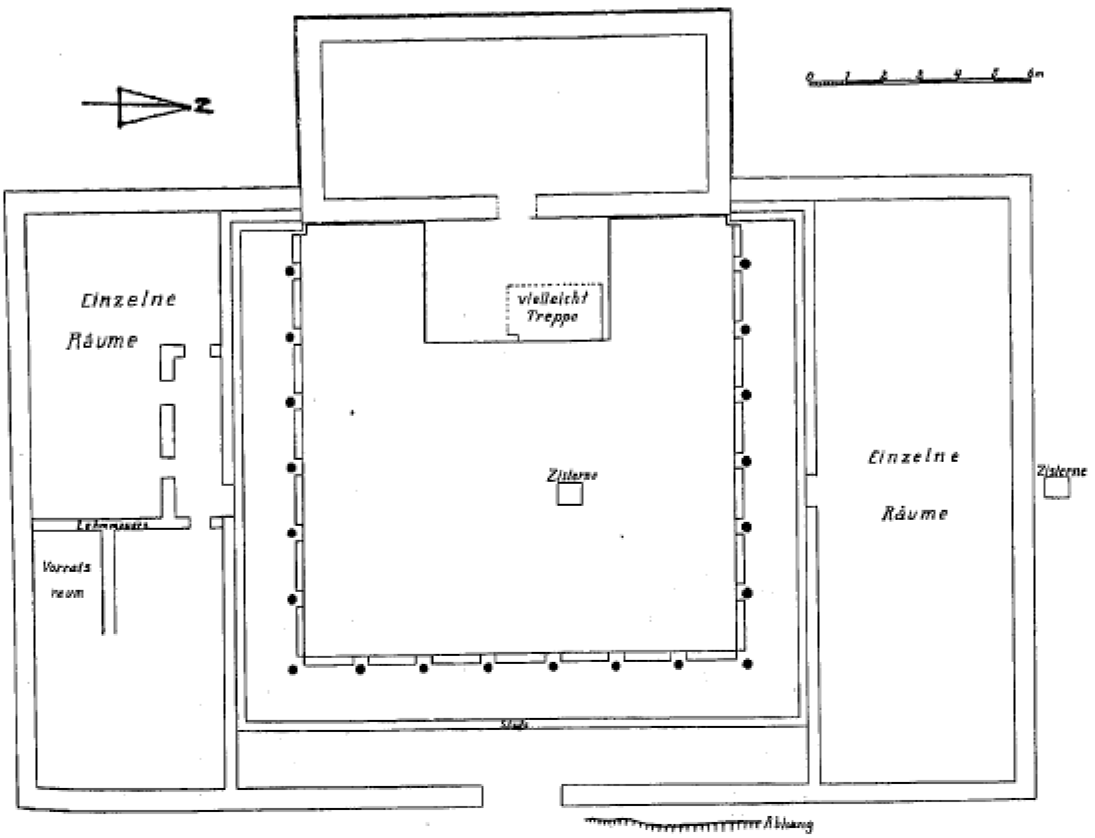
الوعل (الماعز الجبلي) رمز الإلهة شمس

غالباً ما كان اللبان يستخدم في معابدها الجنوبية، وغالباً ما يُصطاد المها (الظباء) والوعل (الماعز) ويُقَدَّم إليها كقرابين، وأصبحت شمس أيضاً مرتبطة بالعدالة لأنها كانت راعية لمملكة حمير وهي إله وصي لمدينة عدن، وأَثر [عثتر] إله كوكب الزهرة، وويثا الإله المنقذ والوصي على مدينة عدن، كان ثالوث الشمس والقمر والزهرة فكرة شائعة في الشرك العربي القديم، وتُعَدّ شمس ابنة اللات لأن أحد ألقابها كان «أم آلهة الشمس» (أم الشمس).

هناك قصيدة عن الإلهة شمس، يشكر الشاعر فيها الشمس في عبارة: «لقد ساعدتنا يا شمس، لأنك أنت من أمطرت».

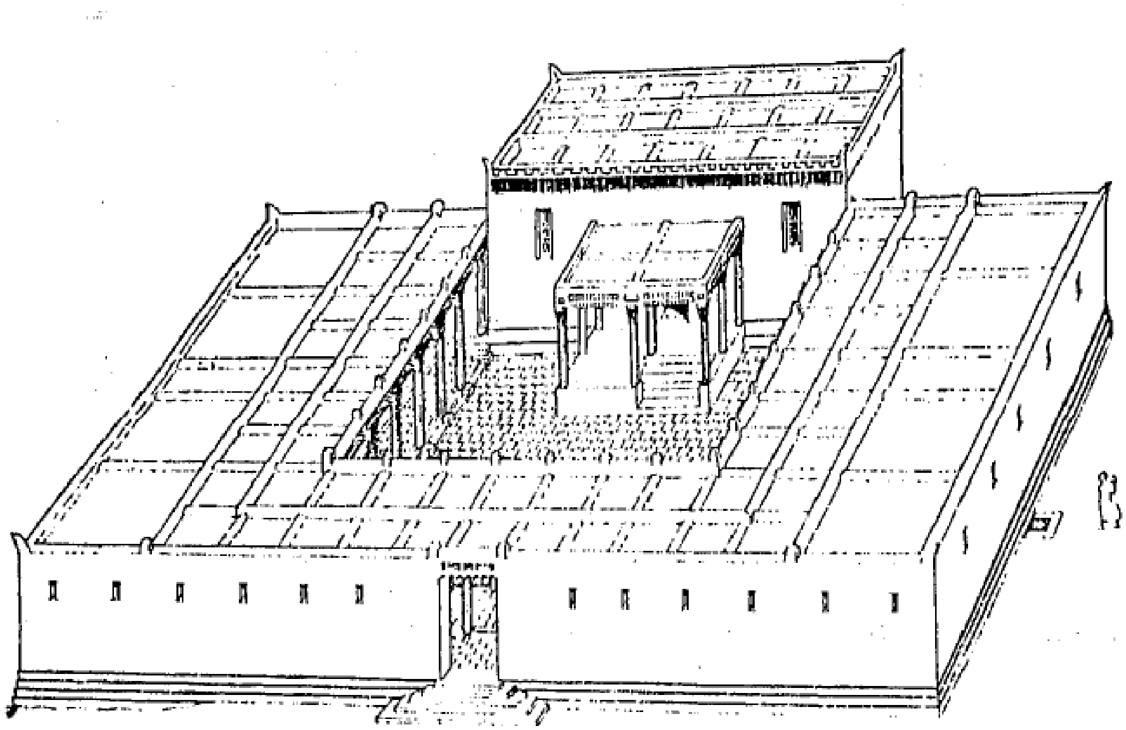
ثالثاً: معابد الإلهة الشمس

ظهرت معابد كثيرة للشمس منها معبد (المعسال) في مدينة (وعلان) الأثيلة حيث عاصمة (ردمان) قديماً، كان يطلق عليها (عليت) أي: العالية، ومعبد همدان لإلهة «الشمس» في منطقة (حقة) الواقعة شمال صنعاء، وتميز معبد (ذات حميم) في منطقة (حقّة همدان) ببنائه المستطيل (28 م طولاً، 25 م عرضاً)، تقع بوابته عند منتصف ضلعه الشرقي، يأتي بعدها فِناءٌ مكشوف محوط برواق شمالي بسبعة أعمدة، ومثله رواق جنوبي، ورواق شرقي بستة أعمدة، ثم غرفة قدس الأقداس.



منظور لمعبد ذات حميم، حقة همدان، صنعاء، مملكة سبأ

(Rathjens and Wissmann 1935) (العريقي 2002: 393)



منظور لمعبد ذات حميم، حقة همدان، صنعاء، مملكة سبأ

(Schmidt, Jurgen 1982) (العريقي 2002: 393)

3. الإله الابن: الزُّهرة

أولاً: عبادة الإله الزُّهَرة

عثتر Athtar (أثر، عثر): إله الزهرة المذكّر، إله الخصب والحب والجمال والحرب، وهو الإله الابن الرئيسي لليمن القديم، إله العاصفة الرعدية ومزود المطر، له علاقة بالطقس والرعد والمطر، العنوان الأدنى الممنوح له هو dhū - Qabd ذو كبد، وتشمل الأسماء الأخرى شرقان وذو يحرق وذو ذيبان، وكان يدخل في تركيب الأسماء (فرعم شرح عثت، أوس عثت).

يُكتَب في شمال جزيرة العرب: عشتر، أشتر.

وفي جنوب جزيرة العرب (اليمن): عثتر، عثت، عث.

وعثتر شرقن: الشارق الذي يطلع من الشرق.

وعثتر غربن: الغارب الذي يغرب من الغرب.

«ويظهر عثتر ذو فَرْعَت كمن تُوَجّه إليه التضرعات خارج الصيغة المألوفة للمتضرعين في هبتين شخصيتين وجدتا في جثوة الجرادان (التي تقع غير بعيدة عن مأرب)، وإننا لنفترض وجود معبد هناك أو في مكان قريب منها لعثتر، واللقب يعني «باكورة الثمار أو بُكر الحيوانات، وهو، كما سنرى، اسم ملائم لعثتر، وكان لقبٌ ثانٍ، وهو ذو ذيبان، معروفاً في ذلك الوقت، ولهذا علاقة بالعربية الشمالية «ذاب»، ويشير إلى صلة عثتر بالماء، وهي صلة تؤكدها مراراً نصوص لاحقة متأخرة، ولا سيما العلاقة بالأمطار المنتظمة في أوقات محددة وبالسقاية الاصطناعية (الهيدروليكية)، ولما كان هذان العنصران كلاهما يمثلان الشَّرْطين اللازمين لزراعة الأرض وخصوبتها، فإن ذلك يتحقق بشخص عثتر ذو ذيبان الذي يبدو في صورة مشابهة لعثتر ذو فرعت، صورة للإله الذي يؤمّن الماء الواهب للحياة، ونتيجة لذلك نمو النبات وتكاثر الحيوان، ولسوف نقابل عثتر ذو ذيبان في العصور التالية كذلك» (الشيبة 2008: 117).

عثتر هو الإله الابن الذي يرث إلمقه وينفّذ خططه، وهو عندهم، من ناحية السماء والكواكب، كوكب الصباح أو الزهرة، ويمثل بين الشمس والقمر صورة الابن، وسُمي عند بعض الدارسين (زيوس اليمن) لأنه يتصدر قائمة أسماء الآلهة في النقوش السبئية، ولم يهتدِ العلماء إلى تفسير مقنع للاسم، والأساس في اسمه أنه الشكل المذَكَّر للإلهة عشتار (إلهة الزُهرة)، ولذلك تحَرَّف اسمه إلى (عثتر)، لكن العالم ريكمانز يظن بأنه يعني «اغتنى وارتوى» في اللغات اليمنية القديمة.

عبدها العرب باسم (العُزّى) وكوكب «الزهرة»، وأسموها باسم «الشِّعرى اليمانية»، وهي في الميثولوجيا العربية القديمة «أخت سهيل»، وحملت عندهم معاني الصفاء والبهجة، وأطلق عليها المنَجِّمون اسم السفر الأصفر، وعبدوا الإلهة هوبس كزوجة لعثتر وهي كوكب الزهرة.

الأسماء المرادفة والقريبة من عثتر: كان اسمه يُكتب على عدة أشكال هي: عثتر، وعثت، وعت، وعتر، وعشتر، وأتر، وأشتار، وعشترون، أما أسماؤه وألقابه الأخرى فنجدها مفصّلة في هذا الجدول:

وظائف الإله عثتر:

1. حامي المنشآت والأبنية والقبور.

2. الخصب والجمال.

3. المحارب الذي ينشر الموت والدمار بين الأعداء.

4. يقوم نيابة عن والده إلمقه بالأعمال الأرضية كالري والسقي.

«لم تتوافق في العثور على الفارق في المدلول بين معنى الإله (I) والإله (SYM) في النقوش اليمنية القديمة، لقد كان بمقدور كثير من الآلهة أن يكون لها معنى هذا المصطلح وذاك، والأكثر من ذلك بالمقدور أن نتوقف في انتقاء المصطلح المفضل لكل واحد منها ـ بالمصطلح الذي يستخدم لمعنى هذا الإله أو ذاك، هكذا يصنف نائب ريام باستمرار تقريباً كما لو أنه (SYM) (السيد)، وسمي مرة واحدة مع إله آخر فقط مع الإله (I) (لوندين 2004: 329)

»أما ما يتعلق بالإلهة التي اعتبرت آلهة القبائل السبئية الممثلة في مجلس الشيوخ، فإنه قد وجدت المعطيات التالية: لقد كان بمقدور عثتر أن يعني مصطلحي (I) و(SYM)، وإن كنا قد قابلنا تعريف مصطلح (I) أكثر من مصطلح (SYM) (السيدة 85 ـ 87، الحاشية 247 و248)، وصنف إلمقه كما لو أنه الإله SYM (السيد) وإن كان لا يُعرف كالإله (I) إلا في النادر للغاية، في حين لم يوجد أي تعريف لحوبس في النقوش، وعلى هذا الأساس يتأكد تطابق (قبائل الرب) مع الاتحاد القبلي (سبأ)، الذي يخضع لعثتر، وتتطابق (قبائل السادة) مع اتحاد فيشان، ويحتمل أنه قد اعتبر إلمقه في البداية. يمكن توضيح التقاء الاتحادين القبليين بأنه قد تشكل هذا الوضع الغريب على ما يبدو، في ذلك الوقت، الذي كان فيه عثتر الإله السامي للدولة السبئية، حيث كانت تتوجه إليه كل الفعاليات الطقوسية من الموظفين ـ المكارب والحكام الكهنة، وكان إلمقه الإله الذي يحمي الناس (الإله الحامي) وأب الشعب». (لوندين 2004: 329).

ثانياً: رموز الإله الزُهرة

رموزه: الهلال والقرص، والظباء، ونجمة، وطفل، وكف إنسان.

رمزه المسندي: هاء.



الهلال والقرص رمز عثتر الرئيسي

1. الوعل والغزال:



«ديناريوس»: غزال [ثور] بقرون، سبأ، نحو القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد، فضي 17 ملم، 2.03 غرام، 6 ساعات، إلى اليسار رمز منحنٍ لإلمقه، وإلى اليمين رمز عثتر، أعلاه قرص «هلال ذات حميم»

Gazelle Boukranion. Saba

2. حرف الهاء المسند إشارة إلى حزمة البرق، رمزه المرافق له والشبيه بلمعان البرق أو إشارة العاصفة المقاربة لحرف الهاء أو الخاء في المسند.

3. كلمة (ر ث د) هي رمز الحماية والحفظ والعناية الإلهية التي تُكتب على نقوش التقدمات والقرابين، وفي المراحل الأقدم كانت تحل محلّ صيغة الحماية (رث د) رمز «الهلال والقرص» الذي جُسِّدَ بشكل قرون الثور التي تشبه شكل الهلال، أو رمز حزمة البرق التي جُسِّدَت بشكل قرون الوعل أو المها، أو بشكل حرف الخاء المسند التي عادة ما يرمز بها إلى عثتر، لذلك نجد أن اليمني القديم اعتقد بحماية الإله له اعتقاداً وثيقاً أينما كان، سواء في حياته الدنيا أم في الحياة الأخرى لما بعد الموت، ولذلك نجده قد أحاط نفسه بهذه الرموز في كل مكان، في جدران معابده وقصوره ومساكنه، وبالقرب من حقوله ومزارعه، بل وحتى في مقابره، متيَقِّناً بأن هذا الإله معه في كل مكان أينما وَلَّى أو ذهب.



رمز الهلال والقرص الذي حل محل صيغة الحماية (𐩧𐩻𐩵) رمز الحماية والحفظ والعناية الإلهية التي كانت تُكتب على نقوش التقدمات والقرابين



رمز "الهلال والقرص" الذي تم تجسيده بشكل قرون الثور التي تشبه شكل الهلال

رموز الإله عثتر:

1. النجمة الثمانيّة أو ذات الشعاعات الستة عشر، ويذكر هذا بنجمة عشتار الثُّمانيّة ومضاعفها.

ثالثاً: معابد الإله الزُهرة

معابد الإله عثتر كثيرة، سنوجز الحديث عن معبده (ود ذي مسمعم) الذي يقع في محافظة مأرب، عند السفح الغربي لجبل البلق الشمالي في سهل (رحب) سمسرة، والسمسرة كانت

محطة للقوافل التجارية عند سفح سلسلة جبال (البلق)، ويُوصَل إليه من خلال طريق مأرب صرواح.

وهو من المعابد المستطيلة المحورية، ويعود إلى القرن السابع ق.م، وهو عبارة عن سور مستطيل طوله 27 وعرضه 20 م، تقع بوابته في الضلع الجنوبي الغربي، يأتي بعدها رواق بستة أعمدة مستطيلة، ثم صفين من الأعمدة على الجانبين (11 عموداً في كل جهة)، والرواق الجنوبي يحتوي على ستة أعمدة يأتي بعدها مكان قدس الأقداس.

يعتقد الآثاري الألماني (يورجن شميت) أن تاريخ بناء هذا المعبد يعود إلى ما قبل القرن الثامن قبل الميلاد، إذ استنتج أن أسلوب بناء هذا المعبد ونمطه يعد أقدم بكثير من أسلوب بناء المعبد (معربم) في المساجد جنوب مأرب الذي يعود تاريخه إلى حدود القرن الثامن قبل الميلاد.

احتوى المعبد على نقوش كثيرة منها النقش الموسوم بـ (Schm/Sam1) الذي يتحدث عن بناء المعبد وبانيه كاهن الإله السبئي (إلمقه) فـي معبـد (ن ب س م) فيما بين مأرب وصرواح.

ويوجد إلى جانب هذا النقش ثلاثة نقوش أخرى تَذْكر تقديم قرابين إلى الإله (ود)، أهمها النقش الموسوم بـ (Schm/Sam2) الذي سجله أحد ملوك معين هو «وقه إل/صدق/بن اليفع» الذي حكم في سنة (360 ق. م).

وتوجد مقبرة المعبد التي تقع إلى الجنوب الغربي منه، وتبعد عنه نحو (35 متراً)، وهي عبارة عن قبورٍ أسطوانية مبنية بأحجار بازلتية.

سادساً: آلهة العالم الأسفل: غير موجودة.

ونفتقد أربعة آلهة كوكبية أخرى لم نلاحظ لها وجوداً في شجرة الآلهة اليمنية، وهي آلهة: المشتري، والمريخ، وزحل، وعطارد.

القسم الثاني: الطبقة الدنيا (الآلهة المحلية)

نعمان: موقع اسمه (نعمن) أو (نعمان)، في أوسان، تقدم له القرابين، ينسب بعض ملوك أوسان أنفسهم إليه كأبناء، مثل الملك (يهصدق إل فرعم شرح عثت).

بلو: من آلهة الأوسانيين القدماء (بلو إل أوسن)، وربما هو قريب من بل، بعل.

وتضم مجموعة من الآلهة الصغيرة التي كانت تَعْتني ببعض تفاصيل الحياة اليومية على الأرض.

2. يثع Yatha: الإله المنقذ، والوصي على مدينة عدن.

رموز حرفية (حروفيات): تشبه حروف الزبور اليمنية.

http://www.barakatgallery.com/store/index

رابعاً: علاقة آلهة اليمن بآلهة وادي الرافدين

لا بد من الإشارة إلى أن أشجار الآلهة الرافدينية (السومرية، الأكدية، البابلية، الآشورية)، التي فصّلنا شرحها في كتبنا المنشورة، كانت مصدر الآلهة الكبرى في اليمن، الكوكبية بشكلٍ خاص، وقد كان اليمنيون عمليين فأهملوا الآلهة البدئية لوادي الرافدين وهن الإلهات الأم (نمّو، تيامت)، وأهملوا آلهة العناصر الأربعة، وأهملوا أربعة من آلهة الكواكب السبعة، وأخذوا الثلاثة المميزة (القمر، الشمس، الزُهرة)، وهو ما يفسر عدم اهتمامهم بالتنجيم والفلك، وكذلك أهملوا أسماء آلهة العالم السفلي الرافدينية كلها، ولم يذكروا شيئاً عن هذا العالم.

هذه النزعة العملية (البراغماتية) في انتقاء ما هو عملي من الآلهة وما يخدمهم في الزراعة والأنواء الجوية، هي ذاتها المسؤولة عن حذف وإهمال الأساطير المرافقة لكل الآلهة التي اقتبسوها والتي كانت آلهة محليّة لهم.

صار من الواضح تماماً أن الثالثوث الكوكبي، بشكل خاص، جاء عن طريق الآموريين أو الكنعانيين، من أصوله الأولى في وادي الرافدين، فالإله القمر عند البابليين (سين) نُقل كما هو عند الحضارمة، وكذلك الإله (ورخ) الذي يستخدم في التقويم وهو إله القمر، لكن اليمنيين أبدعوا وأضافوا إلى الاسم أسماءً محلية مثل (إلمقه) عند السبئيين و(عم) عند القتبانيين و(ود) عند المعينيين والأوسانيين و(كهل) عند كندة و(تألب ريام) عند قبائل همدان، أما الإله الشمس فهو الإله الأكدي (شمش) الذي عبده البابليون والآشوريون، وجاءت تسميته عند اليمنيين باسم مقارب (شمس)، وأضافوا عبادته في معين وقتبان، وجاء إله الشمس مذكراً، فهو لدى معين (نكرح)، وأطلق عليه القتبانيون اسم (أثرت).

ومن الواضح تماماً أن مصدر اسم كوكب الزهرة عند اليمنيين (عثتر) هو عشتار البابلية، وكانت إلهة الحب والجمال والجنس في وادي الرافدين، وخصوصاً في سومر باسم (إنانا)، ثم ظهرت صفاتها الحربية في أكد وبابل وآشور، ويبدو أن اليمنيين اهتموا بصفاتها الحربية فحولوها إلى إله ذكر، وكان يظهر اسمها الأنثوي في (هوبس) زوجة عثتر.

غياب الأساطير اليمنية

لم نعثر على أساطير يمنية في مدونات الآثار القديمة ونقوشها، وهذا يعني أنها ظلت شفاهية ولم تدون، وهو ما يدل على إهمال واضح في وظيفة الكهنة المسؤولين عن الحياة الدينية، وعدم الاهتمام بهذا الجانب الحيوي والمهم من حياة شعبهم وحضارته.

بقيت الأساطير اليمنية شفاهية، ثم تحولت إلى حكايات شعبية وخرافية وفولكلور، وهذه لا يمكن عدّها أساطيرَ بالمعنى العلمي المعروف، ويمكننا أن نلقي على بعضها نظرة بحيث إننا سنختار ما هو قريب من مفهوم الأسطورة، لكن النصوص الأسطورية بلغتها اليمنية القديمة غير موجودة تماماً.

الكتب التي احتوت على شذرات متفرقة منها، بصياغة عربية إسلامية، هي:

1. التيجان في أخبار ملوك اليمن وحمير.

2. أخبار عَبيد بن شَرية الجرهميّ.

3. «الإكليل» للهمدانيّ.

4. كتب حمير نشوان الحميري.

المبحث الرابع: الطقوس والشعائر اليمنية

أولاً: الطقوس اليومية

1. الاغتسال والوضوء: كانت النظافة أساسية لأداء أي طقس ديني، فهي تسبقه وتعطيه قيمة مقدسة، ولذلك جهزت الكثير من المعابد اليمنية بقنوات الماء وأحواضه التي تكفل للمتعبدين غسل ثيابهم وأجسادهم قبل القيام بطقوس زيارة المعبد.

تسمى طقوس الاغتسال والتطهر بـ(سيط)، وأحواض التطهير الطقسي بـ(قلد).

2. الصلاة: كانت الصلاة عفوية تجري في أي وقت، وخصوصاً حين يكون المتعبد في المعبد.



شاهدة/امرأة صلاة من سبأ، القرن الثاني قبل الميلاد، تصلي ويداها مطويتان، مرمر، ارتفاع 28 سم، عرض 14 سم. الأصل: بيحان (اليمن)، Inv لا YM 10880، صنعاء، المتحف الوطني، مصدر: فيليب ميلارد.

.IDENTIFIERAKG640777MUSEUM

3. الطهارة: لا يجوز دخول المعبد دون الاغتسال، فقد كان غسل الجسد والملابس يتم في أماكن محددة في المعبد يسمى المطهر، وهو بركة ماءٍ نقيّ تسمى (س ي ط) وجمعها (أ س ي ط)، وهناك نوع آخر منها يسمى (ق ل د)، «وقد كشفت لنا بعثات الآثار في معبد إلمقه عن بركة تستقبل مياهها في الغالب من مجرى مائي يمر في قناة مصنوعة من المرمر، وكان بناؤها يطلى في الغالب بالنحاس، أما موقعها فغالباً ما كان يقع وسط المعبد، وكان المتعبدون يلجأون إليها لممارسة الطهارة القدسية فيها، وإزالة ما يعلق بهم من أدران وأوساخ، فيتطهرون من كل ما قد وقع عليهم من أنجاس ليتمكنوا بعد ذلك ـ مطمئنين ـ

من أداء شعائرهم الدينية وهم على ما يرام من الطهارة المثلى والنظافة التامة (الجرو 2009: 8).

وتشكّل النجاسة مخالفة صريحة يعاقب عليها مرتكبها بدفع فدية يحددها الكاهن بأمر الإله.

4. التراتيل: كانت هناك تراتيل وأدعية نصّت عليها النقوش المسندية، موجهة إلى الآلهة.

5. النذور والهبات: كانت النذور والهبات المبكرة عند السبئيين تشمل الشخص نفسه وعائلته وممتلكاته تقدم في خدمة المعبد، كنوع من الهدايا والنذور والتقدمات، ثم اقتصر الأمر، منذ القرن الميلادي الثاني، على الهبات العينية كالتماثيل والمنحوتات وأنواع الحليّ والممتلكات، وكانت التماثيل المذكرة تسمى (صلمن)، والتماثيل المؤنثة تسمى (صلمت)، وهناك تماثيل للثيران والوعول والخيول والنسور، وفي مرحلة لاحقة أصبحت النقوش المكتوبة هي النذور الأكثر انتشاراً في المعابد اليمنية.

«تختلف الهبات المقدمة للإله إلمقه من مرحلة تاريخية إلى أخرى، ففي مرحلة مكارب سبأ نجد المتعبد يقدم نفسه، وعائلته، وممتلكاته إلى الإله، وقد يقدم الشخص جداراً (ق ن أ) أو عموداً (هـ ور)، وفي نقش Ja 400=YM يعود تاريخه إلى القرن الرابع ق.م، يقدم المتعبد (عمي أنس) إلى الإله إلمقه ثلاثة محاربين من البرونز تمثل أبناءه المحاربين، وقد عثر على إحداها باسم (معدي كرب)، وقدم إليه أبناءه ومنزله وكفل ممتلكاته» (الجرو 2009: 8).

كان المؤمنون في البدايات المبكرة لظهور مملكة سبأ يقدمون أنفسهم وممتلكاتهم للإله إلمقه، ثم أصبحت النذور، منذ القرن الثاني للميلاد، والهبات مقتصرة على التماثيل والنقوش، وهي كثيرة تشمل المعابد كلّها، «أما النصوص النقشية النذرية فهي ـ ولا ريب ـ أهم ما تحويه المعابد القديمة من المقتنيات الأثرية على الإطلاق، لكونها ـ كما هو معلوم ـ أعظم المصادر الوثائقية التاريخية شأناً وقدراً، وأصدقها تصويراً وإثباتاً للحوادث وحياة الأقدمين في عصورهم الأثيلة، وأوفرها فائدة ووثوقاً لدراسة التاريخ اليمني القديم عموماً، لأنها من صنع الأقدمين ذاتهم، وتوثيقاتهم التي لا يعارضها شك، ولا يقاربها تحريف أو تصحيف غيرهم من البشر سواء في زمانهم أم غير زمانهم. (الجرو 2009: 9).

6. التبخير: كان أهم الطقوس داخل المعبد، ولا يخلو معبد يمني من مذبح ثابت للبخور ومن مباخر يمكن حملها وتداولها، «كان أهل العربية الجنوبية (اليمن القديم) يقدمون النذور والقرابين إلى آلهتهم في المعابد، فالمعبد في نظرهم ملك للإله، يستخدمه بوصفه منزلاً وتُحصَّل فيه الضرائب والعشور، وتقدم له النذور والقرابين، لذا فقد امتلأت المعابد بالنذور الكثيرة، التي هي عبارة عن تماثيل صغيرة، ومباخر وحيوانات، ولوحات فيها كلمات الدعاء، ونقوش بسيطة تعدد دواعي الشكر، التي يبتغي الحصول عليها من الإله في المستقبل، وتعد المباخِر منِ أهم أثاث المعابد فِي العربية الجنوبية وهي المخصصة لحرق

البخور، وهذه المباخر أيضاً تقدم بوصفها نذوراً للآلهة، فقد عُثِرَ في المعابد على كميات كثيرة متنوعة أيضاً» (عبد الله، محمد أسوان، البخور والمباخر في العربية الجنوبية من خلال المعطيات الأثرية والتاريخية 4).(5)

تسمى المبخرة باللغة اليمنية (م ق ط ر) وهي المقطرة، وتختلف أشكالها بين مدورة ومكعبةٍ ومستطيلة ومخروطية وهرمية، وتختلف مواد صنعها من الحجر أو الفخار أو المعادن، وكذلك تختلف نقوشها فبعضها تحملُ نقوشاً مسندية، وبعضها تتزين بالهلال والقرص، وبعضها تحمل رموز الآلهة أو تشكيلات زخرفية حيوانية أو نباتية أو هندسية، وتستعمل المباخر البخور وغيره من المواد العطرية لطرد الأرواح الشريرة وليس للتقرب من الآلهة، وتسمى المباخر التي تقدم كهدايا نذرية للآلهة ومعابدها باسم (مسلم: م س ل م).

7. القرابين: تسمى (ق ر ب) ومعناها التقرّب من الإله، كانت أغلب القرابين حيوانية، وهي عبارة عن الذبائح والأضاحي، وأهمها البقر والثيران والأغنام والماعز، ويجب أن تكون خالية من العيوب، وتكون في الغالب من الذكور.

مختن: هو مكان ذبح الأضاحي في المعبد.

المذبح: القاعدة التي كانت تمدد عليها الذبيحة تسمى (م ذ ب ح ت) وقد تكون من الحجر أو المرمر، وتكون على شكل ثورٍ أحياناً تنتهي بحافَةٍ ذات فتحة أو فتحات، وتسمى مثل هذه القاعدة (مذبح ذو مصراب) أو (مائدة قربان الشراب).



مائدة قربانية مع مجرى لسيل الماء أو الدم، من سبأ، أوائل القرن السابع قبل الميلاد، مائدة قرابين بها مصرف على شكل رأس، ونقش نصفي عربي جنوبي قديم، المكتشف: جدير بن منير، اليمن، معبد سامي، من المرمر، 36.5 سم × 28 سم، باريس، مجموعة خاصة، مصدر: فيليب ميلارد. IDENTIFIERAKG640459MUSEUM

8. التكفير والمغفرة: وهو طقس يقوم به مَن أذنب وخرق تقاليد العبادة، فهو نوع من إعلان التوبة وطلب المغفرة، وكانت أهم الخطايا الموجبة لهذا الطقس هي النجاسة، والتقصير في أداء الواجبات الدينية الخاصة بالمعبد، والإقامة غير الشرعية في المعبد، وصدور الروائح الكريهة داخل المعبد، وعدم الإيفاء بالنذور وغيرها، ويُكَفَّر عن هذه الخطايا بتقديم نذر أو هدية للمعبد والكهنة.

9. السؤال عن الغيب والوحي (مسأل، ملأ، هوكلت): وهو طقس ديني يؤديه من يطلب السؤال عن مستقبله أو مصيره أو قضية غامضة عنده، وعليه تقديم قربان إلى الإله مثل التماثيل، أو النذور الحيوانية كالثور والوعل وغيرها، وكذلك عندما يطلب الشخص تفسير حلمٍ من أحلامه، أو من يستوجب تغيير اسمه، أو الاستخارة في عملٍ ما.

10. إقامة العهد مع الآلهة (حبلم، حمرم): وتشير صيغة الاسم بوجوب الثقة مع الإله التي يعبر عنها بالحبل، وحمرم التي تعني التوحد والوحدة من خلال الإله، ويتمّ هذا عن طريق

طقس تحالف بين قبائل أو جماعات معينة، ونجد ذلك في نقش كرب إل وتر بشكلٍ خاص، وهناك نقوش أخرى أكدت استمراريته مثل نقوش جبل اللوذ.

ثانياً: طقوس المناسبات

1. **البناء:** اتخذ بناء المعابد بشكل خاص صفة مقدسة، وكانت المعابد تبنى عادة في أرض مرتفعة نسبياً، وتجرى طقوس حفر أساسها بطريقة دينية، مثل تقديم الأضاحي وترتيل الأدعية وغيرها.

2. **الزواج:** كان الزواج أمراً مقدساً وكان يسبقه تقديم النذور وإشعال البخور والدعاء للآلهة كي تنجحه وتجعل منه أساس بناء أسرة مستقرة، وكانت طقوس الزواج تجري وفق خلفية دينية فلكية تتمثل في ما يشبه الأسطورة الفلكية، حيث القمر يلاحق الشمس بحركته ويتبعها، وكان يبدو مسرعاً بحركته هذه، وحين يصل إليها يختفي لثلاث ليالٍ معها، ثم يظهر كأنه ولد من جديد على شكل هلال يظهر مبتعداً عن الشمس، ثم حين يصبح بدراً يقترب منها مسرعاً، وقد أوحت حركة القمر (الذكر) نحو الشمس (الأنثى) وخلوته معها ثلاث ليالٍ بوجود زواجٍ إلهي يحصل في السماء.

كان الزواج يجري في أشهر معينة، وكانت له طقوس معينة مثل المهر (مهرت) الذي قد يكون من الحيوانات الأليفة أو الإبل، وتقديم الهدايا للمرأة من ثياب وزينة، وكانت المرأة تظهر بحلة جميلة، وتجري الاحتفالات المناسبة التي تأخذ منحًى دينياً ويكون عقد الزواج قد كتب بطريقة دينية.

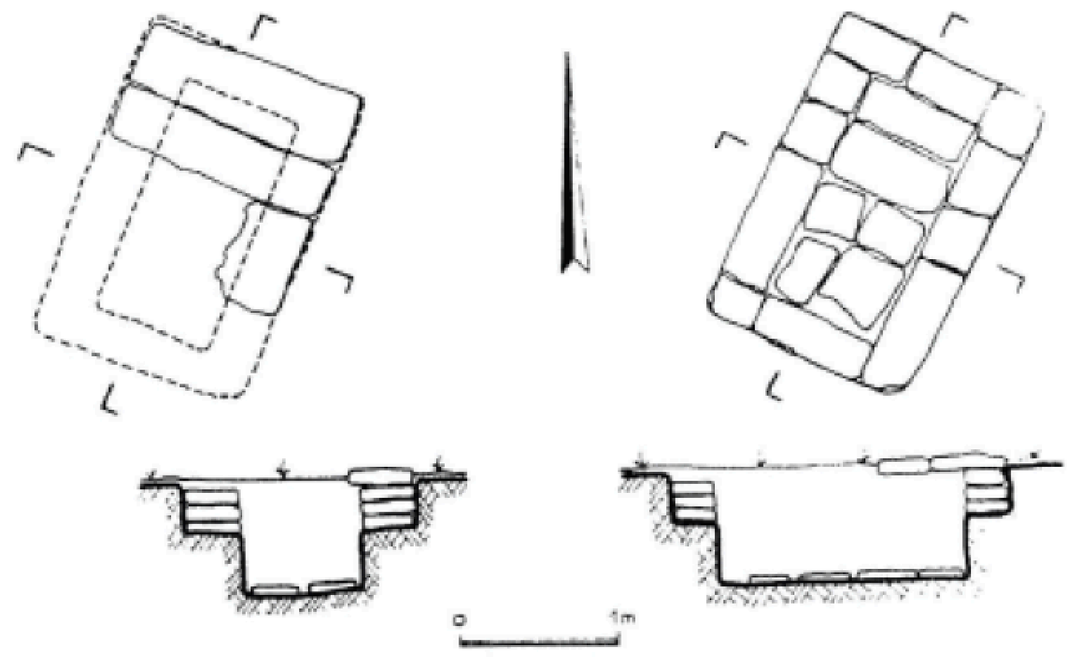
3. **الصيد المقدس:** هناك نوعان من الصيد، الأول هو الصيد المقدس وهو صيد الحيوانات التي تقَدَّم كقرابين للآلهة، والثاني هو الصيد الملكي، وهو نوع من الرياضة التي كان يمارسها الملوك والوجهاء كنوع من الرياضة والتسلية.

يعد الصيد المقدس من أقدم أنواع الصيد وأهمها، وكان يجري في مواسمَ وشهور معينة ويكون من أجل آلهة محددة، وكان يعد طقساً من طقوس الخصب أحياناً، وكان هناك إله للصيد في اليمن اسمه (كورم)، وحين يكون صيد الوعل يُقَدَّم قرباناً للإله عثتر، وهناك صيد مقدس للإله تألب، وصيد من أجل الشمس أو إلهة الشمس، وتقدم كل غنائم هذه الأنواع إلى معابد تلك الآلهة، والغرض منها الخصب واستنزال المطر ومنع غضب الآلهة.

وما زال طقس الصيد المقدس يمارس حتى يومنا هذا، ففي حضرموت يمثل فصل الشتاء بين كانون الأول (ديسمبر) وكانون الثاني (يناير) موسماً لصيد الوعل، إذ يعدّ تقليداً محلياً متوارثاً منذ العصر السبئي، وما زالت تقام له طقوس سنوية تختتم عادة باحتفالات جماعية يشارك فيها أبناء المنطقة وتتخللها الأهازيج والرقصات التي ترفع فيها رؤوس

الوعول، وقد سبب هذا الطقس تناقص أعداد الوعول وأصبح يهددها بالانقراض في هذا المكان.

4. الموت: أشهر المقابر في اليمن هي المقابر الأرضية، وهي المحفورة تحت الأرض، وكمثال لها موقع شكع في الضالع المتألِّف من توابيت حجرية، وقد قدمت هذه المقبرة نمطاً غريباً من الأثاث الجنائزي، ويتمثل بمجموعة من النذور بشكل أعضاءٍ بشرية من حجر الرخام والحجر الكلسي بالحجم الطبيعي، إلى جانب بعض النقوش المسندية التي أعادت من خلالها تاريخ الموقع إلى نهاية الهيمنة القتبانية في القرن الأول ق.م (روب 1999: 206)، ومنها مقابر روكب في جزيرة سقطرى، التي درست من قبل البعثة الأثرية الروسية، وهي المقابر التي حدد تاريخها بالنصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد. (Naumkin & Sedov 1993: 581 ـ 582) (الحسيني 2013: 42).



مسقط ومقطع للقبر 2 من مقابر زوكب بجزيرة سقطرى

(Naumkin & Sedov 1993: 580(

(الحسيني 2013: 42).

لم تلزم المقابر اليمنية بالدفن في اتجاه معين، فقد كان الدفن في اتجاهات مختلفة، وكان الدفن في القبر يتم بطرق مختلفة، منها الوضع المنحني (القرفصاء) كما في مقابر منطقة ريبون بوادي حضرموت ومقابر وادي ضراء في شبوة ومقابر العصيبية في أبين وغيرها، حيث دفن مع الميت بعض الأثاث الجنائزي مثل الحلي الذهبية والفضية والأسلحة كالسيوف والخناجر والأواني المرصعة والمطعمة بموادّ نفيسة.

ومعروف أن التحنيط كان في اليمن القديم، وقد شرحناه مفصلاً في موضوع الطب في اليمن القديم. كان التكفين يجري بالجلد المدبوغ أو بالكتّان، أو بكليهما، وكان يجري طقس حرق الجثث في بعض الأحيان.

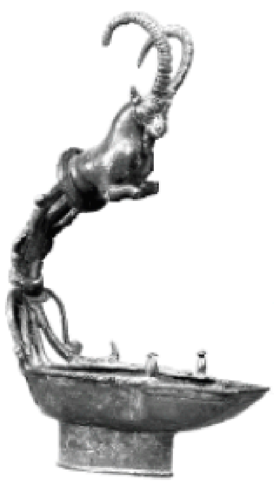
هدايا مقابل طلبات تطلب من الآلهة، وكانت غالباً ما تقدم كنصيحة للمتعبد من قبل الكهنة،



صورة (٦٠) : مسرجة من B-Sq.4-T1



صورة (٦١) : مسرجة من البرونز من المربع ٩



صورة (٦٢) : مسرجة مكتملة من شبوة عن (Avanzini 2005: 145)



صورة (٦٣) : رأس وعل شبيه بالرأس الذي على المبخرة المكتملة من موقع هلة-البيضاء

بعض الأثاث الجنائزي

(الحسيني 2013: 340).

5. النذور: وتسمى (ن ذ ر، ن ذ ر م، ن ذ ر ن) وهي طقوس تقديم مقابل ذنوب ارتكبت، أو هدايا مقابل طلبات تطلب من الآلهة، وكانت غالباً ما تقدم كنصيحة للمتعبد من قبل الكهنة،

فالكاهن هو الذي يحدد نوعها وكميتها، وهناك نذور تقدم للآلهة جزاء حمايتها لصحة الإنسان أو لصحة بعض أعضائه.

6. الاستسقاء: طقس وقرابين صلاة استنزال المطر للتقرب إلى الآلهة عندما يحل الجفاف والقحط في مكان ما من اليمن، ويصاحبه تقديم القرابين والأضاحي لذبحها في العراء، وتلاوة الأدعية والأناشيد الجماعية، وأهم نقش يحدثنا عن صلاة الاستسقاء هو (ja 375) الذي يحدثنا عن جفاف وقحط بلاد سبأ، وكيف أن قبيلة سبأ وبنات مأرب سارت إلى معبد الإله إلمقه (أوام) في موكب ديني، وهم يرددون أدعيتهم وتضرعاتهم، ويقدمون القرابين، ويؤدون الطواف في المعبد، ويقول النقش إن الإله استجاب لهم في اليوم نفسه، فهطلت الأمطار بغزارة وملأت مياهها حقول الزرع وارتوَتِ الأرض الجافة، وقد أكد المستشرق بيستون بأن دور المرأة في تأدية الشعائر الطقوسية إنما هو تأكيد للخصوبة، فقد أكد النقش بنات مأرب.

ثالثاً: الطقوس الدورية

1. الحج (ح ض ر، وف ر):

كان هناك حجٌّ مركزي في الدولة السبئية للإله إلمقه في معبده (أوام) في مأرب، وكان هناك أنواع أخرى فرعية للحج لآلهة أخرى في الممالك الأخرى مثل حضرموت في الحج لمعبد الإله سين في شبوة، وكذلك حج الإله (تألب) في معبد ريام.

طقوس الحج إلى معبد أوام (محرم بلقيس) في مأرب: يمثل الحج إلى معبد أوام الحج المركزي الرئيسي في الديانة اليمنية، وكان إلزامياً لكل قبائل الاتحاد السبئي في شهر أبهى كحجٍّ جماعي، وهناك حج فردي للمعبد (أوام) يختلف في طقوسه ويُقام في شهر (ذهوبس).

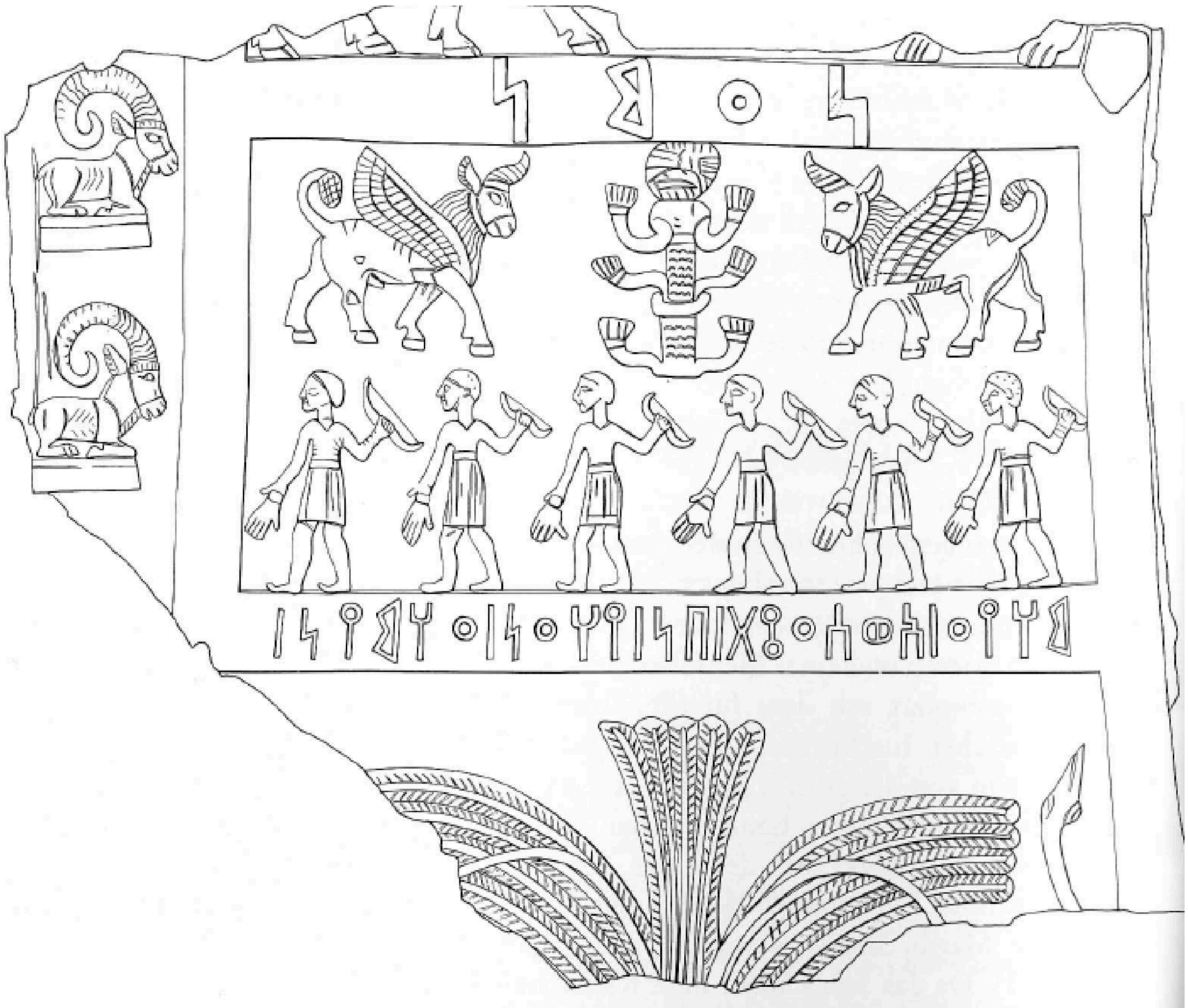
«أهم النقوش السبئية التي سلطت لنا الضوء على موسم حج الإله إلمقه النقش (*Ja 651*) الذي يشير إلى «سلامة الجماعة الذين أرسلهم سيدهم في مهمة وهي: مراقبة وخدمة الحجاج في أثناء الحج في معبد إلمقه (أوام) والإشراف على بعض الأعمال الإنشائية بمدينة مأرب في أثناء انعقاد الحج السنوي الذي يقام في شهر (أبهى) من التقويم السبئي، الذي يصادف موسم الأمطار حيث قاموا بأعمال إنقاذ، فأعادوا بناء أسوار وقلاع (مأرب) لحماية المدينة من اندفاع السيل (بافقيه، 1989، 61)، ويشير النقش عينه إلى إقامة الاحتفالات، والشعائر الخاصة بالحج، وينوه إلى استمرار هذه الشعائر إلى اليوم التاسع من الشهر. (*Ryckmans, J, 1966, 487* ـ 491)، (*Beeston, 1978, 204* ـ *206*)»، (الجرو 2009: 14).



طريق الحج إلى معبد أوام الذي يمر بتماثيل رؤوس الوعول

«لم تكن مدينة مأرب عاصمة سياسية فقط في سبأ، بل كانت مدينة مقدسة، ولها دور مشابه لمكة المكرمة قبل الإسلام وبعده، ولعب معبد أوام (محرم بلقيس) في اليمن القديم دَوْراً مماثلاً للكعبة كمركز للحج في الدولة السبئية، وكانت الناس تأتيه من أنحاء اليمن كافة لطلب الشفاعة والحماية من الإله السبئي الرئيسي الإله إلمقه، ولأداء فريضة الحج، وبقي هو المكان المقدس الرئيسي، وكان على من يؤدون فريضة الحج لآلهة محلية أن يقدّسوا فريضة حجّتهم في مأرب، لأنها لا تجوز دون تأدية الحج للإله إلمقه في معبده أوام، لتأكيد المعلومات المتوفرة عن الحج من خلال النقوش والشعائر والطقوس الخاصة بالحج، ويستعرض المصطلحات المتعلقة بالحج في النقوش اليمنية القديمة، وعلى طقوس الحج إلى معبد أوام والشعائر ومناسك الحج المرتبطة بذلك، مثل الطهارة والسعي والمواكب الدينية والأضاحيّ وأيام التشريق وزمن الحج وحماية الحجاج» (انظر Maraqten 2021: Abstract, P. 430).

أما أهم طقوس الحج فكانت في الطهارة والطواف (ط وف، ه ي ع، ه ج ع) والتضرع وتقديم القرابين.



لوحة من البرونز ترمز إلى الطواف، سبأ، القرن الخامس قبل الميلاد (مولر، 1999، 121)

Bronzerelief aus Marib (Umzeichnung C. Wolff nach Photos I. .Gerlach und Original)

ويبدو من النصوص أن هناك عدة أماكن خصصت للحج، «منها المعابد الرئيسية، وبعض الأماكن المقدسة، ولم يختص به معبود بذاته، إذ ذكرت النصوص حج يثل وحج للمعبود إلمقه في مأرب، وأطلق القتبانيون على معبودهم «أنبي، إله الحج»، وتشير النصوص إلى أن الحج أيام معدودة ومحددة، وأطلق على أحد شهور سكان الجنوب «ذو حجتن»، وإن كنا لا نجزم بأن الحج كان يتم فيه فقط، لكن من المؤكد أن شهر ذابهي هو شهر الحج في جنوبِ الجزيرة، وكان الحج الرئيس إلى معبد أوامِ معبد إلمقه في مأرب، وكان طقساً يُقام

سنوياً وفي هذا الشهر، وتشير كذلك النصوص إلى أنواع أخرى من الحج إلى هذا المعبد يقوم به أفراد لشكر الإله عند حصولهم على نعم منه، أو عند تحقيق المعبود لهم ما طلبوه منه فيؤدون الحج كنوع من النذر، وترد في النصوص أوامر خاصة بالحج، مثل وجوب أدائه في أزمنته المحددة، والامتناع عن الأمور التي تُخِلّ بحرمته كإقامة العلاقات الجنسية، وحمل السلاح، والقتال في أثناء الحج» (النعيم 2000: 178 ـ 179).

2. عيد رأس السنة اليمنية: يُعَدّ يوم 14 إبريل (نيسان) من كل عام رأس السنة اليمنية وأول أيامها، وحدد اليمنيون هذا التاريخ لأنه يتزامن مع دخول موسم الأمطار في اليمن، واسم الشهر هو ذثبتن = ذَ الثابة أول شهور السنة الزراعية، وهو الشهر الأول من شهور الصيف (دثا)، والعيد يصادف في منتصفه تقريباً، ويقترب توقيت هذا العيد مع أعياد رأس السنة في وادي الرافدين، وخصوصاً عند البابليين والآشوريين، وفي مجمل المشرق القديم.

كانت بداية السنة اليمنية الجديدة هذه بحسب التقويم الحميري المتأخر الذي يبدأ من 115 قبل الميلاد، وهو ليس أول تقويم في اليمن، فقد عَرَفتِ اليمن التقويم الشمسي من الألفية الثانية قبل الميلاد، ولكنهم لم يؤرخوا بتتابع السنين، فالتقويم السبئي يؤرِّخ نسبةً إلى تَوَلِّي شخص منصب كبير الرشو (الكهنة)، الذي يجب أن يكون من أبناء قبائل محددة وردت تسمياتها في النقوش، وهي قبائل (خليل، حذمة، فضاح، يهحسم)، والكاهن المرشح من أي منها يستلم المنصب لسبع سنوات ويكون حساب التاريخ حسب سنوات توليته ككاهن.

ولا تُعرف على وجه الدقة طبيعة الطقوس والاحتفالات في مثل هذا العيد، وليس هناك أية تفاصيل في النقوش المسندية عنه.

3. أعياد الآلهة: كانت مواسم الحج للآلهة الأخرى بمثابة أيام أعيادٍ للآلهة، وكان بعضها لا يُعد حَجاً بل مناسبة للاستذكار السنوي وتقديم الهدايا والنذور المناسبة، ونرجّح أن لكلّ إله من الآلهة الكبيرة عيداً سنوياً.

ففي عيد إله القمر، في سبأ، كان موسم الحج، في معبد أوام، له علاقة واضحة بعيد للإله إلمقه، حيث كانت تقَدَّم له الوعول كضحايا ونُذُور من غير الإله إلمقه، ولا توجد نصوص صريحة وواضحة لهذا العيد، رغم أنهم ربطوا التضحية له بالثور في طقس احتفالي لأن الثور أحد رموزه.

«كانت تُقدّم إلى المعبود (ود) موائدُ الإراقة أو موائد القرابين المحروقة، ومن النقوش التي يَرِد فيها ما يشير إلى تقديم ذلك النقش المدوّن باسم ملك مازن على مائدة إراقة ذات ميزاب بشكل رأس ثور، الذي عُثر عليه في منطقة الجوف، وقد جاء في النقش الموسوم بـ(G11234) تقديم البخور للمعبودِ (ود)، أي عندما قدم (أصحاب النقش) حملاً وبادية

وعبيدة بخوراً للإله (ود) في هيكله أو في معبده، وربما في موسم الحاضر الحج الخاص به» (السامرائي 2019: 86).

وهناك احتفالات خاصة بالإله سين في موسم الحج إليه في حضرموت، ومثلها لـ(تألب ريام) في سمعي وهو إله همدان، وهناك احتفالات خاصة بالإله (ذي سماوي) الذي كان معبود قبيلة (أمرم) الذين كانت تربية الجمال مهنتهم، وعُبد في الجوف في منطقة (محرم)، «إن الأمير (بين) وغيره قدموا إلى الإله (ذو السماوي) أنواعاً من القرابين والنذور، وكان أغلب ما يقَدّم إلى هذا الإله هي تماثيل الجِمَال، لأن الجَمَل اعتُبر رمزاً مقدساً لهذا المعبود، وهو الذي يتكَفَّل بحمايته وحماية أصحابه، ومن الدلائل القوية على أن (ذي سماوي) قد اكتسب صفة شعبه، وربما قد تكون عمَّت كل اليمن القديم، أنه من الآلهة التي كان يحج إلى معابده، وكان لكل معبدٍ احتفالاته ومناسباته الخاصة، ومن تلك الاحتفالات والطقوس (الحج)، ومن المعابد الخاصة بذي سماوي التي كان يُحجّ اليها بفروٍ في شظيف» (السامرائي 2019: 95 ـ 96).

المبحث الخامس: الآخرويات اليمنية

أولاً: النهايات والموت الفردي

عقيدة ما بعد الموت عند اليمنيين كانت بسيطة ولا تعقيد فيها، لأنها لم ترسم تفاصيل ما يحدث في العالم الآخر ما بعد الموت، بل كانت تتضمن فكرة وجود حياة أخرى بعد الموت، دون تفاصيل عن الثواب والعقاب والجنة والنار، ربما كانت تطمح إلى خلود الروح مع الجسد أو بدونه، ولا توجد أسطورة طوفان يمنية، أو أسطورة عن نهاية العالم والإنسان، إذ لم تصل نصوص بهذا الشأن، ولذلك عاش الإنسان في اليمن بضوابطَ أخلاقية ودينية من أجل أهدافٍ بسيطة تتمثل بالاستقرار والانجاب والسعادة الأسرية والمادية.

كانت طقوس الدفن تتطور مع الزمن، واختلفت في كل عصر، كما في هذا العرض السريع:

1. عصور ما قبل التاريخ: كان الدفن التقليدي هو السائد، ولم يُعثر على جثث إلا ما يدل على وجود سابق للميت بهذا القبر نظراً إلى تحللها بشكل كبير، فقد وُجدت بجوارها بعض الأسلحة والأدوات المصنوعة من الصوان والأوبسيديان (الزجاج البركاني)، ومن أمثلتها المقابر الركامية والمقابر المذيلة والمقابر البرجية، أو ما يُطلق عليه (خلايا النحل) كتلك المنتشرة في الرويك وجدرين بمأرب ومنطقة العبر في حضرموت ووادي وعشة وما حوله في الهضبة الشمالية لوادي حضرموت، وتنتشر بكثرة في عُمان ومناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية.

2. في العصور التاريخية: ساد الدفنُ التقليدي أيضاً في اليمن القديم، كذلك كانت هناك عقيدةٌ لدى القدماء وإيمانٌ بوجود حياة أخرى وخلود بعد الممات، تم الدفن بطرق مختلفة الوضعيات، ومنها الوضع المنحني على هيئة القرفصاء، وهي العادة نفسها التي كانت لدى قدماء الشعوب المشرقية.

مقابر منطقة ريبون بوادي حضرموت، ومقابر وادي ضراء في شبوة، ومقابر العصيبية في أبين، ومقابر موقع ثاج في السعودية، وهي مقابر أرضية دُفِنَ فيها بعض الأثاث الجنائزي مع الميت، مثل الحلي الذهبية والفضية والأسلحة كالسيوف والخناجر وأواني مُرصعة ومُطعمة بمواد نفيسة، مثل الأحجار الكريمة والمُجوهرات، وعادة ما تكون هذه المواد في مقابر أثرياء القوم وقاداتهم العسكريين.

3. الدفن والتحنيط: بسبب الاعتقاد بخلود الجسد والروح بعد الموت كان هناك تحنيط ومعالجة للجثة قبل أن تدفن وتُوَارى في التراب، أو توضَع في أرفف المقابر الصخرية، على أساس أن يبقى الشكل العام للميت ليُتَعَرَّف إليه عند عودة الروح إليه في قبره.

حُنِّطَ الكثير من الجثث ولَفَّت في كيس من الجلد مرةً، ومرة أخرى لَفَّت بشرائح من الكتان بطرق متقنة ومتينة، وذلك بعد أن تخضع للتجفيف بمواد طبيعية كانت تُستَخرج من النباتات ـ غالباً ـ الموجودة في البيئة الصحراوية، ومن بين أهم هذه النباتات كان يوضع نبات الراء، وهو نبات بري عبارة عن حبيبات أشبه بالقطنية له خاصية الامتصاص، إذ كان يُوضَع داخل التجويف البطني حتى يمتص السوائل لكي لا تتعفن الجثة، وهذه المعالجات الطبية تتم عادة بعد استئصال ما في البطن من أحشاء غير قابلة للحفظ لوقت طويل مثل الأمعاء وتوابعها، ويعالَج الرأس معالجة خاصة تحظى بالعناية المركزة والدقيقة بحيث كانت تبقى بعض خصلات من الشعر في بعض الجثث سليمة الى جانب بعض من الجلد أيضاً.

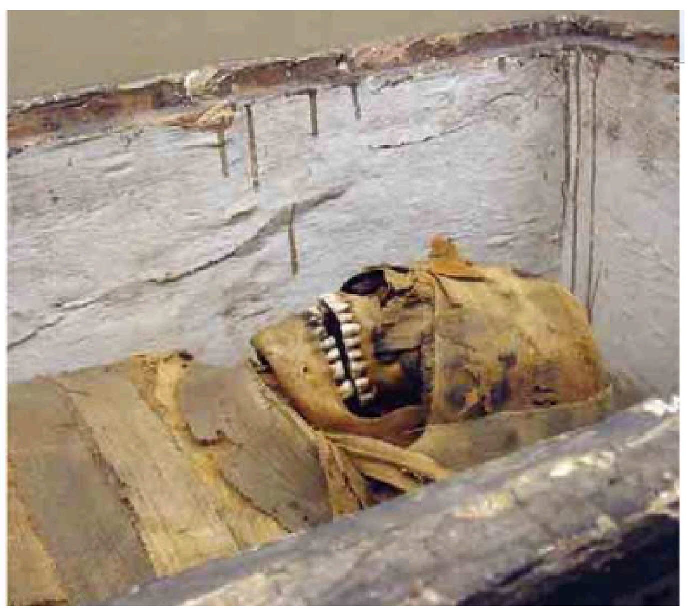
لقد وُجدت معظم هذه المُحنطات التي تسمى (المومياء) في وضعية القرفصاء المنحنية، كما وجدت بالمقابل جثث أخرى في وضعيات ممتدة، والبعض الآخر مقطوعة الرأس، وبعض الرؤوس بجوار الجسد، ويعلل بعض العلماء اتخاذ وضعية القرفصاء على أساس أنها تشبه وضعية الجنين في بطن أمه، أي أن هذه العلاقة تشير إلى بداية حياة جديدة بالنسبة إلى الميت كما هي بالنسبة إلى الجنين الوليد، وهي في الوقت نفسه استبشار بديمومة الحياة بعد الموت، والموت بعد الحياة وهكذا، أما بالنسبة إلى الوضع والاتجاه العام للجثة بداخل المقبرة فكان غير محدد باتجاه معين بالنسبة إلى الجثث في المقابر اليمنية القديمة، كالذي نجده في المقابر المصرية القديمة مثلاً، حيث يجب أن يتجه وجه الميت في جميع المقابر نحو غروب الشمس، وهذا ما له دلالات واعتقادات عند قدماء المصريين ذات صلة بعبادة الشمس وما يُسمى الإله رع وما إلى ذلك.

ثانياً: أنواع المقابر في اليمن القديم



المقابر الأرضية (العيدروس 2014: 81).





مومياءات وجماجم داخل المقابر (العيدروس 2014: 82)

الأدوات المرافقة للموتى في المقابر: منوعة وكثيرة تشمل الجرار والأواني والمباخر والأسلحة البسيطة والأزرار والخواتم.



القطع الأثرية، وادي دورا، 2 ـ 4 م عربي قديم. أشياء الدفن (حوض برونزي، قطره 36 سم، إبريق، ارتفاع 27.5 سم؛ 39 زراً فضياً بقطر 2.7 سم؛ ختم ذهبي بطول 2.1 سم؛ خنجر فضي بطول 55 سم؛ حامل بخور من البرونز بقطر 10.5 سم؛ وأشياء أخرى). الأصل: القبر 3 بوادي دورا (شبوة، اليمن). Inv. أرقام: 196/7، 296، 296/6، 296/1، 296/3، 296/5، 296/6، 296، 296/22. متحف عتق في اليمن، مصدر فيليب ميلارد.

القسم الثاني: المكونات الثانوية للدين اليمني

المبحث الأول: الشرائع والأخلاق الدينية

على الرغم من أن الدين هو أحد مصادر الأخلاق في الحضارات القديمة، فإن الشرائع والأخلاق ارتبطت في بداية ظهور ملامح الدول اليمنية بشخصية الحاكم الكاهن في دولة المدينة والمكرب في الدولة الموحدة، حيث كان لرجل الدين (المكرب) الدور الأساس في نشأة الجوانب الشرعية والتنفيذية معاً، وحين ظهرت الملوكية أصبح الملك رئيساً للمؤسسة القانونية التي كانت تصدر المراسيم والقوانين المتناثرة حسب حالتها، وبقي المكرب حارساً للشرائع وللأخلاق الدينية بشكل خاص.

يبدو لنا أن من الصعب فصل الشرائع والأخلاق عن الدين في حضارة كالحضارة اليمنية، فقد كانت الآلهة حاضرة دائماً في المجتمع، فكل جماعة أو شعب أو قبلية يرون أنفسهم منحدرين من أب واحد هو إلههم، ومن الطبيعي أن ترد في النقوش اليمنية عبارة (ولد إلمقه) أو (ولد عثتر) إلخ، ثم إن وجود الكاهن والمكرب معهم في حياتهم الدينية يضعهم في حالة اختلاط واضح بين الأخلاق والدين والشرائع التي تصدر باسم الملك والإله.

القوانين الدينية: وتعرف أيضاً بالشريعة، كانت أثبت من بقية القوانين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهي الأكثر تطبيقاً والأكثر حماية من قبل رجال الدين والمعبد، ويقودنا هذا إلى فكرة المقدس وسلطتها في النفوس والخوف من انتهاك حدودها، فقد كانت هناك محرمات تخص الآلهة وأخرى تخصّ المعبد ورجال الدين يصعب خرقها، لأن ذلك يؤدي إلى الهلاك والموت والخراب في نظر المؤمن، وقد عرفنا كيف كانت القوانين الدينية تحفظ حرمة الآلهة والدين والمعبد وقداستهم بسَنِّها قوانين الاعتراف والتوبة والتكفير.

هذه القوانين أمضى وأقوى من قوانين العقاب في الاقتصاد أو السياسة، لأن لها صفة الديمومة والثبات، وهي تتحول مع الزمن إلى نوعٍ من الأعراف غير القابلة للخرق بسهولة، على رغم أن الكثير منها لا يتناول الأخلاق العامة، لكنها مملوءة بما يجعل الإنسان منضبطاً في سلوكه العام سواء كان نحو الآلهة أو المعبد أو المجتمع.

وكانت التشريعات الدينية تخصّ مجموعة من القواعد التنظيمية مثل تنظيم علاقة الناس بالمعبد وما يجب عليهم فعله أو تجنّبه، مثل تحريم أخذ طيب الإله واستعماله بشكل شخصي، وتحريم سرقة ما في المعبد، أو إطفاء نار المعبد وضرورة التبليغ عن ذلك، والالتزام بسلوك جيد في التخاطب مع الإله وطلب منه ما يُراد، وهناك إجراءات يجب اتباعها عند زيارة المعبد مثل:

«ـ أمر ديني صادر من المعبود بتنظيم زيارة المعابد:

ـ من زار معبداً حاملاً سلاحاً ليدفع غرامة مالية قدرها خمس قطع نقدية من نوع حي اليم.

ـ ومن زار معبداً حاملاً سلاحاً ملطخاً بالدماء، ليدفع غرامة مالية قدرها عشر قطع نقدية من نوع حي اليم.

ـ ومن زار معبداً وملابسه ملطخة بالدماء، يدفع غرامة مالية قدرها عشر قطع من نوع حي اليم.

ـ ومن ارتكب جهالة في وسط المعبد، ليطرح أرضاً ويجلد ويدفع غرامة قدرها 20 قطعة نقدية بلطية.

ـ أمر ديني صادر من الإله بتقديم نذر عند زيارة المعبد: أيّ إنسان يريد الحضور لزيارة المعبد عليه ذبح قربان، وإلا فإن الكاهن سوف يؤخر حضوره.

ـ تحريم ممارسة العلاقات الجنسية في الأماكن المقدسة، وحرم كل ديوان (داخل المعبد) من ممارسة الجماع.

ـ منع دخول من كان نجساً للمعبد: أي امرأة ثبت عليها الاعتكاف في فترة حرم في معبد أوام معبد الإله إلمقه» (النعيم 2000: 170 ـ 171).

وهناك قوانين لتنظيم الطقوس الدينية:

1. كالحج للمعابد الرئيسة، وتحديد أزمنته وما يرتبط به من ممارسات وشعائر، وما يترتب على مخالفيها من عقوبات وجزاء.

2. أداء الصيد المقدس وإقامة الولائم الدينية، وتحديد أزمنة إقامتها وكيفية أدائها وتحديد الأماكن المخصصة لها، وغيرها من الأمور المرتبطة بها.

3. آداب دخول المعبد، كوجوب طهارة البدن والملبس عند الدخول.

4. تحديد أنواع النجاسات الشرعية كالحيض والنفاس والجنابة.

5. الالتزام بحسن الهندام والابتعاد عما يُصدر روائح كريهة من المأكولات كالثوم والبصل.

6. بيان حرمة المعابد وقدسيتها، وتحذير من يتعرض لها بسوء مادي أو معنوي كسرقة محتوياتها أو تدميرها أو تغيير معالمها أو رد زائريها، أو ممارسة أعمال تُخل بحرمة المعبد كالممارسات الجنسية.

7. أشارت تلك التشريعات إلى كيفية أداء بعض الطقوس الدينية داخل المعبد مثل طريقة استطلاع أو استلهام وحي المعبود، وهي من العبادات الشائعة في المنطقة وعلى جانب كبير من الأهمية ويمارسها سكان المنطقة على مختلف طبقاتهم (النعيم 2000: 293).

المبحث الثاني: السير المقدّسة والأساطير التاريخية

1. أساطير الأنساب التاريخية:

قحطان: شخصية من المرويات التاريخية متصلة بيعرب بن قحطان، ويقال إنه كان من ملوك اليمن، ثم تسلسل الملك إلى سبأ بن يشجب بن يعرب، ثم في دولة كهلان وحِمير، ثم أولادهما، وتبع ذلك كل أسماء الممالك اليمنية الشائعة يُوضع لها أجداد باسمها في المرويات الإسلامية، ولا تذكر النقوش المسندية شيئاً عن هذا الأمر، فهي مجرد أساطير تاريخية.

2. الأساطير الشعبية: أساطير موروثة شوهتها الخرافات والحكايات الشعبية وعادت لا تكون كما كانت.

3. ملكات أسطوريات يمنيات: في الأساطير التاريخية ضمن المظهر الديني

هل ظهرت ملكات في تاريخ اليمن القديم؟

لا وجود لملكات حاكمات في التاريخ اليمن، فكلّهن أسطوريات، إذ إن هناك مرويات إخبارية تتحدث عن ظهور بعض الملكات في اليمن القديم، لكننا لا نملك ما يدل عليهن آثارياً، وأكثرهن شهرة ممن ذكرتهن المرويات الدينية والتاريخية، ولم يُعثر على أي دليل لوجودهن الحقيقي، هنّ:

1. الملكة بلقيس:

شخصية أسطورية صنعتها مرويات التوراة في سبأ، وجنّح بها المخيال الإسلامي، وانصاع للحديث عنها الكثير من الباحثين للأسف كشخصية تاريخية، في حين أنها شخصية دينية توراتية الأصل، سنتناول نشوء أسطورتها بعد هذه الفقرة.

2. لميس بنت نوف بن يريم ذي مرع:

يقال إنها من سبأ أيضاً، وكان يُطلق عليها لقب (الملكة الإلهة)، ويقال إنها أم ملك يمني أسطوري هو الملك (أفريقيس بن ذي المنار بن الرائش) الذي اشتق من اسمه اسم قارة إفريقيا، وهذا ادّعاء لا صحة له، لأن إفريقيا سميت بهذا الاسم على اسم قبيلة تونسية بعد سقوط قرطاج، وتروي الأخبار أن (لميس) هي حفيدة الملك (ذي مرع السبئي) الذي بتنازله

عن الملوكية في مناطق همدان وكهلان ـ مخاليف سبأ ـ تمت وحدة البلاد، وليس له ذكر في النقوش.

لميس بنت نوف بن ذي مرع كانت أول من سمي باسم لميس، وقد اقترن ذلك بتوحيد اليمن بزعامة الرائش باران ذي رياش، وهو شخصية من المرويات، في مدة مسير ذي المنار من اليمن إلى الشام لقيادة عمليات تكوين مستوطنات تجارية في عهد أبيه، وبتوجيه أبيه الملك الرائش ذي رياش خلال أكثر من عشر سنوات، ثم عاد ذو المنار وتم زواجه الفعلي بالملكة لميس فأنجبت له ابنه أفريقيس بن ذي المنار، وتولت الحكم بالفعل كما تولت إدارة شؤون الدولة مع أفريقيس في عهد ذي المنار عند مسيره لتكوين مستوطنات تجارية في بلدان الغرب والمغرب.

وبقيت ملكة تحكم إلى جانب زوجها حتى مات وانتقل الحكم إلى ابنها أفريقس، وأدارت أمور الدولة في أثناء غيابه بحملاته العسكرية في شرق الأرض وغربها، وكل هذه مرويات لم تثبت الآثار صحتها.

3. الملكة نادين ذي صدقن شمس: لا وجود لها، وهي ليست الملكة شمس، التي يقال إنها ربما كانت أميرة أو قائدة عسكرية، وإن لها تمثالاً برونزياً عثر عليه في محافظة إب، وإن اسمها يظهر مكتوباً تحت التمثال بالخط المسند.

لا صحة لكون هذا التمثال يمثل ملكة اسمها نادين ذي صدقن شمس، فكل ما في الأمر أن التمثال مُهدى إلى معبد إلهة الشمس، وهو تمثال إغريقي الطابع للإلهة أثينا، وربما يكون من صنع محليّ، لكنه ليس من حضارة اليمن القديم الأصيلة.



تمثال نصفي للإلهة أثينا، برونزي، اليمن (جبل العود)، مابين القرنين 3 – 2 ق.م،23 × 14 سم، الهيئة العامة للآثار والمتاحف (GOAM)، مشروع CASIS عثر عليه ضمن الاكتشافات الأثرية في منطقة العود بمحافظة إب.

وهناك ملكات أُخَر من المرويات مثل (زبيبي، يفع، بايلو)، وبعضهن يذكرن مع أزواجهن مثل (عادية زوجة باتع).

ذكرت بعض المصادر القديمة في جزيرة العرب (ثمودية ولحيانية) أن هناك نساءً حكمن المدن وحملن لقبا (أفلكه أو أفلكت)، ولم يتأكد أحد من وجودهن في اليمن.

1. أسطورة بلقيس ملكة سبأ



THE QUEEN OF SHEBA.—

نشأت الأسطورة التاريخية لبلقيس كملكة لليمن من التوراة، ولم تظهر أي آثار حفرية تؤيد وجودها التاريخي في أي مكان، فهي وسليمان شخصيتان توراتيتان لا وجود لهما في التاريخ لحد الآن، لكن أسطورتها ضربت الآفاق، وكانت هناك روايات تقول إنها مصرية وإثيوبية وسورية وأردنية، واقترنت اليمن بها بشكل أوسع وأقوى، وهذا أمر لا يمنع من البحث العلميّ في وجودها من عدم وجودها، ويمكننا الحديث بإيجاز عن أصول شخصيتها في الأديان الإبراهيمية الثلاثة.

أولاً: في الديانة اليهودية:

الأصل التوراتي: العهد القديم هو أقدم النصوص الذي أشار إليها دون أن يسميها أو يذكر من أين أتت تحديداً، فهي ملكة مملكة سبأ التي سمعت بخبر سليمان وحكمته فذهبت إليه لاختبار هذه الحكمة، والتحقق منها، محمولة على ظهور الجمال بقافلة الطيب والأحجار الكريمة والأبخرة التي لم تشهد أورشليم لها مثيلاً، وحدثت سليمان عما وصل إليها من أخبار عظمته، فأخبرها بحكمته والبيت الذي بناه، وطعام مائدته، ومجلس عبيده، وموقف خدامه، وملابسهم وسقاته ومحرقاته، وأعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهباً وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة، وكذا سفن حيرام التي حملت ذهباً من أوفير أتت من أوفير بخشب الصندل، وهو كثير جداً وبحجارة كريمة، وأعطى الملك سليمان إلى ملكة سبأ الهدايا وما طلبته، فانصرفت ذاهبة إلى أرضها هي وعبيدها، ولا تشير التوراة إلى وجود علاقة خاصة بينهما.

جاء ذكرها هذا في سفر الملوك (3 ـ 10) حيث بدأت أسطورة بلقيس من التوراة في هذا السفر، ثم في سفر الأخبار الثاني، وذكرها سفر أستير.

وهذا ما جاء في سفر الملوك الأول (الإصحاح العاشر):

1. وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب، فأتت لتمتحنه بمسائل

2. فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جداً، بجِمَال حاملة أطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة، وأتت إلى سليمان وكلمته بكل ما كان في قلبها

3. فأخبرها سليمان بكل كلامها، لم يكن أمر مخفياً عن الملك لم يخبرها به

4. فلما رأت ملكة سبأ كل حكمة سليمان، والبيت الذي بناه

5. وطعام مائدته، ومجلس عبيده، وموقف خدامه وملابسهم، وسقاته، ومحرقاته التي كان يصعدها في بيت الرب، لم يبقَ فيها روحٌ بعد

6. فقالت للملك: صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في أرضيَ عن أمورك وعن حكمتك

7. ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيناي، فهوذا النصف لم أخبر به، زدت حكمة وصلاحاً على الخبر الذي سمعته

8. طوبى لرجالك، وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائماً السامعين حكمتك

9. ليكن مباركاً الرب إلهك الذي سر بك وجعلك على كرسي إسرائيل، لأن الرب أحب إسرائيل إلى الأبد جعلك مَلِكاً، لتجري حكماً وبراً

10. وأعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهباً وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة، لم يأتِ بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة، الذي أعطته ملكة سبأ إلى الملك سليمان

11. وكذا سفن حيرام التي حملت ذهبا من أوفير، أتت من أوفير بخشب الصندل وهو كثير جداً وبحجارة كريمة

12. فعمل سليمان خشب الصندل درابزيناً لبيت الرب وبيت الملك، وأعواداً ورباباً للمغنين، لم يأتِ ولم يرَ مثل خشب الصندل ذلك إلى هذا اليوم

13 وأعطى الملك سليمان إلى ملكة سبأ كل مشتهاها الذي طلبت، عدا ما أعطاها إياه حسب كرم الملك سليمان، فانصرفت وذهبت إلى أرضها هي وعبيدها

14 وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ست مئة وست وستون وزنة ذهباً

15 ما عدا الذي من عند التجار وتجارة التجار وجميع ملوك العرب وولاة الأرض

16 وعمل الملك سليمان مئتي ترس من ذهب مَطَرَّق، خصّ الترس الواحد ست مئة شاقل من الذهب

17 وثلاث مئة مِجَنّ من ذهب مطرق، خص المجن ثلاثة أمناء من الذهب، وجعلها سليمان في بيت وعر لبنان

18 وعمل الملك كرسياً عظيماً من عاج وغشّاه بذهب إبريز

19 وللكرسي ست درجات، وللكرسي رأس مستدير من ورائه، ويدان من هنا ومن هناك على مكان الجلوس، وأسَدَان واقفان بجانب اليدين

20 واثنا عشر أسداً واقفاً هناك على الدرجات الست من هنا ومن هناك، لم يعمل مثله في جميع الممالك

21 وجميع آنية شرب الملك سليمان من ذهب، وجميع آنية بيت وعر لبنان من ذهب خالص، لا فضة، هي لم تحسب شيئاً في أيام سليمان

22 لأنه كان للملك في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام، فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنوات، أتت سفن ترشيش حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وقروداً وطواويس

23 فتعاظم الملك سليمان على كل ملوك الأرض في الغنى والحكمة

24 وكانت كل الأرض ملتمسة وجه سليمان لتسمع حكمته التي جعلها الله في قلبه

25 وكانوا يأتون كل واحد بهديته، بآنية فضة وآنية ذهب وحلل وسلاح وأطياب وخيل وبغال سنة فسنة

26 وجمع سليمان مراكب وفرساناً، فكان له ألف وأربع مئة مركبة، واثنا عشر ألف فارس، فأقامهم في مدن المراكب ومع الملك في أورشليم

27 وجعل الملك الفضة في أورشليم مثل الحجارة، وجعل الأرز مثل الجميز الذي في السهل في الكثرة

28 وكان مخرج الخيل التي لسليمان من مصر، وجماعة تجار الملك أخذوا جلبه بثمن

29 وكانت المركبة تصعد وتخرج من مصر بست مئة شاقل من الفضة، والفرس بمئة وخمسين، وهكذا لجميع ملوك الحيثيين وملوك أرام كانوا يخرجون عن يدهم.

أشار المدراش إلى تفاصيل كثيرة في حكايتهما، وكذلك رواية يهودية مشابهة للرواية الإسلامية، مذكورة في كتاب (يلقوت شيموني) وكتابات اليمنيين اليهود المتأخرة بعد الإسلام، وتنقسم على ثلاثة أقسام: رسالة سليمان إلى الملكة عن طريق الهدهد، ودخول الملكة على سليمان وبقائها في قصره، كلام عن طبيعة بلقيس، ومُلَخّصها أن سليمان جمع عدداً من ملوك الممالك المجاورة لحضور عرض للحيوانات والطيور والجن والعفاريت الذين كان يعرفهم سليمان بأسمائهم فرداً فرداً، نادى سليمان عليهم بأسمائهم ولم يجد الهدهد فغضب وأمر بتعذيبه، فقدم له الهدهد ليوضّح سبب غيابه فأخبره أنه منذ ثلاثة أشهر يبحث في شعوب العالم، ووجد عند جنات عدن ملكة اسمها ملكة سبأ التي لا نظير لها هي وشعبها، فاستغرب سليمان وأمر مستشاريه بكتابة رسالة إلى سبأ، وعلقوها بطرف الهدهد الذي طار بها مع عدد كبير من الطيور متجها نحو سبأ، وحين وصلوا كانت الملكة في طريقها إلى المعبد، فأدهشها منظر الطيور التي غطت الشمس عنها، فاقترب منها الهدهد ولاحظت أن على طرفه رسالة فأخذتها، فقرأت رسالة سليمان التي عرض فيها دعوته لها بأن تزور مملكته، فكتبت له بأنها قادمة خلال ثلاث سنين، وخلافاً لقصة التوراة لم تأتِ بلقيس في قافلة الجمال، بل أتت على ظهر سفينة كما ورد في كتاب جزنبرغ عن الأساطير اليهودية، فوصلت وقادها أحد رجال سليمان إلى أحد قصوره المبنية من الزجاج، وعندما رأت الملكة القصر توهمت أن سليمان جالس على الماء فرفعت ثوبها حتى لا يتبلل فلاحظ سليمان شعراً على ساقها فاستغرب وجود شعرٍ على ساقيها، وهو ما قد يكون بسبب كونها من الجان.



بلقيس في بلاط سليمان

ثانياً: في الديانة المسيحية

جاء في إنجيل متّى 12، 42 ما يلي:

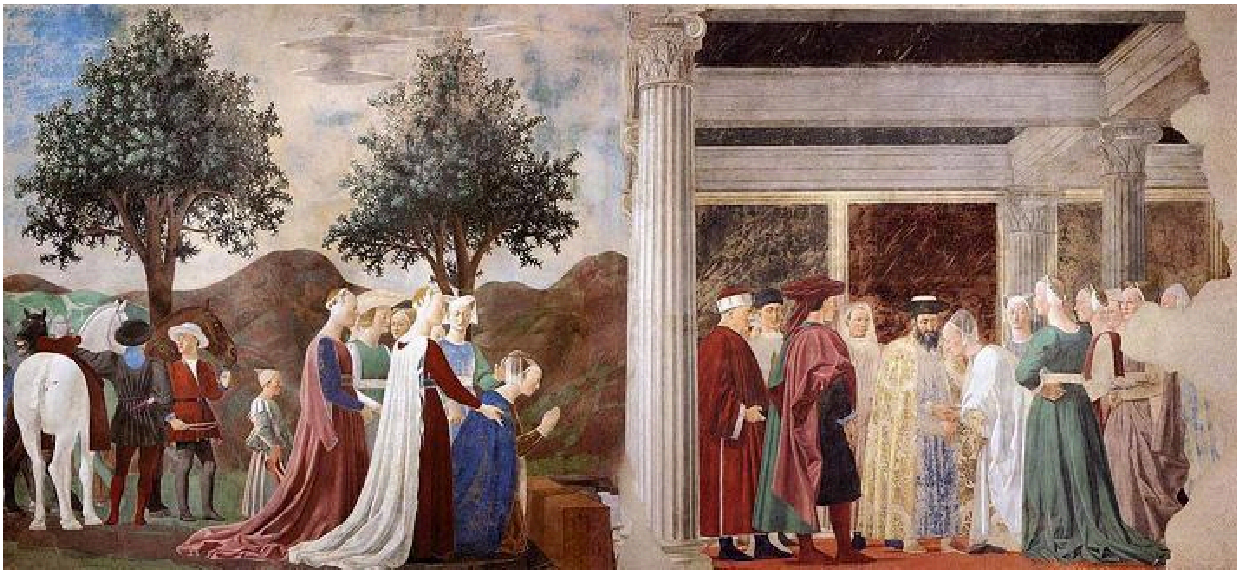
«مَلِكَةُ التَّيْمَنِ سَتَقُومُ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُ، لأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ ههُنَا».

ذكرها العهد الجديد بأنها ملكة الجنوب أو ملكة تيمان (تيمّن)، التي ستقوم مع رجالها في هذا الجيل وتدينهم، أي إنها ستقوم بإدانة معارضي يسوع لأنها استمعت إلى حكمة سليمان ويسوع، وربط المسيحيون بين قدومها محمَّلة بالطيب والحجر الكريم والذهب بقصة قدوم المجوس الثلاثة حين ولادة يسوع لتعظيمه، حيث سجدت الملكة على حاجز الخشب الذي وقفت عنده.

سجود الملكة للحاجز الخشبي لعلمها أن المسيح سيشنق عليه، ولم تطأ على الحاجز الخشبي بقدمها بل خلعت حذاءها وآثرت أن تمشي على الماء، وعندها تحولت قدمها

الغريبة إلى قدم إنسان، مما أثار هلع سليمان، وأمر بدفن الحاجز الخشبي الذي اكتشف بعد ألف سنة، وصنعت منه الأخشاب لصلب المسيح في رواية أخرى.

ولننظر كيف أن الرواية المسيحية أسطرت الحكاية اليهودية بكل هذه السعة الخيالية.



متخيل مسيحي لبلقيس: بييرو ديلا فرانشيسكا، موكب ملكة سبأ، (1252 ـ 1262).

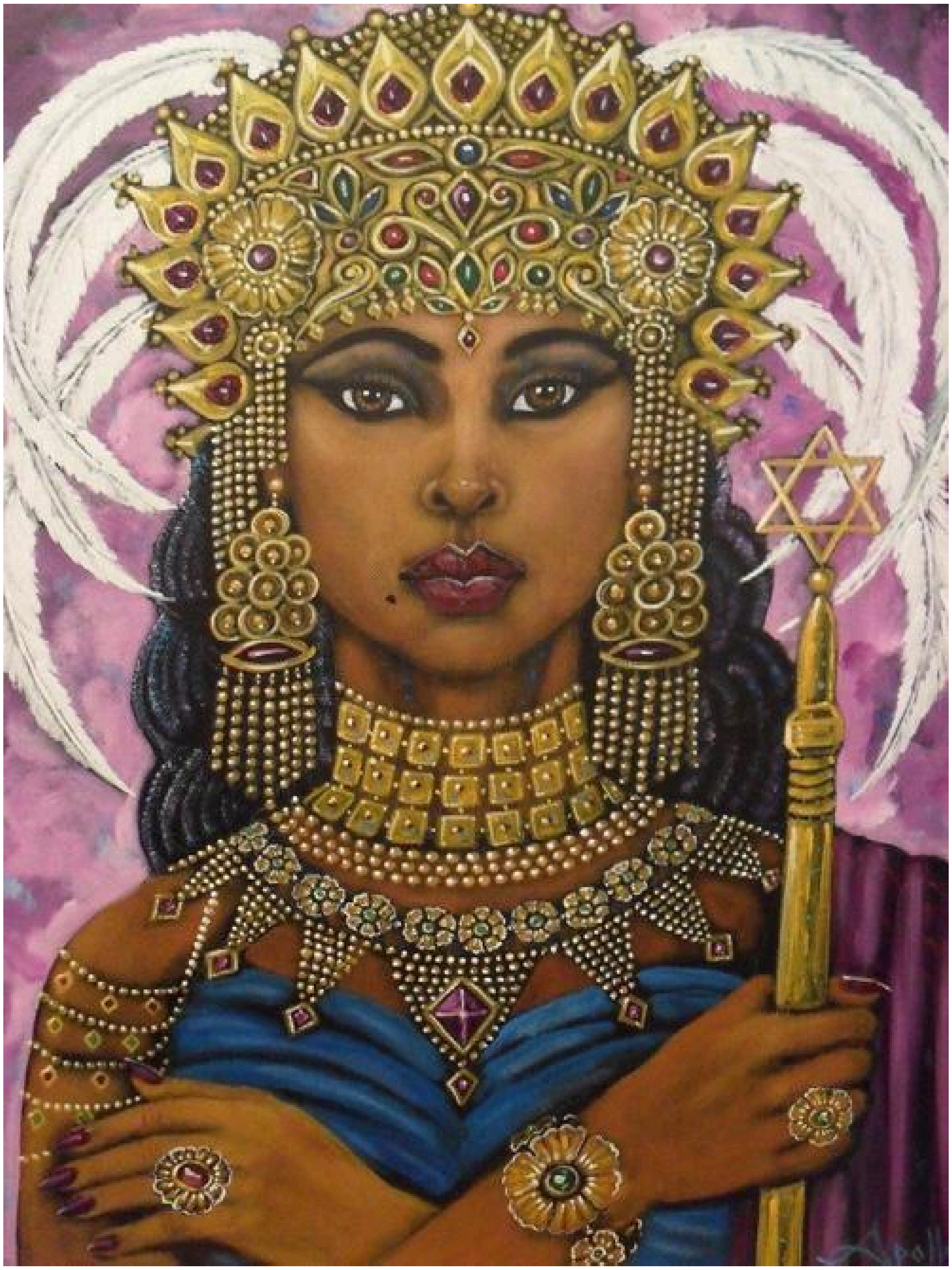
ثالثاً: في الديانة الإسلامية

جاء في سورة النمل (15 ـ 44) ما يلي:

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (15) وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ
شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ(16) وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ
يُوزَعُونَ (17) حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا
يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا
وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ
وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ (19) وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ
مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيداً أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ(21) فَمَكَثَ
غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ
تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ (23) وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن

دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ (24) أَلَّا
يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ (25)
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ (26) ۞قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ
(27) ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ (28) قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (30)
أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ (31) قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡراً
حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ(32) قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا
تَأۡمُرِينَ (33) قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ
يَفۡعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ
قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ (36) ٱرۡجِعۡ
إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ (37) قَالَ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ (38) قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ (39) قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠
ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرّاً عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ
ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ (40) قَالَ نَكِّرُواْ
لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ (41) فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ
قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ (42) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ
إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن
سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ
سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (44).

تختلف القصة في القرآن، فسليمان هو من أرسل في طلب الملكة التي لم يصرح القرآن صراحة باسمها لا العكس، كان سليمان يتفقد حاشيته وكان من ضمن هذه الحاشية هدهد، فضلاً عن حيوانات وجن وعفاريت، وتفقد ذات يوم جنده من الطير فلم يجد الهدهد وغضب لذلك ووعد بتعذيبه حتى أتاه الهدهد من سبأ بخبر يقين.



الصورة الإسلامية لبلقيس في نظر أحد الرسامين(6)

بلقيس في مؤلفات الإخباريين:

تقول الأسطورة الإخبارية إن جنية جميلة كانت تعيش في مأرب فتزوجت من أحد المقربين من مكرب سبأ وأنجبت ابنة اسمها بلقيس، أرسلوها إلى الصحراء لتعيش مع

أخوالها من الجن، ثم كبرت بلقيس وسط الجن وعلمت أن بمأرب مكرباً ظالماً، فذهبت إلى المدينة وطعنته بخنجر وهو نائم، وهناك أساطير أخرى مشابهة تملأ جنبات كتب التراث والإخباريين العرب، منها أنها ابنة ملك يدعى الهدهاد بن ذي شرح وأنها كانت حميرية وأخوالها من الجن كذلك.

ورد أن سليمان أمر الريح أن تحمل عرشه وعرش جلسائه يوماً، وأوكل إلى الطيور مهمة إظلاله فسار إلى تدمر ثم توقف بالمدينة المنورة معظِّماً إياها، كونها هاجرة النبي محمد، وتوقف بمكة كذلك، ونزل بقبر إسماعيل الذي لا يعرف مكانه على أرض الجزيرة بأية حال، حتى وصل إلى نجران وكان عليها رجلاً يدعى القلمس الحميري المعروف باسم أفعى نجران في كتابات الإخباريين، فهال الأفعى ما رآه من هيئة سليمان وحاشيته وآمن بدين سليمان وأرسل إلى بلقيس بالخبر، أرادت الملكة اختبار سليمان فأرسلت إلى الأفعى أن يختبرهم بمغريات، منها أن يترك لهم الأرض مفتوحة فلم يأخذوا منها شيئاً فأرسلت لهم الجواري فلم يطالعهن أحد من جنود سليمان حتى خرج رجل من سبأ والتقى بسليمان، وذهبوا إلى مأرب.

فرأى بلقيس وتقديسها للشمس، وعاد الهدهد وقص على سليمان ما رأى فكتب كتاباً أرسله مع الهدهد وجاء في الروايات ما جاء في القرآن عن تجاهلهم للرسالة، والإجابة أنهم أُولو قوة وبأس شديد، إلا أن بلقيس لم تقتنع وأرسلت هدايا إلى سليمان ومئتي وصيف ووصيفة ولدوا في ليلة واحدة، وهذه الفقرة تتشابه مع القصة التلمودية إلى حد كبير، لم يقبل سليمان حينها، قررت الملكة اختباره بنفسها ودار بينهما حوار يتشابه مع الروايات المذكورة في كتب اليهود، إلا أن المفارقة أنه بعد زيارة الملكة لسليمان أصبح أمر اليمن بيده، وزوّجها رجلاً من قبيلة همدان أصبح ملكاً تابعاً لسليمان على اليمن.

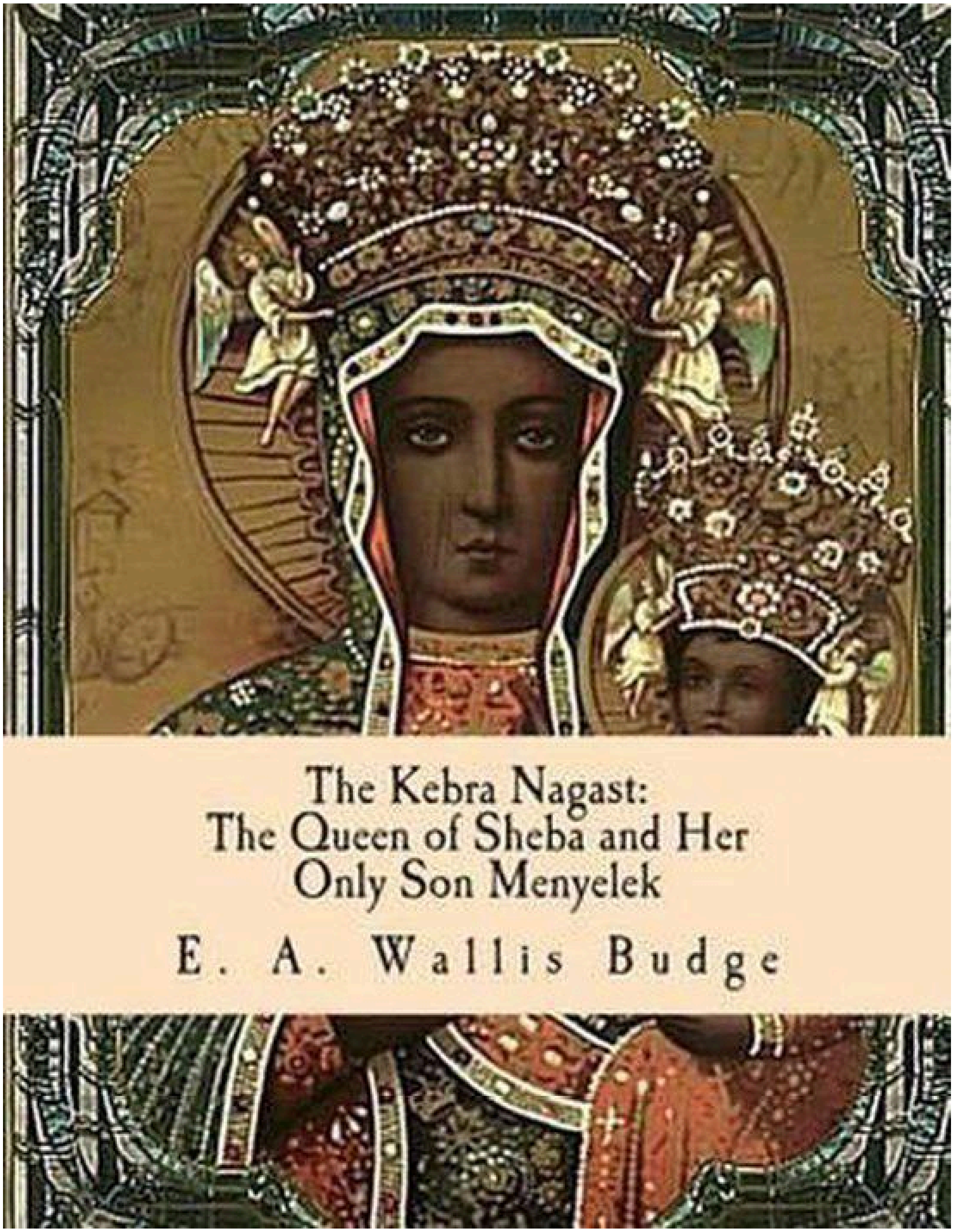
«وقد شاع الجو الأسطوري منذ بداية ولادتها، إذ أجمع المؤرخون اليمنيون القدامى والمحدثون والمفسرون، إضافة إلى الحكايات الشعبية التي نسجها الخيال الشعبي، أجمعوا على أن ميلادها كان من أب إنسي وأم من الجان، بل هي بنت ملك الجان، أي من الطبقة الأرستقراطية! وفي هذا توازن وتناظر مع الأساطير الأخرى من حيث الميلاد، إذ إن أم بلقيس من الجن وهي (رواحة بنت سكن) في كتاب (التيجان)، وهي الحروراء ابنة اليلب بن صعب العرمي، ملك الجن، في كتاب (ملوك حمير وأقيال اليمن)، أما والدها فهو الملك العظيم (الهدهاد بن شرحبيل بن بريل ذي سحر)، ويصل نسبه إلى سبأ الأكبر عند نشوان بن سعيد الحميري، أما في (الإكليل) فهو (الهدهاد بن شرح بن بريل) إلخ، كما يروي المؤرخون كيفية زواجهما وميلاد بلقيس» (الحضراني 1994: 19 ـ 20).

رابعاً: بلقيس في التراث الإثيوبي

Kebra Nagast

كبرا نيجاست أو كتاب مجد الملوك المقدس عند الأثيوبيين، يعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي، وهو مبني على العهد الجديد، يذكر بلقيس باسم ماكيدا (ماجدة)، وهي امرأة ذكية وجميلة وحكيمة ذهبت إلى أورشليم لتتقصى عن خبر سليمان، ويربط الإثيوبيون بينها وبين كنداكة ملكة الحبشة الوارد ذكرها في سفر أعمال الرسل في العهد الجديد، وصلت الملكة إلى سليمان الذي سعد بقدومها كثيراً وأمضت تسعة شهور عنده، وفي طريق عودتها إلى إثيوبيا ولدت طفلاً من سليمان أسمته منليك وهو الملك الذي زعم ملوك إثيوبيا أنهم متحدرون من سلالته، وكلمة منليك تعني ابن الحكيم، استطاع سليمان أن يشاركها الفراش بعد عدة محاولات باءت بالفشل لإقناعها، وفي آخر ليلة لها حاول سليمان أن يغويها فأبت ماكيدا، فشرط عليها أن لا تأخذ شيئاً من قصره عند رحيلها، وضع سليمان كأساً من الماء قرب فراشها ليلاً فأستيقظت الملكة عطشانة، ورأت كأس الماء أمامها وما كادت تلمسه حتى أمسك سليمان يدها متهماً إياها بنقض وعدها مما مكّنه من مضاجعتها، عندما بلغ منليك الثانية عشرة من عمره أخبرته أمه عن أبيه، وحين بلغ الثانية والعشرين قرر منليك زيارة والده في أورشليم الذي سعد بقدومه ورأى أنه يشبه داود بجماله، وقام سليمان وأخذ ابنه إلى غرفة خاصة وألبسه ملابس مخيطة من الذهب وأجلسه إلى جانبه، عاد الفتى إلى أرضه وأعلن اليهودية ديناً رسمياً في الدولة، وحسب الأسطورة فإن سلالته ظلت تحكم حتى القرن الميلادي العاشر، وقد أعلن الإمبراطور هيلا سيلاسي أنه الملك رقم 225 من الزيجة بين ماكيدا وسليمان، بل إنه أضاف ذلك إلى الدستور الإثيوبي كمادة تعطي العائلة حقاً إلهيّاً بالملك، ولا يوجد دليل أثريٌّ واحد يدعم أطروحات الكتاب المقدس الإثيوبي.

رُبطت سبأ التوراتية بإثيوبيا، ولكن معظم الباحثين حدد شيبا التوراتية. واضح أن هذا الكتاب متأخر، وصيغت أسطورته من أصول توراتية ومحلية، وربط سبأ التاريخية الواقعة في اليمن جنوب شبه الجزيرة العربية وربطها بسبأ التاريخية الواقعة في اليمن جنوب شبه الجزيرة العربية، والصحيح أن السبئيين في شمال إثيوبيا كانوا مرتبطين بالمملكة الكبرى في اليمن.



صورة متخيلة لماگدا (ماجدة) (بلقيس الأثيوبية) وابنها من سليمان (منليك) على غلاف والس بدج حول كتاب مجد الملوك

2. آباء وملوك اليمن في المرويات الإسلامية

الإخباريون المسلمون هم مصدر الأساطير التاريخية اليمنية، أشهرهم ثلاثة وهم:

1. محمد بن عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري المتوفى سنة (218هـ)، مؤلف كتاب التيجان وهو كتاب عن سيرة ملوك حمير التبابعة وقصصهم عن أسد بن موسى عن أبي إدريس بن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه.

2. الهمداني (الحسن بن أحمد) (280 ـ بعد 336هـ) (893 ـ بعد 947م)، كتب (الإكليل) بأجزائه العشرة، وكتاب (صفة جزيرة العرب) الذي كتبه بعد كتاب (الإكليل)، أما مصنفاته الأخرى مثل (اليعسوب، والأيام، والقوى، والزيج) فتدل الإحالات عليها في كتبه أنها أُلِّفت قبل عام (330هـ/941م).

3. نشوان بن سعيد الحميري (تُوفي في 573 هـ، 1178 م) المؤرخ والقاضي، اقترب في فكره من فكر المعتزلة وكتب في تاريخ ملوك حمير والدين واللغة كتباً أهمها: ملوك حمير وأقيال اليمن وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب الملوك التبابعة، وشرح لقصيدة نشوان الحميري: ملوك حمير وأقيال اليمن أو النشوانية أو القصيدة الحميرية وشرحها.

هذه الكتب خزانة هائلة لهذه المرويات الأسطورية اليمنية الخاص بالملوك، وقد ذكرنا بعضها في الفصل الخاص بالأدب والملاحم اليمنية الإخبارية.

3. توابيت سمرقند ـ طروادة اليمن

تورد المرويات التاريخية، الحميري والهمداني، هذه الأسطورة عن الملك اليمني شمر ذي الرائش، اسمه التاريخي الحقيقيّ شَمّر يهرعش بن ياسر يهنعم ومعناها (شمر المرعش بن ناشر النعم)، وتلقبه بأنه أحد تبابعة اليمن، وهو التبع اليماني الذي حج مع نبي الله إبراهيم، وكان شمر يغزو العرب والعجم ويسير مع اتجاه الشمس، لذلك قال فيه المؤرخين العرب إنه هو ذو القرنين.

و قرر شمر غزو أقصى الصين وفي طريقه إلى هناك استولى على كل المناطق التي مر بها حتى وصل إلى مدينة تسمى السغد، وكانت مدينة حصينة وعصية على شمر، فحاصرها وكان لا يعلم من ملك هذه المدينة الذي يحاربه ويستطيع صد جيوشه وهجماته، وخلال الحصار قبض جنود شمر على تاجر متوجه إلي مدينة السغد فاستجوبه شمر بنفسه ليعلم من هو ذلك الملك الذي يحاربه، وكانت المفاجأة أن ملك تلك المدينة شخص تافه لا يملك من الأمر شيئاً، وأن من يدير شؤون المدينة ومن يتولى الدفاع عن المدينة هي ابنته (لم تذكر المصادر اسمها)، وعلم شمر منه أنها غير متزوجة، فأرسل شمر إلى بنت الملك يطلب خطبتها، وأنها ستكون زوجته وحاكمة الدنيا معه ومهرها سيكون 4000 تابوت محمل بالذهب والفضة والنحاس، وستحكم كل المناطق خلف مدينة السغد، فوافقت بنت الملك

على الخطبة، وهنا أحضر شمر 4000 تابوت، ووضع فيها 4000 محارب، وغطاهم بالذهب والفضة والنحاس، وأرسلهم داخل المدينة، وأمرهم بعدم الخروج إلا بعد التأكد تماما أنهم داخل المدينة، وبالفعل مع دخول التوابيت داخل المدينة خرج المحاربون منها يقتلون كل ما يقابلونه وفتحوا أبواب المدينة فهجم شمر بباقي جيشه وخربوا المدينة ودمروها تماماً وقتلوا الملك وابنته، وسميت تلك المدينة بشمر كند يعني شمر خرب، وحُرِّفَ اسمها بعد ذلك إلى سمرقند، وكتب شمر على أبواب المدينة شعراً يفاخر بما فعله، وجدارية مكتوباً فيها بطولاته.



صورة متخيلة لشمر يهرعش الذي غزا الصين في حكاياته!

المبحث الثالث: الجماعة والطوائف والمذاهب

1. الديانة الزراعية:

لا شك أن بدايات الديانة في العصور التاريخية لليمن كانت زراعية، فقد كان العصر البرونزي زمانها، وارتبطت بالخصب والتكاثر، لكننا لا نملك الكثير من المعلومات والآثار حول هذه الديانة.

2. الديانة الكوكبية: ثالوث الكواكب

ظهرت الديانة الكوكبية مع العصر الحديدي، وكانت مكونة من ثالوث القمر والشمس وابنهما الزُهرة، ويثير موضوع اقتطاع هذا الثالوث من شجرةٍ إلهية ما أسئلةً عن أصلها، فهل هي ابنة التقاليد اليمنية في العصر البرونزي، أو أن لها علاقة ببقية الأديان الكوكبية والمتعددة في وادي الرافدين والشام بشكل خاص؟ وهنا يظهر الآموريون بالدرجة الأساس ثم الكنعانيون كشعوب لها علاقة بهذا النسق الميثولوجي، والسؤال الآخر المهم هو لماذا غابت أساطير هذه الآلهة ولم تدَوَّن؟ ربما يكون هذا الأمر له علاقة بالنزعة المثالية في عدم تقريب الآلهة من قصص البشر وجعلها بعيدة في عليائها وصمتها.

3. الديانة التوحيدية اليمنية: ثالوث التوحيد

تمتاز اليمن بكونها شكّلت ثالوثاً سماوياً آخر، ليس بين أسمائه علاقة كالثالوث الكوكبي، ولكن هذه الأسماء توالت في كونها تمثل آلهة توحيدية ليس لها أزواج أو أبناء أو صور وأشكال.

الثالوث السماوي الأعلى الذي يتكون من (إل، ذو سماوي، رحمن)

1. إلّ

(إل) اليمني الذي كان يمثل فكرة الإله بصفة عامة، وهو في أصله إله سامي عام يمثل الإله، وأصله القديم سومري يمثل علامة الألوهية (دنجر) المرموز إليها بثمانية إشعاعات، وكان يشير إلى إله السماء السومري (آن)، ترجم اسمه الأكديون، في الألف الثالث ق.م، إلى (إيلو)، وأصبح دالاً على إله السماء أيضاً، وانتشر الاسم بين الشعوب السامية ليدل على كلمة الإله.

ظهر اسمه في اليمن بشكل (إلّ) المسندي الكتابة والمكوّن من حرفين، وكان لقبه (حوكم) أي الحكيم، وحمله نقش من (هرم) في الجوف، وأصبح يشكّل مقطعاً في أسماء الكثير من الملوك اليمنيين.

2. ذو سماوي

هو إله القمر الحميري الذي ارتفع، في القرن الميلادي السادس، إلى إله السماء، وأصبح يشير إلى ديانة التوحيد، واسم معبده «بقر» (s WZG.111) ومعنى الاسم هو «بقر» كما في العربية، ولعل هذا معناه بشكل أوسع «الماشية الكبيرة» بحيث يعني أن ذا سماوي هو بعل بقر، أي رب الماشية الكبيرة، وهذه تشتمل على الجمال أيضاً، ولكن هذا التفسير لا يعني أنه الوحيد، وقد لاحظنا أن قسماً من الأميريين كانوا فلاحين مستقرين، وكان هؤلاء يقيمون في المناطق المرتفعة، وكان هؤلاء الأميريون يعملون في تربية الأبقار أيضاً، وهكذا كان من الممكن أن يكون ذو سماوي «رب الأبقار» كذلك، ومن الممكن أخيراً أن يصبح اللقب

في شكليه بحسب استخدامه من الفلاحين أو من البدو، أما الألقاب الباقية لذي سماوي التي تمثل في الوقت نفسه أسماء للمعابد فتشير في معظمها إلى علاقة الإله بالسقاية وفي الوقت نفسه إلى الزراعة، ومن هذه مثلاً مَدْران (م د ر ن) في واحة نجران، باين (بين) وكأبتان (ك أ ب ت ن) على طريق البخور، موقوطان (م وق ط ن) بالقرب من حرم في الجوف، واتران (و ت ر ن) في واحة مأرب، ظربان (ظ ر ب ن) بالقرب من عاصمة قتبان تمنع، ويبدو أن كل هذه الأسماء مشتقة من جذور ذات صلة بمنشآت مائية. رمز الإله ذو سماوي هو ما يدعى قلم الحجر المزدوِج، ويبدو لي أن اعتبار الجمل رمزاً حيوانياً له أمر غير ثابت، إذ إن إهداء تماثيل الجمل له يحتمل أسباباً أخرى» (الشيبة 2008: 127).

3. رحمن

هو إله الطقس اليمني القديم (رامان، رمن) الذي ارتفع، في القرن الميلادي السادس، إلى التوحيد، وأصبح إله الأرض والسماء، ويسمى أيضا (رحمانان)، هو لقب لإله التوحيد اليمني، وقد أُشيرَ إلى يسوع على أنه ابن رحمانان، بينما كان يسوع خلال حكم أبرهة مسيح رحمان.

التاريخ: عُثِرَ على الاستخدام المبكر لمصطلح رحمن في اليمن، وهذا ما يثبت أن لا علاقة له بدخول اليهودية والمسيحية إلى اليمن، وعُثِرَ عليه في النقوش التي كتبت في أواخر لغة سبأ، في وقت لاحق، تُبُنِّي لقب رحمن من قبل اليهود والمسيحيين في اليمن وحاولت هذه الديانات استبدال الديانات الوثنية التقليدية، وعُثِرَ على أقدم استخدام معروف لمصطلح اللقب في نقش مكتوب باللغتين الأكادية والآرامية وكان مخصَّصاً للإله حدد، وأصبح إلهاً آرامياً باسم رمان أو رمانو.



نقش الإله رحمن، حمير على حجر جيري، القرن الخامس الميلادي، عثر عليها في ظفار في اليمن

الارتفاع 21 سم، العرض 33 سم، السمك 6 سم، محفوظة في المتحف الوطني في ظفار

النقوش التوحيدية:

«وَجدت الديانتان المسيحية واليهودية، كما أشرنا سابقاً، منفذاً في الفترة المتأخرة من المملكة السبئية، ويظهر ذلك واضحاً من خلال ذكر عبارات مختلفة في النقوش محل أسماء الآلهة الوثنية، مثل: الرب، رب السماوات (والأرض) و(الرحمن، رب السماوات والأرض)، «الرحمن الذي هو في السماء، ونجد نائب الملك الأكسومي إيلا أبرهة يفتتح نقشه (المؤرَّخ في 543 م CHI 541) بالعبارات: بقدرة الرحمن وعونه ورحمته وبقدرة المسيح وروح القدس. ويلاحظ أن تركيب النصوص لم يتغير من حيث المضمون والبناء، ولكنها لا تتحدث عن الناحية الدينية شيئاً محدداً، وإذا حملت تاريخاً ما فإنها تعود غالباً إلى القرنين الخامس والسادس، ويبدو أن نقش GL 389يمثل أقدم تلك النقوش، وهو يعود إلى العام 278 الميلادي، وتجدر الملاحظة إلى أن دخول الملك اليمني النصرانية لا يعود إلى زمن غير بعيد قبل هذا التاريخ، ولكنه تحوّل في نحو عام 400 م، كما يبدو، إلى اليهودية، كما يظهر في نص يعود إلى هذا التاريخ (CHI 543) يبدأ بالعبارات: مبارك وله الحمد، اسم الرحمن الذي هو في السماء، وإسرائيل وربه، رب يهوذا» (الشيبة 2008: 154).

4. العبادات الإغريقية الوافدة في المرحلة الهلنستية:

عبادة ديونيسيوس:

تظهر تجليات عبادة ديونسيوس في اليمن من خلال تمثال الأسدين البرونزيين وراكبيهما الصبيين، المغطى بطبقة من الرماد الناتج عن الحريق الذي دمر عاصمة قتبان مدينة تمنع في القرن الأول الميلادي، تتعلق أيقونة الزوجين بعبادة ديونيسوس، إله النبيذ اليوناني، الذي كان أيضاً معروفاً في اليمن وفي شبه الجزيرة العربية القديمة، صُبّت الأسود وراكبيها بشكل منفصل باستخدام تقنية الشمع المفقود، وواضح أن النمذجة المتطورة ومعالجة المنحوتات تعطي انطباعاً عن تقليد الصب البرونزي المتقدم في شبه الجزيرة العربية، وكذلك على إلمام الفنانين المحليين باللغة الفنية لليونانيين، ترتكز كل واحدة على قاعدة عليها نقش كتب عليه «ذويب وعقرب ذو المحسني وضعوا (هذين التمثالين) في يافش، وكان ذويب وعقرب من عائلة المحاسني يزينان المنزل المسمى يافش»، تلعب الأسود

ونقوشها دوراً حاسماً في إرساء التسلسل الزمني لحضارة قتبان وتحديد أوجها في القرن الأول الميلادي.

هناك أيضاً تمثال صغير من البرونز لهرقل، في قرية الفاو في كندة، من القرنين الأول والثالث الميلاديين، يمكن التعرف إلى البطل اليوناني هيراكليس/هرقل من خلال جلد الأسد النيمي وخشب الزيتون، كان في الأصل يحمل إناءً للشرب في يده اليمنى، إحدى سمات هرقل بيباكس أو هرقل الشارب، كان هذا الشكل من هرقل مرتبطاً بديونيسوس، إله الوليمة والنبيذ اليوناني، الذي اشتهرت عبادته في قرية الفاو.

5. صراع الأديان الإبراهيمية داخل اليمن

1. دخول اليهودية إلى اليمن وصراعاتها:

على الرغم مما يشاع عن دخول يهود فلسطين إلى اليمن بعد الاحتلال الروماني لأورشليم، لكن تأكيد هذا الأمر ما زال بعيداً، والثابت أن الملك الحميري أسعد أبي كرب تهوّد، وهذا لا يجوز لأن الدين اليهودي لا يقبل الناس فيه دون أن تكون أمه على وجه التحديد يهودية، لأنه دين غير تبشيري ومغلق، ويبدو أن الملك اليمني استهواه هذا الدين فتهوّدت حمير بعد أن دعاها لهذا الدين، وقام الحميريون بتهديم معبد الإله تألب ريام الذي كان الحميريون يتعبدون فيه، لكن اليهودية لم تنتشر في كل اليمن وبقيت محدودة حتى وصلت ذروة انتشارها مع الملك ذي نواس في القرن السادس الميلادي، وكانت هذه نهاية حمير بعدها عندما هزم الأحباش المسيحيون هذا الملك وانتهت الدولة الحميرية.

بدأت اليهودية تؤثر في البلاد حين حَلَّت على مدينة صنعاء وقلعتها غمدان محل ظفار كعاصمة، لكن ظفار لم تدمر، وقد حصل هذا، على الأرجح، بين عامي 537 و548، وقد سُجِّل تدمير كنيسة أكسوم فقط عام 523 م التي سميت القليس، وهي الكنيسة التي من المحتمل أن المبشر المسيحي ثيوفيلوس الهندي قد بناها، وقد دمرت على يد ذو نواس بعد تحول حمير إلى اليهودية، ثم رُمِّمَت لاحقاً بعد غزو أكسوم الناجح لحمير عام 524، لكن هناك أدلة على أن السكن في ظفار والاستيطان بشكل عام في المرتفعات اليمنية انخفض بشكل كبير في القرنين الخامس والسادس.

تظهر في الآثار قطعة إفريز منحوت فيها رجل متوج، في حدود منتصف القرن الخامس، وهناك أمفورات مضلعة في ظفار لنقل النبيذ، وهو حجر حلقي ليسحاق بار حنينا في نحو 200 م، وهذا لا يدل على انتشار يهودي بل على وجود لشخص يهودي في هذا العصر المبكر.

https://www.wikiwand.com/en/Zafar,_Yemen

كان الملك الحميري «يوسف أسأر» المعروف بـ(ذو نواس الحميري أو يوسف بن شراحبيل) على الديانة المسيحية حين تولى الحكم (468 م ـ 527 م)، لكنه اعتنق الديانة اليهودية، على رغم أن اليهودية لا تقبل ذلك كما قلنا، فهي ليست ديانة تبشيرية، وأجبر أهل اليمن على اعتناقها، وهكذا انقسمت اليمن، دينياً، بين ديانة أهل اليمن الكوكبية الطابع، التي بقيت عند بدو اليمن وفلاحيها، والديانة اليهودية أو المسيحية في المدن الحميرية، وستؤدي تداعيات هذا الحدث، مع حدثي دخول المسيحية والإسلام، إلى نهاية حضارة اليمن القديمة.

شن الأحباش والرومان حملات عسكرية للتبشير بالمسيحية في اليمن، وشغلوا ساحل تهامة والمخا وظفار يريم عاصمة مملكة حمير، وحرق ذو نواس الكنائس المسيحية، ورأى أنَّ استقرار حُكم مملكة حمير يتوقَّف على القضاء على الأحباش الذين كرّسوا المسيحيَّة في اليمن، فاضطهدَ الأحباش المسيحيين اضطهاداً شديداً، عند ذلك ثارت حفيظة بيزنطة وعقدت العزم على دعم الحبشة ضد ذي نواس، وأُبرِمَ صُلح بين الروم والفُرس.

2. دخول المسيحية إلى اليمن وصراعاتها:

«يصعب تحديد تاريخ ظهور المسيحية في اليمن، لكن هناك اعتقاداً بإجماع الكنائس الشرقية أن القديس توماس قد وعظ في العربية السعيدة وسقطرى، وهو في طريقه إلى الهند في نحو عام 50 م تقريباً، حيث استشهد، ويُقال إن بذور المسيحية بين الحميريين من القديس باثولومو، سجل أيضاً أن القديس بانتنس قد بعث به ديمتريس ــ قس الإسكندرية ــ ليعظ في العربية السعيدة، وأنه وجد هناك أثراً لتعاليم القديس بارثولومو، وقد وجد إنجيل ماثيو مكتوباً بالعبرية وأخذ نسخة معه إلى الإسكندرية، لكن لم يلاحظ تقدم المسيحية إلا خلال عهد تبع بن حسان، الذي حكم بين 297 ـ 320 م، ففي هذا العهد أصبحت المسيحية معروفة في الجزيرة العربية» (بلاي 1999: 55).

منذ القرن الرابع الميلادي بدأ الأحباش والرومان بشن حملات عسكرية تبشر بالمسيحية الأرثوذكسية الحبشية في اليمن، لكن اليمن كانت تعاني من انقسام ديني أحدثته اليهودية، فأصبح الصراع ثلاثياً بين الديانة الأصلية لليمنيين واليهودية والمسيحية، إلا أنهم قوبلوا بمقاومة من القبائل اليمنية، لكن المسيحيين استطاعوا النفوذ في ساحل تهامة والمخا ثم احتلوا ظفار يريم عاصمة مملكة حمير.

2. الإسلام إلى اليمن وصراعاته:

لم يكن وضع الاسلام ميسّراً في اليمن عند بداية الدعوة الإسلامية، فقد قاومه خالد العنسي عن طريق إنشاء ديانة يمنية توحيدية اشتقت من تراث اليمن، وكان توحيداً خالصاً عن طريق عبادة إله السماء اليمني القديم (ذي سماوي) ومطابقته بالإلهين إيل ورحمن، واستمر خالد العنسي بدعوته، لكنه قُتل مِسموماً بتوجيه من المسلمين لكي

يتجنبوا انتشار دعوته، وقد ساد الإسلام بعدها، وأدمج تراث اليمن العريق في التراث العربي البسيط، بسبب التقارب بين اللغات العربية مع اللغات اليمنية قبل الإسلام، وأصبح كله لصالح نشر العربية والاسلام.

المبحث الرابع: الباطنيات والأسرار

أولاً: ديانة اليمن السريّة

(ألوهية الحكيم الفلاح في الموروث الشعبي)

قدّم الباحث اليمني أحمد الطرس العرامي كتاباً مهماً بهذا العنوان، أثار فيه موضوعاً مهماً، وتقصى فيه رسم ملامح الديانة الزراعية القديمة، التي يبدو أنها بعد سيادة العبادة الكوكبية الرسمية تسربت للأعماق وأصبحت تمارس في الخفاء كنوع من الديانة السريّة الباطنية، «تفترض الدراسة أننا أمام ظاهرة أدبية شعبية تبدو امتداداً لأدب زراعي ديني يمني يعود إلى ما قبل الإسلام بكثير، أي إن ما يُنسب إلى هؤلاء يعد أصداءً لملاحم دينية زراعية، وأما شخصياتهم فهي بقايا أو ظلال لشخصيات آلهة أو أنبياء أسطوريين زراعيين تنكروا، هكذا كما لو أن الظاهرة صورة من صور المقاومة الشعبية أو الثقافة المغلوبة لأنساق الهيمنة، ونموذج حي لتحولات الأساطير في المكان وعبر الزمان، وفي سبيل قراءة ذلك تتبع الدراسة منهجاً أشبه ما يكون بالمنهج التكاملي، بدءاً من قراءة النصوص من الناحية الأسلوبية والرمزية ودلالاتها الاجتماعية، ومن ثم مقارنتها من خلال افتراض علاقة المناقضة بين طابعها الزراعي والأدب العربي الكلاسيكي الجاهلي ذي الطابع البدوي، ومقارنتها في الوقت نفسه بما وصلنا من أدب اليمن القديم أو نماذج أخرى من ثقافة الشرق والغرب القديمين، بما في ذلك حضارة آشور وبابل والحضارة الإغريقية» (العرامي 2017).

يمكن أن تكون الدمى الأنثوية التي عثر عليها في اليمن وهي تعود للعصر البرونزي، دالة على الإلهة الأم الزراعية المنشأ وعلى الخصب والأنوثة، ولا شك أنها تمثل الغور الأبعد لديانات الزراعة السريّة. ومن المؤكد أن حضورها اليمني المحليّ هو الأساس، لكن علماء المدرسة الآثارية الألمانية القديمة يرون أن هناك حضوراً كنعانياً فيها نزح من بلاد الشام، ونحن نرى أنه حضور آموري (سامي) انتشر في الشرق الأدنى كله وأعطى اليمن مسْحَتها السامية، ويتّضح هذا في أقدم اللغات اليمنية المكتوبة.

ظهرت تقاليد منحوتات آلهات الخصب والإلهة الأم، ويتميز بتبسيط شديد وقوة رمزية، تمثل الأنثى الدائمة في شكلها البدين الخصيب، والأخدود العميق الذي البطن، ومثلث العانة المشار إليه بوضوح، إذ يُحتَوَى جسدُها الضخم داخل مساحة مربعة الزوايا، تبدو الأرجل مقطوعة ولكن أصابع القدم، مثل اليدين والأصابع، تُحَدَّد من خلال الشقوق، وهي

ترتدي حزاماً على جسدها وقلادة. مقارنة الموضوع والأسلوب مع تماثيل العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى وبحر إيجة ومع التماثيل العربية الجنوبية المتأخرة في القرن الثاني قبل الميلاد، في أوائل الأناضول واليونان وفي أواخر العصر الحجري القديم في أوروبا كانت الإناث العاريات، مع ثديين وبطن وأرداف منحنية ومبالغ فيها، على النقيض من ذلك، وتُفصَل المستويات الأمامية والخلفية للنحت العربي الجنوبي، مما يؤكد التجريد والاحتواء في شكل يشبه الكتلة ـ وهي السمات التي تُمَيّز الفن التصويري للمنطقة بعد أكثر من ألفيْ عام، وقد عُثِرَ على تماثيل أخرى مماثلة بالقرب من مستوطَنات المرتفعات الغربية ومنطقة حضرموت الداخلية، يظهر عدد قليل من الذكور على شكل قضيبيّ، مما يشير إلى أن هذه الصور بتماثيل بشرية أو إلهية استخدمت في طقوس الخصوبة.

النقوش الصخرية من العصر البرونزي 2500 ـ 2000 ق.م لنساءٍ أو إلهات أسطوريات، حيث الجذع المثلث والعنق الطويل والخصر الضيق والأرداف العريضة والشعر الطويل تظهر بأغلبية ساحقة في العديد من المواقع في منطقة نجران وجنوباً في شمال اليمن.

تحتوي مدافن العصر البرونزي في شرق اليمن في بعض الأحيان على كتل منقوشة مرتبطة بها، تُصوِّر هذه الألواح الكبيرة رجالاً بارزين، يُفترض أنهم دُفنوا في الداخل، تذكرنا وجوههم الملتحية برجال مشابهين في الفن المصري وبلاد الرافدين المتأخر في عصور ما قبل التاريخ، هذه الصور الشخصية تعود إلى أشخاص من العصر البرونزي يرتدون الملابس والأحزمة والخناجر الهلالية المميزة الموجودة على نطاق واسع في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية وخارجها.



فن صخري يمني يُظهر التقاليد الزراعية والاجتماعية في العصر البرونزي.(7)

نعود إلى كتاب العرامي الذي يناقش الأساطير وطبيعتها فيقول: «افترض منذ البداية أن الأسطورة الأصل تتمثل في شخصية إله أو نبي أسطوري مختَصّ بالزراعة وشؤون المجتمع الزراعي، يتجلى هذا من خلال تخصصه في إنتاج الأقوال الحكيمة التي تتعلق بذلك، هذه الأقوال نفترض أنها كانت تشكل يوماً ما مجتمعةً ملحمة أو ترنيمة دينية طقوسية، أقرب ما تكون إلى طبيعة النصوص المقدسة، أو إنها على الأقل تنتمي إلى ذلك التراكم من الحكمة الشرقية، مثلما أن شخصية البطل/القاتل الحكيم/الإله تنتمي إلى سلسلة من الأبطال الأسطوريين المؤثرين في الجماعة أو الذين يجسدون رؤيتها الكلية للعالم والذات، إلا أن هذا البطل مختلف على نحو ما، حيث إلى جوار الأسطورة أو الخرافة التي تجسد شخصيته هناك المقولة الحكمية» (العرامي 2019: 15).

ومن الطبيعي أن اليمنيين حين اختاروا الآلهة الكوكبية فإنهم بذلك قد نقلوا اهتمامهم بالخصب من الأرض إلى السماء وربطوا الكواكب الثلاثة (القمر، الشمس، الزُهرة) بمظاهر الزراعة كالماء والمطر والخصب والرياح وغيرها، لكن ذلك لم يكن يعني اختفاء التقاليد الأرضية الزراعية، بل جعلها ديانة هامشية سريّة باطنية.

«تمثّل الظاهرة، وفي أدنى مستويات دلالتها الثقافية، باعتبارها جزءاً من أدب الهامش، فعلَ مقاومة لهيمنة الثقافة الرسمية على خلفية التوتر بين كل من ثقافة الهامش وثقافة المركز، وهذا يعني أنها ومن الناحية السسيولوجية تمثل أدباً زراعياً (في مقابل الأدب العربي الكلاسيكي ذي الطابع البدوي)، أي في موقع النقيض المناهض والضد، عوضاً عن كونها تمثل أدبيات دينية (في مقابل الأدبيات الدينية الرسمية)، وأعني أن مثل ذلك يجعلها، ومن موقعها هذا وبطبيعتها تلك، جزءاً من مقاومة المجتمعات الزراعية لأشكال الهيمنة الدينية والسياسية والثقافية»، وهي مسألة تبدو قريبة من بقاء بعض أدبيات الديانات الزراعية حية وفاعلة حتى ما بعد الإسلام، كما هو الحال مع كتاب «الفلاحة النبطية»، وفي إطار قومي/ديني يتصل على نحو ما بالديانات السرية» (العرامي 2019: 17).

ولا شك أن هذا ساهم بنشوء أدب زراعي، لكنه لم يكن مكتوباً، بل كان شفاهياً، فالكتابة صارت جزءاً من إجراءات الممالك الرسمية في التدوين وكتابة الحروب والمعارك والتقديسات الكوكبية المساهمة فيها، وهكذا صارت الشفاهية والغنائية والملحمية المحكية أهم طرق التعبير عن هذا الأدب الزراعي السريّ الفلاحي المتواتر.

«أدب زراعي يمني قديم مفترض: ونقصد بذلك المؤلفات اليمنية التي كان موضوعها الزراعة، وعلم النجوم والتقويم الفلاحي والأنواء، وقد تنوعت ما بين الكتب والأراجيز، مثل أرجوزة من وضع البحر النعامي في نهاية القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر، وأرجوزة نشوان بن سعيد الحميري 573 للهجرة/1177 م، وأرجوزة عبد الله بن أسعد اليافعي 768 للهجرة/1367 م، ورزنامة الملك الأشرف عمر تحت عنوان كتاب التبصرة في علم النجوم، ورزنامة القاضي أبو العقول محمد بن أحمد الطبري، ورزنامة لمؤلف مجهول تحت عنوان فصول مجموعة في الأنواء والزروع والحصاد، ورزنامة الملك الفضل العباس تحت عنوان بغية الفلاحين، وأرجوزة شهاب الدين أحمد الزميلي، وأرجوزة حسن العفاري من القرن الحادي عشر الهجري، وأرجوزة البحر النعامي في الأشهر الحميرية وما يوافقها من أغذية، وقصيدة «منظومة كيمياء الزراعة» تأليف العلامة محمد بن محمد الصبري، وجدت في مخطوطة تعود إلى 1253هـ/1837 م، وغيرها من التوقيعات الزراعية التي تعود إلى الدولة الرسولية، مثل «التواقيت في معرفة اليواقيت» لمحمد بن أحمد المعروف بأبي العقول، و«ملح الملاحة في معرفة الفلاحة» للملك الأشرف بن يوسف، وكتاب «جمرة الفلاحة»، و«سلوة الهموم في علم النجوم»، و«بغية الفلاحين في الأشجار والرياحين»،

للملك الأفضل العباس بن علي وغيرها من الكتب و(المنظومات) الزراعية» (العرامي 2019: 41 ـ 42).

«ويخصص جزء كبير من الكتاب للظواهر الأدبية في محتوى هذا الأقوال والأشعار، فصاحبها «هو شاعر لا يقول الشعر إلا حكمة، وحكيم لا يقول الحكمة إلا شعراً»، إنه شاعر لا يهجو ولا يمدح ولا يرثي ولا حتى يتغزل، كما اعتدنا أن نرى في مواضيع الشعر الجاهلي في شمال الجزيرة، بل إن الحكيم اليماني يخلص في شعره للحكمة ويقدمها للجماعة، وهذه الجماعة ليست قبيلة أو سلالة، وإنما هي تجمّعٌ جغرافي أو مهنيّ، فهو أشبه ببطل شعبي جماعي، لكن بطولته تتجلى في القول لا الفعل، وهذا القول هو أناشيد وأحكام اجتماعية زراعية، تحضر في إطار طقسي مغرق في القدم، ما يرجّح أسطورية هذا الحكيم وكونه شخصية إلهية هبطت إلى مستوًى بشري عبر الزمن، وبعد سلسلة من الاستدلالات الذكية والرشيقة ينتهي المؤلف إلى أن شخصية الحكيم المسمى «شرقه» في بعض مناطق محافظة البيضاء والمختص برفع مياه الآبار، هو هبوط لشخصية الإله «عثرت شرقن» المختص بالمطر، وأن شخصية الحكيم «سعد السويني» في حضرموت والمختص بالسقاية هو هبوط للإله الحضرمي «سين» الذي كانت السقاية إحدى اختصاصاته أيضاً، بل ويجد الباحث علاقة بين تسميته «سعد السويني» وشخص اسمه «ثعد سين» ورد في نقش حضرمي، وأنا أؤكد على فرضيته بحقيقة أن قلب السين ثاءً هو أبرز خواص النقوش الحضرمية بالفعل» (عطبوش، محمد، تعقيب على الكتب، 23/9/2019).[(8)]

وهكذا تكوّنت قواعد طقسية لتلاوة الحكايات والقصائد، ظلت مع الزمن إلى يومنا هذا تشير إلى ذلك الروحي العميق.

«بعد إيراد اسم الحكيم، تسرد الحكمة الشعرية التي غالباً ما تكون مقاطع قصيرة قد لا تتعدى عدة أشطر، وبعضها من شطر واحد أو بيت واحد من شطرين، أو ثلاثة أشطر، أو أربعة، ونادراً ما تزيد على ذلك، ولكنها مقاطع قصيرة في كل الأحوال، تتضمن في مجملها كمّاً كبيراً من الخبرة الزراعية المتراكمة، مثل طرق البذر والغرس ومواسم الزراعة ومعالمها والحصاد والسقي والأمطار، بل تكاد تشمل التقويم الزراعي، وهي تمجد العمل وتحث عليه، وتوصي به تجنباً للفقر والحاجة، كما تتضمن نصائح أخلاقية اجتماعية، وتتطرق إلى العلاقات الإنسانية الأولى، مثل الابن والأخ، والضيف، والجار، والصديق، وتشكو الظلم وترى فيه جناية على صاحبه، وتنادي بالعدالة، وتنشد السلام، وترى الحياة قائمة على التسامح والصلح، وتنتقد القضاء الفاسد، وتشكو من الدَّين والحاجة إلى الناس، وتتضمن مبادئ أخلاقية قانونية، وتصورات تمثل وجهة نظر المجتمع الزراعي الذي تحيا فيه ورؤيته إلى العالم» (العرامي 2019: 46).

وكان هذا الإرث يتضمن الأغاني التي تنشد مع العمليات الزراعية «يتداولها الفلاحون جيلاً عن جيل وبالتواتر، وتنشد في أثناء العمل الزراعي في الحقول من قبل الحارث وهو يحرث

الأرض بواسطة الثور، أو من قبل الساقي الذي يرفع الماء من البئر بالاستعانة بالثور أيضاَ، لكنها فضلاً عن ذلك تحضر كأمثال وأحكام شعبية يستشهد بها الناس في مواقفهم الاجتماعية وخصوماتهم وخلافاتهم، ويقدرونها تقديراً عالياً، ويقدرون ال

حكماء الذين يعتقدون أنهم قالوها، ويسمي الفلاحون تلك النصوص «أحكاماً» بما في هذه التسمية من دلالة على مكانتها واستثنائيتها، ويعدون أولئك الحكماء مرجعيات «أخلاقية» و«زراعية»، ويرون فيهم أبطالاً «قوميين» يمثلون الجماعة التي ينتمون إليها وهويتها الخاصة» (العرامي 2019: 47).

وبذلك تكون قد تشكّلت شخصية نمطية لهذه المرويات المحكية أو الموقّعة، لتكون جزءاً من أغاني العمل أو السمر والقص، «فعلى أنها نصوص شعبية من حيث لغتها وسياقها الاجتماعي الجماعي، وجمالياتها الشفاهية التي تعتمد على الإيقاع الصوتي كالوزن والنهايات السجعية (أو القافية)، فإن هويتها سوف يتنازع عليها فنان شعبيان هما «أغاني العمل» و«الأمثال الشعبية»، سواء من حيث المجال الذي تحضر فيه (أي أداؤها كأغاني عمل أو حضورها كأمثال)، أو من حيث خصائصها الأسلوبية التركيبية وخطابها، ذلك أن إيقاعها الذي يتسق مع اللحن الذي تردد به هذه الأقوال في أثناء العمل يجعلها تدخل إلى جانب الأداء نفسه في «أغاني العمل» كشكل من أشكال التعبير الشفاهي، لكنها أيضاً تحضر كأمثال، والإيقاع سمة رئيسية من سمات الأمثال الشعبية، أضف إلى ذلك أن خطابها الحكمي وهو يتجسد أسلوبياً (في جملة الشرط والأمر والنهي والجمل الاسمية) التي تقرر معرفة ما يعزز قربها من الأمثال، في المقابل فإن الطابع الغنائي في بعضها (تلك النصوص الابتهالية الدينية، وإن كانت من حيث الكم تمثل نسبة ضئيلة مقارنة بالموضوعات الأخرى ذات الخطاب الحكمي) يجعلها تميل مجدداً إلى الغناء، وهكذا يمكن أن تستمر جدلية تصنيفها... في حين يمكننا القول إجمالاً بأنها تتراوح بين خصائص الفنَّين، لكنها ليست أحدهما، مثلما لا يمكن أن تكون فناً ثالثاً مزيجاً منهما، بل هي إلى الشعر أقرب، وإن لم تكن «نصاً مكتملاً» من حيث مفهوم الشعرية الكمية» (العرامي 2019: 59).

تسربت أسماء الآلهة سواء كانت زراعية أم كوكبية، بعد ظهور الإسلام، ولكن التقاليد حوّلت هذه الأسماء لأشخاص أو شيوخ لهم صفات غرائبية، ويبدون كما لو أنهم حكماء أو متنبئون قادمون من تلك الأزمان السحيقة في القدم. «ولا شيء يمنع أن يكون «شرقه» هو الإله «شرقن» أو ظله، وأن تكون أغاني الفلاحين المنسوبة إلى هذا الحكيم هي أصداء نص ديني ابتهالي مشابه لترنيمة الشمس، كان الناس يتوجهون به إلى الإله «شرقن» المتخصص في الأمطار والري، ومن الطبيعي أن يكون هذا النص مرتبطاً اسمياً ودلالياً بالإله «شرقن»، كأن تكون هناك نصوص عدة منسوبة إلى الآلهة أو إحدى صفاتها أو تجلياتها، أو تقرَّب بها إلى الآلهة كهنة أو رجال دين، أو أبدعها شعراء لهم علاقة بالمؤسسة الدينية، وتبنتها هذه المؤسسة بحيث أصبح النص «سرديتها الكبرى» أو جزءاً منها، في حين أصبح مبدعها أو من تنسب إليه رمزاً جماعياً أسطورياً، أو أنه في الأصل كذلك، كأن

يكون «إنساناً» ضحى بنفسه قرباناً للآلهة من أجل الناس، فاحتفظ به الوعي الجمعي رمزاً أسطورياً يرى فيه كل فرد ذاته، أو ما يمثلها، وفي الميثولوجيا ثمة مبدأ مشترك يكمن في أساس العقيدة، هو أن المياه المقدسة مشحونة بالروح والطاقة الإلهية، وتقدم الأساطير تفسيرات شتى لذلك، وتربط بين السمة الإلهية والمياه والعديد من الآلهة والقوى الغيبية، لكنها جميعاً تتفق على أن موضوعها الرئيسي هو بيان أن عين الماء أو الجدول تُخَصَّب ـ إن صح التعبير ـ بالطاقة الحيوية للإله الذي تستمد قدسيتها منه، ويمكن القول بأن أساطير التضحية تنطلق من كون الدم في عقيدة الأقدمين هو مبدأ الحياة أو وسيلتها، وبالتالي فإن التعليل الذي كان شائعاً لقدسية المياه هو أن دم الإله يتدفق فيها» (العرامي 2019: 81).

ثانياً: السحر والعرافة والتنجيم

1. السحر اليمني

كلمة (س ح ر) بمعنى عمل سحري كما في اللغة العربية، فإننا نجدها بالخط المسند على النقوش السبئية والقتبانية، وكلمة سحر في النقوش السبئية تعني حجراً سحريّاً أو طلسماً، وفي النقوش القتبانية تعني كاهناً، وترى الباحثة أفانزيني أن الإله القتباني «سحرم» يعني اسم الكاهن الساحر، أما الباحث في أصول الكلمات الأجنبية في القرآن آرثر جيفري فيرى أن كلمة سحر القرآنية هي من أقدم الكلمات التي دخلت العربية من الأكادية «ساحِرو" بحثنا عن معنى كلمة «ساحِرو/شاحِرو » sāḫiru مع افتراض أصل آراميّ لها، إذ أنها تعني النظر، وهو المعنى المعروف ذاته لكلمة الطلب، وهو ذات المعنى المعروف لكلمة «شحر» في اللهجة اليمنية، فربما انتقلت كلمة «سحر/شحر» بدلالتها هذه إلى اليمن، حيث يوجد تعبير الشَحْر والشَّحْرة، بمعنى النظر والنظرة، يقولون: شحَر فلانٌ فلاناً يَشحِره، أي: رآه» (عطبوش، محمد، 2020: 28 ـ 29).

يعتقد اليمنيون القدامى بالسحر، فقد كشفت الآثار عن مجموعة من التمائم والتعاويذ والحجابات المصنوعة من الحجر أو الفضة أو الخشب، وورد في النقوش: (CIH474 ,CIH 473, RES 3305).



النقش ByнM 217

متحف بينون في محافظة ذمار، اليمن، وتظهر فيه كلمة (س ح ر)

Dasi.cnr.it مصدر الصورة موقع مدونة النقوش العربية

(عطبوش، محمد 2020: 28 ـ 29).

يمكن تلخيص ملامح السحر القديم في اليمن كما يلي:

1. احتوت التعاويذ/التمائم على أسماء الآلهة مثل: ود أب، ود، أبو ود، حمو ود، وهذا يعني أنها مضادة للأرواح الشريرة.

«استعمل اليمنيون القدماء التمائم ذات القدرة السحرية ـ في اعتقادهم ـ على الحفظ والحماية، درءاً للشرور والأخطار وطلباً للبركة والرزق وحسن الطالع، وقد صنعوها من موادّ مختلفة وبألوان وأشكال عديدة كلها ذات دلالات دينية، وقد حملت بعض التمائم صِيَغاً دينية أو تعويذية، لعل من أشهرها صيغة (ود أب) التي تُعَدّ من أكثر الصيغ التمائمية شيوعاً والتي تربط المعبود بمتعبديه بصلة القرابة، وتشبهها في الاستخدام صيغة (حول أب)، أما أشكال التمائم فكان الأشيع منها ما يمثل رموز المعبودات» (سالم 2011: 7 ـ المستخلص).

2. كانت هذه الأسماء تدوّن على تماثيل وفوق أجزاء من جسد الحيوانات.

3. الاعتقاد بالعين الحاسدة (ش ص ي).

4. طلب الحماية الإلهية ضد القوى الشريرة.

2. العرافة والتنجيم

لم يحفل اليمنيون القدماء بالعرافة أو التنجيم، ولم يتخذوا لهم أبراجاً خاصة بهم مثل بقية الشعوب، ويبدو أنهم اكتفوا بتنظيم الشهور والفصول على الأرض، ولم يحاولوا سبر أبراج السماء ونجومها، واكتفوا بالثالوث الكوكبي بحيث لم يتنبهوا لبقية الكواكب التي عرفتها الشعوب القديمة، مثل: عطارد، المريخ، المشتري، زحل.

عثر في العاصمة الحميرية (منطقة ظفار) عند قرية بيت الأشول على النقش (ظفار 77) الذي يحتوي على رموز أبراج فلكية (القرن الأول الميلادي)، وهي: رموز أبراج الحوت، الجدي، الحمل، القوس، العقرب، ويبدو أنها نقلت كرسمٍ لبعض هذه الأبراج من مؤثرات خارجية، ولم تكن هناك عناية خاصة بها.

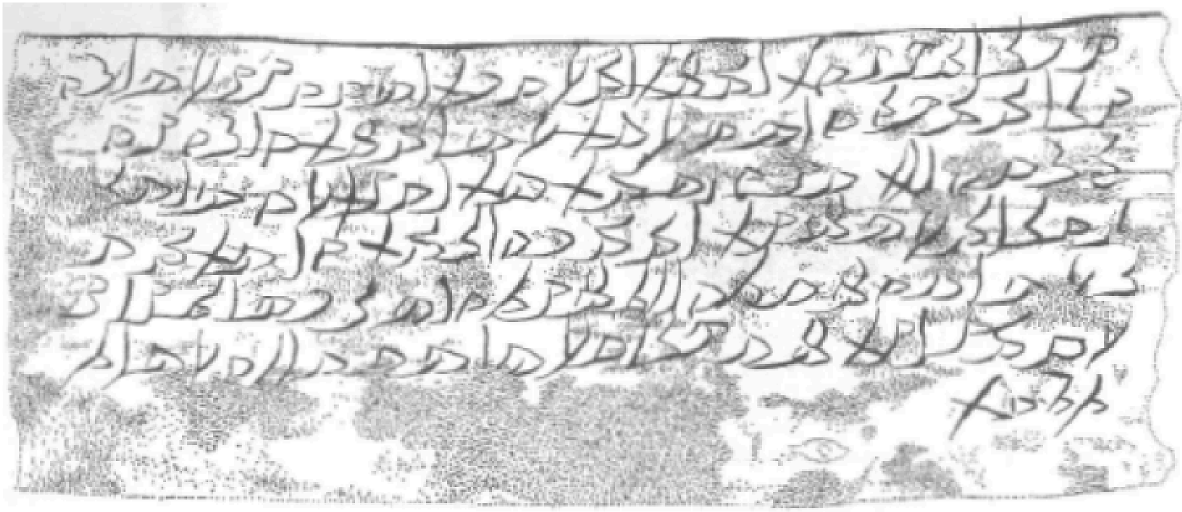


رموز أبراج النقش (ظفار 77)

3. تفسير الأحلام

لفظ الحلم في المعجم السبئي هو (**رأي، رأو، حلم**)، وكان صنف من الكاهنات في النقوش السبئية يسمى (حلمتن) وأغلب الظن أنها مفسرة الأحلام، ويقابل مفسِّر/مفسرة الأحلام في الأكدية (شائيلو) و(شائلتو)، وترد في اليمنية لفظة (سألم) التي تعني الكاهن الذي يتلقى الوحي، والوحي الإلهي ومكان تلقي الوحي في المعبد بلفظ (مسأل).

يرى بيتر شتاين أن كلمة «تحرب» من الفعل «حرب» الواردة في بعض النقوش قد تشير إلى طقس افتعال الأحلام الكهانية الذي يتم عبر طقس الخلوة في المعبد (Stein 2006: 302 ـ 303).(9)



أحد نصوص الأحلام الزبورية

Abb. 1 Abrollung von Mon.script.sab. 604 (Faksimile)

(Stein 2006: 311)

«ناقش شتاين في ورقته كلمة «**صدغ**» التي تعني في المعجم السبئي (برهاناً، آيةً، إمارةً، وحياً)، وكان ريكمانز أول من أشار إلى معناها الكهاني، مفترضاً كونها مبدلة عن صدع، لكن شتاين يراها ترجمة غير دقيقة كفاية، ويقترح بدلاً من ذلك مقارنتها بالصدغ في اللغة العربية، النوم الطقسي Incubation وهو الخد، فيرى أنها قد تشير إلى مكان ممارسة الحالومة ويربطها بكلمة «**حرب**»، ثم يستنتج شتاين وجود نوعين من الأحلام: أحلام عفوية، وهذه يشار إليها بلفظ «**هرأي**»، وأحلام مفتعلة (أحلام طقوسية، حالومة) ويشار إليها بلفظ «**حرب**» و«**صدغ**»، ويعد ذلك دليلاً على درجة عالية من التوافق بين ثقافة بلاد الرافدين وجنوب الجزيرة العربية» (عطبوش، محمد، 2021: 7).

وهناك نقش سبئي، بالخط المسند، لحلم يظهر فيه ثور وبوابة، ويفسره بأنه حلم جيد ومتفائل، فالثور يرمز عندهم إلى القوة والحماية، أما بقية نصوص الأحلام اليمنية فمكتوبة بخط الزبور، وهذا نموذج منها:

لا يوجد في النص تفسير لهذا الحلم، وهكذا بقية أحلام الخط الزبوري.

(3) وانظر Robin 1991: 141 - 43.

(4) Maraqten, Mohammed: The processional road between Old Marib and the Awäm temple in the light of a recently discovered inscription from Mahram Bilqïs. Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, Vol. 34, Papers from the thirty - seventh meeting of the Seminar for Arabian Studies held in London, 17 - 19 July 2003 (2004).

Mohammed Maraqten - The processional road between Old Mārib and the Awām temple in the light of a recently discovered inscription from Maḥram Bilqīs, PSAS 34: 157 - 163.

(5) موقع وفاق التاريخ، 16/04/2020:

https://wefaq.net/c/horizons/67

(6) https://thegirlmob.com/culture/8muslimqueens

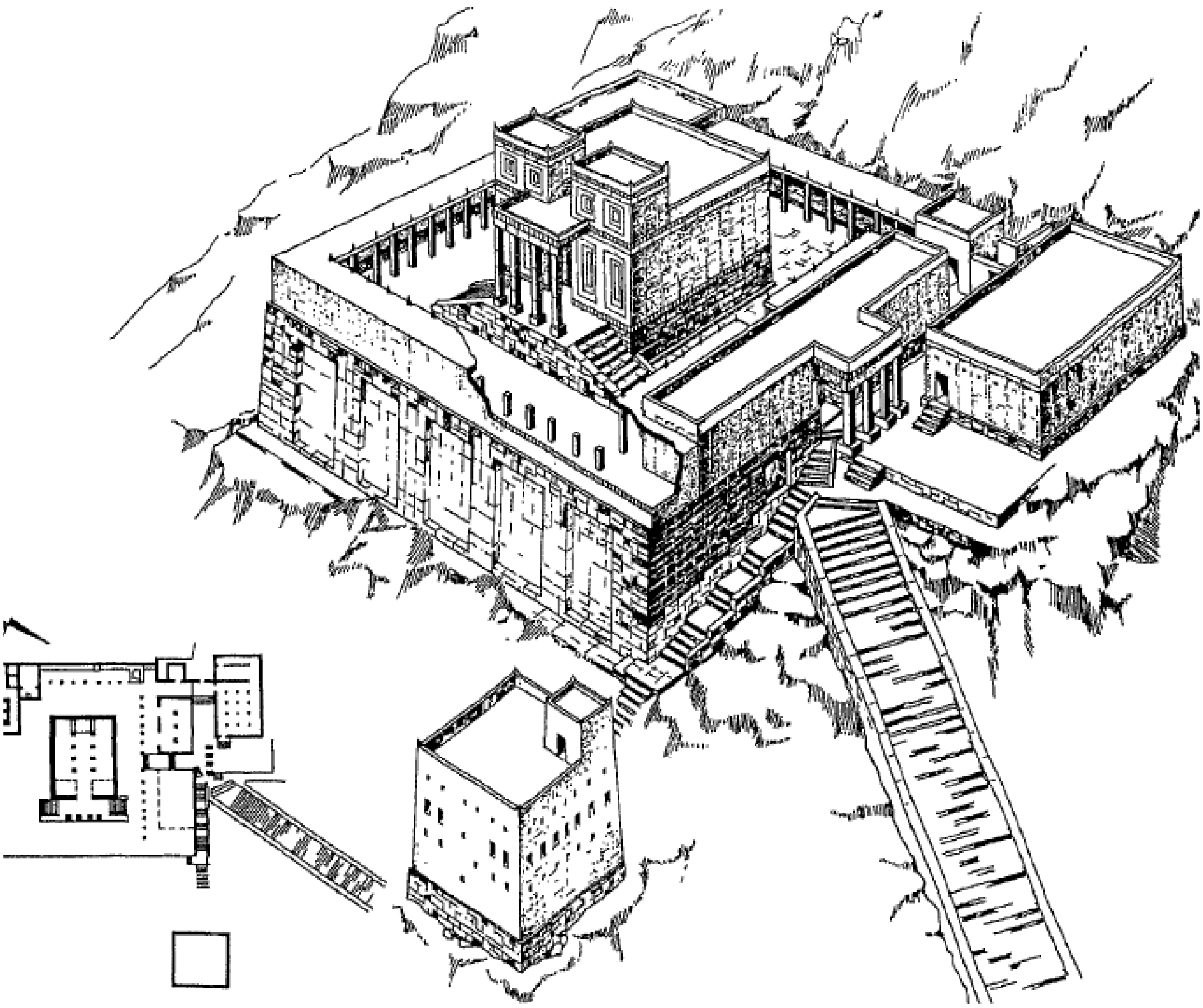
(7) https://arabian_archaeology.com/arch4bronze.htm

(8) الاطلاع عليه في 20/12/2020:

https://www.goodreads.com/book/show/48910431

(9) Stein, P.: Träume im antiken Südarabien. Altorientalische Forschungen (2006).

الفصل الثالث عشر المظهر العلمي



الهندسة العمرانية لمعبد ميفع (إعادة بناء)

القسم الأول: العلوم الطبيعية

المبحث الأول: الرياضيات

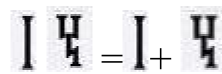
الأرقام في اليمن القديم:

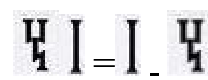
كان اليمنيون في المراحل المبكرة من الحضارة اليمنية يعتمدون في الترقيم على بعض حروف المسند، ومعها العمود الذي يفصل بين الكلمات في النقوش المسندية، والحروف هي (خ، ع، م، أ)، وفي هذا الجدول رسم لها وتوضيح أسباب اختيار هذه الحروف:

الخمسون نصف المئة، ولذلك شطروا رمز المئة  إلى نصفين وأصبحت علامة الخمسين هي ، أما في المراحل المتأخرة فقد كان يكتب الرقم لفظاً فقط دون رمز، أي إنهم استغنوا عن الأرقام الرياضية ورموزها وكتبوها لغوياً.

العمليات الحسابية البسيطة:

عرف اليمنيون الجمع والطرح كالذي عرفناه في أرقامنا الحالية:

6 = 5+1 

4 = 1 ـ 5 

ولم تكشف النقوش المسندية، حتى الآن، عن رياضيات مركبة ومعقدة أكبر.

المبحث الثاني: مترولوجي المكاييل اليمني

المترولوجيا بجميع أنواعها واحدة من مظاهر التحضر والحيوية التجارية والاقتصادية، وهي مرتبطة بأجهزة قياسها وضبطها وتكرار استعمالها اليومي، وقد ازدهرت الحضارة اليمنية في نشاطاتها المختلفة، وكان على رأسها انتعاش التجارة الداخلية والخارجية، وحين أصبحت اليمن مركز تجارة البخور واللبان، وظهر فيها أشهر التجار في العالم القديم، واشتهرت بلاد اليمن وصارت تُعرف بـ(العربية السعيدة)، وهو ما جعل وسائل هذه التجارة تتحسن وترقى، ومنها ظهور العملات اليمنية وظهور المكاييل الدقيقة الوزن، فتبلور ظهور أدوات قياس ومكاييل جديدة ومتطورة تختلف بأنواعها وأشكالها وأوزانها من مِنطقة إلى أخرى، وهو ما ورد في النقوش اليمنية القديمة، كما هي موضحة في الجدول الآتي:

(انظر موقع اليمن مهد الحضارة، 2017).

ما زالت بعض هذه المكاييل تستعمل إلى الآن، وأشهرها (القدح)، فهو وَحدة الكيل للحبوب النباتية كالحنطة والشعير، لكنه يختلف في حجمه بين منطقة وأخرى.



كيل القدح القديم وعليه كتابة مسندية وإشارات

ذكر الدكتور جواد علي في (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) أن اليمنيين كانت لهم موزاين وأكيال منها الفرق وأذهب، الذي يجمع بلفظة أذهاب، و«ترد في بعض كتابات المسند لفظة «ممد» مع العدد، كأنها استعملت للتعبير عن قياس، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنها لا تعبر عن وحدة قياسية قائمة بذاتها، كما تعبر لفظة قدم أو ذراع، بل هي تعبر عن معنًى عام، هو مسافة أو كيل أو وزن، ويفهم ذلك المعنى من مكان الكلمة وموضعها في الجملة، وأما وزن الأشياء، أي تقدير مقدار ثِقَلها، فيختلف في الغالب باختلاف طبيعة الشيء المُراد معرفة وزنه وتقدير ثقله، فإذا كان الشيء جافّاً قُدر بمعايير خاصة، وإذا كان سائلاً قُدّر بمعايير أخرى، غير أن هذا التفريق لا يعد قاعدة عامة، وإنما يختلف باختلاف الأماكن والأعراف والعادات، فقد يزن بعض الناس المائعات بمعايير توزن بها الأشياء الجافة عند أناس آخرين، فالسمن مثلاً يُوزن ويكال، والتمر يوزن ويكال، وهناك أمثلة عديدة أخرى من هذا القبيل، وأما الأوزان، أي معرفة الخفة أو الثقل للأشياء التي يراد وزنها لمعرفة مقدارها، فقد كانت توزن بوضعها في إحدى كفتي ميزان ووضع الأوزان في الكفة الثانية» (علي، ج7 ـ 1994: 626).

أما في مقاييس الطول فمن وَحَدات القياس في اليمن: «ا م ت»، «أمت»، وقد ذكرت هذه الوحدة في نصوص المسند، وتقاس بها الأبعاد طولاً وعرضاً، وذكر علماء اللغة أن «الأمت» الحزر والتقدير، يقال كم أمت ما بينك وبين الكوفة، أي قدر، وأمت القوم أمتا، إذا حزرتهم، فللمعنى إذن صلة بالمعنى المفهوم من اللفظة في لغة المسند، والشوحط من وحدات قياس

الأبعاد كذلك، فورد: «سدثي شو حطم»، أي ستون شوحطا، وقد ذكر هذا المقياس في كتابات المعينيين، ولعله قصبة أو خشبة حُدد طولها واعتبرت كالمتر، و«الياردة» وحدة أساسية لقياس الأبعاد، و«الشوحط» في كتب اللغة ضرب من شجر الجبال تتخذ منه القسي، أو ضرب من النبع يتخذ منه القياس، فلا يستبعد وجود صلة بين الشوحط اليماني وهذا الشوحط، وهو اتخاذ قصب الشوحط مقياساً معيناً محدداً لقياس الأبعاد» (علي، ج7 ـ 1994: 626).

المبحث الثالث: الهندسة المعمارية

الهندسة المعمارية في اليمن واحدة من أرقى أنواع العلوم التي ازدهرت فيها على امتداد حضارتها، فقد شهدت اليمن عمراناً لا نضير له في العمارة الدينية والمدنية والعسكرية، وما زالت شواخصها ماثلة حتى اليوم.

أولاً: هندسة العمارة الدينية

تطورت هندسة المعابد في اليمن من الأشكال البدائية غير الهندسية إلى الأشكال البدائية الهندسية، وتطورت هذه وارتقت وكان أغلبها في بلاد اليمن، وبعضها القليل خارجه مثل الحبشة وعموم القرن الإفريقي، وظهرت المعابد داخل المدن، وبعضها الآخر خارج أسوار المدن ليتمكن أهل المدن الأخرى من زيارتها بيسر وسهولة، وهناك معابد ظهرت بعيداً عن مناطق البناء والعمران لأسباب مختلفة.

تنقسم المعابد اليمنية إلى نوعين أساسيين هما:

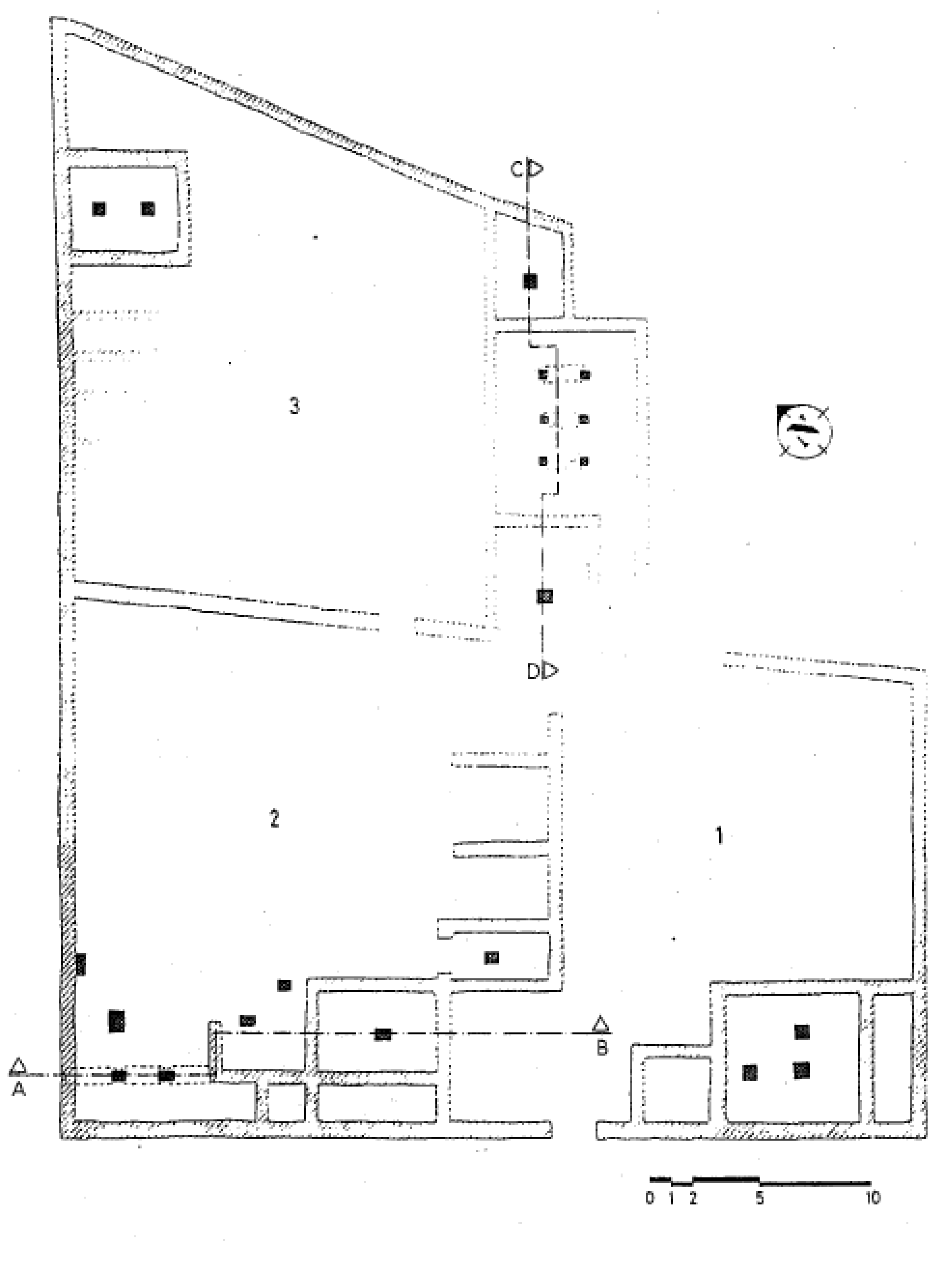
1. المعابد المستطيلة: شكلها مستطيل وهو شكل غالبية المعابد في اليمن، وأقدم نماذجها ظهرت في سبأ.

أ. المعابد المستطيلة المحورية: أي المعابد التي تكون أقسامها المعمارية على محور واحد، وأفضل مثال لها (معبد الإله إل مقه معربم) ويسمى تجاوزاً (معبد المساجد) المرجح بناؤه في عهد المكرب (يدع إل ذريح) في القرن الميلادي السابع ق.م.

ب. المعابد المستطيلة غير المحورية: وهي معابد مستطيلة الشكل لا تكون أقسامها المعمارية على محور واحد، وتتكون من مبنًى واحد وتكون هذه الأقسام موزعة بطريقة غير منتظمة فيها، ومثالها (معبد الإله عثتر ذي يهرق) في منطقة (شقب المناص) قرب برقش شرق منطقة درب الأشراف الحالية.

2. المعابد (المجمعات) الشعائرية غير المنتظمة: وحداته المعمارية متعددة ومساحته كبيرة، الشعائر الدينية التي تقام فيه موسمية، وهي مزارات لطلب الحاجة من الآلهة مثل الخلاص من العقم وطلب الشفاء عن طريق الحج وغيرها، ظهرت في سبأ ومعين وقتبان، نموذجها معبد أوام الذي تحدثنا عنه وهو معبد الحج الرئيسي في اليمن، ومعبد وعول صرواح (معبد الخربة).

والنموذج الآخر لها هو المجمع الشعائري للإله نكرح (إله الشمس) في منطقة درب الصبي، قرب مدينة براقش المعينية الذي يعود إلى القرن الثاني ق.م.



مخطط المجمع العشائري للإله نكرح، منطقة درب الصبي/براقش (العريقي 2002: 413)

عن ((Robin,Christian, et al 1988

عناصر العمارة الدينية:

كانت البوابات تشير إلى هوية المعبد وطبيعته، «وقد اتخذت بوابة المعابد اليمنية القديمة في العصور التاريخية منذ بداية الألف الأول ق.م نموذجاً متشابهاً انتشر في أغلب الممالك اليمنية القديمة، على الرغم من وجود اختلافات صغيرة في التصميم، ولكنها لا تؤثر في الإطار العام، ومن خلال النماذج التي عثر عليها في عدد من المعابد السبئية التي تعود إلى نهاية القرن الثامن وبداية القرن السابع ق.م، يمكن القول إن أقدم نماذج تصميم البوابة قد بدأ في مملكة سبأ، وانتشر بعد ذلك في معابد الممالك اليمنية الأخرى، ويقوم ذلك النموذج على بناء صف أو أكثر من الأعمدة المربعة أو المستطيلة الشكل التي يختلف عددها من معبد إلى آخر أمام المدخل نفسه لتكون ما يشبه الرواق (Portico)، يرتكز سقفه في بعض النماذج على أعتاب تمتد بين رؤوس الأعمدة، ثم عوارض تمتد بشكل متعامد من فوق الأعتاب إلى جدار المعبد، إلى جانب نماذج غير مسقوفة بالكامل، وأقدم نموذج لهذا التصميم عثر عليه في بوابة كل من معبدي ودم «ذي مسمعم» (شكل 13 ب) ومعربم «المساجد» (شكل 48، لوحة 20) في مملكة سبأ، ويظهر في النموذجين التشابه الكبير من حيث التصميم، وعدد أعمدة رواق البوابة ستة في النموذجين» (العريقي 2002: 213).

وكان الفناء مكان لقاء المتعبدين داخل المعبد كجماعة واحدة، يربطها رباط الدين والإله الخاص بذلك المعبد، سُمي الفناء باللهجة السبئية تحت الجذر «م ن» وهو يشير إلى معنى فناء خارجي لحرم أو معبد، وفي اللهجة المعينية هناك كلمة «أ ح ض ر» المشتقة من الجذر «ح ض ر» وتشير إلى فناء هيكل الذبائح تقرُّباً من الإله عثتر.

فرض تخطيط المعابد اليمنية القديمة طريقة خاصة في تصميم الفناء، من ناحية الشكل والوظيفة والمحتويات، ويمكن تقسيمها من حيث عدد الأفنية، وأهمها معابد الفناء الواحد، الذي «غالباً ما يتوسط المنشأة المعمارية ويتبع هذا النوع معبد ود، ومعريم، وذات حميم في حقة همدان، وذات حميم في منطقة الهامد في تهامة في مملكة سبأ، وكذلك معبد «عثتر ذي رصف» خارج مدينة قرناو، ومعبد عثتر «ذي رصف» خارج مدينة نشن «السوداء»، والبناء الجنوبي من معبد منطقة النصائب خارج مدينة براقش، ومعبد «عثتر ذي يهرق» خارج مدينة هرم في مملكة معين، ووُجد مثال واحد في مملكة قتبان تمثل في معبد عثتر المبني داخل مدينة تمنع العاصمة» (العريقي 2002: 221).

كان رواق المعبد عنصراً معمارياً مميزاً بسبب احتوائه على الأعمدة التي كانت ترتكز من إحدى جهاتها على صفائح الأعتاب فوقها، ومن الجهة الأخرى على جدار المعبد، فهو «مساحة مسقوفة تفتح واجهتها للداخل من خلال الأعمدة التي يختلف عددها من رواق لآخر، وقد ورد مفهوم الرواق في النقوش اليمنية القديمة بمعنى شرعة، وذلك من خلال العبارة «وشرعوا/كل/مذقن»، وتدل كلمة شرعوا على أنها جزء من بناء، وتقابل كلمة سقيفة أو «صفة» في اللغة العربية الفصحى، كما ترادف كلمة (Portico) أو (Colonnade) باللغة الإنجليزية، أي صف من الأعمدة تحمل سقفاً مفتوحاً من الأمام، ويمكن مقارنة الصّفة بجزء من سقف مسجد النبي «صل الله عليه وسلم» في المدينة المنورة، الذي كان يفتح للفناء، وقد قُورن مصطلح الرواق في المعابد اليمنية القديمة بالمحراب في اللغة العربية الفصحى على اعتبار مكان كل منهما واحتوائهما على صف من الأعمدة تحمل سقفاً، وقد ذكرت المحاريب اليمنية القديمة عند عدد من المؤرخين العرب وذلك في قولهم «محاريب حمير» نسبة إلى الحميريين» (العريقي 2002: 224).

قدس الأقداس هو جوهر المعبد وأقدس مكان فيه، فهو بمثابة مكان الإله فيه، ولذلك كان يحتوي على تمثال ورموز المعبد، وكانت تقام فيه الطقوس التي يقوم بها كبار الكهنة، «وغالباً ما يكون قدس الأقداس محجوباً عن عامة المتعبدين، ولهذا كان موقعه في مؤخَّرة المعبد، كما يجب أن يكون مسقوفاً أو على الأقل تتقدمه شرفة، وقد ورد ذلك المفهوم في عدد من النقوش اليمنية القديمة تحت اسم «مذقن»، وهو يدل على المكان المسقوف أو المظلل ويقارَن بالمحراب، وقد ورد «المذقن» ليعني أماكن السجود في نقش تأسيس معبد الشمس في منطقة «شحرار» المعسال من قِبَل القيل «لحى عثت يرخم» من بني معاهر في القرن الثاني الميلادي، إذ ورد في النص أنه أنجز بناء نصب 'مقاف' للإلهة الشمس على صخرة المعسال ورافق ذلك بناء 'المذاقن' أي أماكن للسجود أو العبادة، إلى جانب تزويد المعبد بالمباخر» (العريقي 2002: 227 ـ 228).

ثانياً: هندسة العمارة المدنية

(السدود أنموذجاً)

العمارة المدنية قطاع واسع جداً من العمران والبناء، منها القصور والبيوت والأسواق إلخ، وسنختار السدود اليمنية بسبب تميزها وارتباطها بعبقرية البناء والسيطرة على مياه الأمطار وتنظيم سقي المزروعات، التي هي عصب الحياة الأول في البلاد.

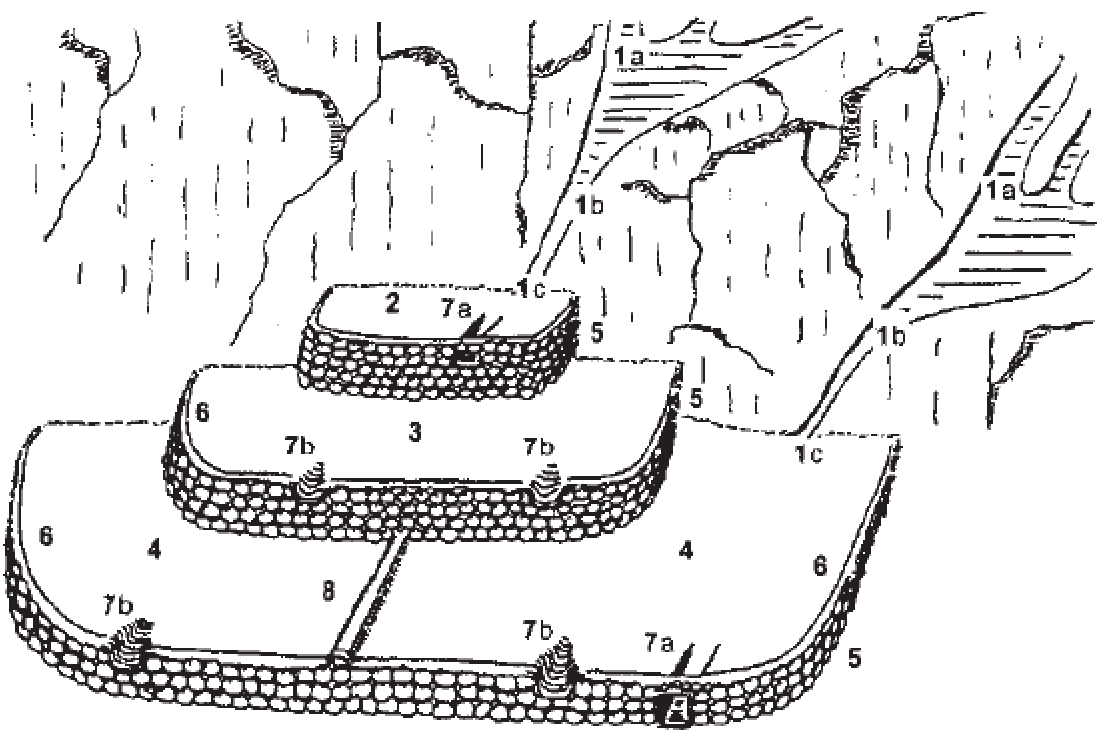
ظهرت بدايات الزراعة في الألف السادس قبل الميلاد، لكنها لم تتحول إلى ممارسة جماعية كبيرة إلا في الألفين الرابع والثالث ق.م، وقد ازدادت ممارستها في الألف الثاني ق. م، وقد أدى ذلك إلى ظهور ثقافات زراعية ومستقرات بشرية كبيرة، ورافق ذلك ظهور مدنٍ مثل صبر وحضور همدان ومواقع أخرى مختلفة في خولان، وفي نهاية الألف الثاني ق.م انتقل

الثقل الحضاري إلى الوديان المحاذية لصحراء صيهد، وظهرت تجمعات بشرية كبيرة هناك، ويبدو أن بناء السدود كان العامل الأساس في هذه الانتقالة النوعية.

كان للمناخ الدور الحاسم في هذا الأمر، فقد حصل تغير بيئي في هذه المنطقة، فالبيئة الرطبة التي كانت في العصر النيوليثي، في نهاية الألف الرابع ق.م، أصبحت أجَفَّ في منتصف عصر الكالكوليت، وفي العصر البرونزي ظهرت ثقافات زراعية برونزية جديدة مثل ثقافة صبر في لحج وانتشرت في ساحل تهامة، وموقع حضور همدان شمال صنعاء، وكان لاستخدام المدرجات الزراعية أثره الكبير في هذا العصر، وظهرت أنظمة الري في الواحات الموجودة على أطراف رملة السبعتين في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م، وشهدت انتقالاً نحو نشوء الممالك اليمنية التي ظهرت في بداية العصر الحديدي.

كانت أول خطوة باتجاه تنظيم السدود في عمل المدرجات الزراعية التي نظّمت مياه السيول في زراعة السفوح الجبلية، وكانت خطوة هندسية مهمة.

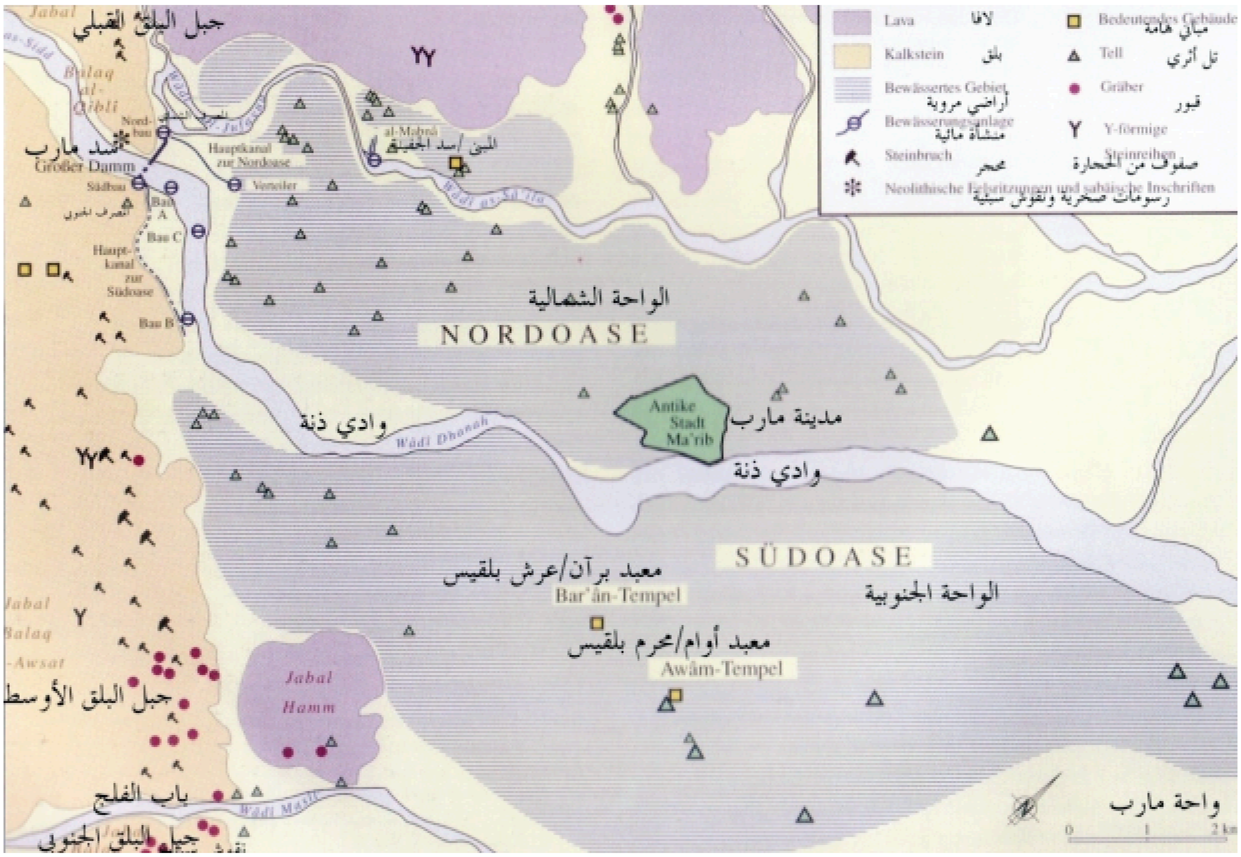
نشأت المدن والممالك في الواحات، وهناك كانت المدرجات الزراعية التي مهدت الطريق إلى الحاجة إلى الري وبناء السدود.



نموذج من عملية الري بالمدرجات الزراعية في اليمن

نقلاً عن (المرقطن 2013: 203)، وعن (Kopp 2005: 107)

شرحنا مفصلاً هندسة سد مأرب في الفصل الاقتصادي، ولا بد من التأكيد أن عدد السدود السبئية بلغ قرابة ثمانين سداً صغيراً، تسمى «عرمن» (العرم)، أهمها سد مأرب الذي وُصف بأنه أعظم عمل هندسي في الجزيرة العربية كلها، نشأ بين واحتي مأرب الشمالية والجنوبية في مدينة مأرب عاصمة الدولة السبئية.



واحة مأرب التي نشأت فيها مدينة مأرب وسد مأرب، عن (المرقطن 2013: 210)

(Seipel 1998: نقلاً عن (180

أما أهم سدود اليمن القديم فهي: «سد مأرب، وسد قصعان وربوان (سد قتاب)، وسد شحران وطمحان، وسد عباد، وسد لحج (سد عرايس)، وسد ساجر، وسد ذي شهال، وسد ذي رعين، وسد نقاطة، وسد نضار وهران، وسد الشعباني، وسد المليكي، وسد النواسي،

وسد المهباد، وسد الخانق في صعدة، وسد مظهرة في الحنفرين من رحبان، وسد ريعان، وسد سيان، وسد شبام على مقربة من صنعاء، وسد دعان، وسد جفينة في مأرب» (نور الدين 2008: 537).

المبحث الرابع: التخطيط الحضري

نكاد نلمح ظهور التخطيط الحضري المقصود في تصاميم بعض المدن اليمنية القديم، فعلى سبيل المثال يمكن أن تكون مأرب عاصمة سبأ قد ظهرت على وفق مخطط حضاري مسبق، وتمتاز عموم المدن اليمنية القديمة بتكوينها الداخلي المتماسك والمميز والمنسجم مع البيئة والتضاريس التي هي فيها.

قاموس التخطيط الحضري:

زخر القاموس اللغوي اليمني القديم بمفردات دالة على العمارة والتخطيط الحضري، التي استعملت للإشارة إلى جانب عريقٍ ومتقدم في هذا الحقل من إقامة وتشييد الأسوار والسدود والعمارة والحصون والمعابد، وعلى الرغم من غياب الكثير من الملامح العمرانية في التخطيط الحضري (العفوي والمقصود) في اليمن فإن هذه المفردات حفظت لنا جهودهم في هذا المجال:

انظر (البريهي 2000: 152 ـ 166).

أحوال التخطيط الحضري:

تخطيط المدينة خليط من الوظائف المركبة والمتفاعلة مع بعضها بشكل عضوي، وكانت المدن الأولى تقوم على الأنهار لسببين أساسيين هما: توفر مياه الشرب، وإقامة الحقول الزراعية حولها لتغطي الطعام على مدار العام، وبسبب غياب الأنهار في اليمن فقد أُسست مدنها الكبيرة في الوديان حيث المدرجات الزراعية والجداول المائية، «وبنظرة فاحصة على خريطة اليمن القديم، نجد أن معظم مراكز الحضارة اليمنية القديمة المعروفة حتى الآن قد ظهرت في سهول الأودية الشرقية المنحدرة من المرتفعات الغربية، والهضبة الجنوبية، حيث شيدت على أطراف تلك الأودية مراكز الحضارات اليمنية وعواصمها، على شكل هلال يحيط بالصحراء يمتد من شمال وادي حضرموت حيث قامت مدينة شبوة على وادي العطف، ومدينة تمنع على وادي بيحان، ومدينة قرية (ذات كهل ــ الفاو حالياً) على وادي الدواسر، ومدينة مأرب على وادي ذنه، ومدن قرناو، وكمنا، ونشق ونشان على وادي الجوف إلى مدينة نجران التاريخية التي أُنشئت على وادي نجران» (حنشور 2011: 44).

«ثم إن هناك العديد من المدن ظهرت وازدهرت في المرتفعات ولا سيما في القيعان الخصبة التي تتخلل الهضبة اليمنية، حيث تقوم المدينة على سفح جبل عالٍ تستند إليه وتحتمي بحصنه، مثل مدينة صنعاء في قاع صنعاء على سفح جبل نقم، ومدينة ظفار عاصمة دولة حمير في قاع الحقل بسند جبل ريدان، ومدينة الجند على مقربة من مدينة تعز، ومدينة صعدة في حقل صعدة، وتستفيد هذه المدن من مياه الأمطار الغزيرة التي تسقط على القيعان ـ بالرغم من محدودية فترة سقوطها خلال العام ـ في ممارسة زراعة كثيفة ومتنوعة، فضلاً عن كونها أسواقاً موسمية للقرى المحيطة بها أو محطات على طرق خط التجارة الجبلية» (حنشور 2011: 44).

لكن التخطيط بدأ يتركب أكثر ويهتم بوظائف أخرى، وقد لعبت مجموعة من العوامل دورها الكبير في نشأة المدن اليمنية القديمة وتطورها، وهي العوامل الطبيعية والإنسانية والدينية والإجتماعية والسياسية والاقتصادية.

أما الطرق التي يُختار على أساسها موقع المدينة اليمنية القديمة فهي:

«* الموقع المتميز الذي يتوسط مجموعات القرى والذي يسهل الوصول إلى استعماله سوق تُتَبَادَل فيه السلع أو يقع على طريق خط تجاري مثل مدن شبوة، ومأرب، وقرناو، ويثل، وتمنع وغيرها.

* مواقع ارتبطت بمواضع معينة في مناطق تحقق لها المَنَعة والقدرة على الدفاع مثل مدن صنعاء، وصعدة، وظفار.

* مواقع ساحلية ارتبطت بموانئ يتم من خلالها التبادل التجاري مع المدن المجاورة مثل مدن عدن، وقنا، والمخا.

* مواقع ارتبطت بمواضع في مناطق لها قدسية دينية خاصة، مثل مدن تعص على سفح جبل كنن واتوه بسفح جبل ريام.

* مواقع اختطت كمدينة لأهمية موقعها مثل سمهرم» (حنشور 2011: 44).

أنواع المدن على أساس وظائفها:

ميّز الدكتور يوسف محمد عبد الله بين ستة أنواع من المدن على أساس وظائفها، وهي:

«1. المدينة عاصمة الدولة: وهي الحاضرة مركز الدولة ومقر سلطانها، ويقيم فيها الحاكم.

2. المدينة عاصمة الإقليم: وتكون مقر إقامة الكبير أو القيل مثل شبام كوكبان (شبام أقيان) ووعلان (المعسال).

3. المدينة الدينية: هي المكان الآمن ومتنسك الناس ومحل احترامهم مثل يثل العاصمة الدينية للمعينيين وريبون في وادي حضرموت.

4. المدينة السوق: وتقوم هذه المدينة في الأصل على التجارة، فهي تبدأ في الغالب على شكل سوق موسمية، ثم تتطور لتصبح السوق الرئيسة للمناطق المجاورة، ومما يساعد على ازدهار مدن السوق وقوعها على طرق رئيسة مثل شبوة وتمنع والسوا.

5. المدينة الميناء: وتقوم هذه المدينة على المنافذ المائية والبحرية ومن أشهرها سمهرم، وقنا، وعدن، والمخاء.

6. المدينة الصناعية: اشتهرت بعض المدن اليمنية ببعض الأعمال الحرفية مثل صعدة التي اشتهرت بالصناعات الحديدية والجلدية، وصنعاء التي اشتهرت بمسكوكاتها الفضية والذهبية والخناجر» (حنشور 2011: 46).

مراحل التخطيط الحضري:

1. **المواقع السكنية في العصر الحجري الحديث:** وهي بدايات الاستقرار السكني في اليمن القديم، إذ «وُجدت بقايا عمارية بنائية لمواقع سكنية صغيرة مكونة من مساكن دائمة تعود إلى العصر الحجري الحديث، في كل من وادي يناعم والنجد الأبيض، وتعود الطبقات السفلى فيها إلى الألف السادسة قبل الميلاد، وأمكن التأكد أن مستوطنات العصر البرونزي على مستوى القرية والبلدة قد تطورت في منتصف العصر الهولوسيتي في الهضاب اليمنية، واعتمدت في إنتاج الغذاء على استخدام نظم الري الكبيرة التي تستفيد من فيضانات الوديان» (حنشور 2011: 24).

2. **المستوطنات والمدن السكنية في العصر البرونزي:** وهي بداية نشوء المدن في اليمن، «وأظهرت هذه المستوطنات روابطَ قوية مع بلاد القرن الإفريقي عبر البحر الأحمر، فضلاً عن بعض الروابط مع بلاد المشرق، وعلى الرغم من أن بعض المستوطنات اليمنية القديمة تظهر انقطاعاً في استمرارية الاستطيان، فإن البعض الآخر يظهر استمرارية في الفترة التاريخية، عندما تطورت عدد من المدن نتيجة ازدهار التجارة مع مناطق شمال الجزيرة العربية، وتأكد أن الممالك اليمنية القديمة قد نمت على أسس مجتمعات العصر البرونزي المعقدة التي سبقتها» (حنشور 2011: 24).

ومثالها مدينة صبر، و«تقع صبر القديمة على مسافة 20 كيلومتراً شمالي عدن بين الفرعين الرئيسيين لدلتا وادي تبن، وتمتد على مساحة طولها 2 كيلومتر وعرضها 1.2 كيلومتر،

اكتشفت بعثة مشتركة من معهد الآثار الألماني في صنعاء والأكاديمية الروسية للعلوم في موسكو أن عملية استيطان كثيفة في الفترة من 1400 ـ 1300 ق.م، امتدت حتى القرن الثامن قبل الميلاد، سادَ المكانَ خلال تلك الفترة ــ الألف الثانية قبل الميلاد ـ نوعٌ من البناء البسيط المتمثل في عشش بيضوية أو مستطيلة الشكل لم يبقَ منها إلا ثقوب الأعمدة الخشبية، ووُجدت بعض العشش مبطنة بالطين» (حنشور 2011: 34).

3. المدن العضوية في العصر الحديدي وما بعده: وهي المدن التي شكّلت الممالك اليمنية القديمة وأدت دوراً مهماً في تاريخها.

أنواع المدينة اليمنية القديمة (الهجر) ومكوناتها:

هناك ثلاثة أنواع حسب مكانتها السياسية:

1. هجر مريب: وهي عاصمة الدولة.

2. هجر صنعن: مدينة القلعة.

3. هجر وعلن: عاصمة الإقليم أو المخلاف حيث يقيم القيل أو الكبير.

تتكون المدينة من قسمين:

1. المدينة الداخلية: الجزء الجوهري من المدينة الذي يضم المنشآت الملكية والدينية والاقتصادية والمقابر، وفيه بيوت المواطنين على شكل أحياء، ويحاط بسور له بوابات وأبراج للمراقبة والحماية، فهي المنطقة المسوَّرة أو المحمية، ويضم مخططها بشكل عام: قصر الملك، المعبد الداخلي للمدينة، الطرقات، الأسواق، الأحياء السكنية، المنشآت التجارية، المنشآت الخدمية.

2. المدينة الخارجية (ذ خ ل ف): الجزء الذي يحيط بالمدينة الداخلية ويقع خارج أسوارها، وفيها المعابد الرئيسية، وفي الضواحي هناك الحقول والمراعي، تقع خارج أسوار المدينة على بعد 2 ـ 4 كم تقريباً، حيث تبنى المعابد الرئيسية والمقابر، أما في الضواحي فتنتشر الحقول الزراعية والمراعي الواسعة.

«لقد نشأت المدن اليمنية القديمة في مناطق توفرت فيها كل المقومات الطبيعية اللازمة للحياة والاستمرار، فأنشئت المدن في القيعان، وعلى سفوح الجبال والوديان الشرقية، وعلى السهول الساحلية، وساعدت الكثير من العوامل الطبيعية والإنسانية على تطورها، وأهمها العوامل الاقتصادية المتمثلة في إنتاج السلع التجارية المطلوبة عالمياً وتسويقها عبر الطرق التجارية إلى مختلف مناطق العالم القديم، ومن أهم المكونات الداخلية للمدينة

اليمنية القديمة (السور بمكوناته، والدور السكنية، والمعبد الرئيس والمعابد الأخرى، والقصر والقلعة، والسوق وقصبة المدينة، والطرقات الفرعية والأزقة، والساحات الرئيسية والفرعية، والمساحات الخضراء)، هذا فضلاً عن مكونات ذات علاقة بها خارج أسوارها من مبانٍ ومنشآت متعددة الوظائف» (حنشور 2011: 53).

أنواع المدن اليمنية:

1. المدن المسوَّرة كلياً

«اتسمت المدن المسورة كلياً أو شبه كلي بأنماط هندسية منتظمة، منها مدن ذات أشكال محدبة كالتي أقيمت على مداخل الوديان الشرقية أو السهول الجنوبية والغربية مثل نقب الهجر، ومدن اتخذت شكلاً مستطيلاً كالتي أقيمت في المناطق المنبسطة مثل تمنع وشبوة، ومدن أخذت شكلاً مربعاً مثل قرناو ونجران، ومدن أخرى تنتمي إلى التخطيط الهندسي المنتظم نفسه، ولكنها دائرية أو بيضوية الشكل مثل نشق ـ يثل» (حنشور 2011: 56).

2. المدن المسورة تسويراً جزئياً:

«المدن المسورة تسويراً جزئياً أو غير مسورة ليس لها نمط هندسي منتظم، وهذه السمات تميزت بها معظم مدن الهضبة المرتفعة، إذ كانت تبنى الحصون على قمم الجبال وبعيدة نسبياً عن أي تهديد، وتُسَوَّر فقد تلك الجوانب التي يسهل اختراقها مثل مدن ظفار ـ متكث، وشبام سخيم والمعسال، في حين تتوزع بقية منشآت المدينة على شكل تجمعات غير منتظمة حولها» (حنشور 2011: 59).

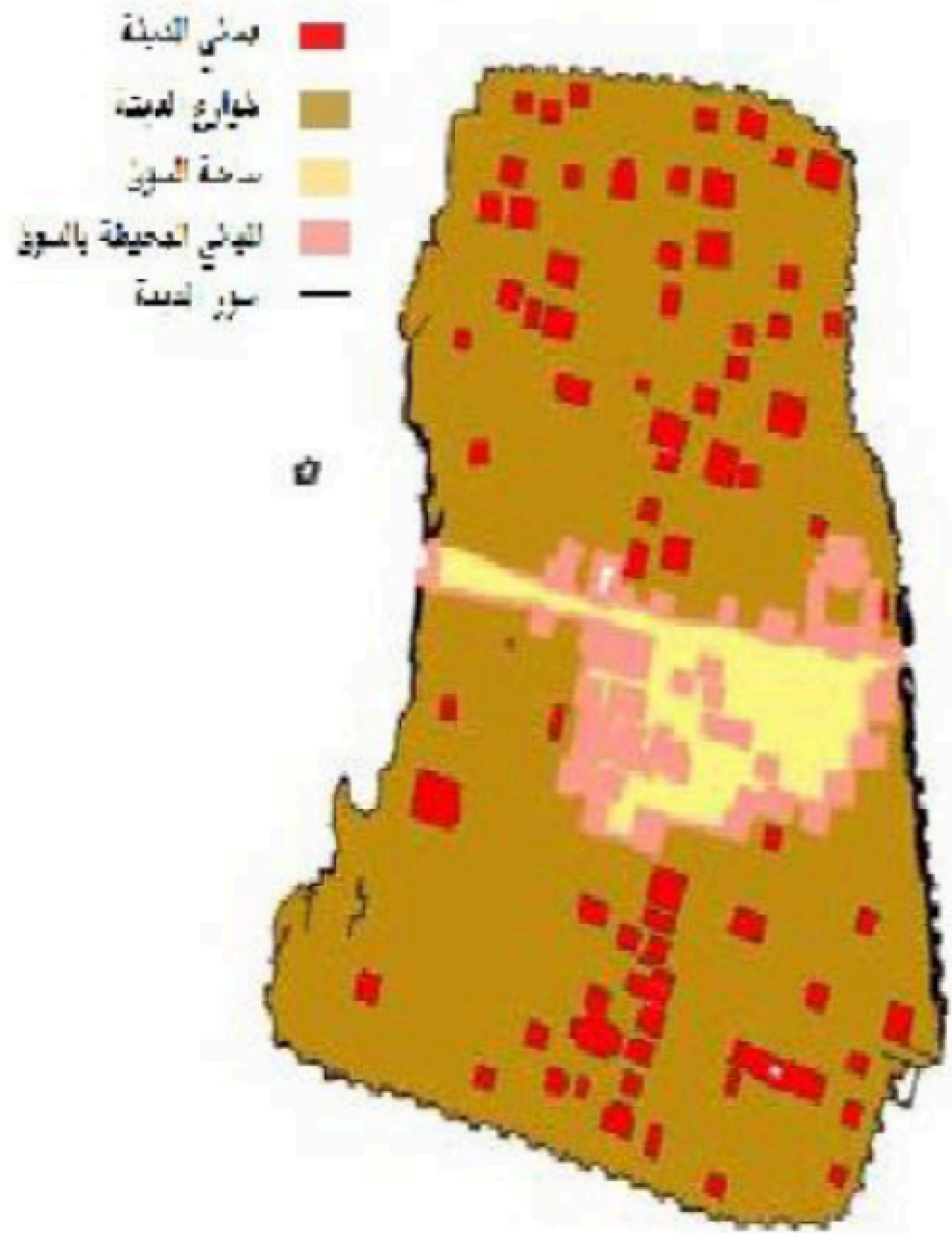
التخطيط المعماري للمدينة اليمنية القديمة:

1. الشوارع: اعتمد التخطيط الداخلي للمدن اليمنية القديمة على تداخل وتخادم مكوناتها وانسجام عناصرها، ومالت المدن إلى بنائها العمودي الذي منحها شكلاً ووظيفة مميزين، وكانت المدن تختلف بعضها عن بعض لكن ما يجمعها هو الاهتمام بالشوارع، حيث تميزت المدن بوجود شارع رئيس طولي أو عرضي، وعلى جوانبهما تنشأ المرافق الخدمية من أسواقٍ وساحات وغيرها.

2. المعابد: عادت المعابد لا تكون مركزية في المدن اليمنية، كما هو حالها في العالم القديم، وهذه مزية تظهر بوضوح في اليمن، فقد «وجد في المدن السبئية في شرقي المدينة مثل معابد مدن صرواح ومأرب (في الركن الجنوبي الشرقي)، وفي المدن المعينية والحضرمية في شمال المدينة مثل معابد مدن الجوف قرناو ويثل وخربة هرم ونقب الهجر، أي إن المعبد في تخطيط المدينة اليمنية القديمة قد وجد في أطراف المدن، في حين اتخذت

المدن الإسلامية من المسجد الجامع المحور الأساس لتخطيطها، كبغداد الدائرية والقاهرة الفاطمية والقيروان» (حنشور 2011: 94).

3. الأسواق: وهي أهم المرافق المركزية في المدن اليمنية، وكأنها حَلّت محل المعابد، وهذا تطورٌ لافت يجعل من المدن اليمنية تميل إلى طابعها المدني وليس الديني، و«تشكل الساحات الرئيسة في المدن القديمة الأسواق التجارية لها، حيث تُقفَل الأزقة المؤدية إلى الساحة بجدران تمنع المرور عبرها نحو الساحة، ويترك مدخل أو مدخلان على الأكثر لضمان تأمين الأسواق، وغالباً ما يكون هناك مبنى صغير في كل مدخل للرقابة على السوق، وهناك أسواق رئيسية خارج المدن تحط فيها القوافل رحالها (موقع وصول الجمال بالبضائع)، فضلاً عن الأسواق العامة والموسمية التي وجدت خارج أسوار المدن، وقد درست البعثة الإيطالية الفرنسية في مدينة تمنع التخطيط المعماري في الجزء الشرقي لمركز المدينة (ساحة السوق)، حيث كُشِفَ عن السوق التي تتكون من بنايات ظهرت على شكل سلسلتين: إحداهما في الجنوب، والأخرى إلى الشرق، وهذه البنايات تلتقي معاً مكوِّنةً زاوية صغيرة مغلقة بجدران تمنع المرور عبرها نحو الساحة والمدخل الوحيد للساحة عبر شارع واسع، وعلى كل جانب منه حائط لمبنى ضخم، وهناك مبنى صغير للرقابة، وهذا التخطيط للأسواق حاولنا وضع تصور مماثل له في مدن الدراسة الأخرى» (حنشور 2011: 95).



تصور تخيلي للمنطقة السكنية والسوق لمدينة شبوة (حنشور 2011: 96).

4. البيوت والقصور: «رفدت العمارة اليمنية القديمة الحضارة الإنسانية بطرازٍ جديد من العمارة هو العمارة البرجية، بأسلوب نواة المبنى (القطب)، ويطلق عليها حالياً (ناطحات السحاب) أو ما يسمى في لغة الهندسة (Supper Construction)، وإن هذا الطراز من العمارة متأصل في اليمن منذ القدم، وموثَّق بالدراسات العلمية التي قامت بها البعثات العلمية الأثرية للمباني والقصور القديمة في كل من مدن شبوة (القصر الملكي)، وتمنع

(بيت ينش)، وريبون (العمارة رقم 1)، وصنعاء (قصر غمدان)، ومشفة (المباني الثلاثة). ترتكز محاور الحركة الرئيسة في المدن اليمنية القديمة بشكل أساسي على محور اتجاه حركة التجارة العالمية القديمة لطريق اللبان (جنوب شمال)، واتجاه الحركة البينية للتجارة الثانوية (الرابطة) عالمياً، والمساعدة (الداعمة) محلياً وأقليمياً، ومحورها (شرق غرب)» (حنشور 2011: 102).

الصفات العامة للتخطيط الحضري للمدن اليمنية:

1. المدينة اليمنية القديمة (الهجر) هي الجذر الأعمق والأخصب لشخصية المدينة اليمنية بشكل عام، وكل ما جاء بعدها من تطورات وسيطة وحديثة بُني على أساس تلك الجذور وتطور في فضائها، فبقي محافِظاً على تكوينها ومركزية قصورها ومؤسساتها الحكومية وأسواقها، وأشكال التراصّ والحركة الملتوية في بيوتها وعمرانها، وغيرها من الصفات المعروفة.

2. كانت المدينة اليمنية القديمة على ثلاثة أنواع هي: (المدينة، عاصمة المملكة، عاصمة الإقليم أو المخلاف).

3. التخطيط الداخلي للمدن يتميز بتشابك مكوناتها وتداخلها، وانسجام عناصرها وإيقاعية تشكيلها والتميز الوظيفي لمضمونها، والبصري لشكلها، ويتكون من مركزٍ يضم (القصر، والمؤسسات السياسية والاقتصادية، والخدمات، والطرق، والأسواق)، ومحيطٍ يضم المعابد والمقابر والضواحي.

4. بنيت المدن في مواقع مختلفة، وكان لها صفات مختلفة، فهناك مدنٌ تقع على الطرق التجارية، ومدن على السهول الساحلية، ومدن في الأودية، ومدن على سفوح الجبال، ومدن في السهول والقيعان، ومدن على تخوم الصحراء.

5. الشوارع في مركز المدينة هي عصبها، فهناك شارع، أو أكثر، رئيس «محوري» بالطول أو بالعرض مبلط بالأحجار المرصوفة في الغالب، يبدأ من مدخل المدينة، ويصل إلى ساحة واسعة تضم السوق الرئيس.

6. تنقسم المدينة على قسمين: داخلي هو مركز المدينة، مكتظ بالسكان ومنشآت الدولة والحكومة ومحوط بسورٍ له بوابات وأبراجٌ، وخارجي وهو ضاحية المدينة (ذ خ ل ف) يقع خارج أسوار المدينة الداخلية ويضم المعابد والحقول الزراعية وتعززه القرى وبيوت الفلاحين.

7. التوافق والتناغم مع البيئة المناخية في بناء المدن، فعلى سبيل المثال كان المناخ القارّي لمدينة صنعاء شديد الحرارة في الصيف وبارداً نسبياً في الشتاء، وهذا حدد طبيعة

العمران في صنعاء القديمة حسب اتجاهات الرياح ومسار الشمس خلال العام.

8. قسّمت الشوارع الرئيسة المدينة إلى حارات مجزأة بشبكة من الأزقة الضيقة، ولكلّ حيّ خصوصياته الحضارية والثقافية.

9. تُبنى الأسواق في الساحات الرئيسة للمدن، حيث تقفل الطرق الرئيسية عندها مع مداخل لتأمين حركة التسوق ومبنى للرقابة على السوق.

10. انسجام مكونات البناء وتراكم تقاليدها يعطي المكان خصوصيته العمرانية، فحين استخدمت الأحجار البيض في مجمل البناء في صنعاء، وفي العالي يستخدم الياجور بمرونة كبيرة، أكسبها جمال المنظر، وهو ما ساعد البَنَّاء الصنعاني في تشكيل واجهات المباني بأشكال متنوعة، وهذا ما أعطى المدينة شكلها المميز.

11. تطورت العمارة اليمنية القديمة متعددة الطوابق للمباني في مدن شبوة «القصر الملكي»، وتمنع «بيت يفش»، وريبون، وصنعاء «قصر غمدان»، ومشغة «المباني الثلاثة»، وصارت العمارة البرجية بأسلوب نواة المبنى «القطب»، وتسمى في لغة الهندسة «Supper Construction» أي التركيب العالي.

12. كان المعبد أولاً، في بدايات حضارة اليمن، هو الذي يتحكم في محورية الحركة الرئيسة للمدينة اليمنية القديمة، في المراحل الأولى اتخذت المعبد الأول أساس المحور الرئيس للحركة الداخلية.

13. حين ظهرت طرق التجارة الرئيسية، بعد المعبد، أثرت في توجيه محاور المدن اليمنية القديمة «جنوب شمال»، واتجاه الحركة البينية للتجارة الثانوية ومحورها «شرق غرب».

14. أصبح المعبد يتحكم بمحور السور في المراحل المتأخرة من الحضارة اليمنية.

المبحث الخامس: التقويم اليمني

لا بد من القول إن علم الفلك اليمني محدود جداً، فقد اقتصر على تنظيم التقويم، وهو أحد جوانب هذا العلم الفرعية، حيث لا نلمح ما يشير إلى رصد الأفلاك والكواكب السيّارة والنجوم، وليس هناك مراصد أو جداول فلكية في هذا الصدد، وربما كان سبب ذلك متأتٍّ من هيمنة الثالوث الفلكي على حياة اليمنيين الدينية، وهو ما جعلهم ينصرفون عن الاهتمام علمياً بها، بل وانصرفوا عن رصد الكواكب والنجوم الأخرى، ولذلك سنقصر حديثنا على التقويم اليمني فقط.

أولاً: تاريخ دراسة التقويم اليمني

حاول المؤرخون والآثاريون المختصون مبكراً دراسة التقاويم اليمنية في مجموعة من الدراسات المهمة هي:

1. دراسة (بستون)Beeston المعنونة Arabian Calendars and dating (London 1956) (التقاويم العربية وقياس الزمن) التي تناول فيها موضوع التقاويم، وقام بستون بدراسة أخرى بعنوان 6 - 1 :1 Arabian studies 1974)) وتعرض فيها لموضوع أسماء الشهور الحميرية المتأخرة، وهي محاولة لترتيب أسماء الشهور في التقويم الحميري المتأخر، إذ استخلصها من مجموعة من النقوش المؤرخة.

2. نُشِرَت في عام 1981 دراسة أخرى لبستون أيضاً بعنوان (Old South Arabian Era Datings) (أرخنة الحقب في العربية الجنوبية القديمة) في الدورية المعروفة (PSAS 11)، تطرق فيها إلى دراسة بعض التواريخ التي وردت في النقوش السبئية الحميرية المتأخرة، واستنبط إشاراتها التأريخية التي دونت وفق تقاويم ثابتة ومتعددة، كتقويم مبحض بن أبحض الحميري، وتقويم نبط الأصبحي، وحاول إعطاء بعض التقديرات الزمنية لنقوش ذُكر فيها أسماء بعض الملوك المعروفين في التاريخ السبئي الحميري المتأخر، وبالتالي استطاع تقدير عهود أولئك الملوك.

3. «قام روبن (Robin) بدراسة مشابهة لما قام به بستون عام 1974، وحاول فيها إلقاء الضوء على أنظمة التأريخ في النقوش السبئية المتأخرة، وركز فيها على أسماء الشهور وترتيبها في السنة السبئية، واستطاع فيها استخلاص الشهور الأولى في التقويم السبئي المتأخر، ونشرت الدراسة في الدورية المعروفة باسم: 51 - 43 :11 PSAS وتحت عنوان Le Calendrier Himyarite: nouvelles suggestions، وتلا هذه الدراسة دراسة أخرى اشترك فيها (روبن) مع (بافقيه) في دراسة مجموعة من النقوش والمخربشات التي سُلمت إلى بافقيه من قبل أحمد ساري مدير المتحف الوطني بصنعاء سابقاً وتوَصَّلا منها إلى وجود تقويم جديد دَلّ على أن هناك تقاويم متعددة استخدمت في مناطق مختلفة من الأقاليم التي أصبحت ضمن النفوذ السبئي في مرحلة ملوك حمير، ومن تلك التقاويم: (نبط) بأرض مضحي الأصبحية، و(مبحض بن أبحض) في أرض حمير (ظفار وما حولها)، وتقويم (أب علي) في أرض ردمان، وأخيراً تقويم (بكرن بن عمرت) الخاص بمدينة (هكر) والمناطق التابعة لها، ونشرت الدراسة في مجلة ريدان في القسم الأجنبي العدد الرابع لعام 1981 بعنوان:

Deux Nouvelles Inscriptions de Radman datant du 11 siecle de I ere chretienne

انظرِ (الحمادي 1997: 9 ـ 10).

ثانياً: أنواع التقويم في الممالك اليمنية

على رغم أن القمر هو أساس كلمة التاريخ والتقويم عند اليمنيين، وهي «ورخ هـ و» أي «أرخت بها» أو «تاريخها»، فإن تقويم السنة اليمنية القديمة شمسيّ، أي إنه يمثل دورة كاملة للشمس لأنه ينقسم على أساس نزول الأمطار ومواسم الزراعة والحصاد.

ويمكن تقسيم الأسماء الدينية تقسيماً فرعياً على أسماء تحتوي على اسم إله، وأسماء ترتبط بممارسة عبادية أو مهرجان ديني، غير أن هذا التمييز شكلي أكثر مما هو واقعي، لأن من المحتمل أن لا تكون الأسماء التي تلمح إلى إله مستمدة مباشرة من ذلك الإله، بل من احتفال أو مهرجان كان يُعقد احتفاءً به في الشهر المشار إليه، وهذه الأسماء هي: المعينية: (ذ أثرت)، (ذ سمع)، (ذ شمسي)، والقتبانية: (ذ بشمم)، (ذ سحر)، (ذ عم)، والسبئية: (ذ نسور)، (ذ عثتر)، ومن المحتمل أن يرد هذا الأخير في القائمة الهرمية. وينتمي الاسم السبئي والسبئي المتأخر (ذ ألثلت) إلى هذه الفئة أيضاً، وإن لم يكن مستمداً من اسم إله معيّن (بستون 2009: 33).

1. التقويم السبئي:

كان يؤرخ بسنوات الكاهن الذي يتولى الكهانة في المعبد لمدة سبع سنوات، ومن أسماء الشهور السبئية التي وردت في النقوش القديمة: ذا فلسم، ذا نعم، ذا ألأت، ذا سبأ، ذا دين، ذا سحر، ذا نسور، كشبم، دثا، ذا يصرر، ذا أبهى، ذا نيلم، ثور، ذا هوبس، ذا مليت، ذا سلام، ذا صيدم، ذا فقحوم، إلخ، فقد كان يتم التأريخ بالمناصب التي يتولاها الرشو (= كاهن أكبر المعابد) الذي يجب أن يكون من أبناء قبائل محددة وردت تسمياتها في النقوش، وهي قبائل خليل، حذمة، فضاح، يهحسم...

فكل كاهن من تلك القبائل يتولى مَنْصب الكهانة لمدة 7 سنوات، وحينها يؤَرِّخ بعهده فيقال في السنة الأولى من كهانة فلان بن فلان، ويأتي بعده شخص آخر من قبيلة أخرى وهكذا.

لم يكن هذا النوع من التقويم ثابتاً بحيث نعرف متى كان ذلك بالضبط، إلا إذا ظهر بالنقش اسم ملك يمكن أن نستشهد من خلاله على التاريخ بشكل تقريبي، وبسبب هذا الأمر ظهرت أسماء الشهور التي تحمل دلالات مختلفة مثل شهور (ألالات، هوبس، عثتر)، وهي أسماء آلهة وشهر (ذ سبأ) الذي حمل اسم المملكة وهو دالة سياسية، وغيرها تحمل دالة بيئية تتعلق بالمواسم مثل شهر (دثا) وهو أحد شهور التقويم الحميري وفصوله، وبعضها دالة طقسية مثل صيد الوعول والأخرى مرتبطة بالمواسم الزراعية، وهناك دالات غيرها.

كانت السنة، عند السبئيين، أطول وحدة قياسية للوقت، وعدد أيامها 360 يوماً، قُسمت على اثني عشر شهراً وكل شهر ثلاثون يوماً، ولمّا كانت تلك الأيام غير مستوفاة لعدد الأيام التي تمضيها الأرض في دورانها حول الشمس، فإن السبئيين كانوا إما أن يضيفوا الأيام

اللازمة في نهاية كلّ سنة وإما أن يضيفوا شهراً كاملاً في نهاية كل ست سنوات (علي 1978، ج8، ط2: 507).

لفظة سنة: موجودة في كل اللغات السامية ومنها السبئية.

لفظة عام: وردت في نقش واحد من النقوش السبئية هو CIH575l 5l 8.

لفظة خرف (خ ر ف): يعني سنة أيضاً لأن اليمنيين عمموا اسم فصل الخريف، بسبب أمطاره الغزيرة وخيراته، على كل السنة تبرُّكاً به.

لفظة رشوتهو (ر ش وت هـ و): السنة التاريخية المرتبط بكهانة رجل دين مسؤول عن توزيع الأرزاق.

وبشكل عام هذه بعض أسماء الشهور والسنوات الواردة في النقوش السبئية: النقوش السبئية: CIH 600B = RES 2724 هر (ذ فلسم)، ورد في النقش.

النص: بورخ ذ فلسم بخرف معد كرب بن نشأ كريب بن فضحم.

المعنى: بشهر ذ فلس بسنة معدي كرب بن تبع كرب بن فضاح.

ومن أسماء الشهور السبئية التي وردت في النقوش القديمة: ذا فلسم، ذا نعم، ذا ألأت، ذا سبأ، ذا دين، ذا سحر، ذا نسور، كشبم، دثا، ذا يصرر، ذا أبهى، ذا نيلم، ثور، ذا هوبس، ذا مليت، ذا سلام، ذا صيدم، ذا فقحوم، إلخ.

ونجد في النصوص السبئية المتأخرة الشهور الآتية:

(بستون 2009: 30 ـ 31).

2. التقويم الحضرمي:

كان الحضرميون يؤرّخون بنفس الطريقة المستخدمة في سبأ وقتبان ومعين، فالتأريخ بحضرموت يجري بزمن أشخاص مميزين، أما الشهور المذكورة في النقوش الحضرمية مثل: شهر (صيد) المؤرخ بالتقويم الردماني ورد في النقش RES 3958.

النص: ورخس صيد ذ لأربعت وأربعهي ومأت خريفتم.

«إن استخدام الحضرميين للتأريخ بعهود أشخاص من غير الملوك قد وضحته النقوش الحضرمية التي دونها الحضرميون في العديد من المناطق التي كانت تحت نفوذهم، ومن

أمثلة تلك النقوش النقش (CTH 10) الذي جاءت فيه الإشارة التأريخية كما يلي: ب هـ ي/ ع ذ ذ م/ش ل س هـ ن (CTH 10/3) أي في السنة الثالثة من عهد ذ ذ م؟» (الحمادي 1997: 28).

أسماء بعض الشهور عند الحضارمة مثل: صيد، شمس، تردم، كيبهي.

3. التقويم المعيني:

استخدم المعينيون نظام التواريخ بزمن الأشخاص فكانوا يؤرخون بزمن تولي الملوك للحكم، وبزمن تولي منصب الكبير، وهو صاحب أعلى منصب إداري في المملكة، وتحمل الشهور المعينية دلالات مختلفه دينية وسياسية واجتماعية وغيرها.

«استخدم المعينيون خلال مرحلة الازدهار الحضاري للدولة المعينية نظاماً خاصاً للتأريخ في نقوشهم، حيث كانوا يؤرخون لحوادثهم بعهود ملوكهم دون تحديد للتأريخ بالسنوات، كما في النقش (RES 2869)، والذي جاءت الإشارة التاأريخية فيه كما يلي: ب ي وم/ا ل ي ف ع/ي ش ر/م ل:/م ع ن (RES 2869/8 ـ 9)، أي في عهد أو (في أيام) (إيل يفع يشر) ملك معين، إلى جانب نظام آخر يقوم على عهود أشخاص موظفين، كان الملوك يقومون بتوليتهم إدارة بعض المناطق التابعة للدولة المعينية لمدة سنتين، ويطلق عليهم اسم (ك ب ر) أي: الكبير، (وهو صاحب المنصب الإداري الأعلى في شعب ما أو في إقليم ما من أقاليم الدولة المركزية كما كان الحال في عهد الدولة المعينية، فقد أشار المعينيون إلى السنة الأولى لمنصب الكبير بـ(ق د م ن/ك ب ر س) (RES 33355/2)، وللسنة الأخيرة (الثانية) بـ(ب ا خ ر/ك ب ر هـ) كما في النقش (RES 3332/4)» (الحمادي 1997: 25).

يتضح من النقوش المعينية المؤرخة بنظام التأريخ بعهود أشخاص من غير الملوك أنهم كانوا يكررون المصطلح (ك ب ر) في بداية الإشارة التأريخية ونهايتها، فتكتب في البداية (ذ ك ب ر هـ) أو الأخير (أ خ ر ن) متى ما سبقها ما يشير إلى ذلك، كما في النقش (RES 3335/2)، ويلاحَظ أيضاً أن بعض النقوش المعينية المؤرخة تبدأ إشارتها التأريخية بكلمة (ك ب ر) المنتهية بالهاء (ك ب ر هـ) أو المنتهية بالسين (ك ب ر س)، وأحياناً ترد دون ذلك (ك ب ر)، انظر النقوش (RES 3352/2,3318/6,33414/4)» (الحمادي 1997: 26).

وردت أسماء بعض الشهور المعينية، مثل: ذا أثرت، ذا أبهى، ذا موصبم، ذا شمسي، ذا نور، ذا سمعي، ذا طفنت، ذا نعر.

ونجد لدى معين الشهور الآتية:

4. التقويم القتباني:

استعمل القتبانيون، في البداية، تقويماً مشابهاً للتقويم السبئي حيث كانوا يؤرخون بزمن أشخاص، إلا أن مدة الولاية في قتبان سنتان فقط، ولم تُعرف صفات الأشخاص أو مناصبهم، بمعنى لم يرد في النقوش لفظ (رشو) مثلما ورد في النقوش السبئية، أو لفظ (كبير) مثلما يرد في النقوش المعينية، بل كان يُذكر في النقش في شهر كذا من سنة فلان بن فلان.

ثم اتبع القتبانيون النظام المعيني، لكن الاختلاف بينهما أن القتبانيين لم يستخدموا «كلمة (ك ب ر) التي تعني سنة الكبير، بل استعملوا كلمة (خ ر ف) المستخدمة في النقوش السبئية المؤرخة وتعني (سنة)، ولكن دون حرف (الباء) الذي يسبق هذه الكلمة في النقوش السبئية المؤرخة ولا حرف (الذال) الذي يسبق كلمة (ك ب ر) المعينية، ومن أمثلة النقوش القتبانية المؤرخة النقش (RES 3566) إذ جاءت الإشارة التأريخية فيه كما يلي:

و ر خ ن/ذ ب ر م/خ ر ف/ع س ب م/ذ ح ض ر ن (RES 3566/7)، أي شهر ذو برم سنة ع س ب م؟ من أسرة أو (عشيرة) ح ض ر ن؟ (Beeston 1956)، وتتميز الإشارة التأريخية في النقوش القتبانية بعدم تكرار كلمة (خ ر ف = سنة) والخريف: (خ ر ف) وجمعها (خ ر ي ف ت) (بيستون وآخرون 1982: 62)، وهو اسم فصل من فصول السنة السبئية تميز بخيراته الوفيرة، وربما هذا هو السبب الذي جعل السبئيين يعممون اسمه على جميع فصول السنة أو على العام بأجمعه، وقد أطلق هذا الاسم أيضاً على أحد المواسم الزراعية السبئية، وهو موسم (خ ر ف) أي الخريف، وأطلق كذلك على أحد الشهور وهو شهر (ذ خ ر ف ن) أي شهر (الخريف)، وقد يعني مطر الخريف أو غلاله» (الحمادي 1997: 27).

الدلالات التي تحملها تسميات الشهور القتبانية: مثل شهر (ذعم) الذي يرتبط بالإله عم، وهو أكبر آلهة قتبان، وشهر (ذ تمنع) المنسوب إلى العاصمة تمنع كدلالة سياسية، وشهر (ذا صراب) مرتبط بالزراعة، وشهر (ذا ذبحتم) مرتبط بالطقوس الدينية والأضحيّات.

من شهور القتبانيين: ذا برم، ذا صراب، ذا بشمم، ذا تمنع، ذا سحر، ذا أبهو، ذا مسلعت، ذا ذبحتم، الخ.

وفي القتبانية نجد ما يلي:

(بستون 2009: 26 ـ 27).

5. التقويم الحميري:

ظهر ما يُعرف بتدوين التأريخ بالتقاويم الثابتة، وهو التقويم الذي يحدد سنة مرجعية ثابتة ثم يستمر في ذكر السنين التي بعدها استناداً إليها، ورافق ذلك عند السبئيين

بالإضافة إلى ذكر السنة ذِكر أشخاص معينين لا تُعرف ما هي الحوادث التي ارتبطت بهم، وكان من أهم أنواع هذه التقاويم:

1. التقويم الحميري: وهو أشهر تقويم يمني قديم اتخذ من عام توحيد الدولة اليمنية في سلالة (سبأ وذي ريدان) عام 115 ق.م بدايةً له، وأكثر النقوش المؤرخة به ظهرت في نقوش القرن الثالث الميلادي.

2. تقويم نبط: استخدم في أرض (مضحى الأصبحية)، ويرى جامي أن هذا التقويم يبدأ في عام 24 ق.م، ويرى جوانزاك ريكمنز أن بدايته تقع بين 46 ـ 36 ق.م، وترى بيرين أن بدايته تقع في سنة 41 م استنادا إلى علم تطور الخطوط، أما روبان وبافقيه فيريان بدايته بين سنتي 35 ـ 15 ق.م، أما البكر فيراه بين سنوات العقد الأخير من ما قبل الميلاد والعقد الميلادي الأول.

3. تقويم مبحض بن أبحض: يعد أهم تقويم يمني لأنه كان ثابتاً واستمر العمل به فترة طويلة جداً ما يقارب 700 عام، وهو منسوب إلى شخص يدعى مبحض بن أبحض الذي أتى بعد تقويم يعرف باسم تقويم نبط، وهو اسم تقويميّ يمني قديم، إذ «أهمل تقويم (نبط) السابق له، فقد بدأ استخدام تقويم (مبحض بن أبحض) الحميري في نقوش القرن الثالث الميلادي، واختلف الباحثون أيضاً في نقطة البداية التي انطلق منها هذا التقويم، ولم يُعرف الحدث الذي قام به الشخص الذي أطلق اسمه عليه ولا الوظيفة التي كان يشغلها، وقد استخدم هذا التقويم كثيراً في النقوش التي عُثِر عليها في ظفار مقر الملوك الحميريين، والمناطق المجاورة لها، وخاصة النقوش التي دُونت في عهد الملكَيْن ياسر يهنعم وابنه شمر يهرعش في السنوات الأخيرة للقرن الثالث الميلادي، قبل أن يتم لشمر يهرعش ضم حضرموت التي تلاشت بعدها عبارة (مبحض بن أبحض) من النقوش الحميرية المؤرَّخة» (بافقيه وروبان 1980: 22) (هـ10)، عن (الحمادي 1997: 32).

4. التقويم الردماني (أب علي): تحيط أرض ردمان من الغرب حمير ومن الشمال الغربي سبأ ومن الشمال الشرقي قتبان، وهي ضمن مقاطعة بني معاهر المكونة من أرض ردمان وأرض خولان، وقد اعتمدت ردمان على تقويمها الخاص ابتداءً من 70 م.

5. تقويم بكرن بن عمرت: ورد في نقش عثر عليه في منطقة حمة الضبع شرق مدينة هكر في عنس جنوب شرق مدينة ذمار 35 كم، ولا تعرف بداية هذا التقويم.

شهور التقويم الحميري:

ظهور التقويم الحميري في العام 115 قبل الميلاد، حين بدأ التحوّل التاريخي من سبأ لحمير، وقد ذكرنا في الفصل الاقتصادي التقويم الزراعي الحميري، الذي هو آخر التقويمات

اليمنية القديمة وأكثرها دقة وعلمية، وينسبه البعض إلى مبحض بن أبحض الحميري، وهذه فصول السنة وشهورها في التقويم الحميري:

جدول الأشهر الحميرية وما يقابلها

م	غربي	سرياني	حميري	مسندنن	باللهجة اليمنية الحديثة
١	يناير	كانون ثاني	ذ دثأن	ذ دثأن	ذو الدثا
٢	فبراير	شباط	ذ حلتن	ذ حلتن	ذو الحلة
٣	مارس	آذار	ذ معن	ذ معن	ذو معون
٤	ابريل	نيسان	ذ ثبتن	ذ ثبتن	ذو الثابة
٥	مايو	آيار	ذ مبكرن	ذ مبكرن	ذو المبكر
٦	يونيو	حزيران	ذ قيظن	ذ قيظن	ذو القياظ
٧	يوليو	تموز	ذ مذرأن	ذ مذرأن	ذو مذران
٨	أغسطس	آب	ذ خرفن	ذ خرفن	ذو الخراف
٩	سبتمبر	أيلول	ذ علن	ذ علن	ذو علان
١٠	أكتوبر	تشرين أول	ذ صربن	ذ صربن	ذو الصراب
١١	نوفمبر	تشرين ثاني	ذ مهلتن	ذ مهلتن	ذو المهلة
١٢	ديسمبر	كانون أول	ذ ألن	ذ ألن	ذو الأل

ثالثاً: البحر النعامي

لا بد من التنويه بأن العصر الإسلامي شهد ظهور نظم شاعر يمني غير معروف الاسم ولكنه يلقب بـ(البحر النعامي)، وهو شاعر حميري ينتهي نسبه إلى القيل ذي نعامة من آل ذي

يزن، من القرن السادس الهجري، وكان النَّظْمُ قصيدة تعليمية في أسماء الشهور الحميرية وما يقابلها من الشهور الرومية، وذكر فيها طبيعة هذه الشهور وما يجب على الناس فعله أو تجنبه من نشاطات ومن مأكل ومشرب، وكان يستلهم التراث اليمني القديم في هذه القصيدة، وقد كان لها الأثر الكبير في اليمنيين إلى يومنا هذا بين الفلاحين، بشكل خاص، فهم يعرفون تفاصيل متوارثة عن أغذية الصيف وأغذية الشتاء، وأوقات الجِمَاع الحسنة والرديئة، وهذه بعض أبياتها عن الكروم في شهر آب:

أقــامــت كـرومـك فـي شـهـر آب

مـن المـاء يـفـهـق مـثـل الجـوابي

فـيـا حـبّـذا طـيـبـهـا فـي الخـريف

إذا قـهـقـهـت فـي أعـالي الهـضـاب

يــعــاقــيــب تــحــسـب أوجــالهــا

مـع الصـبـح فـيـه تـيـوس تـيـابـي

ويــا حــبــذا هــي فــي ذي مـعـون

إذا الصـيـف ساعـدهـا بـانـسـكـاب

بـنـضـح الدواجـن بـعـد السـيـول

فـأبـصـرت فـيـهـا كـوشـي الزرابـي. (الأكوع 1978: 510–520)

المبحث السادس: علم الأحياء

1. النباتات

انقسمت النباتات عند اليمنيين إلى نوعين: الأول هو النباتات العامة، وهي النباتات غير المقدسة التي يصلح بعضها للاستهلاك الغذائي وبعضها لا يصلح، والثاني هو النباتات المقدسة التي ارتبطت بالديانة والآلهة والمعابد، مثل اللبان والمر والعنب والقمح، وهناك نباتات قدسها اليمنيون ما زلنا نجهلها، وقد قُدِّسَتِ النباتات لأنها كانت تُستعمل في الطقوس والشعائر الدينية والدفن والتحنيط، واستخدم بعضها علاجاً للأمراض فقُدِّست، أو لأنها غذاء دائم يحافظ على بقاء الجنس البشري كالقمح، أو بسبب من كونها رموزاً لآلهة معينة كالعنب، واستمر تقديس بعضها كاللبان والمر حتى وقتنا الحالي، وقدست أخرى دون معرفة الأسباب كالشذاب.

2. الحيوانات

الخيول: استعمل اليمنيون الخيول منذ بداية حضارتهم في العصر الحديدي، «وقد وردت في نصوص المسند كلمة ج ود م، أي: جواد، وهو من أسماء الخيول التي تجود أيام المنازلة وفي الصيد، ويلاحظ في النقوش ورود لفظة خيل بمعنى: قوة، حَوْل، كما في هذه الجملة: ب خ ي ل/و ر دأ، أي: بقوة، مما يدل على أن اسم الخيل مشتق من القوة، وفي جملة في نقش جام 565/44 اجتمعت لفظتا الفرس والجواد، ج ود م/ف ر س م/و ن ق ت، بمعنى: جواد وفرس وناقة، ويقال لأنثى الخيل في المسند جد ب هـ، ج ب هـ ت، أي: أنثى، ويبدو أن الخيول كانت تُرَبى في بادية الجزيرة قبل انتقالها إلى حواضرها، كما دلت عليه رسومات الصخور في تلك الأماكن، وكان امتلاكها دلالة على القوة والغنى، لهذا كان مُلّاكها من أصحاب الأموال والملوك وكبار رجالات الدولة، إذ جعلوا لها مروضين أو سائسين خاصين، ووفروا لها المراعي الخاصة بها، وذلك كما نفهم من نقش عنان 22/1 التالي: م ح ق ب م/ي د م/ت أ ر ي/أ ف ر س/م ل ك ن، أي: محقب يدمر مروض الخيول الملكية» (البريهي 2000: 145).

الطيور:



قطعة حجرية نُحت عليها رموز ورسوم وزخارف مقدسة، يتوسطها نسر فارد الجناحين، ترمز إلى الآلهة اليمنية عُثر عليها في منطقة السوداء في الجوف (الطول 49 سم، العرض 34 سم)، المتحف الوطني بصنعاء.

3. الصقور:

4. العُقاب:

5. النعام:

6. الحمام:

7. العصافير:

وفي النقش CIH 651 ذِكرٌ للبوم التي تصعب رؤيتها لظهورها في الليل، أما في النهار فتختفي بالقرب من جذوع الأشجار، والهدهد الذي يعيش بالقرب من المزارع والحقول الزراعية بصوته الخاص ورائحته النتنة. وظهرت منحوتات للعقاب والثعابين.

المبحث السابع: الطب اليمني

أولاً: أسماء الأمراض والصحة والأعضاء وأمراضها

تزداد، يوماً بعد آخر، الآثار والنقوش التي تفصح عن الطب اليمني القديم، فيوجد المزيد من الأدوات الطبية التي عثر عليها في الآثار، والمزيد من النقوش التي تتضمن الألفاظ الخاصة بالطب والصحة والمرض وأعضاء جسم الإنسان الخارجية والداخلية التي تدل على معرفة جيدة بالتشريح.

أسموا المرض بأسماء كثيرة منها: (م ر ض)، (ض ل ل)، ح ل ص (ح ل ظ)، ب د ل (خ وم)، والأوبئة باسم (و س)، (ع وص)، (خ م ط ن).

وقد أظهرت التنقيبات الكثير من الآثار الدالة على مهنة الطب وأهميتها مثل بعض الأدوات الطبية، كالملاقط والمقصات والمخارز والملاعق والمشارط، وعثروا على بعض المواد الطبية كالمساحيق، وعثروا في مقبرة الحصمة في محافظة أبين على مكانٍ مخصصٍ لمن يعملون في مهنة الطب.

حفل القاموس السبئي بمفردات كثيرة دالة على الصحة والمرض، وتنوعت الأمراض في شدتها وقوتها فمنها المرض البسيط والعام، ومنها المرض الخطر، ومنها الوباء، وهناك التهابات الأعضاء، وكلها وُصفت لها علاجات طبية عشبية.

وأظهرت النقوش أسماء الأمراض وعلاجها، والألفاظ السبئية للصحة وللمرض وللأعضاء وأمراضها، كما في هذا الجدول المبسط الذي نظمناه استناداً إلى المعلومات التي أوردها الباحث عارف أحمد إسماعيل المخلافي في بحثه عن الطب في اليمن:

1. جدول الأمراض العامة وعلاجها:

2. جدول الألفاظ السبئية للصحة:

(انظر المخلافي 2013: 96 ـ 99).

3. جدول للألفاظ السبئية للمرض:

(انظر المخلافي 2013: 96 ـ 99).

4. جدول الألفاظ السبئية للأعضاء وأمراضها:

(انظر المخلافي 2013: 96 ـ 99)

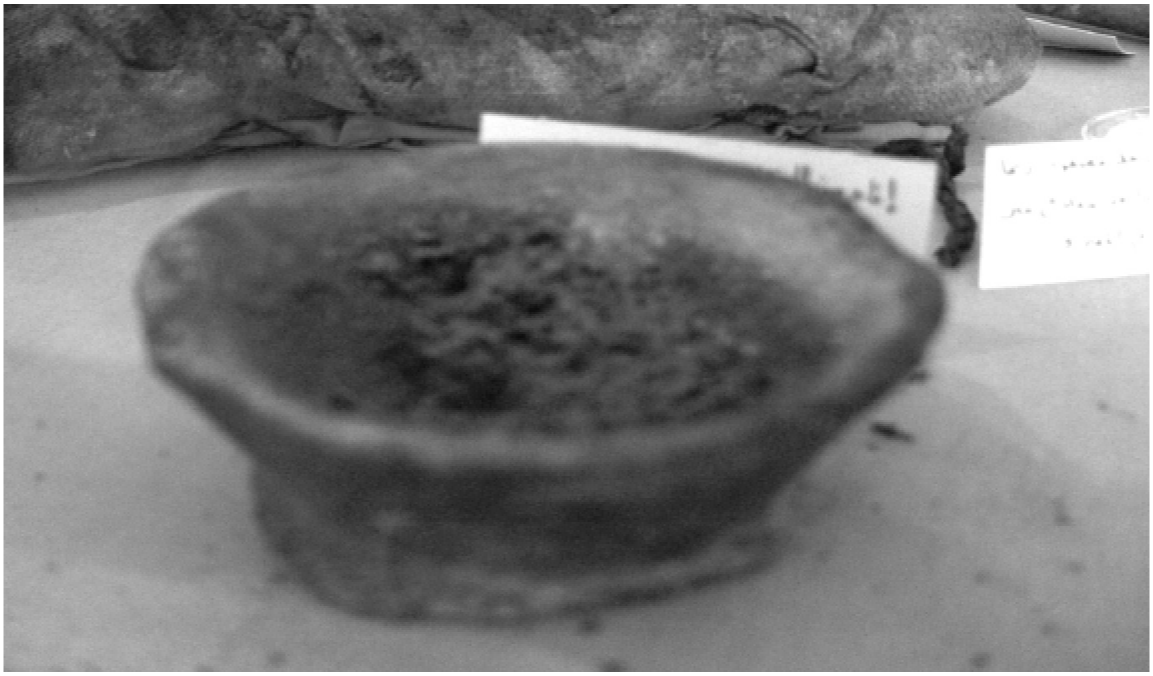
ثانياً: الأدوات الطبية

1. الأدوات الجراحية: وهي أدوات معدِنية بسيطة كالسكين والملقط والمنقاش التي تستخدم في عمليات جراحية بسيطة ومنها عمليات الفم والأسنان.



أدوات طبية معدنية تستخدم في الجراحة العامة والأسنان عُثر عليها في الجوف (متحف قسم الآثار جامعة صنعاء) (المخلافي 2013: 100).

2. أدوات التحنيط: وهي كل ما يتعلق بأمور التحنيط من سكاكين وأوعية ولفافات وحشويات وغيرها.



وعاء يحتوي على مواد تحنيط وُجد مع إحدى مومياوات شبام الغراس

(محفوظة في متحف قسم الآثار ـ جامعة صنعاء) (المخلافي 2013: 102).

ثالثاً: نصوص الصحة والمرض

الكثير من نصوص المسند تضمنت موضوعي الصحة والمرض، بشكل مباشر أو غير مباشر، وأغلبها ترتبط بالآلهة القادرة على الشفاء، مثل طلب الصحة والحماية أو الشكر بعد الشفاء من الأمراض، ومن هذه النصوص (المخلافي 2013: 104 ـ 105).

رابعاً: أنواع الطب ومَن يمارسه

يترواح الطب اليمني القديم بين الطب الديني والطب الشعبي، ويبدو أن التجربة قد جعلت من بعض الأعشاب والنباتات صفات علاجية محددة أصبح شاعة في انتشارها واعتمادها كعلاج.

أما النقوش التي ذَكرت الطب القديم فهي تركز على الشكر والحمد للإله الشافي، ثم تذكر، في أثناء ذلك، الغرض من تقديم القربان، ويبدو أن السرية في موضوع التركيبات الطبية كان هو السائد كما يذهب المخلافي لذلك، ويرى أن السريّة كانت «سبباً رئيساً في الامتناع عن ذكر علاج الأمراض في النقوش، بل إننا لم نعثر حتى الآن على نقوش يمنية قديمة

تبين وصفاً لطرائق العلاج، ووسائل الاستشفاء من المرض، باستثناء نقش واحد جديد ما يزال قيد الدراسة والتحقيق، يذكر صاحبه أنه أصيب بمرض جلدي غطى جسمه كله، وأنه شُفِي من ذلك بعد الاغتسال من سبع آبار، فإذا صحت هذه الترجمة بعد نشر النقش رسمياً، فإنه سيكون أول نقش يذكر فيه المرض وطريقة علاجه» (المخلافي 2013: 115).

طب الأعشاب (النباتات الطبية): عرف اليمنيون طب الأعشاب بشكل واسع، وكانت أغلب الأعشاب في اليمن لها وظائف طبية، وقد فصلناها في جداول واسعة.

لا نرجح ظهور أطباء بالمعنى السريري في اليمن القديم على الرغم من وجود مفردة واحدة هي (ط ب ت) أي (طبيبة)، ولكنّ هناك معالجين لهم علاقة بالمعبد، ومنهم من اكتسب سمعة شعبية في فهمه لعلاج الأعشاب وبعض الممارسات الطبية الشعبية، ربما نحتاج إلى مزيد من النقوش المسندية للحديث في هذا الأمر.

خامساً: مومياءات اليمن

عرفت مصر القديمة وحضارة في تشيلي التحنيط، ويجب أن نضيف اليمن بسبب سعة ما اكتشف من المومياوات المحنطة.

ما زال موضوع المومياوات في اليمن بحاجة إلى دراسات علمية معمقة، فقد كان اكتشافها مصادفة في مقابر صخرية بمحافظة المحويت وشبام الغراس، ثم توالى ظهورها في أماكن أخرى، وأصبحت ظاهرة مميزة، لكنها ما زالت نهب المبالغات الإعلامية والشعبية، ولا بد من وضع خطة علمية متكاملة لدراستها من قبل مختصين في هذا الحقل، ولا بد من كشف المزيد منها في خططٍ آثارية دقيقة.

ذكرت بعض المصادر أن هناك جثثاً أو أنسجة بشرية محفوظة في بعض المقابر اليمنية، فهناك ذكر في كتاب (قتبان أند شيب لوندل فلبس) بعد حفرياته في معبد أوام في مأرب، وفي مدينة تمنع العاصمة القتبانية، وعُثر في كلا المقبرتين على بقايا نسيج متفَحِّم ومواد راتينجية، كانت تستخدم في الحفاظ على الجثث، لكن اكتشاف مومياوات محَنَّطة بالمعنى العلمي الدقيق لم تبدأ إلا باكتشاف مومياوات شبام الغراس.

القاموس السبئي يشجع كثيراً في ترسيخ هذا الموضوع، فهناك مفردتان سبئيتان مهمتان تؤكدان وجود هذه الممارسة: هما (ميمياء) وهي مادة عضوية تستعمل لأغراض طبية تشبه القار، وتستخدم أيضاً كمطهر للجروح وقاطعة للنزف في تحنيط الجثث، فهي مادة علاجية مستخدمة لمعالجة المومياوات، والثانية مفردة (حنوط) التي هي مادة علاجية وميمياوية أيضاً، وهي تركيب مجموعة من المواد مثل الصندل والحناء والعنبر، وواضح من تركيب كلمة الحنوط أنها تعني التحنيط، فهما ليستا مفردتين فارسيتين أو إغريقيتين، كما هو شائع، ولذلك يجب إعادة النظر في هذا الموضوع.

لنعترف أولاً بأمرين واقعيين بعيداً عن المبالغات العامة في هذا المجال، وهما: إن زمن التحنيط في اليمن ليس بعيداً بما يكفي، فهو لا يتعدى القرن السابع قبل الميلاد في أقصى تقدير، والثاني هو أنه غير متقن ولم يُتَبَنَّ بوصفه تقليداً رسمياً ملكياً، كما هو الحال في مصر، فقد كان يجري وفق أهواء يعتقدها البعض من الطبقات الدنيا أو العليا، ولذلك جاء قليل الإتقان والتدبير.

وجدت معظم المومياوات اليمنية ملفوفة بالكتان داخل أكياس جلدية بعضها في حالة قرفصاء، أغلبها بملابس أصحابها، وفي مقابر صخرية في مناطق وعرة في محافظة المحويت كشبام كوكبان، ومنطقة الأهجر والطويلة وبني سعد وحفاش وملحان.

المقابر الصخرية التي احتوتها تظهر كفتحة في عرض الجبل يصعب الوصول إليها، وهي مستطيلة الشكل تؤدي إلى فضاء واسع يحتوي على الغرف والكوات التي تبدو كفتحات للتهوية، هذه الغرف لحفظ جثامين الموتى وهي مزودة بفتحات للتهوية ولحفظ الأواني والأدوات والأسلحة التي كانت توضع مع الميت، اعتقاداً منهم أنهم سيعيشون حياةً أخرى بعد الموت.

كان اليمنيون يستخدمون في عملية التحنيط مواد محلية من بيئتهم مثل (الزبيب ودهن الجمل وبعض أوراق النباتات والمواد الرئيسية في عملية التحنيط هي الزبيب، ودهن الجمل وبعض أوراق النباتات، واللبان والبخور والمر والصمغ العربي والراء والصبر والقار والزفت والزنك والراتنجات وهي تشبه اللبان ومادة «الحنوط» و(الميمياء).

جدول تفصيلي بالمواد المستخدمة في تحنيط المومياوات في اليمن، عن (محمد 2005: 246)

تاريخ تعرُّف مومياءات اليمن:

1. الهمداني أول مصدر يذكر بعض الإشارات التي توحي بأنه كان يُحَافَظ على الجثة عن طريق التحنيط.

2. وِنْدِل فيلبس: في كتابه (قتبان وسبأ) الذي كتبه بعد ما قام بحفرياته في معبد أوام في مأرب، حيث عثر في مدينة تمنع العاصمة القتبانية وفي كلا المقبرتين على بقايا نسيج متفحم ومواد راتينجية كانت تستخدم في الحفاظ على الجثث.

3. مومياوات شبام الغراس.

4. البعثة الايطالية في 1985 عثرت على بقايا نباتات وبقايا مادة الراتنجات التي كانت تستخدم في نوع من المعالجات للجسد في مقابر المخدرة.

5. أنقذ فريق من قسم الآثار في جامعة صنعاء في 1991 بعض المومياوات في جبل النعمان في ثلا بمحافظة المحويت، وكانت موجودة في مدافن كهفية فأُحضِرَت إلى قسم الآثار، واكتشف مدفناً كهفياً في منطقة حيف في المحويت، وفي صيح، وبيت رحمة، وبيت النصيري، وكثيراً من المناطق.

6. عثرت البعثة الألمانية والأمريكية عام 1998 في معبد أوام على بقايا مواد استخدمت في التحنيط.

تاريخ اكتشاف المومياءات في اليمن:

1. مومياء شبام الغراس (شبام سخيم): هي مجموعة المومياوات التي عُثِرَ عليها بالصدفة في مقبرة صخرية، في شبام الغراس عام 1983، يرجح أن يعود تاريخها إلى 280 ق.م، أي في فترة الدولة السبئية، تقع المقبرة على حافة جبل مصلح الذي يبعد 25 كم شمال شرق صنعاء في منطقة بني حشيش، وعددها خمس جثث محنطة مكفنة بالجلد المدبوغ الملفوف بالكَتَّان، وحُشي تجويف البطن بنبات الراء ليمتص سوائل الجسم، وعلى إثر هذا الاكتشاف تشكل فريق من قسم الآثار في جامعة صنعاء، برياسة الدكتور عبد الحليم نور الدين رئيس القسم، وقام هذا الفريق بحفرية إنقاذية للمقابر في شبام الغراس وأُنقِذَت بعضُ المومياوات التي دُمِّرَت من قِبَل حفاري المقابر واللصوص ظناً منهم بأنها داخل هذه الجثث كنوزٌ، وخلال هذه الحفريات وعلى عمق (60 سم) اكتشفت مومياء واحدة سليمة ومكتملة واستدعي فريق من هيئة الآثار المصرية لصيانتها وترميمها، وعلى إثر ذلك خُصِّصَت لها الغرفة رقم واحد في المتحف الذي أنشئ في تلك الفترة كمتحف تعليمي لقسم الآثار، وقد كانت نتائج تقرير عمل الفريق كما يلي:

«1. عدد المومياء (5): واحدة كاملة و(4) تالفة.

2. دُفِنَت الجثة وهي في وضع مستلق على الجانب الأيسر بوضع ملفوف الأرجل والبطن.

3. الرأس موضوع على ضلع اليد اليسرى.

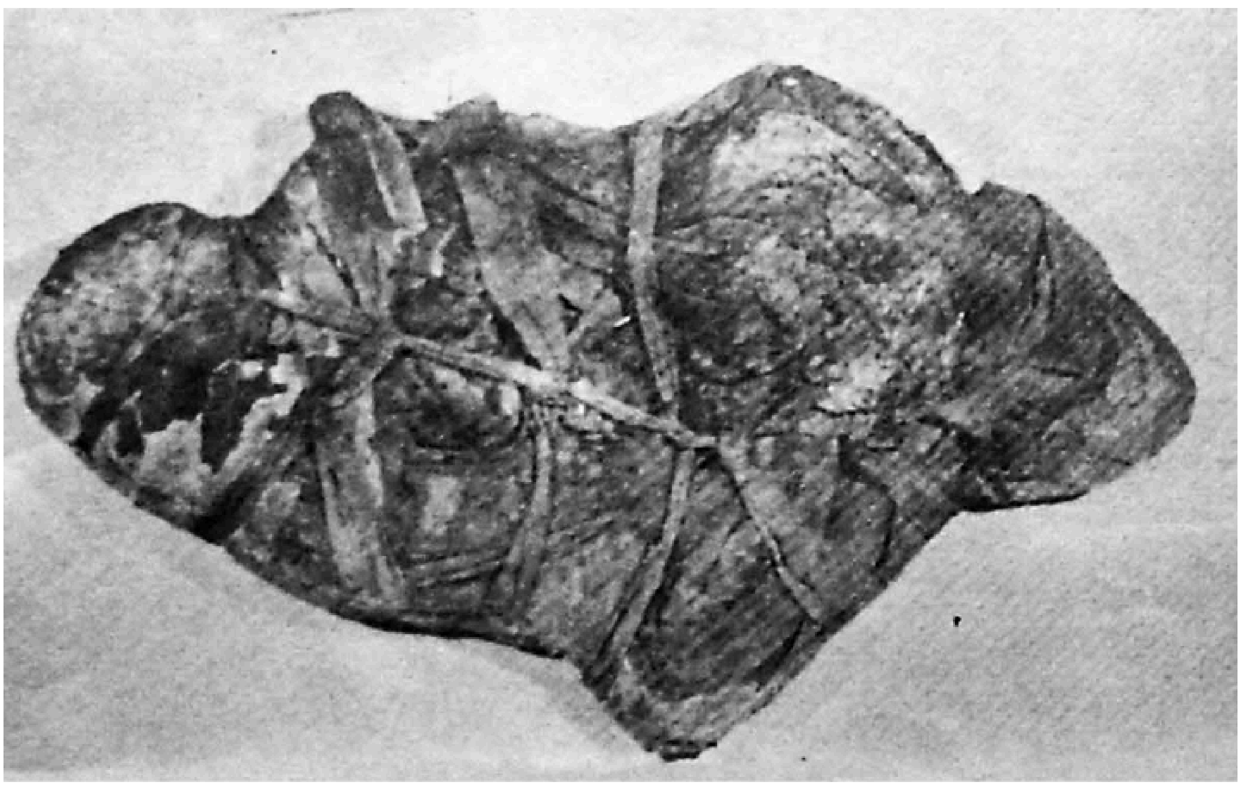
4. الجثة المدفونة في لباس كامل، الأحذية في الأرجل، سروال جلدي حول الفخذين، أساور جلدية حول الرسغ، وحزام غليظ حول الخصر.

5. عُرِّضَت الجثة لمعالجة خاصة أو لتحضير (جزء من الكفن الثقيل والغامض التكوين يدل على ذلك) قبل الدفن بغرض الحفاظ عليها كما يبدو ـ والدليل الكتان المصبوغ (في الصبغة

بموجب التحليل الكيميائي الذي جرى في معمل جامعة صنعاء مركبات الحديد)، إذ حشي تجويف الحفر بخرق من الكتان الجيد ووضعت كمية كافية من زهور كثيفة لنبات بري.

6. جرت بعض الطقوس في أثناء الدفن، بدليل وجود قطعة خشبية وُضعت تحت الركبة اليسرى، وأيضاً اكتشاف تميمة حرز (أو رقم الجثة) للجثتين (حتى الآن لم تتضح أسرارها)، ووجدت بين بقايا الدفن التي لم تنتسب إلى أي من تلك البقايا، ووُجدت الثالثة مع النموذج الثاني (خالية من أي وصف أو علامة معينة)، وفي الأخير فإن الكلمة الأخيرة ستأخذ وقتاً أطول لاختبارات عديدة ودراسات أطول ومستمرة.

وعملت تجربة بالكربون 14 على عينات أرسلت إلى أمريكا دلت على أن السنة المحتملة لتاريخ الدفن هو 280 سنة قبل الميلاد، أي إن تاريخ الدفن يزيد على 2000 سنة» (نور الدين 1995: 256).



مومياء شبام الغراس ملفوفة (نور الدين 1995: 257)

وصل عدد المومياءات المكتشفة في شبام غراس حولي 26 مومياءً، ولكنها ما زالت بحاجة إلى دراسة علمية معمقة.

2. مومياء المحويت: عُثر عليها عام 1984 في إحدى المقابر الصخرية بمنطقة ملحان في محافظة المحويت، وعرضت في قاعة المومياوات بمتحف قسم طلبة الآثار بكلية الآداب في جامعة صنعاء، وهي ليست مومياءً بالمعنى المعروف، لعدم وجود مواد وعمليات التحنيط التقليدية، ولم تُبعَد الأحشاء ولا استعملت اللفائف الكتانية أو الجلدية كما هو معروف في معالجة المومياءات، وهي جثة محفوظة لرجل في حدود الخمسين من عمره، طويل القامة ومفتول العضلات ومدفون على جانبه الأيسر، وربما مات صاحب الجثة مقتولاً في إحدى المعارك.



مومياء المحويت/الدكتور صالح أحمد صالح (صالح 2004)

3. وفي 1999 أنقذ فريق من قسم الآثار في جامعة صنعاء بعض المومياوات في جبل النعمان في ثلا بمحافظة المحويت وكانت موجودة في مدافن كهفية، فأُحضِرَت إلى قسم الآثار، وهي تُعرض الآن في القاعة رقم واحد.



مومياء لامرأة جبل النعمان ـ ثلا، نحو 400 ق.م

4. وفي 1994 استكشف فريق من قسم الآثار مدفناً كهفياً في منطقة حيف في المحويت، ونتيجة لوجود الكهف في منطقة صعبة جداً اكتُفِيَ بعمل تقرير أولي وتصوير ما يحتويه من جثث محنطة، وتوالت الاكتشافات في محافظة المحويت في صيح، وبيت رحمة، وبيت النصيري وغيرها.

5. عثرت البعثة الإيطالية في 1985 على بقايا نباتات وبقايا مادة الراتنجات التي كانت تستخدم في نوع من المعالجات للجسد في مقابر المخدرة، وفي مأرب بعد 1998 عثرت البعثة الألمانية والأمريكية أيضاً في معبد أوام على بقايا مواد استخدمت في التحنيط.

6. توالت في عام 2003 وحتى اليوم الاكتشافات في العديد من المناطق، مثل خربة همدان في الجوف، وعُثِرَ على مومياوات في عنس محافظة ذمار، وأيضاً في منطقة شعوب، والأهجر.

7. مومياء ربما تكون من الفترة الحِمْيرية في محافظة إب («سياني إب») في قرية مريت، في مطلع عام 2021، وما زالت قيد الفحص.

المظاهر المرتبطة بالمومياوات اليمنية:

1. تنوعت المقابر التي احتوت المومياءات، فهي مقابر صخرية في شبام الغراس، وكهفية في المحويت وما حولها، وملكية في معبد أوام، وصندوقية في منطقة شعوب.

2. الدفن المومبائي ممارسة شعبية ورسمية، في الوقت نفسه، لكنها ليست عامة، فقد كانت الظاهرة العامة في اليمن هي مقابر الدفن تحت الأرض، وكان هناك تحنيط للأطفال كما في شعوب وذمار، وأيضاً للأقيال وكبار السن، مثل مقابر شبام الغراس وسخيم.

3. يبدأ التحنيط بشق البطن واستخراج الأحشاء ووضع بعض المواد النباتية مثل نبات (الراء) الذي يساعد على امتصاص السوائل التي يفرزها الجسم، فضلاً عن وضع مواد أخرى سواء داخل الجسم مثل الصبر أو المر أو القار أو الزفت وتقويته بنوع من الخشب الملفوف بنوع من الكتان حتى يبقى شكل التجويف البطني كما هو، فضلاً عن مواد كان يُغَطَّى الجسم بها مثل مادة الراتنجات، وهي مادة قريبة الشبه من مادة اللبان، وفائدتها تحفظ المواد العضوية، ومن خلال العينات التي أُخِذَت من منطقة شبام الغراس وحُلِّلَت وُجدت مواد معدنية كثيرة مثل الزنك ومواد مركبة مستخدَمة لم تُعرف بالتحديد مقاييسها أو نوعيتها، ولكن فائدتها كانت تساعد أيضاً في جفاف الجثة، وبعد ذلك تُكَفَّن الجثة.

4. تلبس الجثة المحنطة، في العادة، حذاءين هما: الحذاء الأصلي، والحذاء الخاص بمراسيم الدفن، وهما من الجلد المدبوغ، وتُلفُّ بالكتان لفات عديدة، وعثر بجانبها على أوانٍ فخارية، ورؤوس الرماح، وقطع من الخشب نُقش على إحداها اسم صاحب المقبرة، وكانت وضعية الجثث في اتجاهات مختلفة، ويجمعها وضع القرفصاء، أو وضع الجنين في بطن أمه، وما قد يشير إلى عقيدة البعث.

5. لم تُكتَشَف إلى الآن إلا جثة محنطة واحدة بطريقة علمية من قبل قسم الآثار، على الرغم من أن المقبرة فتحت قبل سنة تقريباً، وهذا يعني أن نابشي القبور هم الأسرع إلى هذه المقابر، وهذا لا يساعد المختصين على دراسة وضع الجثة، ودراسة ما إذا كان هناك تركيب لنوعية الأثاث الجنائزي بجانب الجثة، وأيضاً دراسة نوعية الاختلاف في عملية التحنيط والتكفين.

متاحف المومياوات:

ما زالت متاحف المومياوات متواضعة التكوين من الناحية العلمية وتعوزها العناية، ومنها:

1. متحف الطويلة: الذي خصصته الهيئة العامة للآثار والمتاحف في محافظة المحويت للموميات، حيث اكتشف عدد منها في منطقة الطويلة على رغم تعرضها للعبث على أيدي الباحثين عن الكنوز في المقابر القديمة، غير أن المركز لا يزال دون المستوى المطلوب من حيث التجهيزات والإمكانيات والخبرات. **و**أظهرت النتائج النهائية للمسوحات الأثرية الميدانية، التي نفذتها الهيئة العامة للآثار بمحافظة المحويت على خمس مراحل، اكتشاف 200 مقبرة صخرية تحتوي على مومياوات محنطة يرجع تاريخها إلى مراحل قديمة، وقد حفرت هذه المقابر على شكل فتحات مستطيلة في أعالي الجبال الشاهقة تؤدي إلى غرفة

واحدة أو اثنتين أو أكثر، وهذه المقابر الصخرية وجدت في مناطق مختلفة من مديريات شبام كوكبان والمحويت والرجم وملحان وحفاش وبني سعد والطويلة.

2. متحف جامعة صنعاء للمومياوات: الذي يرعاه قسم الآثار في جامعة صنعاء، والذي يدرس وضع الجثة والأثاث الجنائزي والاختلاف في عملية التحنيط وفي التكفين، وقد اكتشف الباحث اليمني عبد الكريم الياجوري مكونات مادة التحنيط، وحصل على براءة اختراع بمادة التحنيط التي كان يستخدمها اليمنيون، والتي تتكون من 42 عنصراً منها الكبريت والكالسيوم والبروتين والأنثيوتيك والزنك وغيرها، وهي المواد نفسها التي كان يستعملها المصريون القدامى، وهذه المواد المكونة لمادة التحنيط موجودة بشكل عام في اليمن (انظر: طاهر 1988).

يعود تاريخ بعضها إلى نحو 300 قبل الميلاد، وتلك المومياوات التي توجد في متحف قسم الآثار بجامعة صنعاء أُحضِرَت من كهوف مقابر شبام الغراس، وأخرى من قبور منطقة ثُلا، وأخرى من منطقة ملحان.

3. المتحف الوطني بصنعاء: فيه مومياءات من مقبرة شُعوب ذات المقابر الصندوقية الشكل التي عثر عليها مدفونة على مسافة تحت أرضية المنطقة.

المراجع:

1ـ د. عبد الحليم نور الدين: مومياء شبام الغراس محافظة صنعاء ـ مجلة الإكليل ـ العدد 23 ـ شتاء 1995.

2 ـ د. صالح أحمد صالح: مومياء من جبل ملحان ـ مجلة المُسند (حولية تُعنى بشؤون الآثار والتاريخ والتراث) ـ العدد الثاني 2004.

3 ـ حسين أبو بكر العيدروس: المقابر والتحنيط في حضارة اليمن القديم ـ المجلة العربية ـ مجلة شهرية ـ العدد 55 ـ مارس 2014.

4 ـ المومياءات اليمنية: صحيفة سبتمبر العدد 1185 الصفحة 1.

5 ـ مومياءات الحضارات اليمنية القديمة، لغز التحنيط المحير: صحيفة الوطن (صحيفة إلكترونية يمنية يومية مستقلة) الثلاثاء ـ 2 فبراير 2010.

6 ـ العيدروس، حسين أبو بكر: المقابر والتحنيط في حضارة اليمن القديم ـ المجلة العربية ـ مجلة شهرية ـ العدد 448 ـ مارس 2014.

المبحث الثامن: الكيمياء

1. كيمياء الصناعات الغذائية

لسنا بصدد وضع لائحة بالأطعمة والأغذية اليمنية ومصادرها الحيوانية والنباتية، بل سنحاول معرفة صناعات غذائية تدخل عوامل الكيمياء فيها، وهي:

1. الدبس: عسل التمر يخرج منه عفوياً، أو يجمعه اليمنيون وفق طرقٍ خاصة عن طريق وضع التمر المجني على سطوحٍ خشبية ذات فتحة أو فتحات، وتُرَصُّ التمور فينزلُ الدبس في الثقوب ليُجمع في أوانٍ تحتها، ويحفظ في جرار أو عبوات مناسبة، ويدخل الدبس في صناعة الحلوى.

2. العسل والشمع: عرفت اليمن صناعة العسل من النحل، على طيفورية أو رغيف، واكتُشِفَت في شعب اللوق المتفرع من وادي عرمه القريب من شبوة كهوفٌ تمثل خلايا نحل قديمة وجدت في وديان اشتهرت بصناعة العسل، وما تزال بعضها قائمة خاصة في وادي عمد، وكانت هذه الخلايا على شكل معيّن تُوضَع في كهوف أو فجوات مرتفعة في الجبال على حافَةِ الأودية، يصعب جداً الوصول إليها إلا بواسطة تدلية حبال من أعلى، وقد عثر على نماذج لها في وادي دهر القريب من وادي عرمه واتضح أنها تبنى من الحجارة والجير كبناء الأحواض، وتستعمل في تكوينه شرائح من الخشب أيضاً، وقد أشار بعض الكتاب الكلاسيكيين إلى العناية التي تلقاها صناعة العسل في العصور القديمة، فقد قال سترابو: «إن البلاد خصبة بصفة عامة وتتميز بصفة خاصة بأماكن لصناعة العسل» (Strabo, 16.4.2)، ويعزو بليني بعض غنى السبئيين إلى «إنتاجهم من العسل والشمع» (Pliny, 4 ـ 32.16) (البريهي 2000: 224).

3. اللبن: الذي يسمى باليمنية (ش ن ن م) أي اللبن الرائب الذي يُصنع عن طريق تسخين الحليب، ثم إضافة خميرةٍ إليه وانتظاره يتكثف ويصبح ثخيناً، ويُجفف أحياناً على شكل كرات ثم يُخزن كمؤونة للسفر، ويستخرج منه القيمر كقشطة والزبد بعد خضه والجبن، وتستعمل أنواع مختلفة من الحليب لهذه الصناعات الغذائية مصدرها الإبل والمواشي والأغنام والماعز.

4. الدهون والزيوت:

«ب ون (اسم)، وجمعها (أ ب ون)، شجر بان، وردت هذه اللفظة في نقش ر 3958/4 كما يلي: وب ق ل/ك ل/ب ق ل/و أ ع ل ب/و أ ب ون، وتفسير الباحث هو: غرس كل المزرعة بأشجار السدر والبان، ويستخرج من حب ثمر هذه الشجرة دهن طيب يستخدم في معالجة أمراض عديدة وفي التدهين، وقد جاء ذكره في شعر امرئ القيس، وقيل إن

الشوع: شجر البان، الواحدة منه شوعة وهو يربع ويكثر على الجدب وقلة الأمطار، وكان الناس يسلفون في سبيله الأموال، واستخرج أهل الشوع دهناً منه كما يستخرج أهل السمسم دهناً منه.

والسليط عند أهل جنوب الجزيرة العربية هو دهن السمسم، وقيل هو كل دهن عُصِر من حَبّ، وقيل: إن دهن السمسم هو السّيْرَج والحل، ومن أشهر الزيوت التي استخرجت في هذه المنطقة زيت الزيتون الذي كانت زراعته منتشرة فيها» (البريهي 2000: 230).

وهناك زيوت استُخرجت من الكمون والكتان والزيتون في معاصر خاصة بها.

أما بالنسبة إلى الزيت الحيواني فقد صُنع من شحوم (ودك) الحيوانات مثل الماشية والأغنام والإبل والماعز.

2. كيمياء الطيوب والعطور

كان الطيب يُسَمَّى (طنفم) وهو يشمل جميع أنواع البُخور والعطور الزيتية، فاليمن هي البلاد الأشهر في زراعة اللبان والمرّ والأكاسيا والقرفة واللادن، ومكانها الحصري هو حضرموت.

1. اللبان (ل ب ن، ل ب ن ي)، وهي شجرة صنوبر شوكية بلا جذع واضح وتنبت منه الغصون، وتنتجُ مادة صمغية لونها أصفر باهت شفاف تسمى اللبان، حين يحترق يظهر منه دخان أبيض كثيف برائحة زكية، وهناك خمسة وعشرون نوعاً منه، ويجمع اللبان بشق لحاء الشجرة فيتجمد عندما يُعَرّض للهواء ويصبح على شكل كرات صغيرة تكشط وتجمع في إناء، فتُحفَظ وتُخزَن بطريقة صحيحة، ثم تعبأ في أقفاصٍ خشبية تغطى بالحصران والسعف تجنباً لتهشمه بسبب الجفاف.

2. المرّ (م ر ر، أ م ر ر)، وهي شجرة كثيفة وطويلة الأغصان، وصمغها بعضه أحمر اللون، يجمع بالطريقة ذاتها التي يجمع بها اللبان.

3. كمكام: (ك م ك م) وهو زيت المرّ، يستعمل كعطر للملوك ويوضع منه في الخمر لتطييبه وفي مواد التحنيط لرائحته، وهو علاج لبعض الأمراض.

4. العود (ق س ط) وهو عود يتبخرون به، يستخرجُ من نوع من أشجار المرّ، ويجمعونه ويخزنونه بعناية.

5. رند (ر ن د) وهو نوع من الآس.

6. اللادن (ل د ن) وهو عبارة عن ورد يسمى قسوس، يستخرج منه عطر.

وهناك أنواع أخرى، وصناعة الطيب والعطور صناعة دقيقة ومرهفة وتحتاج إلى معرفة جيدة بالمكونات والخلط والخزن والتعبئة.

3. كيمياء الدباغة والجلود

اشتهرت اليمن بدباغة الجلود وصناعتها، وخصوصاً صنعاء ونجران وجرش وصعدة وزبيد، وكانت صعدة تنتج جلود الأبقار كرقائق للكتابة، وكانت مادة الدباغة من ورق وثمر شجرة تسمى (القرظ)، ويستعمل الجير (القار) لإزالة الشعر من الجلود، ومن أماكن الدباغة المشهورة منطقة صعدة في مخلاف حولان باليمن، وقد ذكرها الهمداني بأنها كورة بلاد خولان أي حاضرتها، «وقد اشتهرت صعدة بدباغة جلود الأبقار، وأكثر ما أُنتج فيها هو أديم الكتابة المعروف بالأديم الخولاني، وكانت صعدة مدينة عامرة يقصدها التجار من كل بلد، حيث كان بها العديد من المدابغ، وكان يُدبغ في صعدة أيضاً ما يصطاد من جزيرة سومطرة التي توجد في المحيط الهندي قبالة مدخل البحر الأحمر جنوب اليمن من السلاحف والثعابين والأفاعي الكبيرة والسحليات كبيرة الحجم، وكذلك الأسماك كبيرة الحجم، كانت تدبغ جلودها في صعدة، وكان لتلك الجلود شهرة وقيمة ثمينة، وكان العرب يُصَدّرون تروس السلحفاة المائية المدبوغة للخارج وخاصة للسفن الهندية التي كانت تصل إلى الشواطئ اليمنية، حيث كانت السفن تبادل الأرز والأقمشة مقابل تلك التروس المدبوغة» (عامر 2005: 120).

4. كيمياء الأصباغ

معروف أن مصادر الأصباغ هي النباتات والحيوانات والمعادن، فكانت تجمع ألوان الأوراق من الجذور والأوراق والثمار، حسب ألوانها، وتصبح مادة لصبغ الثياب والأخشاب وغيرها، ومثل هذا يحصل مع المصادر الحيوانية والمعدنية، إذ كان استخلاصها يستوجب بعض العمليات الكيمياوية البسيطة، وكذلك استخدامها.

«استخدم الحاكة والصباغون في مراكز النسيج المنتشرة في اليمن ألواناً عدة من مجموعة متنوعة من المواد الأولية، معظمها تحفل بها البيئة اليمنية المتنوعة المناخ والمصادر المعدنية وفقاً لاحتياجات الناس، ونحصر ما توصلنا إليه من هذه المواد الأولية على النحو التالي: الأيدع، الشب، الفوة، العفص والدم، حشيشة الصباغين، والكركم، ثمر الأثل، الهرد، وماء حب الليمون، النيلة، قشور الرمان، والزاج، خل الخمر، العصب، (حديد حشن وأوراق حناء، جلد قندس وزبيب أسود خاتمي)، ورق شجر التآلب الرماد والخطم، القم، عروق شجر التآلب، قشر الإهليلج، ماء حلقة، الورس» (الشرجبي، وفاء 2007: 71 ـ 72).

5. كيمياء الذهب:

تشير المصادر الكلاسيكية إلى أن تجارة اليمنيين القدماء الأولى كانت عن طريق المقايضة بالذهب والفضة، ومع ظهور الحملات اليمنية داخل اليمن وخارجها ظهرت اكتشافات مناجم الذهب، واكتشفت عدد من المناجم القديمة للذهب والفضة بالقرب من المستوطنات التي أقامها اليمنيون على طرق القوافل التجارية المتجهة إلى بلاد الشام ضمن الطريق التجاري قرب مستوطنة دَدَان العلا في وادي القرى جنوب مدائن صالح.

يصف ديدرو الصقلي ذهب اليمن بأنه «غير منصهر، ولا يحتاج إلى صهر من معدنه الخام كما هو الحال لدى كل الشعوب الأخرى، وإنما يحفر له مباشرة في الأرض ويُعثر عليه كتلاً صلبة بحجم (حبة الكستناء)، بل إنه (ذهبٌ بكر) وغير مشوب بالغبار وحبات التراب، وهو ذو لون أحمر ناري بالغ التألق، وإذا شُكِّلَت قِطَعه بواسطة صُنَّاع مهرة وطُعِّم بالأحجار الكريمة، فإنه أجمل الحُليّ» (الجاويش 2022: 7).

وكانت أهم مناجم الذهب في نجران (منجم الهجيرة)، وكذلك المنطقة التي فيما بين القنفذة ومرسى حلج، ووادي تثليث، على مقربة من حمضة، وفي بيشة، وهناك منجم ضنكان في تهامة، وفي منطقة خولان قضاعة مثل منجم ذهب القفاعة، وتقع غرب صعدة قرب مدينة الخصوف، وكذلك منجم (بني سابقة)، ويوجد سبعة مناجم شمال صعدة، أحدها منجم قديم يدعى (المحفر) في منطقة لودية، ومنتصف وادي مروان شمال وادي العرض، وجنوب منجم المحفر، ومنطقة جبل عبلة، توجد مناجم قديمة للذهب أيضاً في قفر حاشد.

أما أسماء الذهب في اللغة اليمنية القديمة فهي كما يلي:

ألفاظ معدن الذهب وما يتعلق به من ألفاظ وأرقام النقوش الواردة فيها وذِكْر جَذْر اللفظ الوارد في النقوش اليمنية القديمة (الجاويش 2022: 42).

استخدام الذهب في اليمن:

1.المقايضة به وزناً، وفي سك العملات الذهبية وكانت تسمى (دنرتم).

2. الحليّ والزينة وخصوصاً عند النساء.

3. صناعة بعض قطع الأثاث في القصور والديكورات والمدافن الملكية.

4. صنع تماثيل من الفضة (صلمن ذ صرفن).

(الجاويش 2022: 41)

كيمياء وتعدين الذهب في اليمن القديم:

1. كان الذهب يَعْلق بصخور الكوارتز، ولذلك كانت تكسّر هذه الصخور وتعرّض للنار ثم تجرش في مجارشَ حجريةٍ وتُسحق بالرحى اليدوية وتصبح مسحوقاً.

2. يُغسل المسحوق بالماء الجاري وتفصل الشوائب عنه.

3. يُصهر بالحرارة في أوانٍ خاصة ويستخلص الذهب الصافي.

6. كيمياء الفضة:

عُرفت الفضة في اليمن مبكراً، في نهايات العصر الحجري، وتنتشر مناجم الفضة في «جبلة في إب، تنتشر العديد من المواقع التي تتواجد فيها مناجم الفضة القديمة ورازح بالقرب من مدينة صعدة، وذمار، ومنجم شبام سخيم، وقلعة وادي ضهر، وتوجد مناجم الفضة في نهم، وعلى جبل الصلب في ثعيبة وادعة، وفي بلاد سارع، وفي خشارن التي تقع في جهارن، وفي الأرض السوداء وعلى جبل البلق في مأرب، وفي بلاد برط، ويوجد هذا المعدن في بران، وجبل هيلان، ووادي الهرار، ووادي المجنى، وكذلك غرب مدينة عزان بمحافظة شبوة، وفي منطقة باتيس أبين، وغيرها من المواقع والمناجم القديمة للفضة، إلا أنه كان وما زال أشهرها قديماً على الإطلاق هو منجم الرضراض» (الجاويش 2022: 28).

وظهرت في اللغة اليمنية القديمة أسماء دالة عليها هي:

ألفاظ معدن الفضة وما يتعلق به من ألفاظ وأرقام النقوش الواردة فيها وذِكْر جذر اللفظ

الوارد في النقوش اليمنية القديمة (الجاويش 2022: 42).

استعمال الفضّة في اليمن:

كالذهب استخدمت الفضة في المقايضة بها وزناً، وفي سك العملات الذهبية، وكنوع من الحليّ والزينة وخصوصاً عند النساء، وفي صناعة بعض قطع الآثاث في القصور والديكورات الملكية في القصور والمدافن الملكية، وتسمى صرفن لأن الصرف يعني بيع الذهب بالفضة.

كانت الفضة مظهراً من مظاهر الترف، وكانت تستخدم في صناعة تماثيل الآلهة وفي الكثير من بضائع التجارة خارج اليمن وداخلها.



مسكوكة فضية من المتحف الوطني بصنعاء

(الجاويش 2022: 41)

كيمياء وتعدين الفضة في اليمن القديم:

جرت عمليات واسعة لتعدين الفضة وكانت اليمن تصدّرها إلى خارجها، وقد عثر على المناجم القديمة وفيها أدوات لتعدينها كالمطارق والسنادين والمجاريش والمطاحن، وتختلط خامات الفضة مع رسوبيات خامات كبريتيد الرصاص، ومع خامات معادن أخرى كالنيكل والرصاص والكوبالت والنحاس، وكان وجود كحل الإثْمِد يدل على وجود خامات الفضة.

1. يبنى فرن صغير توضع فيه خامات الفضة المكسرة قطعاً صغيرة، ومعها خشب العرعر كوقود، وفي الفرن فتحتان إحداهما لمنفاخين، والآخر لخروج سائل الفضة.

2. ينفخ في الفتحة وتذوب الفضة وتخرج من الفتحة الثانية.

3. تبرّد وتستخرج وتُصَفَّى من شذرات الرصاص وتصفى بالماء وتغسل.

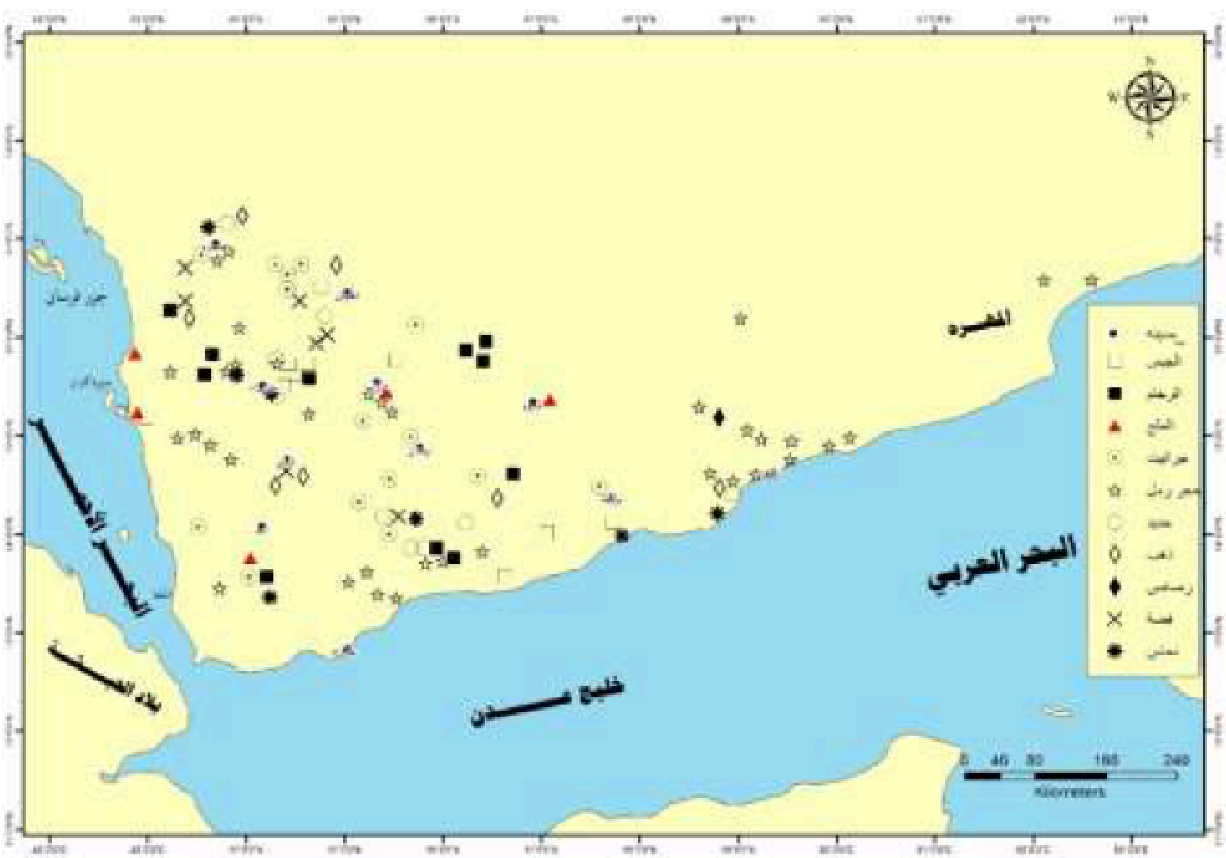
7. كيمياء البرونز:

يسمى البرونز (ذهبم)، بسبب لمعانه وقربه من اللون الأصفر، والذهب الحقيقي الصافي يسمى (طيب)، وكانوا ينتجون البرونز من خلط كيميائي بين النحاس والقصدير، وجدت مخلفات البرونز في التماثيل البشرية (صلم، صلمت) والتماثيل الحيوانية، الثيران مثلاً (أثورن صلمن) والوعول (إيلن صلمن) والفَرَس (فرس صلمن).

ويستعمل في صناعة اللوحات (كيل، أكيل) عن طريق صناعة لوحات شمعية تغطى بطبقة من الصلصال المخلوط بالقش، ثم تحرق حتى يذوب الشمع ويبقى النقش أو التمثال ويزين بالبرونز أو يؤطر به، ويصنع من البرونز الأجراس (معهرت)، والعتلات وغيرها.

8. كيمياء الرصاص:

يسمى الرصاص (صهر)، ويستخدم في صناعة الأعمدة وكمادة بينية في البناء، وجد منه في سد مأرب وفي قرية الفاو، وهو نوعان: (الأسود وهو الأسرب والآبار، والأبيض وهو الأنك والأسرف والصرفان)، واستخلاصه من خاماته سهل بسبب سرعة صهره.



المواقع التقريبية لمواقع المناجم القديمة للمعادن في اليمن، والكتابات التاريخية، ويتضح الرصاص بعلامة معينة، بالاعتماد على برنامج GIS

9. كيمياء الحديد:

يسمى الحديد (فرزن) وتستخرج خامته، في اليمن، من أماكن كثيرة ذكرها الهمداني، ويُستَخلَص منها بطرق كيمياوية تتضمن الصهر والصب على شكل ألواح، ويستخدم في صناعة الأسلحة (سلح) الهجومية كالسيف والخنجر والرمح والسهم والقوس والمقلاع والفأس، والدفاعية كالدرع والترس والخوذة، وأغلب الأسلحة تصنع بالطرق والحفر وغيرها.

10. كيمياء النحاس:

أقدَمُ معدِن اكتشفه الإنسان وتعامل معه في العصر الحجري النحاسي، وذلك بسبب سهولة الحصول عليه، فقد كان يظهر قرب سطح الأرض مختلطاً مع مواد أخرى، يوجد النحاس على ساحل المحيط الهندي فى حضرموت ولكن يوجد بكثرة فى عُمان (مجان)، ويستخرج النحاس من مناطق شبام وقرن (البيضاء) ويريم.

يستخدم النحاس في صناعة الأسلحة والدروع الداخلية والتماثيل والنقود، واستخلاصه سهلٌ من خاماته عن طريق التسخين ثم التنقية من الشوائب العالقة بالمصهور النحاسي.

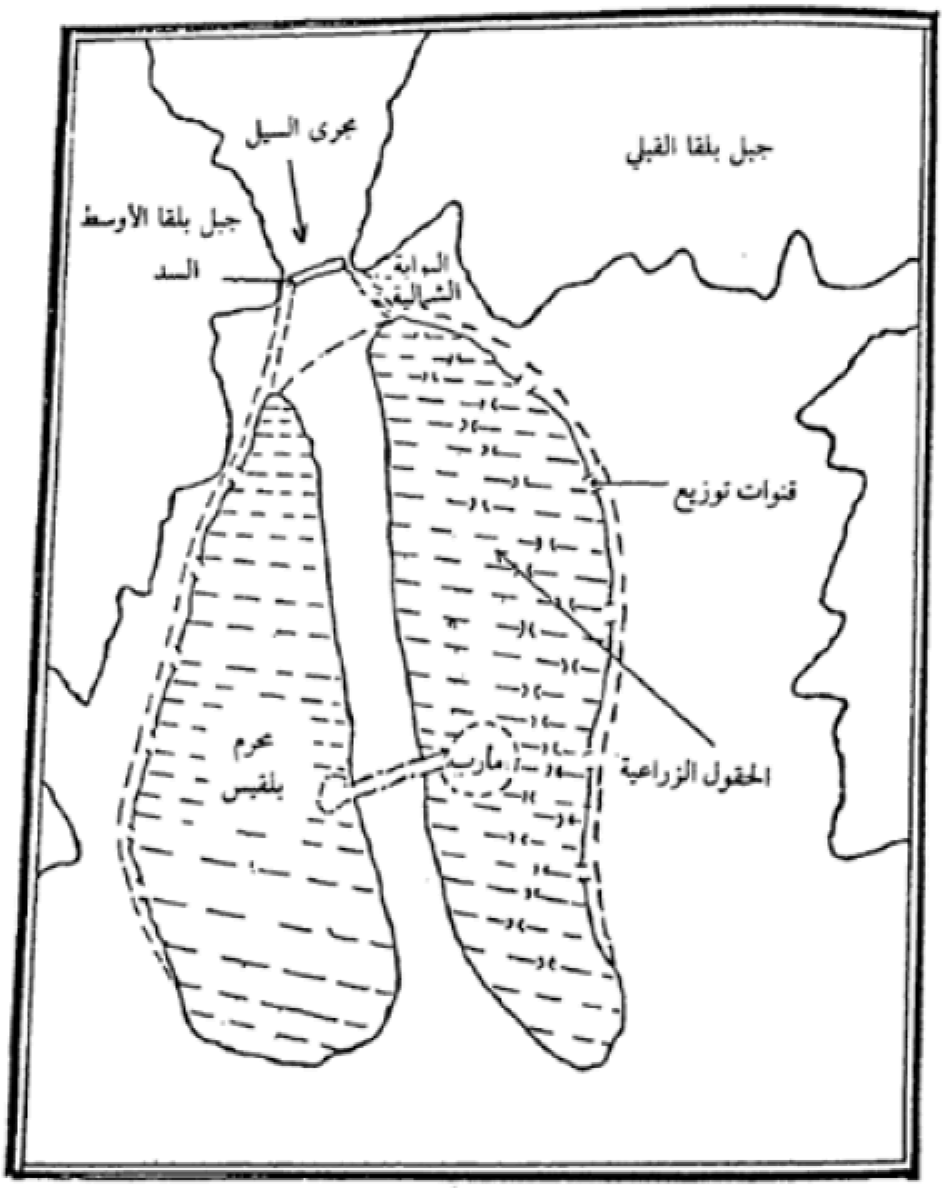
المبحث التاسع: التقنيات الفيزيائية

من المؤكد أنه ليس هناك علم فيزياء في اليمن، وفي كلّ الحضارات القديمة، لكن هؤلاء جميعاً استعملوا مجموعة من التقنيات الفيزيائية بحس تجريبي، أي داخل المجتمع والحياة، وليس بحسٍّ إمبريقي مختبري كما في العلوم الحديثة، وسنحاول رصد هذه التقنيات ووضعها في مكانها مع تقييمها المناسب في الحضارة اليمنية.

أولاً: التقنيات الفيزيائية الخاصة بالمياه:

1. نظام السدود (سد مأرب نموذجاً): كان سد مأرب واحداً من أول النظم لجمع المياه في العالم القديم، وقد اكتشفت الحفريات أنقاض هياكل الري حول مدينة مأرب في العصر البرونزي، في المناطق الجبلية، ويقع في منطقة وادي دنا حيث تندفع السيول المتجمعة من الأمطار الموسمية المتساقطة على المرتفعات الشرقية بين جبلي البلق الشمالي والأوسط، والهدف من بنائه السيطرة على مياه السيل الجارفة وتوزيعها في أرض مأرب، حيث الأحواض لجمع مياه الجريان السطحي من المياه الصافية بعيداً عن القرى لمنع التلوث، وهناك المصاطب لتوزيع مياه الأمطار وتحويلها إلى أحواض.

يتكون سد مأرب من أساسٍ من الحجارة الضخمة المنحوتة بدقة وعناية، وجدارٍ ترابيٍّ مرصع بالحجارة والحصى على كلا الجانبين فوقه، وبلغ ارتفاع جدار السد نحو 15 متراً (أي ما يقارب 49.21 قدماً)، في حين بلغت سماكة تلك الجدران 60 متراً (196.85 قدماً)، وامتد السد إلى مسافة 720 متراً (2362.2 قدماً) عبر وادي ضانا، بدايةً من جبل البلق الشمالي وباتجاه الجنوب. أوقفت التقنيات الفيزيائية في السد تدفق مياه الأمطار الهابطة من الجبال باتجاه الوادي، فمنعت حدوث الفيضانات وخزّنت المياه لاستخدامها لاحقاً، وأضاف السبئيون عدة سدود صغيرة على طرفي السد الكبير للمساعدة في توجيه مسار المياه باتجاه السد مما جعل سد مأرب نظامَ ريٍّ متكاملاً.

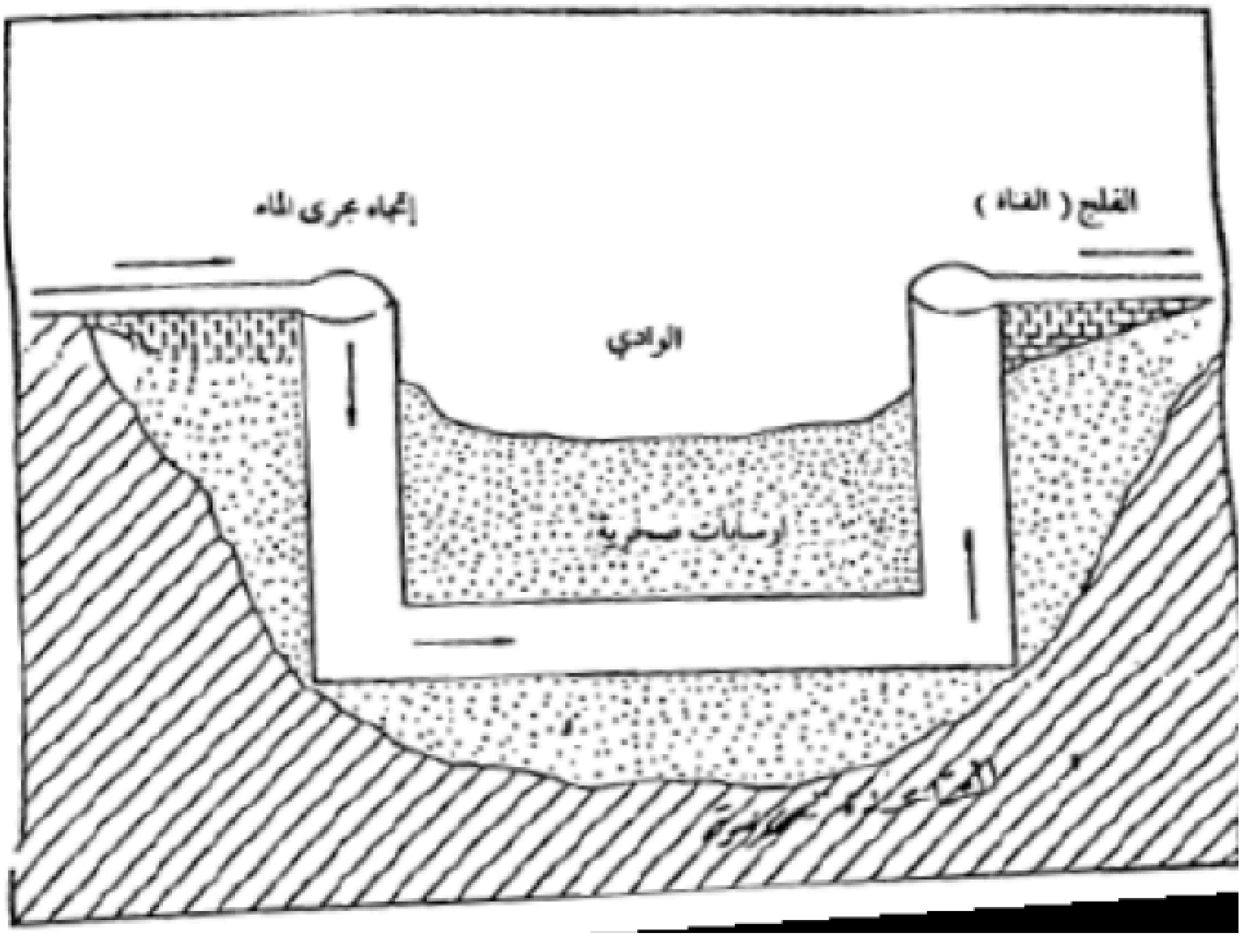


بعض تقنيات التوزيع في سد مأرب

(النعيم 1992: 234).

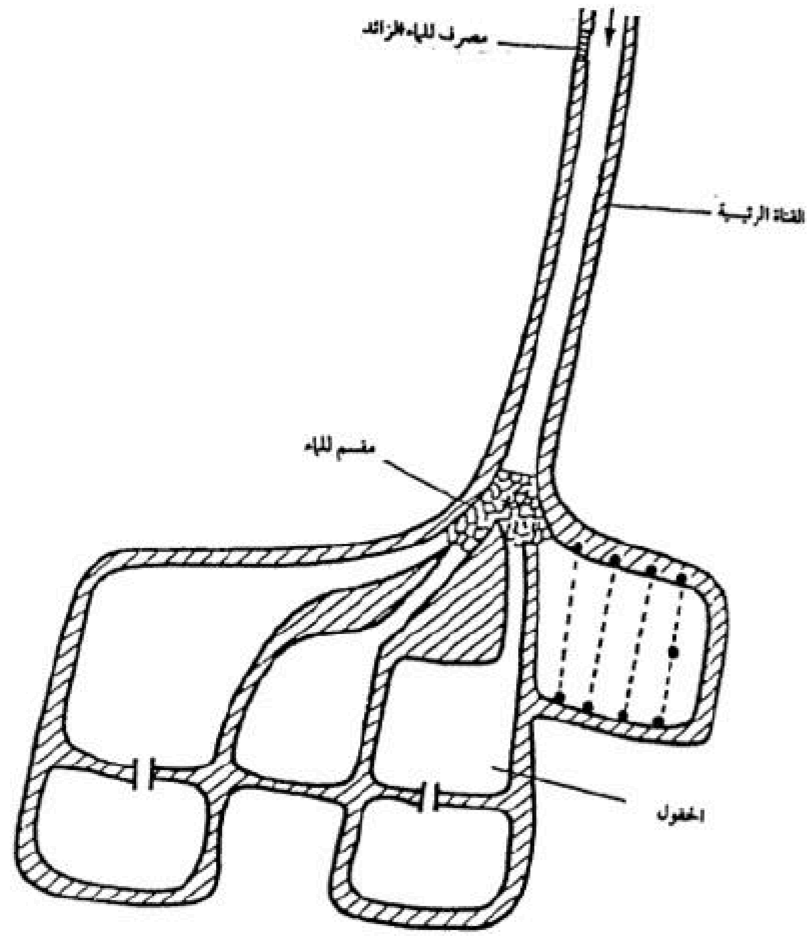
2. تقنيات الأحواض (الصهاريج) المائية: كان هدف بناء الصهاريج هو خزن المياه لاستعمالها في الشرب أو الاستعمال المنزلي، وهي الصهاريج المكونة من الداخل والمعتنى بها، أما الصهاريج الأقل نوعاً وعناية فتستخدم في سقي المزروعات، ومنها الكبيرة والصغيرة، وكانت تدار بتقنيات فيزيائية للخزن والتعبئة وكيفية السقاية سواء للبشر أو الحيوانات أو النباتات.

3. نظام القنوات المائية: القنوات (ن ق ب) هي المجاري الطبيعية أو المحفورة أو المبنية، وقد ترتبط بالسدود، وتبنى بالطين وتُبَطَّن بالآجُرّ والأحجار، بعضها سطحي وبعضها جوفيّ، ويستلزم السيطرة عليها وتنظيمها تقنيات فيزيائية خاصة بها، ومن أجل حماية القنوات من السيول التي قد تجرفها فقد ابتكر اليمنيون تقنية السيفون لحمايتها من السيول، التي تقضي بحفر مجرى حول القناة يستوعب ماء السيول ويفرغها في مكان آخر.



تقنية السيفون لحماية القناة من السيول عند عبورها الوادي

(معطي 2003: 278).



طريقة الريّ بالقنوات

(النعيم 1992: 327).

4. تقنية المياه الجوفية: يعتمد اليمن على رفع المياه الجوفية كتقنية أساسية في استخراج المياه من مكامنها تحت الأرضية، ويتطلب هذا الأمر تقنيات خاصة في هذا المجال، ففي القرى الريفية الجبلية في اليمن كانت توجد صعوبة كبيرة في تنفيذ هذه التقنية في بعض الأحيان، مثلاً في محافظة تعز جنوب غرب اليمن، ولذلك كان من الصعب على السكان حفر الآبار، لوقوع القرى في أعالي الجبال، ومشاكل رفع المياه من الوديان إلى الجبال، وعلى الرغم من ذلك كان لا بد من جهودٍ عملية لتنفيذ هذه التقنية، وكان من الوسائل المستخدمة في رفع مياه الآبار الدلو والخشبة التي يعلق عليها.

5. **السقاية:** هي نظام جمع وتخزين مياه الأمطار داخل بركة مغلقة السقف، وهي مخصصة لتوفير هذه المياه في الاستهلاك المنزلي، وري المزروعات في الريف اليمني، وبشكل خاص في المناطق الوسطى والغربية كمحافظة تعز، وكانت هي المصدر الوحيد لمياه الشرب وفي الطبخ والاستهلاك المنزلي، فضلاً عن ري المزروعات، كانت تجرى بالحفر في جوف الأرض الصخرية، والنحت في تجويف الصخور لأمتار معينة تصل من مترين إلى ثلاثة.

ثانياً: التقنيات الفيزيائية الخاصة بالهواء:

بدأت صناعة السفن في ثقافة العبيد في وادي الرافدين بين الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد، وانتقلت مع السومريين إلى مجان (عمان)، فقد أطلق السومريون عليها اسم مجان، والكلمة من مقطعين هما (ما) تعني هيكل و(جان) السفن أي هيكل السفينة، وهناك احتمال آخر لمعنى هذا الاسم يرتبط بإنتاج النحاس، ولذلك يمكن القول إنها مكان صناعة السفن والنحاس معاً، ويعتقد أن أول صناعة للسفن في مجان يعود إلى الألفين الرابعة والثالثة قبل الميلاد، ظهرت في مستوطنة رأس الحمراء في القرم، وكان من القصب وسعف النخيل ويُربَطا بالحبال، وكانت القوارب والسفن الشراعية تستخدم في الصيد البحري، وهنا لا بد من التذكير بالفروق بين المراكب والسفن ذات الأشرعة.

انتقلت صناعة السفن من عُمان إلى اليمن بحكم وقوع عمان ضمن منطقة النفوذ الحضاري لليمن في الألف الأول قبل الميلاد، ونشأت المرافئ والموانئ التي كان فيها وُرش تصنيع السفن اليمنية، ويقيناً إن هذه الصناعة ساهمت فيها خبرات أجنبية مصرية ورومانية وحبشية.

سُمِّيَت السفينة في النصوص المسندية اليمنية القديمة باسم (س ف ن م = سفنم)، وفي معجم بستون (س ف ن)، وعُرفت السفينة في نقش عُثر عليه بالصحراء الشرقية في مصر بالخط المسند اليمني بـ(فلك حرام).

كان استثمار التقنيات الفيزيائية في صناعة القوارب والسفن الشراعية قد جاء من الخبرة العملية لسكان السواحل اليمينة في بحر العرب والبحر الأحمر، وقد ازدادت هذه الخبرة مع الحميريين الذين استثمروا النقل البحري أفضل من غيرهم.

ثالثاً: التقنيات الفيزيائية الخاصة بالعتلات والرافعات والميكانيك:

برع اليمنيون في استثمار قوانين الرافعات الخشبية والعتلات في البناء، وتأتي براعتهم في بناء البيوت والقصور على سفوح الجبال، ولا يمكن للبناء بهذا الشكل إلا أن يقوم على أسس تقنية فيزيائية محكمة عملية لم يكونوا يعرفون أسسها الرياضية العميقة.

رابعاً: التقنيات الفيزيائية الخاصة بالنار والضوء:

كان استخدام المقلاع في المعارك اليمنية يتضمن استخدام تقنيات النار ورميها والحفاظ على شعلتها حتى تحقق أهدافها، ومثل هذا كانت تؤديه السهام النارية والمشاعل وغيرها، ولا شك أن تقنية استعمال القار (القير) كانت هي الأساس في هذا المجال.

أما تقنيات الإضاءة بالمصابيح والأسرجة فلها، هي الأخرى، تقنياتها الخاصة التي تتمثل في الحفاظ على بقاء شعلتها صافية قدر الإمكان وعدم مصاحبتها للدخان وتجنب انطفائها.

خامساً: التقنيات الفيزيائية الخاصة بالبناء المعماري والبرجي القديم:

تتمثل تقنيات البناء المعماري القديم بما يلي:

1.استخراج الحجارة من المحاجر، وتوصيلها إلى أماكن البناء بإتقان، والحجارة وتقنية استخراجها في اليمن القديم على نوعين:

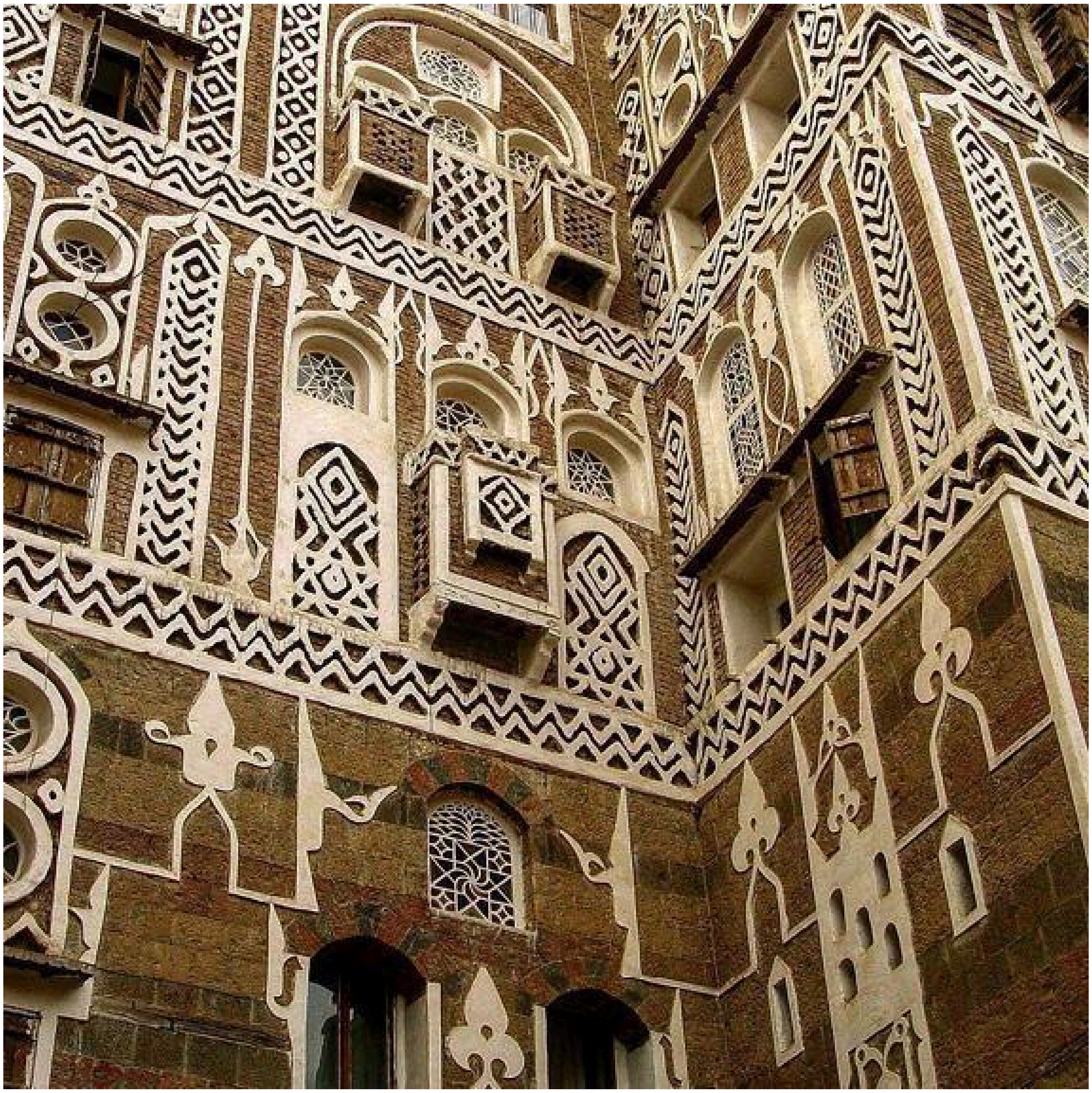
أ. اللين: ويشمل الحجر الجيري والحجر الرملي، وتقنية قلعها في قطعها وتحديد واجهاتها الطويلة بواسطة أداة معدنية، ثم تُفصَل في النهاية من الأسفل بواسطة الأسافين.

ب. الصلب: ويشمل الجرانيت والبازلت، وتقنيتها بطريقة الدقّ بِكُرَات من الحجر التي يترواح وزنها بين (9 ـ 15) رطلاً.

2. تقنيات التحضير والبناء المعماري: يكون النوعان كحجارة خشنة بدون صقل أو تشذيب وينقلان إلى مواقع البناء، التي كان لها ورش متخصصة تقوم بعملية الصقل والتشذيب وتجهيز الحجارة، وهناك مجموعات من الحرفيين المتخصصين.

أدى اختلاف المواد الخام واختلاف المناخ والطبيعة الجغرافية إلى ظهور تقنيات مختلفة للبناء، وأهم هذه التقنيات هي في بناء جدران المباني بأنواع الحجارة ومادة الربط بينها، وكل هذه التقنيات كانت مبنية على أسس التوازن ودقة الملاحظة والجاذبية والوزن وغيرها.

كان البناء البرجي وتطوره باعتماد القطب كتقنية أساسية في تقنيات البناء، وقد أدى ذلك إلى ظهور التركيب للمباني البرجية العالية «متعددة الطوابق»، التي ظهرت حتى في القصور القديمة لليمنيين، وبعضها ارتفع لسبعة أدوار، كل دور منها إلى ثلاثة أمتار تقريباً، كما في القصر الملكي في شبوة، وفي مستوطنة ريبون، وقصر غمدان، ويعود أقدمها إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وهكذا يمكننا القول بأن تقنيات البناء البرجي للعمارة اليمنية جاءت من تلك الجذور العميقة لها.



البناء البرجي في صنعاء

القسم الثاني: العلوم الإنسانية

المبحث الأول: التاريخ

أطلق الأكديون كلمة (أرخو) على القمر في كل تبدلاته وأحواله، ومن هذا الاسم جاء مصطلح التاريخ الذي يَعْني مقياس الزمن وأحواله وتبدلاته، وشاع هذا الاسم في جميع اللغات السامية، فقد استَعمل اليمنيون اسم (ورخ) كدالة على التاريخ، وتعني في القاموس

السبئي (القمر، الشهر)، وكان الاهتمام بالتاريخ والزمن شديد الأهمية لأنه مرتبط بالإله القومي الأكبر عند اليمنيين وهو إله القمر، الذي اختلف اسمه في الممالك اليمنية، ويبدو أن كلمة (تاريخ) سبئية تشير أيضاً إلى (التقويم) في النقوش اليمنية، وقد استعمل اليمنيون القدماء (السبئيون، والمعينيون، والقتبانيون والحضرميون والحميريون كلمة «و ر خ هـ و» التي تَعْني (أرخت بـ) أو (تأريخها..)، وبلا شك فإن العرب المسلمين أخذوا كلمة (تاريخ) من اليمنيين الذين حضرت في لغتهم السامية المشتركة مع بقية الشعوب السامية التي استعملت مصطلح التاريخ مثل الأكديين والكنعانيين.

ظهرت في اليمن أنظمة لتدوين الحوادث التاريخية، وهي كما يلي:

1. **التأريخ بالحوادث:** وهو أن يؤرخ بالحوادث المهمة التي تمر بها الشعوب في الممالك اليمنية سواء كانت طبيعية أو حضارية أو سياسية، وكانت الحوادث تستجد وتتغير فتتغير معها أرخنتها، وقد اتخذ السبئيون هذه الطريقة في بداية ظهورهم.

2. **التأريخ بالأشخاص:** وهو أن يؤرخ بأسماء الملوك التي تحكم في زمن حصول الحدث وفي أي سنة من سنوات حكمهم، وكانت هذه طريقة استخدمها المعينيون والقتبانيون والحضرميون.

«أما السبئيون فقد أرخوا بعهود أشخاص (Eponyms) ينتمون إلى ثلاث أسر رئيسية تناوب أفرادها على منصب الكاهن في معابد الآلهة السبئية، وخصوصاً في معابد الإله السبئي الرئيسي (إلمقه)، وكانت الفترة المحددة لكل شخص تستمر لمدة سبع سنوات، ومن تلك الأسر: ذو خليل ـ حزفر، وذو حذمة، وذو فضاح (الإرياني وعبد الله 1992: 281 ـ 282)، وقد أشار (شرف الدين) إلى أن السبئيين لم يؤرخوا نقوشهم بعهود الملوك، وإنما أرخوها بعهود أشخاص موظفين من غير الملوك، وأن الملوك أنفسهم قد أرخوا كتابتهم وحوادثهم بعهود أولئك الأشخاص، وقد كانت النقوش المؤرخة بعهود أشخاص تورد ذكر الملوك المعاصرين للأشخاص المؤرَّخ بعهودهم» (شرف الدين 1970: 25) و(الحمادي 1997: 20).

ويبدو أن اليمنيين أخذوا هذه الطريقة من الآشوريين ونظامهم المعروف بالليمو، الذي ظهر مع ظهور الإمبراطورية الآشورية الأخيرة في القرن العاشر قبل الميلاد، الذي كان أهم تحول سياسي في النظام الملكي مع ابتكار نظام الـ(ليمو، لمّو) الذي كان يُسَمِّي سنوات حكم كلّ ملك بأسماء من يترأس من الموظفين الملكيين رعاية احتفالات الأكيتو، فقد رَسّخ هذا النظام مؤسس الإمبراطورية الحديث أدد نيراري الثاني:

«وتعد فترة حكم هذا الملك مهمة من الوجهة التأريخية وذلك من خلال النصوص الكتابية التي تثبت تسلسل التأريخ الآشوري، وذلك باتباع طريقة جديدة في تواريخ الحوادث عرفت بالآشورية باسم (لمو)، إذ كانت العادة الجارية أن يترأس الملك في السنة الأولى من

اعتلائه العرش احتفالات رأس السنة المقامة في العاصمة، ويترأس تلك الاحتفالات في السنين اللاحقة أعاظم رجال الدولة حسب ترتيبهم، ويطلق على هذا الشخص الذي ينتخب لترَؤُّس الاحتفالات اسم (لمو)، ويبقى يتمتع بهذا اللقب لمدة سنة تؤرخ فيها النصوص على الوجه التالي ([...] في سنة اللمو للشخص الفلاني...)، هذا وقد وصلتنا قوائم بسني اللمو من بداية القرن التاسع قبل الميلاد وحتى نهاية القرن السابع قبل الميلاد، وهي ذات أهمية كبيرة لمعرفة الحوادث التي حدثت في بلاد آشور وكذلك تثبيت التواريخ، إذ كثيراً ما يصاحب ديباجة اللمو سابقة الذكر إشارات مختصرة لحملات عسكرية وحوادث أخرى لها صلات بالوضع العام في الدولة الآشورية والمناطق المجاورة، وهذا دون شك عامل مساعد على معرفة بواطن الإمبراطورية بصورة مضبوطة، ولحسن الحظ فإن إحدى هذه الديباجات لقوائم اللمو تذكر كسوف الشمس في شهر معين، فأمكن حساب زمن حدوث هذا الكسوف بواسطة الفلكيين وأصبحت سنة حدوثه نقطة يقاس منها تسلسل التأريخ الآشوري بصورة صحيحة» (الفتيان 1991: 157).

في اليمن كانت وظيفة الأشخاص المؤرَّخ بعهودهم عند السبئيين هي وظيفة (الرشاوة)، وهو منصب ديني كانوا يتولونه لسبع سنوات متتالية، أي إن الأرخنة تتم بسنوات هذا الموظف الديني المسمى (ر ش وت هـ و)، وحتى الملوك السبئيين أرخوا بسنوات الرشوتهو.

«أما الإرياني فقد ذكر أن وظيفتهم كانت تتعلق بالميرة والكيل (الإرياني 1990: 300)، وقد استفاد لوندين (Lundin) من تفسير بستون (Beeston) لكلمة (ر ش وت هـ و)، على أنها تعني سنة كهانته حين تسبق أسماء الأشخاص المؤرخ بعهودهم ممن ينتمون إلى الأسر السبئية الثلاث، التي أرخ السبئيون معظم نقوشهم بأسماء أشخاص ينتمون إليها، وذكر بستون أن كلمة (ر ش وت هـ و) تقابل كلمة (خ ر ف) في بعض النقوش السبئية المؤرخة، وأشار لوندين إلى ذلك مما تبين له من مضمون النقوش المكتشفة على صخرة قريبة من معبد عثتر ذو ذبيان في منطقة صرواح أرحب، التي ترد فيها إشارات تأريخية كتبت بعبارة (ي وم/ر ش و)، أي حينما تولى منصب الكاهن (الرشو)، فاستنتج من ذلك أن وظائف الأشخاص المؤرخ بعهودهم كانت ذات طبيعة كهنوتية دينية (Lundin 1969: 537) و(الحمادي 1997: 21).

صنّف الدكتور يوسف محمد عبد الله النقوش اليمنية إلى خمسة أنواعٍ رئيسية هي:

1. نقوش العبادات.

2. نقوش المعاملات.

3. نقوش المنشآت العامة والخاصة.

4. نقوش الحرب.

5. نقوش القبور. (عبد الله 1990: 47 ـ 48).

المبحث الثاني: الجغرافيا

احتوت نقوش المسند الكثير من الأسماء الجغرافية للممالك والدول والمدن بأسمائها التاريخية القديمة والمعروفة بها حالياً مثل مصر، والهند، وفارس، والروم، والحبشة، وممالك ومدن الشام، وبلاد ما بين النهرين، وآشور، وكلدان، وتدمر، وصور، وصيدا، وغـزة، ومناطق الجزيرة، ولا بد من إحصاء دقيق لهذه الجغرافيا الشاسعة التي دونتها النقوش. (10)

1. جزيرة العرب:

2. المشرق القديم:

3. قارة إفريقيا:

لا بد من التنويه إلى أن جغرافيا بلاد اليمن قد ذكرت، في النقوش المسندية، بأدق التفاصيل بأسمائها الأصيلة القديمة، ومن الصعب بطبيعة الحال ذكر هذه الأماكن، وكتابنا هذا وفهارسه تحتوي على بعضٍ منها.

المبحث الثالث: المكتبات

لم نعثر على ما يشير إلى وجود المدارس التي تعلّم الطلاب بانتظام الكتابة أو العلوم، ويبدو أن الكتابة كانت مهنة يرثها الأبناء عن الآباء، ولم توجد نظم تربوية دقيقة في اليمن القديم، ولكن هناك ما يشير إلى وجود بعض المكتبات في بعض المعابد.

مكتبة معبد أوام:

معبد أوام هو المعبد الرسمي للدولة السبئية والمكان الرئيسي الذي يَحُجّ إليه أهل اليمن القديم، وهو أضخم المعابد في الجزيرة العربية بأكملها، إذ تصل مساحته الداخلية البيضوية الشكل إلى نحو ستة الآف متر مربع، عثر فيها على عدد كبير من النقوش اليمنية القديمة وعشرات من التماثيل المهمة أهمها وأجملها تمثال للملك معد كرب.

كشفت أعمال التنقيب التي أجْرَتْها المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان في الموسم الأثري السادس في معبد (أوام)، عن عدد من المباني الأثرية الهامة ومن ضمنها مكتبة أثرية تعد واحدة من أكبر المكتبات التوثيقية التاريخية في اليمن القديم، وتحتوي على ألواح

ونقوش مسندية كثيرة، وكان مكانها عند مصاهر البرونز السبئية، حيث تصنع التماثيل والنقوش البرونزية قريباً من قنوات مياة مقطعة بألواح برونزية، وكانت ألواح المسند موَزَّعة على رفوف أو سواند في الجدران والأرضيات والقواطع الجدارية.

بلغ عدد هذه النقوش أكثر من 600 نقش تتضمن الكثير من الحوادث التاريخية المثيرة وهي بمثابة أرشيف يمني قديم لتاريخ وجغرافيا اليمن وعلاقاته الدولية.

ويبدو أن نقوش المعبد كانت تقدم من قبل الملوك وموظفي الدولة وأقيال القبائل وأناس عاديين كتبوا فيها الكثير من الحوادث السياسية والعمرانية والاقتصادية، صنفها العلماء إلى: نقوش نذرية ونقوش ملكية ونقوش جدارية ونقوش قانونية ونقوش دينية وأدبية، وغطت فترة زمنية طويلة من التاريخ اليمني القديم تصل ما بين القرن الثامن قبل الميلاد وحتى نهاية القرن الرابع للميلاد.

(10) تجد تفاصيل بعض نصوص النقوش موجودة في المصدر المهم للنقوش (داسي):

.)Islamic Arabian Inscriptions) DASI ـ Digital Archive for the Study of pre

http://dasi.cnr.it

الفصل الرابع عشر المظهر الفني



المبحث الأول: الفنون التشكيلية

الصفات العامة للفن التشكيليّ اليمني القديم

1. العناصر الفنية: تتكون من العناصر البشرية والحيوانية والنباتية والهندسية، وتظهر هذه العناصر بطرق متفاوتة مفردة أو ثنائية أو مجتمعة، ويَسُودها نوع من العلاقة حسب طبيعة الموضوع.

2. النزعة الفنية: النزعتان الهندسية والزخرفية، وفي كليهما يوجد إيقاع داخلي عميق بين عناصر الهندسة من خطوط ودوائر وأشكال مضلعة وزخرفية حيوانية ونباتية، حيث ينتج من تكرار البنى الأساسية إيقاع متوازن يمنحنا الشعور بالتوازن.

3. النزعة الروحية والدينية: تظهر واضحة في العنصر البشري بشكل خاص في الوجه وفي الحركة، وفي الحركة التعبيرية للحيوانات الرامزة إلى الآلهة.

4. المسندية: تؤدي حروف المسند وظيفيتين أولهما توضيح مضمون العمل الفني، وثانيهما وظيفة فنية تشكلها حروف المسند الهندسية بنوع من الإيقاع العميق.

5. التشكيل المميز للعينين عند الإنسان (البيضوية الشكل)، وشعر الرأس أو غطاء الرأس، تفاصيل الوجه الدقيقة، الحركة وعدم التوازن، البدانة وقصر الساقين، وبشكل عام هناك قصور في تجسيد النسب التشريحية للجسد البشري.

6. خصوصية العمل الفني تكمن في محليته، وهناك القليل من التفاعل مع فنون الشرق الأدنى ثم الفنون الإغريقية والرومانية، فالأعمال الفنية اليمنية خلقت لها شخصية يمنية واضحة ومميزة للأسباب الآتية:

«1. أن الإنسان اليمني القديم عَرف مصطلحات الجمال بالفطرة، 2. ومارس الإنسان اليمني القديم الفن بطريقة فطرية ثم اكتسب العديد من المهارات، فجاءت لوحاته صادقة حاملة في أعماقها جوانب حياته المختلفة، 3. عبر الإنسان اليمني القديم عن أسلوب حياته ومعتقداته آنذاك بلوحات فنية غاية في الجمال والروعة، 4. على رغم تأثر الفنان اليمني القديم بفنون الحضارات المعاصرة له فإنه لم ينقلها كما هي، بل استوعبها ثم أعاد صياغتها بصورة مستقلة تجسد فناً محلياً ذا رؤية واضحة جسدت ملكات وقدرات ذلك الفنان على توظيف الفن لخدمته» (محمد 2001: 118 ـ 119).

7. طغيان الجانب الأسلوبي الذي يؤسس لخصائص الفن مهما كانت غايته السياسية والدينية والاجتماعية، فالوسيلة أعظم من الغاية، وهي من قوانين الفن الشرقي واليمني القديمين.

8. يميل رسم الشخصيات إلى السكون وقلة الحركة، ويكمن السبب في قصور التقنيات التشكيلية لتجسيد الحركة.

القسم الأول: فن العمارة

أولاً: الصفات العامة للعمارة اليمنية القديمة

1. **أنواع العمارة:** تنقسم العمارة اليمنية القديمة على أنواع حسب وظيفتها تتطابق مع التقسيم العلمي المعروف في جميع الحضارات العالمية، فهناك العمارة الدينية، والعمارة الدنيوية، والعمارة العسكرية، وينقسم كلّ منها إلى أنواعٍ فرعية.

2. **مكونات أنواع العمارة:** تتمتع العمارة اليمنية القديمة بمكونات مميزة وواضحة، فالعمارة الدينية مثل: المعابد الرئيسة والمعابد الثانوية (الصغيرة والكبيرة وبجميع أنواعها الهندسية) والمقابر، والعمارة المدنية التي تشمل (الدور السكنية، السوق، قصبة المدينة أو الشارع الرئيس، الطرق الفرعية والأزقة، الساحات الرئيسة والفرعية، المساحات الخضراء من البساتين وحدائق، والعمارة العسكرية مثل الحصون والأبراج والأسوار بمكوناتها المعروفة مثل الجدران، والبوابات، والأبراج، والسلالم).

3. **تدوين العمارة:** تذكر النقوش المسندية جميع الأنواع والمكونات المعمارية بشكل واضح ودقيق، وبمصطلحات يمنية خاصة بها ومتداولة، عملياً، في اللغة اليمنية.

4. **مواد العمارة:** كانت مواد بناء العمارة اليمنية تعتمد على المواد المتوفرة في البيئة المحلية، مثل الطين والخشب وجذوع الأشجار وغصونها، والأحجار التي استخدمت في عملية البناء بشكل واسع بمختلف أنواعها وأحجامها، وأهمها: الحجر الجيري، والحجر الرملي، والجرانيت، والبازلت، والرخام، والجبس، والجير المطفي «النورة»، والبوميس.

5. **تقنيات العمارة:** ظهرت تقنيات مختلفة للبناء، ولتقنيات البناء طرق وأساليب عدة، تجتمع معاً في الكثير من الخصائص وتتباين بشكل محدود وفقاً لعامل التأثر الطبيعي «المكاني» من ناحية، والنوعية الوظيفية للمنشأ أو المبنى وأنظمة التصميم العِمَاري من ناحية أخرى.

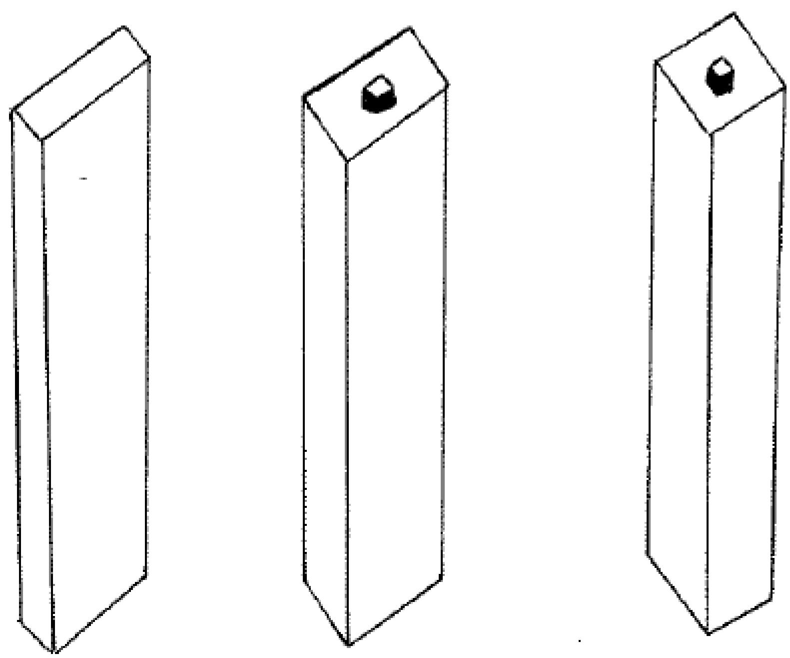
ثانياً: العناصر العامة للعمارة اليمنية

1. الأعمدة اليمنية:

أ. الأعمدة المربعة والمستطيلة: وهي الأعمدة الأكثر انتشاراً في اليمن القديم، ولكن أضخمها وأطولها كان في بناء أروقة قاعة المدخل في معبد أوام، حيث تروواح ارتفاعها للأعمدة التي في الأروقة نحو 4.95 متراً، وللأعمدة الثمانية التي في مقدمة القاعة الداخلية نحو 7.65 متراً، وتمتاز جميع هذه الأعمدة بأنها مقطوعة من حجر واحد ولا تيجان أو قواعد فيها، فقد انتصبت على أرض المعبد مباشرة، حيث نصبت على الأرض

مباشرة، وقد صممت قياساتها بشكل دقيق إذ تبين أن هناك تَنَاسُباً بين عرض الأعمدة وارتفاعها بلغ نحو 1/10، وبدت كما لو أنّها سوانِدُ للسقف.

«وانتشار تلك النوعية من الأعمدة في كل الممالك اليمنية القديمة يدل على أصالتها وأنها تمثل طرازاً يمنياً وابتكاراً محلياً يناسب نوعية العمارة اليمنية القديمة القائمة على التكعيب والزوايا الحادة والخطوط الصارمة، ولهذا اقتدت مملكة معين بمملكة سبأ وظهرت تلك النوعية في أقدم معابدها مثل معبد «عثتر ذي رصف» خارج مدينة قرناو وخاصة في البوابة والأروقة، وكذلك في معبد الإلهة نكرح داخل مدينة براقش في الأعمدة التي تتقدم المعبد أو في حمل السقف، ويلاحظ أن ارتفاعها أقل من ذلك الذي وجد في مملكة سبأ إذ يبلغ في المتوسط 3.90 م» (العريقي 2002: 239).

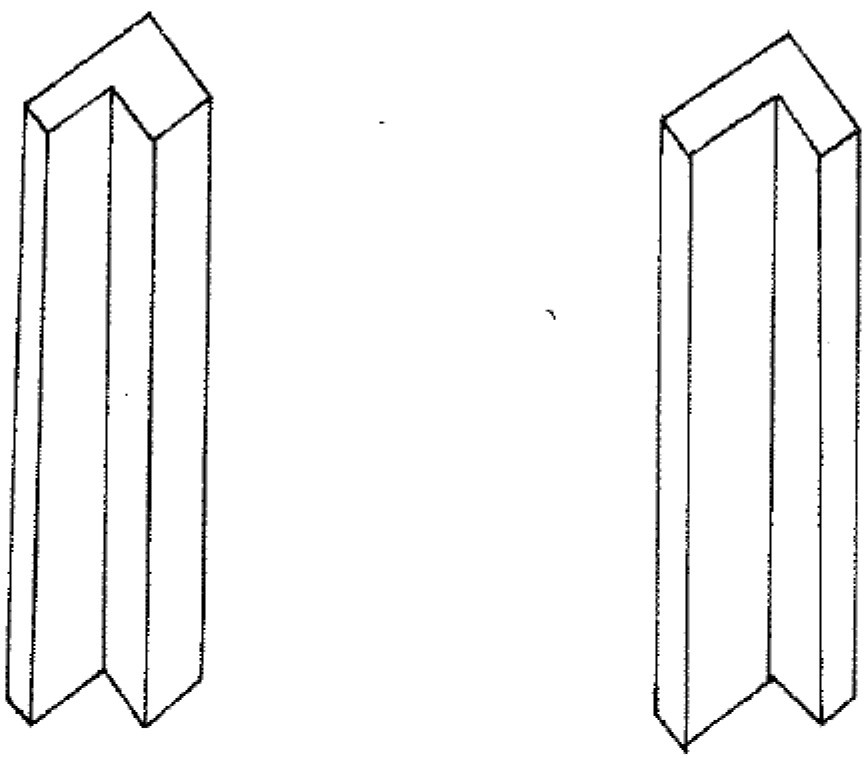


الأعمدة المربعة والمستطيلة

(العريقي 2002: 430).

ب. الأعمدة القائمة الزاوية:

«هذا النوع من الأعمدة اقتصر استعماله على كل من مملكتي سبأ ومعين وفي أماكن معينة من المعبد فقد تمثل في حمل سقف رواق البوابات، ويدل ظهورها في معابد قديمة مثل «معريم» في مملكة سبأ وتزاملها مع الأعمدة المربعة والمستطيلة على قدمها وأصالتها في اليمن القديم، وأقدم مثال لذلك النوع استخدم في الصف الخلفي لأعمدة البوابة الرئيسية لحرم معبد «معريم»، وكان عبارة عن عمودين ملتصقين بجدار الحرم، وكذلك بالنسبة الداخلية إلى المعبد نفسه حيث استُخدمت بالأسلوب نفسه والموقع نفسه، وكشف التنقيب في معبد برآن عن وجود تلك النوعية من الأعمدة في الصف الثاني من أعمدة البوابة الرئيسية للبناء القديم للمعبد (شكل...) التي تتكون من صف أمامي مكون من ستة أعمدة، وصف خلفي آخر مكون من أربعة أعمدة، منها عمودان من تلك النوعية في طرفي الصف، ولم يعثر سوى على آثار القواعد التي تحمل شكل الزاوية القائمة، واستعملت في البوابة الداخلية لقاعة المدخل التي تؤدي إلى البناء البيضوي في معبد أوام، وتدل الشواهد المعمارية الباقية في مدينة صرواح العاصمة الأولى لمملكة سبأ على استخدامها في عدد من المنشآت» (العريقي 2002: 241).



د ه

الأعمدة القائمة الزاوية

(العريقي 2002: 430).

ج. الأعمدة المضلعة:

تطورت الأعمدة المربعة والمستطيلة إلى الشكل السداسي، وهو نادر الظهور، ومنه تطور الشكل الثماني المنتشر في مملكتي سبأ وحضرموت، واستخدم في العمارة الدينية والمدنية، وأهم نماذجه في معبد ذات حميم، بتيجانه المنشورية الشكل التي تحمل سقوف الأروقة المحيطة بالفِنَاء، وفي القصر الملكي في شبوة حملت سقوف أروقة الدور الأول المحيط بالفناء، وهي مقطوعة من حجر واحد وتحمل تاجاً منشوري الشكل، وأسفل كل عمود ميزاب حجري ينتهي بشكل رأس ثور، وهناك الأعمدة ذات الأضلاع الستة عشر النادرة التي عثر على أغلبها في خرائب مأرب القديمة.

ويدل ظهور الأعمدة المضلعة في مرحلة متأخرة عن الأعمدة المربعة والمستطيلة «انتشارها في المناطق الجبلية التي ازدهرت فيها الحضارة اليمنية القديمة خلال القرون الميلادية الأولى مثل صنعاء والمناطق المجاورة لها مثل «كنن» إلى الجنوب الشرقي منها، و«غيمان» إلى الشمال الشرقي، و«ظفار» في منطقة إب جنوب صنعاء، وعلى الرغم من وجودها في أنقاض مدينة مأرب فإن تنوعها الكبير وتعدد نماذجها كان في المناطق الجبلية، ولذلك يرجح أن تاريخ بداية ظهور ذلك النمط يرجع إلى القرن الثاني ق.م، وانتشر في القرن الثاني الميلادي، في حين كانت بداية ظهور الأعمدة المربعة والمستطيلة في القرن الثامن ق.م، أو قبل ذلك، وفي هذا الإطار فرق المؤرخ «الهمداني» بين النوعين السابقين من حيث التاريخ عند حديثه عن منطقة «شبام أقيان» شمال شرق صنعاء، حيث ذكر أن فيها أعمدة ولكنها «ليست مثل أعمدة مأرب من حيث العتق والنفاسة»، أي في القدم والجودة (العريقي 2002: 242).

(العريقي 2002: 431).

2. أنواع تيجان الأعمدة

كانت تيجان الأعمدة اليمنية متفردة في أشكالها، «وقد عثر المنقبون على أنواع متعددة من الأعمدة، تيجان بعضها مربعة أو ذوات زوايا مستقيمة، منها ما هو بسيط دون زخرفة ولا نقوش، ومنها ما هو مزخرف أو عليه بعض النقوش أو بعض الحروف والكتابات، ومن جملة الزخارف التي تزين تيجان الأعمدة زخرفة تمثل زهرة الزنبق وأنواعاً أخرى من الزهور، وتمثل الأعمدة المربعة الشكل أو المستطيلة والخالية من الزخرف أقدم أنواع الأعمدة بالنسبة إلى الفن العماري اليمني، ونجد نماذج منها في خرتب معبد (قرتو) عاصمة معين، وفي (صرواح) (الخريبة)، وقد اقتطع المعمار هذه الأعمدة من الصخور، كتلاً كتلاً، ثم أمر بصقلها وتشذيبها حتى حولها إلى قطع أكسبها شكلاً هندسياً، قواعدها مربعة أو

مستطيلة، وضع بعضها فوق بعض إلى الارتفاع المقصود، مكوِّناً منها أسطوانة تحمل البناء» (محمد 2001: 105).

وأهم أنواع تيجان الأعمدة اليمنية هي:

1. التيجان المنشورية: هو النموذج المحلي السائد في العمارة اليمنية القديمة، المتميز بالتنوع في توزيع زخارف التيجان، وهو قريب من الزخارف القرميدية الحافلة بالخطوط، وقد «حاول الفنان اليمني إظهار التنوع في توزيع زخارف التيجان ولكنه لم يخرج عن إطار الأشكال القرميدية المستطيلة أو «المسننات» والخطوط العرضية، فعلى سبيل المثال تمثلت زخرفة تاج العمود المنشوري الشكل الذي عثر عليه في المقبرة الملكية الملحقة بمعبد أوام بصفين فقط من المسننات، تكَوَّن الصف العلوي من ثلاث حليات مستطيلة الشكل، الصف السفلي من أربع حليات، في حين تُرك أسفل التاج من دون زخرفة، وأغلب نماذج تيجان الأعمدة المنشورية الشكل عثر عليها في مواقعها الأصلية في معبد ذات حميم في حقة همدان، وظهر التنوع في أشكال الزخارف، فإلى جانب الزخرفة بالأشكال القرميدية ظهرت زخارف الخطوط العرضية المتدرجة وغالباً ما تتكون من صفوف من مناطق مستطيلة قرميدية وخطوط عرضية متدرجة، ويتمثل الاختلاف في عدد المناطق الزخرفية» (العريقي 2002: 245).

(العريقي 2002: 432 ـ 433)

2.التيجان الأسطوانية: «لها عدة نمادج، وتقوم على فكرة زخرفية واحدة هي وجود أشرطة من زخرفة المسننات أو المناطق المستطيلة القرميدية تدور حول بدن التاج يختلف عددها من مثال إلى آخر، ولكنها في الغالب شريطان، وهي مطابقة لتلك التي وجدت على التيجان المنشورية الشكل، وقد عثر عليها في مدن موغلة في القدم مثل مدينة صرواح إلى جانب التيجان التقليدية الأخرى، وأعيد استخدامها في منطقة مأرب فيما يسمى بمسجد سليمان المبني على أطلال منآة تعود إلى ما قبل الإسلام، وهو ملاصق لمدينة مأرب التاريخية، وقد أرخت إلى العصر السبئي المتأخر، وأعيد استخدامها في المباني الحديثة حتى وقت قريب، وقد قُورِنَت بما عثر عليه في منطقة «عمران»، وتتكون الزخارف من شريطين من المسننات تدور حول البدن يفصل بينهما شريط مستطيل، والمثال الثاني من مدينة «غيمان» [حيث] تتكون الزخرفة من شريط مستطيل في أعلى التاج وأسفل ذلك شريطان من المسننات، يفصل بينهما شريط مستطيل، والنموذج الثالث من مدينة «شبام الغراس» التاريخية شمال شرق صنعاء، وهو مطابق إلى حد كبير للنموذجين السابقين» (العريقي 2002: 247).

(العريقي 2002: 434).

3.التيجان الكورنثية: وهو نوع من التيجان الإغريقية انتشر في العصر الهلنستي وأثر في الفن اليمني القديم، حيث التاج مزخرف بأوراق متداخلة من أوراق الأكنتس والكروم، ظهر في القرنين الثالث والرابع الميلاديين، «وانتشر استخدامه في مِنطقة «ظفار يريم» جنوب العاصمة صنعاء، وهي المنطقة التي ازدهرت فيها مملكة سبأ وذي ريدان المعروفة باسم حمير، وقد أعيد استخدامها في مساجد المنطقة، وكان النبات الرئيسي المستخدم في عملية الزخرفة هو أوراق الأكنتس إلى جانب نباتات الكروم، إلا أن النوع الأول طغى على النوع الثاني، وقد عثر عليه في عدد من مناطق اليمن امتدت من مأرب و«بام كوكبان»، وعثر على نماذجه في منطقة عدن، ويعود إلى فترة ما بعد الإسلام، ومن ذلك يلاحظ أن التأثيرات الخارجية على العمارة اليمنية القديمة اقتصرت على الفنون الصغرى المتمثلة بالمواضيع الزخرفية وفي فترات زمنية متأخرة ترجع إلى ما بعد الميلاد، ثم إنها تدل على أن الفن اليمني القديم لم يبقَ جامداً بل تفاعل مع الحضارات المحيطة، ولم يَرْقَ ذلك التأثير على العناصر الأساسية أو التخطيط» (العريقي 2002: 248).

3. النوافذ والمنافذ:

ثالثاً: أنواع العمارة اليمنية القديمة

تنقسم العمارة اليمنية إلى ثلاثة أنواعٍ أساسية هي: الدينية والمدنية والعسكرية، وتشترك جميعها بعناصر معمارية مشتركة أساسية، وعناصر خاصة بكلٍّ منها، وأغلبها مشتق من عمارة المعابد.

1. العمارة الدينية (المعابد بشكل خاص)

معابد اليمن القديم عددها كبير جداً، وأغلبها كُشف عنها، وهناك معابد ما زالت موجودة، وقد تحدثنا بشيء من التفصيل عن مجموعة منها في الفصل الثاني عشر الخاص بالديانة اليمنية القديمة، ولذلك نذكّر بعمارة المقابر هنا التي تناولنا أنواعها هناك، وأهمها المقابر الغرفية أو التي على شكل حجرة، وهو النمط الشائع، وطول أحد أضلاعها قد يصل 25 قدماً، وسمك حائطها قدمان، وتنقسم في الداخل بواسطة حائط على غرفتين.

العناصر المعمارية للمعابد اليمنية:

انظر (محمد 2001: 51).

2. العمارة الدنيوية (القصور بشكل خاص)

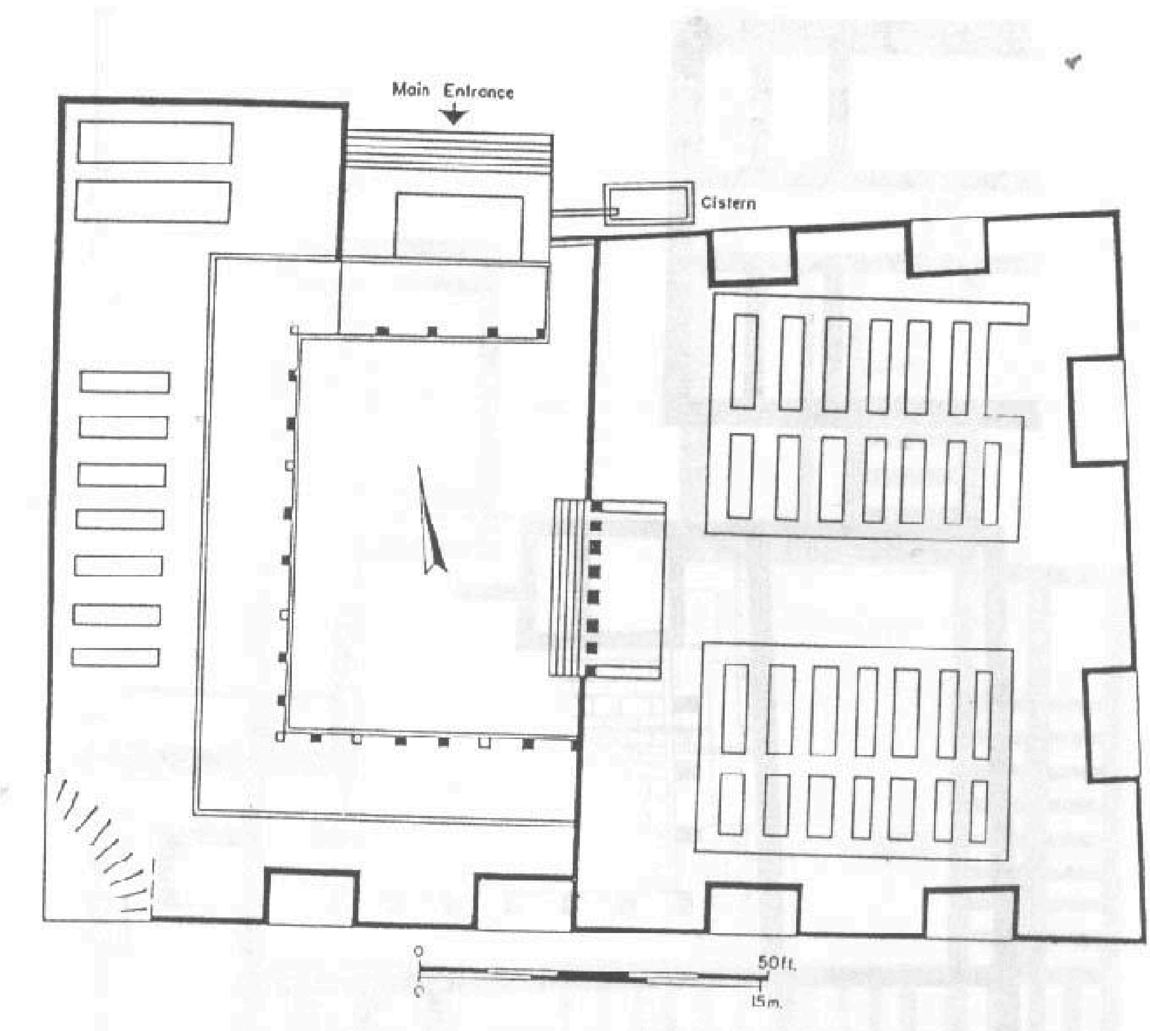
ظهرت الكثير من نماذج العمارة المدنية التي تشمل (السوق، قصبة المدينة أو الشارع الرئيس، الطرق الفرعية والأزقة، الساحات الرئيسة والفرعية، المساحات الخضراء من بساتين وحدائق).

أما الشواهد المدنية الأخرى التي لم تظهر في الآثار واضحةً، على رغم ذكر بعضها في النقوش اليمنية القديمة، فهي: المخازن والخانات «السماسر»، والحانات، وورش النجارة والتعدين، ومعامل النسيج والحياكة، ومعاصر الزيت، وخزانة المال، ودار سك النقود، وثكنات الجند، وغيرها.

القصور اليمنية الكبيرة كثيرة وقد ذكرناها في أكثر من موضع، وهي مختلفة في تصاميمها ومساقطها الأرضية ولايمكن تناولها جميعاً، ولذلك سنشرح بإيجاز أحدها، وهو القصر الملكي (حريب، حرب) في تمنع، الذي بُني في القرن السادس قبل الميلاد، وهناك أجزاء منه بنيت بعد ذلك بقرون.

مسقط القصر: يتكون القصر من قسمين، القسم الشرقي شكله مستطيل (48 × 36 م)، وبني عليه عدة طوابق من الخشب المحشو باللبن النيء، أما القسم الغربي فهو مستطيل الرواق يحيط به فناء مستطيل.

القصر مكوّن من أكثر من طابق يُصعد إليها بالسلم بثلاثة اتجاهات.



تخطيط هندسي لمسقط للقصر الملكي (حريب) بتمنع

(الجرو 1996: 7).

3. العمارة العسكرية (الأسوار بشكل خاص)

شملت العمارة العسكرية الأسوار والحصون والقلاع والمعسكرات، وكانت الأسوار دائرية أو بيضوية أو مستطيلة الشكل، وأغلبها مزود بأبراج للمراقبة، أما أنواع هذه الأسوار فكثيرة منها الأسوار الجزئية والمتعددة والبرجية والمزدوجة، وأغلبها مبني بالحجر الجيري، ولها مداخل مختلفة الاتجاهات، وبعضها لها بوابات محوطة بأبراج.

سور مدينة نقب الحجر (ميفعة):

تقع مدينة ميفعة في وادي ميفعة، وموقعها على طريق القوافل القادمة من ميناء (قنا) على المحيط الهندي، «يحتل سور (نقب الهجر) قمة صخرية نحتت من جهة الشمال بواسطة مجرى الوادي، تهدمت أغلب مبانيه الدفاعية، يبلغ طول السور بشكل عام 710 م2، فهو عبارة عن سلسلة من الأبراج متصلة بعضها مع بعض يبلغ عددها (21) برجاً، يتبع بناء السور التعرجات الصخرية وينقطع بحيث لا يتجاوز المنحدرات الشديدة الانحدار الواقعة في شمال غرب وشمال شرق المدينة في الجهة الغربية حيث النتوءات الصخرية» (الجرو 1996: 18).



سور نقب الهجر (ميفعة) (الجرو 1996: 18)

(Breton et al. 1987: 1 - 20)

القسم الثاني: النحت اليمني

أولاً: الصفات العامة للنحت اليمني القديم:

تعد المنحوتات اليمنية من أبرز الأعمال الفنية، وهي محفوظة ومتوفرة بهيئاتها الكاملة أو شبه الكاملة، بخلاف الهندسة المعمارية التي اندثرت واختفت معالمها، ويمتاز النحت اليمني بما يلي:

1. مصنوع، في الغالب، من الحجر الجيري والمرمر، فضلاً عن البرونز (وأحياناً الذهب والفضة).

2. الأشكال القاعدية مكعبة، الجسم مملوء، وهناك اهتمام وتركيز على الرأس والجزء الأعلى من الجسم.

3. ينحت باقي الجسم بطريقة تخطيطية ومختصرة.

4. الاهتمام بدرجة محدودة بالنسب الواقعية، ولذا تظهر التماثيل بأذنين كبيرتين وأنف طويل ضيق.

5. غلبة المنظور الأمامي، الذي يشبه المنظور النموذجي للفن المصري القديم، حيث يُصَوَّر الرأس والساقين من الجانب، ولكن الجذع من الأمام.

6. في العينين مادة ملونة في ثقوب داخل العين.

7. لا توجد خصائص عامة في ترتيب الذراعين والساقين.

8. شيوع التماثيل الصغيرة والصور والنقوش المرمرية، التي تصور عموماً الناس ونادراً ما تصور الحيوانات أو الوحوش (التنانين والأسود المجنحة برؤوس بشرية).

9. المشهد الشائع هو كرمة تحمل عنباً مع حيوانات أو طيور تقضمها ورَجُل يصوِّب قَوْساً على حيوان (أو أشكال مختلفة منه)، صُوِّرَت مشاهد من الحياة أيضاً في نقوش، مثل الأعياد والمعارك والعروض الموسيقية، فضلاً عن المشاهد الآخروية.

10. النحت الطيني مميز ومبكر، وهو يتناول الخصب والتكاثر في الغالب: «إن الدمى الطينية تمثل آلهة الإخصاب (الإنجاب) أو الآلهة الأم رمزاً للخصوبة، إذ إن أكثر الدمى الموجودة فيها بروز في الصدر دليل على أنها إناث، وتدل على الخصوبة في ذلك الوقت، ومن المحتمل أن تعود هذه الدمى الطينية إلى 555 ق.م» (ألويس 2016: 130).

ثانياً: أنواع النحت

1. النحت المجسّم

بدأ النحت المجسم من الدمى الطينية، ثم ظهر في التماثيل قليلة الملامح، ثم انتظمت أشكاله وتميزت بشخصيتها اليمنية المحلية بدقة، وكانت نزعتها المحافظة دالةً على تميزها الشرقي الذي عمّ الفنون الشرقية وصارت مزية متفردة فيه: «إن النزعة المحافظة ــ خاصة في الأسلوب التصويري للمواد المنحوتة ــ التي تميز بها الفنان اليمني القديم قدمت لنا صورة مميزة للفن اليمني القديم، فالعناصر التي تميز النماذج التصويرية منظمة على وفق قانون أسلوبي دقيق يعتمد على هندسة الحجوم، وتفاوت نسب الوجوه بالنسبة إلى الكتل الجسدية، والأبعاد المحدودة للتماثيل، والاهتمام الأكبر بتفاصيل الوجه وتحديد ملامحه بدقة وإبراز النتوءات المبالغ فيها وخاصة المعالجة العامة للجسم، وقد تدرج الفنان اليمني في أعماله بدءاً بنحت تماثيل الرأس والرقبة وصولاً إلى نحت الجسم كاملاً» (محمد 2001: 82).

تمثلت تماثيل النحت المجسم من حيث الصناعة والفنية والهيئة بالأشكال الآتية:

1. النصب الفنية المجسمة.

2. التماثيل الفنية المجسمة.

3. التماثيل البرونزية.

وهذه بعض نماذجها:

1. نصب نحتي كعمود من مأرب/سبأ، من القرن الخامس ـ الرابع قبل الميلاد، وهو عبارة عن شاهدة عمود مع وجه في مكانه، نُحتت من حجر جيري، طوله 66 سم، وعرضه 19 سم، وعمقه 16 سم، وهو نحت هندسي بدائي بسيط على رغم تميزه.

2. شاهدة رأس رجل سبئي القرن الثاني قبل الميلاد، من الحجر الجيري، طوله 34 سم، وعرضه 16 سم، وعمقه 9 سم، والوجه مميز وينقل الملامح المحلية على رغم بساطة النحت.

3. تمثال من البرونز لامرأة تحمل بخوراً ومشعلاً من الزيت في مأرب، يمثل نموذجاً متفوقاً في النحت اليمني، حيث تقاسيم الجسد والوجه في غاية الإتقان، ويعبر عن حركة جميلة.

4. منحوتة سبئية من البرونز لرجل قائم، نحو القرن السادس قبل الميلاد، الأبعاد: ارتفاع 11.75 بوصة (29.8 سم)، ويجسد مهابة رجلٍ وجيه يرتدي عمامة يمنية، لكن الرداء يبدو إغريقياً أو رومانياً.

تماثيل قرية الفاو:

أظهرت حفريات قرية الفاو (عاصمة مملكة كندة اليمنية) وجود عدد من التماثيل الصغيرة لنساء ورجال منحوتة بأسلوب فني يشبه أسلوب تمنع، مع بعض الاختلاف البسيط بين الأسلوبين الذي يُظهر الفوراق الاجتماعية مع ظهور مؤثرات هلنستية واضحة، ربما كانت هذه الرؤوس تلصق في واجهات البيوت والمعابد، أو توضع في كوات وحيطان الأضرحة المقدسة، أو في أعمدة حجرية.

هناك مجموعة من المجسمات الحجرية والمعدنية كمزيج ثقافي بين اليمن والعرب يمتد منذ القرن الثاني قبل الميلاد، بالنسبة إلى المنحوتات المرمرية، ومنها هذه التماثيل والقدور والسكاكين والإبر وأغماد الخناجر والمفاتيح والأساور، علاوة على المسكوكات التي تُعَدّ من أهم معثورات القرية لأن معظمها قد ضرب فيها، ومعظم المسكوكات التي عُثر عليها كانت من الفضة، وهناك كميات كبيرة من الفخار وبعضه عليه كتابات بالخط المسند، وهو إما فخار خشن أو رقيق أو مزجج، ويعد الفخار الذي عثر عليه علامة بارزة في تاريخ قرية الفاو.

تماثيل النحت أظهرت الوجه المدور بعيون مطعمة ورموش غائرة، وشفاه غليظة، وشعرها مجزأ ذو شقوق تكاد تصل إلى القاعدة في الوسط، ويسقط من تحت الغطاء الدائري في حليقات سميكة.

المادة الخام السائدة في صناعة هذه التماثيل هي المرمر، والتماثيل التي صُنعت بأسلوب فني تخطيطي عادةً تثبت على قواعد منقوشة مع أقدام أو أرجل متباعدة وأيدٍ محنية من المرفقين وتجلس في وضع أمامي، بعضها يمسك بعِصِيّ مصنوعة من مادة مختلفة.

يظهر من قرية الفاو تمثال، من القرن الميلادي الأول، وصفه كما يلي: رأس إنسان من البرونز له شعر كجدائل مكورة، وجهه دائري كبير الحجم وله حاجبان بارزان وعلى شكل نصف هلال، وله عينان بارزتان ودائريتان مع بروز لبؤبؤ العينين، وله أنف طويل مستقيم واضح وفمه صغير الحجم وشفتاه صغيريتان، وذقن دائري بسيط وصغير.



متحف بيرغامون (برلين) تماثيل منها رأس رجل (القرن الأول قبل الميلاد) من البرونز المصبوب، ارتفاع 40 سم، وتمثال لامرأة تحمل على رأسها تمثالاً، وتمثال لهرقل.

تمثال هيكلي لرأس جمل: من القرن الثالث قبل الميلاد، من البرونز مشكّل بخطوط دقيقة تدل على مهارة عالية صنعت أذنين لرأس الجمل باتجاهين، اليمنى عكس اليسرى، ليعطي انطباعاً واقعياً راقياً، وهناك دقة في اتجاه العينين وتفاصيلها.

دمية صُنعت على شكل جمل: من القرن الثالث قبل الميلاد، مصنوع من الصلصال الأحمر وله ملمس خشن بسيط، ورأس الجمل صمم بشكل صغير الحجم بعينين دائريتين، وأذنين صغيرتين والرقبة إلى الأعلى، وسنام الجمل على هيئة القوس، وبطنه نحيف وله ذيل قصير والرقبة عليها ثلاث دوائر تشبه الطوق وبها ثقوب حفرت على التوالي وعلى جسم الجمل أربعة خطوط متوازية مزخرفة وبينها ثقوب دائرية.

ويوجد الرأس البرونزي لرجل عثر عليه في غيمان جنوب شرق صنعاء، من الأعمال الاستثنائية وهي دليل على مهارة النحت المجسّم وهو واحد من عدد من القطع البرونزية الأخرى، قَدَّم الإمام يحيى، الذي توفي عام 1948، هذا الرأس هديةً إلى الملك جورج السادس (1895 ـ 1952) بمناسبة تتويجه في 11 ديسمبر 1936، وهو حدث احتُفِلَ به مع عبق نيران البُخور على شاطئ المكلا شرق عدن.

تماثيل تمنع في بيحان:

تماثيل الرؤوس الآدمية النسائية والرجالية، من حفريات مدينة تمنع في بيحان، المنحوتة، في الغالب، على أحجار الجرانيت والمرمر، ذات منظورٍ أماميّ، بالعيون المجوفة

والحواجب المحزوزة والمطعمة بألوان مصنوعة من المساحيق، والمطعمة بالأحجار والمعادن الملونة، الأنف طويل ناتئ، مستطيل أو مربع، يظهر كأنه يلتصق قَسْراً بالوجه، والفم صغير ومكتنز، والشعر منحوت ككتلة مهملة.



أحد تماثيل تمنع في بيحان مصور من ثلاثة جوانب

دكتور عبده عثمان غالب

التماثيل النسوية:

1. تمثال سبئي من المرمر الكلسي لشخصية أنثى واقفة، محفوظ في المتحف البريطاني، لامرأة ترتدي ثوباً بطول ربلة الساق، وترتدي صندلاً بنعل ثقيل.

2. تمثال السيدة السبئية من الضالع، القرن الأول قبل الميلاد، من الحجر الجيري.

3. تمثال من المرمر الكلسي لامرأة ترتدي قلادة، بطريقة دقيقة لعقد مع دلايات مثلثة، العيون مطعمة مفقودة والأذرع الممدودة مكسورة والجسم منمنم على شكل أسطواني

بسيط، وتمثال آخر به ثقوب على جانبي العنق وقد كانت تدعم عقداً في الأصل، عُثِرَ في تمنع على قلادة ذهبية منقوشة في مكان قريب ولكن لا يمكن إثبات أن هذه القطعة الرائعة كانت تُزَيِّن التمثال في الأصل.

4. تمثال برونزي جالس لكاهنة من تمنع، وهو تقدمة نذرية للسيدة بارات، كاهنة الإلهة الأم، المتحف الوطني في عدن، وقاعدته من الحجر الجيري بطول 52 سم.

التماثيل الرجالية:

1. تمثال برونزي سبئي مع نقشٍ مُهْدَى من قبل (هليكي أمار) للإله إلمقه، وهو يعود إلى القرن السابع/السادس قبل الميلاد.

ارتفاع 47 سم، عرض 21 سم، الأصل: مأرب (مملكة سبأ، اليمن)، معبد أوام بإلمقه.

صنعاء، المتحف.Inv. لا. YM 263

2.رأس رجل سبئي مُلْتَحٍ/ح 3/2 ق القرن الثالث/الثاني قبل الميلاد، عليه نقش، مصنوع من المرمر ارتفاع 30 سم عرض 12 سم العمق 12 سم، الأصل: خولان.

(صنعاء ، المتحف الوطني YM 9054).

3. تمثال سبئي صغير وصدر القرن الأول قبل الميلاد:

تمثال صغير وثدي امرأة، حجر جيري، طوله 16 سم، وُجد في الضالع مقبرة شوكة (اليمن)، متحف الضالع، الجرد. لا. KH 284. عدن، المتحف،

4. الوجه الحجري المستطيل: مصنوع من الألباستر اليمني، القرن الأول قبل الميلاد ـ القرن الأول الميلادي على شكل وجه مستطيل، مع ملامح الوجه المنحوتة البارزة أسفل جبهة مرتفعة بارزة، مُدمجة في جسر الأنف الطويل المثلث، الفم صغير ذو شفتين مملوءتين، الجزء العلوي والجانب والجزء الخلفي من الرأس محفور، تقريباً 19½ بوصة (49.5 سم) ارتفاع.

5. وجه عمود الحجر الجيري: نحو القرن الثاني قبل الميلاد ـ القرن الثاني الميلادي مستطيل الشكل، منحوت في الطرف العلوي برأس رجل ملتحٍ بشكل بارز، لحيته وشعره مجعدان على حد سواء، مع جبين حاد وأنف مثلثي طويل وشفتين رفيعتين ومغلقتين، وعيناه واسعتان عميقتان، النقش يحدد هوية المتوفى، ارتفاعه 32.4 سم.

6. رأس منحوت من الحجر الجيري، نحو 300 ق.م، الرأس بارز وملامح الوجه قوية.

2. الأنصاب والنحت البارز

يشكّل هذا النوع من النحت علامة فارقة في الفن التشكيلي القديم، فهو نحت مميز وله خصوصية نادرة، وقد جاء الكثير منه على شواهد القبور واللوحات الجنائزية، وجسّد، بطريقة بارعة، تلك الوجه التي كانت تحملُ سمات تعبيرية واضحة من خوفٍ ووجومٍ وحيرة وغيرها، وهو كما يلي:

أ. الوجوه الحجرية المستطيلة:

وهو نمط نحت فيه العرب وساد في جزيرة العرب، ونحت فيه الأنباط شواهدهم، لكن اليمن كانت هي الأقدم في ابتكار هذا النمط المميز من النحت الهندسي الذي يدل على نزعة جمالية فطرية.

ب. الأعمدة الحجرية المنحوتة (اللوحات الجنائزية):

النموذج الأول: الموجود في الصورة اليمين أدناه، شاهدة قبر بارتفاع عالٍ، رسم تخطيطي للوجه مع حواجب مقوسة ومسيطرة، وجوف عين طبيعي، وأذنان نصفَ دائريتين (تُدمج الفصوص في جانب الوجه). مرة أخرى، أدناه، اسم ثواب ـ إل مكون من 5 أحرف، وهو اسم معروف جداً في اليمن القديم من الأسماء اليمنية، خاصة في سبأ وقتبان، من المحتمل أن تتناسب أشكال الحروف هذه مع القرن الثالث قبل الميلاد، هذه من مقبرة تمنع في قتبان، تُعَدّ هذه اللوحة الجنائزية الحجرية الرائعة الخاصة به مثالاً مذهلاً على تطور الفن السبئي، وفيما يلي نسخة من التحليل قدمها البروفيسور كيتشن (جامعة ليفربول): أُدخِلَ «غطاء الرأس» هذا في الأصل في تجويف مستطيل مطابق، مقطوع إلى لوحة طويلة (مثل عمود ضيق رباعي الزوايا)، لتشكيل شاهدة القبر فضلاً عن صورة «رسمية». للحصول على أمثلة سليمة، راجع سانت جون سيمبسون (محرر)، «ملكة سبأ، كنوز من اليمن القديم» (لندن، المتحف البريطاني، 2002).

النموذج الثاني : الموجود في الصورة اليسار أدناه ، عمود من الحجر الجيري القرن الثالث قبل الميلاد ـ القرن الأول بعد الميلاد مستطيل الشكل، منحوت بنقش بارز برأس ذكر ذي فم مستطيل ضيق مع شفاه مدببة، وعينين على شكل لوزتين غائرتين للتطعيم، مفقودة، وأنف مسطح طويل وأذنان بارزتان، وكتابة من ستة أحرف تُعرّف المالك بصبغة حمراء، ارتفاعها (37.8 سم).

وهناك دعامة من الحجر الجيري اليمني لشخص متَوفّى اسمه معرف بثلاثة حروف مسندية باسم (عبدو) في أواخر القرن الأول قبل الميلاد ـ القرن الأول الميلادي، مستطيل الشكل، منحوت على الطرف العلوي للوجه مع رأس رجل مرتاح، ومربع شعره قصير على جبهته، مع وجنتين مائلتين وفك مربع، محوط بلحيته المنتفخة، بفم مستقيم رقيق،

ووجنتين مرتفعتين قليلاً، وأنف طويل مستقيم الزاوية، وعيناه اللوزيتان مرفوعتان، وبؤبؤا العينين مرصعان بالحجر الأدكن، والأذنان مكونتان من أنصاف دوائر متحدة المركز، ونقش من ثلاثة أحرف، مع الحفاظ على بعض الصبغة الحمراء عليها، 13 بوصة (35.2 سم) ارتفاع.

القسم الثالث: الرسم (التصوير) اليمني

أولاً: فن الصخور في اليمن القديم

الفن الصخري علامات وخربشات ورسوم صنعها الإنسان على سطوحِ الحجر الطبيعية، بعضها من الفن الصخري التاريخي وبعضها من ما قبل التاريخ في الكهوف أو الملاجئ الصخرية المغلقة جزئياً، يختلف فن الصخور عن فن الكهوف أو الفن الجداري في أن أغلب فن الصخور يخلو من الألوان، فيما يزدهر فن الكهوف بالألوان، والفن الصخري منتشر في كل العالم، لكن فن الكهوف يقتصر على أماكن محددة أغلبها في جنوب أوربا وبعض إفريقيا، تقنيته الرئيسة هي النقوش الصخرية المنحوتة أو المخدوشة في سطح الصخور، والنقوش الصخرية المنحوتة والأشكال الجيوغليفية على الأرض أقدم فن صخري معروف يعود إلى العصر الحجري القديم الأعلى، في أوروبا وأستراليا وآسيا وإفريقيا، يرجّح أن تكون وظيفة الفن الصخري سحرية دينية.

يعد فن الصخور في اليمن القديم من الفنون المميزة التي تعكس البيئة الطبيعية والحيّة في أزمان ما قبل التاريخ والعصور البرونزية، ثم «إن ظهور أنواع منقرضة من الحيوانات في فن الرسم الصخري ساهم في تعرُّف أن هذا الفن يعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وهكذا فإن وجود حيوانات الرنة والفيلة المنقرضة أو السنوريات الكبرى في أوروبا كان قد دلل على مناخ وبيئة مختلفين، لا ينتميان إلى الحقبة التاريخية، وينطبق الشيء نفسه بالنسبة إلى اليمن، حيث تدل رسوم الحيوانات المنقرضة كالجاموس والثور الوحشي والسنوريات الكبرى والأسد والنمر أو الفهد على وجود استيطان قديم في مناخ مختلف عن المناخ الحالي، وإن استعمال غشاء العَتَق وإتلاف الجدران ظل تدبيراً مرغوباً فيه كثيراً، ويجب ألا يستعمل بصفته عنصراً وحيداً في عملية التأريخ، غير أنه يمكنه أن يكمل الملاحظات الأخرى، وهناك أنواع مختلفة من غشاء العتق المعروفة، وإن الرسوم الحديثة لها غشاء عَتَق فاتح أكثر من لون الصخرة نفسها، لكن لا يوجد نظام تأريخ مطلق لأغشية العَتَق» (رشاد وإنيزان 2007: 99 ـ 112).

(رشاد وإنيزان 2007: 99 ـ 112).

https://books.openedition.org/cefas/1711

ثانياً: رسومات الأعمدة والتيجان

يحمل الإله إلمقه في النقوش السبئية صفة «إله وعول صرواح»، وكان الإله تألب إله وعل، وفقاً لاسمه الذي يعني «وعلاً»، وفي منطقة ريام كان الوعل وصيده المقنن مكرساً له، ولمّا كان الإله نفسه هو حامي الماشية الصغيرة المستأنسة في المنطقة نفسها، فهناك علاقة رمزية وسحرية على ما يبدو بين حالة الصيد وحالة الماشية الصغيرة، ولذلك يمكننا أن ندرك بأن نجاح صيد الوعل يشكل نوعاً من التنبؤ بازدهار القطعان، يظهر رسمه على تاج عمود من حصن العر (Urr‘ ـ al) بمنطقة حضرموت والمودع في متحف عدن والذي يوضح على إحدى واجهاته مشهداً مع وعول.



رسم من (حصن العر) على تاج عمود، متحف عدن

رسومات ونقوش الأعمدة اليمنية: كان الدور الرمزي للوعل ظاهراً في الكثير من النقوش التصويرية للأعمدة.

1. لوحة الوعول القافزة: في معبد في منطقة الجوف، الواقع على بعد خمسة عشر كيلو متراً من الحزم، في موقع «السوداء» (نشان القديمة)، ويتكون الرسم من قسمين متناظرين يفصل بينهما فاصل، وفي كل قسم نجد ما يلي:

أ. الوعول كزخرفة في الحاشية: ظهرت في الأعمدة كأفاريز متعاقبة عمودياً بينها رسوم زخرفية للنعامات.

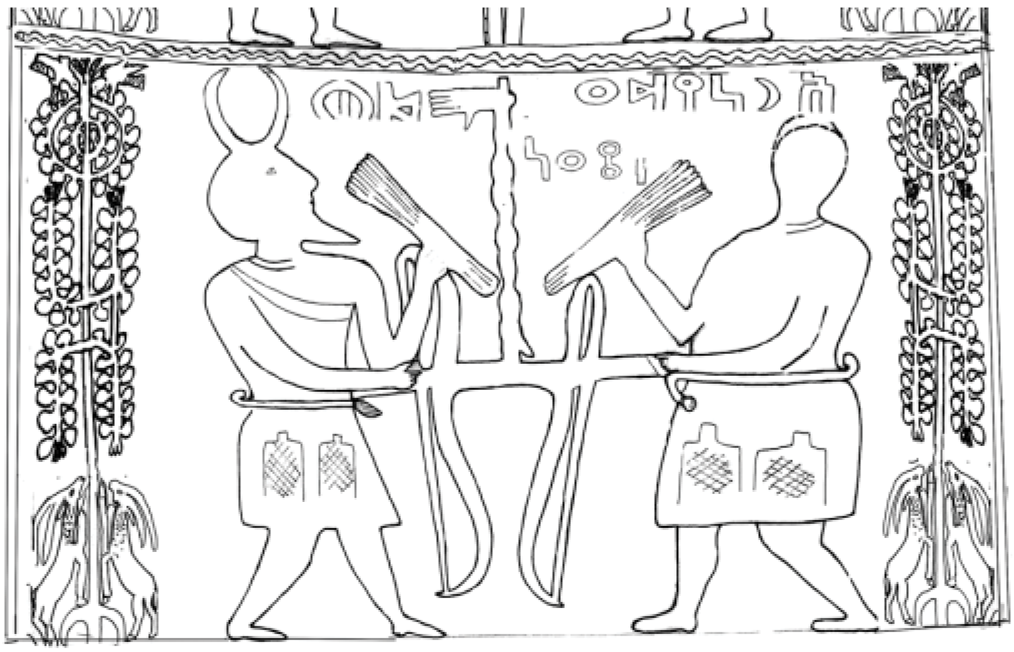
ب. زخارف نباتية تحتها وعلان قافزان على ساق نباتي، وتحتهما نقش لكفٍّ أو كفّين، كمشاهد شعائرية مصحوبة بنقوش أسماء آلهة مرتبطة بالحيوانات.



زخارف حيوانية هامشية، ووعلان واقفان على الأرجل الأخيرة موضوعان على جانبي الأشجار

https://books.openedition.org/cefas/1714

2. لوحة الشخصين المتقابلين: وهي لوحة معبرة تتكون من هامشين زخرفيين ومركز، في كلٍّ من الهامشين توجد زخارف نباتية في الأعلى يتطلع إليها وعلان قافزان حول ساقٍ، أما في الوسط فيظهر شكلان يمسكان بشيء غامض، ويرتبطان بما يشبه الحبل كأنهما يمسكان قوسين متناظرين، الشخص الذي على يسار اللوحة يلبس قناعاً بقرنٍ أو قرنين على رأسه، كأن اللوحة هي لوحة صيد للوعول.



لوحة الشخصين المتقابلين

https://books.openedition.org/cefas/1714

3. لوحة الفلاح والراعي: تجمع هذه الوحة الفلاح والراعي في تناظر جميل، إذ تحيط اللوحة بهما من الأعلى والأسفل بزخرفة هندسية عبارة عن مثلثات صغيرة متقاربة، وتحيط بجهات اللوحة الداخلية زخرفة نباتية مدهشة في تكوينها.

أ. الفلاح: يظهر يمين اللوحة بغطاء رأسٍ وبذؤابة جانبية (ربما كانت لحية مدببة!)، وأمام وجهه كتابة مسندية هي (ذ ب ع ل)، أي بعل المرتبط بالزراعة والمطر، ويمسك بيده آنية فيها سنبلة، وهو جالس على مسند صغير، وثوبه طويل ومزخرف بشكل نصف آدمي مكرر.

ب. الراعي: يظهر يسار اللوحة بغطاء رأسٍ وبذؤابة جانبية (ربما كانت لحية مدببة)، وأمام وجهه كتابة مسندية هي (م ب ع د ي) نجهل معناها، ويمسك بيده وعلين صغيرين، وهو

جالس على مسند صغير، وثوبه طويل ومزخرف بشكل نصف آدمي مكرر.

وبين الشخصين مائدة نذرية، وربما أشارت اللوحة إلى موضوع التنافس بين الفلاح والراعي الذي ظهر كثيراً في أدبيات الشرق الأدنى، وخصوصاً السامية منها.



لوحة الفلاح والراعي

https://books.openedition.org/cefas/1714

ثالثاً: الرسم النحتي في مِسَلات الصور

مسلات الصور في اليمن القديم عبارة عن رسومات متوالية ذات طابع سردي تستخدم النحت في الرسم.

1. مسلة الصراع بين الرجل والثور:

تسمى آثاريّاً CIH 705.

مجموعة من الآثار الجنائزية السبئية، تتميز بمحتوًى سردي، مع مواضيع متكررة التمثيلات الفريدة، يعود تاريخها إلى القرن الثالث الميلادي تقريباً، تضم أربعة أفاريز تصويرية، يمثل

جوهر هذا السرد صراعاً بين الرجل والثور، وهو موضوع له معنًى رمزي ومَجَازي قوي يُعَبَّر عنه بعناصر محلية.

اللوحة مستطيلة ذات نقش خفيف تصَوِّر مشهداً سردياً معقداً في أربعة أفاريز، تبدأ قصتها من الأسفل:

1. الإفريز الرابع (الأسفل): رجل يركب حصاناً ويرتدي سروالاً وغطاء رأس، وإلى اليمين يوجد خادم.

2. الإفريز الثالث: يظهر الرجل وهو يصارع ثوراً، ويرتدي تنورة بثنيات ودون غطاء للرأس، ويمسك بقرني الثور، أمامه وخلفه خادمان مسلحان، الذي على اليمين يرفع فوق رأسه سلاحاً معقوفاً، الأيسر يرفع السكين بيده اليمنى.

3. الإفريز الثاني: يركب البطل وخادمه جملاً (كلاهما يرتديان البنطال)، يحملان جسد الثور الذي اصطاده الفارس، المحتمل أنه يتكون من جلد الحيوان (يمكن رؤية ذيل الثور بشكل جيد وهو يتدلى من جناح الجمل).

عادة ما يُفسَّر على أنه جلد مائي، معلق على الجانب الخلفي للجمل (4)، الإفريز الأول (الأعلى): كتابة مسندية تحتها رجل يمسك العصا أو الرمح يسير وخلفه خادمه الذي يمسك العصا، كلاهما يحمل عصاً (أو رمحاً) في يده اليمنى، يرتدي الرجل غطاء رأس يشبه التاج، وثوباً طويلاً مع ثنيات وجلد الثور كعباءة، الجلد مزين بسلسلة من الأشرطة المزخرفة المتراكبة، كما في السجل السابق.

وبذلك تكون القصة قد اتضحت، فالرسم يمثل حكاية صيد ثور، حيث يذهب الفارس على حصانه ومعه خادمه لصيد الثور، فيصارع الثور ويصرعه ثم يحمله على جملٍ ويعود به إلى مكانه يتبعه الخادم.

2. مسلة النقش الرسمي الثاني للسيدة غليلات مع خادمتيها في منظر جنائزي.

(Lombardi 2021: 227 - 237).

الرسوم النقشية على الحجر الجيري:

مجموعة من صخور الحجر الجيري من عمران، أطلق عليها اسم (النقش خمر يشيع 15)، احتوت على رسومات آدمية وحيوانية وكتابات ونقوش، درسها وحلّلها الباحث معمر الشرجبي بإيجاز كما يلي:

1. الجزء الأعلى رسوم آدمية لشخصين يرتديان مئزرين ويفردان يديهما، يُعَدّ هذا النوع من الفن التصويري من مميزات النقوش التي استخدمت كشواهد قبور، وغالباً تحدد هوية مهن أصحابها إن كانوا فلاحين أو تجاراً أو صيادين أو غيرهم.

2. الجزء الأوسط النقش: للأسف إن الخدوش أضاعت علينا مطلع النقش وبعض الحروف الأخرى، فما يظهر منه مكتوب فيه: .... م ر/ب ن ي/.. ش ب، يمكن أن نفهم من النقش أنه يعود إلى الشخصين أعلاه، وذلك لأن لفظ بُني بالمثنى طبعاً، والاسم الأول مفقود، والثاني قد يكون أب أمر أو ذمر أو غير ذلك، وبالتالي يمكن القول إن النقش يتحدث عن... أبناء شبم، وفي اليمين يظهر كلب صيد وفي اليسار حيوان الوعل.

3. الجزء الأسفل رسوم حيوانية: وفي هذا إشارة مؤكدة إلى أن الشخصين صيادان.



النقش خمر يشيع 15 ـ قطعة أثرية من الحجر الجيري

وهناك شواهد قبور بالشكل نفسه يظهر فيها الشخص (الصياد) وكلب الصيد في أثناء الهجوم على الحيوانات التي تكون غالباً الوعل، كالصورة المرفقة رقم 3 التي تظهر المشهد نفسه.

مثل هذه النقوش تحمل إشارات ودلائل واضحة إلى أن اليمنيين القدماء استطاعوا تدريب الكلاب لتصبح كلاب صيد مدربة، مع العلم بأن هذا الموضوع مذكور في بعض النقوش مثل النقش الآتي:

رابعاً: اللوحات الجدارية

اللوحة الجدارية الجصّية في قرية الفاو/كندة، رسمت بخلفية صفراء عليها زخارف مختلفة يظهر عليها صورة شاب جاحظ العينين وله شارب طويل بخطوط دقيقة ويحمل على رأسه إكليل ورد، ورسم فوق رأس الرجل غصن شجرة معلق على الغصن عنقود عنب، وعلى الجهة اليسرى للرجل صورة رجل بوجه دائري بسيط ويلبس رداءً بخطوط وطيّات متباعدة، وفوق رأسه رسم لمجموعة أوراق شجر العنب وبجانبه خط عريض باللون الأحمر، عليه حروف بالخط المسند وتعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد.



جزء من لوحة جدارية في قرية الفاو عليها رأس رجل ونقش قديم في اليمن القديم، على الأرجح مشهد مأدبة (القرن الأول/الثاني الميلادي)

ويوجد الرسم الجداري لامرأة في القصر الملكي في شبوة ويمتاز بغطاء الرأس المميز والملابس المخططة.

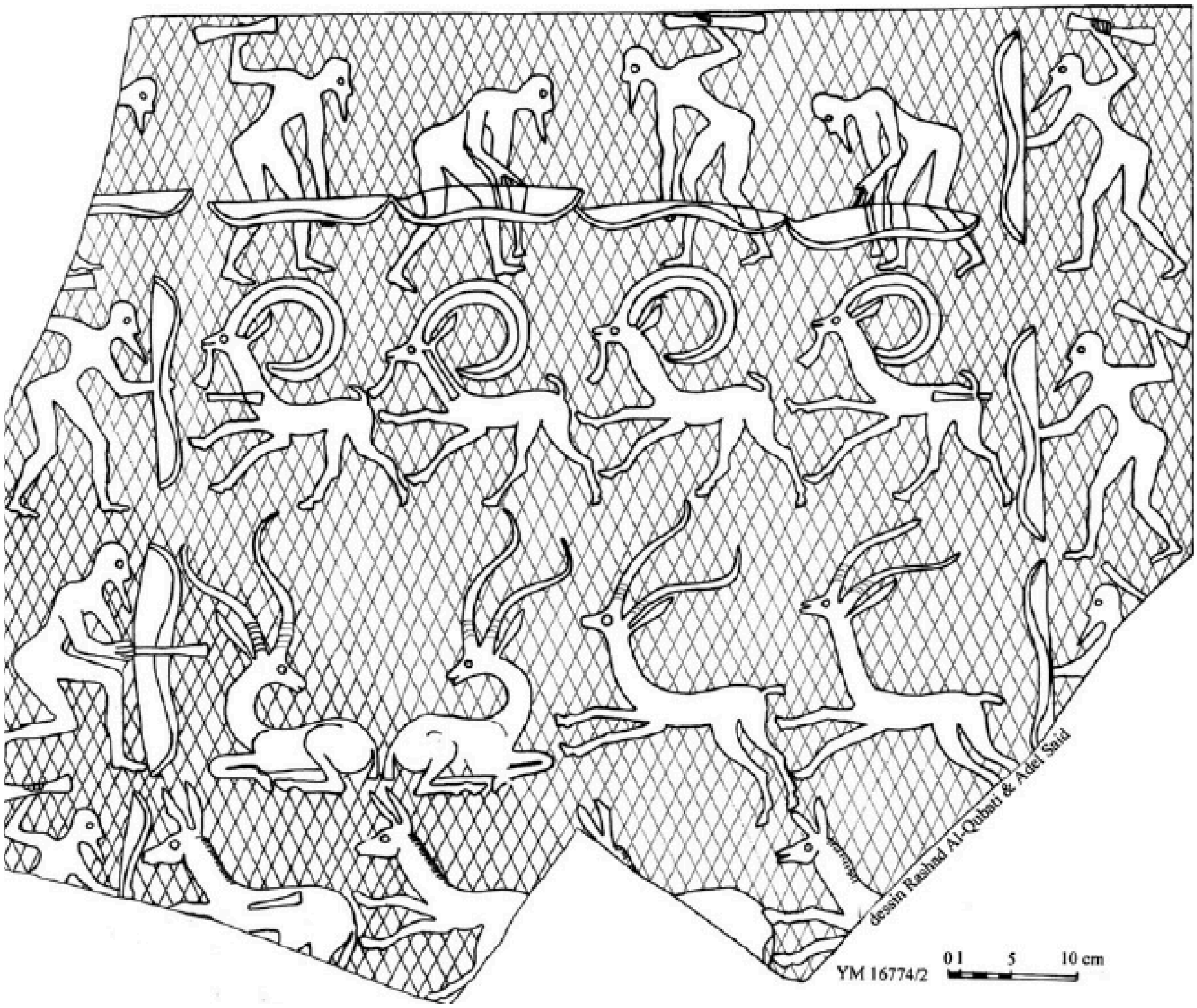


رسم جداري، امرأة، جص، ارتفاع 50 سم

القصر الملكي ـ شبوة، نحو القرن الثالث، متحف عتق

After: Breton 1992, Fig. 7

(باعليان 2007: 273)



مشهد صيد منقوش من معبد بنات عاد، الجوف، اليمن

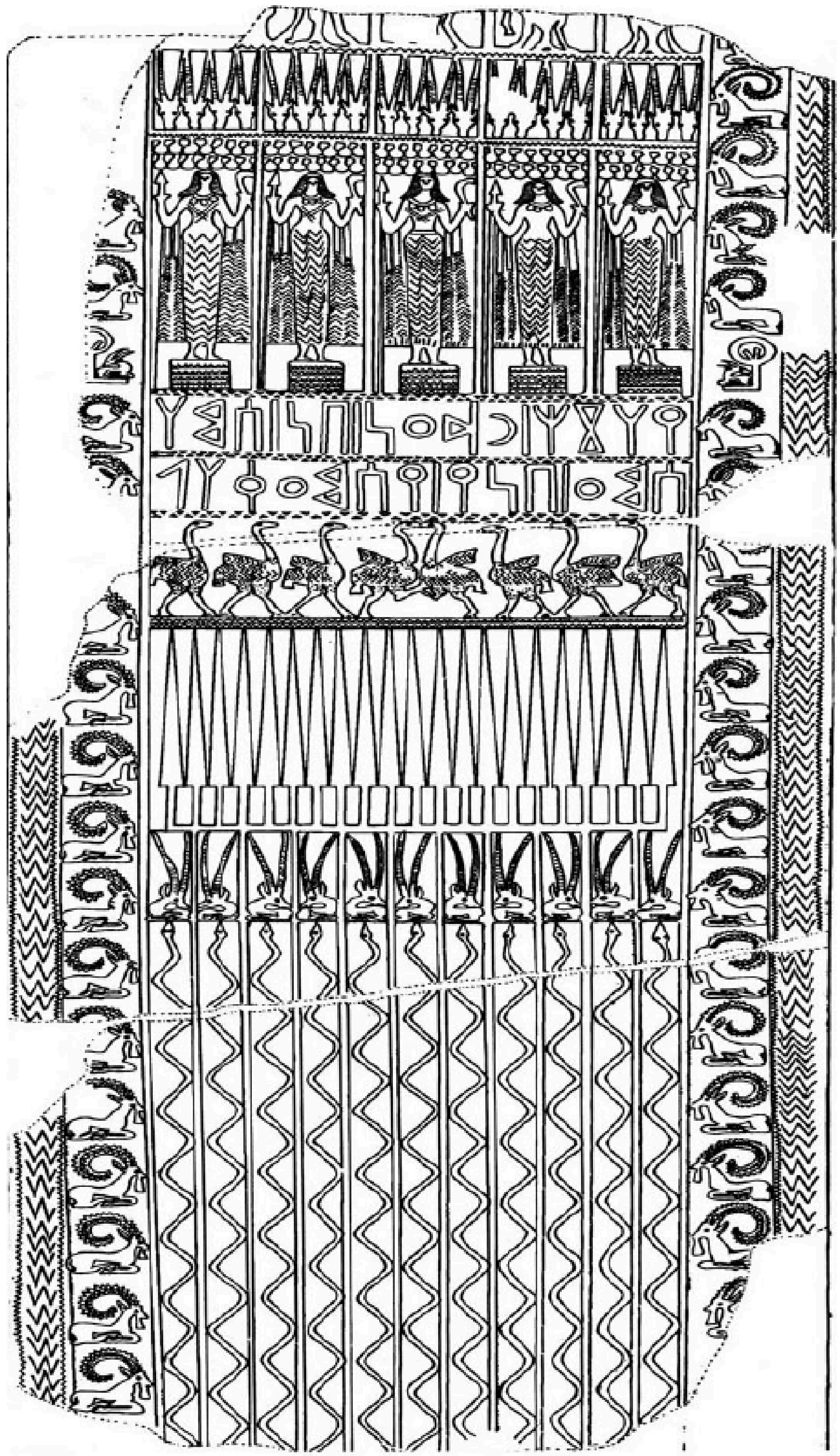
(YM 16774متحف صنعاء الوطني)

(Maraqten 2015: 211)



رسم لصيد الأسد ـ مشهد صيد من أميمة بمنطقة دهام اليمن (رسم محمد مرقطن)

(Maraqten 2015: 218)



Drawing: Rashad al-Qubati & Adel Saeed

0 10 20 cm

(Maraqten 2015: 212)

القسم الرابع: الفنون الصغرى (التطبيقية)

برع اليمنيون القدماء في تزيين أدواتهم بالأشكال والرسوم والزخارف كنوعٍ من الفنون التطبيقية، فقد «زين اليمنيون القدماء الأدوات التي كانوا يستخدمونها للتقرب من الآلهة مثل المباخر والمجامر والمحارق والمذابح وزخرفوها بصور حيوانات حفرت عليها، أو نحتت كرموز لها علاقة بالعبادة والآلهة، وقد عُثر على نماذج مختلفة منها في مختلف المعابد، وهناك مباخر متنوعة بديعة الصنع عُثِرَ على أعداد كبيرة بأشكالها المتنوعة منها المربع والدائري، وتعد المذابح المربعة ذات المباني من الطراز المألوف استخدامه في منطقة جنوب الجزيرة العربية، بلاد البهارات، فهي عبارة عن كتلة من الحجارة ـ لها أربعة أرجل بدائية نحتت على شكل قمع من سطحها العلوي ـ وتحمل على جوانبها نقشاً أو زخرفة أو تحمل اسم نوع البخور الذي كان يُحرق فيها» (محمد 2001: 90).

وعلى الرغم من أن الحفريات أظهرت الكثير من هذه الفنون في مناطق مختلفة من آثار اليمن، ولكن هناك أماكن محددة أظهرت كنوزاً مهمة منها، فعلى سبيل المثال «تتميز حفريات وادي ضراء (1985) بأنها قدمت ولأول مرة مجموعة غنية ومنفردة في نوعيتها من القطعة الأثرية إلى درجة أنها غطت الكثير مما نقص في الحفريات والمكتشفات السابقة، بحيث أسفرت نتائج أعمالها عن اكتشاف مجموعة من المواد الجنائزية من أدوات معدنية وفخارية مزخرفة، فالأواني القيمة من المعادن والزجاج والعاج والمعادن الفضية والبرونزية والنحاسية تمتاز بدقة صناعتها ومستواها الرفيع، فمثلا الإناء ذو الأشرطة الذهبية والفضية المزين برسوم حيوانات وأغصان تعكس الصناعة الدقيقة والمهارة الفنية الفائقة في تشكيلها واجهة العنقاء (الطير)، وهي مصنوعة بدقة وجمال لا متناهيين، وخاصة القطع المعدنية» (ألويس 2016: 132).

يمكننا أن نرصد بعض الأدوات التي يظهر فيها الفن التطبيقي واضحاً:

1. منحوتات حيوانية للزينة:

الطرف الذهبي على شكل رأس ثور: كان الذهب يُستخرج من اليمن في العصور القديمة، وظهر صاغة محليون بارعون ماهرون، وهناك أدلة على عمل الأحجار الكريمة وشبه الكريمة كالخرز والترصيع، فرأس هذا الثور الذهبي مصنوع من صفائح رفيعة مرفوعة بمجموعات من ست حبيبات مطبقة لتمثيل الأذنين وسبع حبيبات للكمامة وخصلات مطبقة على طول الجزء العلوي من الرأس، الفم أجوف، وتكون أحجار العين من العقيق المخطط الدائري مع طبقة سفلية رمادية شاحبة وبؤبؤ عين بنّي غامق، وُضِعَت بشكل منفصل في الصفائح المعدنية، تبقى أذن من الذهبِ المطوي خلف القرن الأيمن.

كان هناك رأس ثور ذهبي مشابه لهذا النموذج جداً في مجموعة من القطع التي عثر عليها في منطقة وادي مرخا.

وهناك جزء من لوح من المرمر يعود إلى الفترة ما بين القرن الأول ق.م والقرن الميلادي الأول، يحمل اللوح زخرفة حيوانية بالنحت البارز لحيوان الوعل وهو في وضعٍ جانبي من جعار محافظة أبين، محفوظ في متحف أبين.

2. المسلأت الجنائزية: هناك الكثير من المسلات الجنائزية في القرن الأول الميلادي، وهذه مجموعة أمثلة منها:

أ. السيدة العازفة: تقدم لنا هذه اللوحة الجنائزية تصويراً نادراً للحياة اليومية، ويُظهر المشهد سيدة ترتدي فستاناً طويلاً تعزف على آلة القيثارة وتجلس على كرسي بظهر مستقيم وقدماها ترتكزان على كرسي مطابق، يحيط بهذا الشكل فتاتان أو امرأتان، إحداهما تحمل طبلة، في السجل السفلي امرأة مستلقية على أريكة أنيقة بجانبها عاملة.

ب. السيدة رافعة اليد اليمنى: هذه اللوحة هي على الأرجح في الأصل من مقبرة تمناع في حيد بن عقيل، هي بمثابة إهداء لامرأة معينة إلى إلهة في ذلك الزمن، التمثال سبئي من القرن الثاني للميلاد.

3. المباخر: اكتسبت ممالك اليمن ثروة وقوة كبيرة من خلال سيطرتها على تجارة البخور بين شبه الجزيرة العربية وأراضي ساحل البحر الأبيض المتوسط، كان اللبان والمرّ وراتنجات الصمغ الأصلية في جنوب شبه الجزيرة العربية تحظى بتقدير كبير في العالم القديم لتحضير البخور والعطور ومستحضرات التجميل والأدوية، وكذلك لاستخدامها في الاحتفالات الدينية والجنائزية، تنعكس أهمية البخور في الدين اليمني ولذا كانت صناعة فن المباخر في اليمن القديم من أرقى ما وصلت إليه الشعوب في تلك الأزمان.

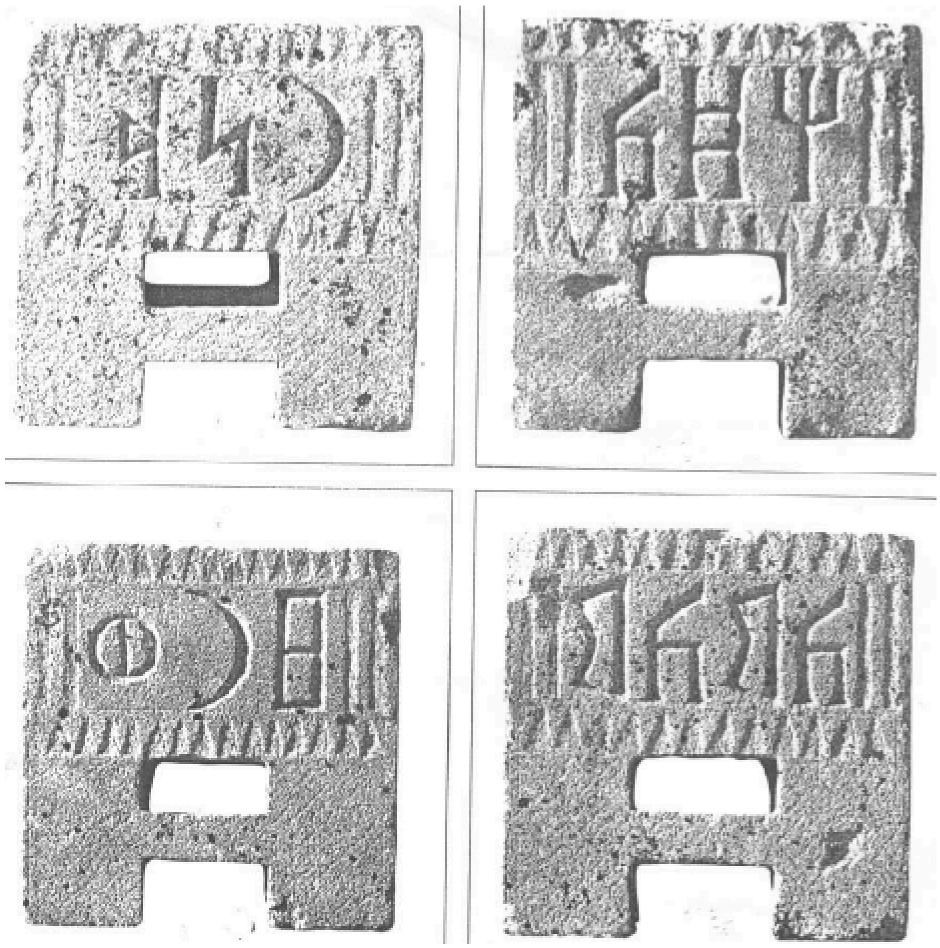
أ. المباخر التي تحمل نقوشاً وكتابات: من الفترة الهلنستية فصاعداً، أصبحت هذه الراتنجات وتجارتها المربحة رائجة في عالم البحر الأبيض المتوسط، ويمكن دراسة تاريخ تجارة اللبان من خلال المباخر المستخدمة، وربما كان أقدمها المبخرة المربعة الشكل، ومن نماذجها المبخرة الصغيرة على شكل مكعب الحجر الجيري المنحوت، وعاء مربع ومدعوم بأربعة أرجل قصيرة، كل منها بمقطع مربع يبلغ عرضه 3.3 سم، مع نقالات مقلدة منحوتة بين كل منها، ونقش مسندي على كل جانب من الجوانب الأربعة، مؤطر من الأعلى والأسفل بصفوف أفقية من أسنان الكلب، الأرجل والنقالات وأعلى الحَافَة مزينة بنقوش متقاطعة بشكل منتظم وخفيف ومكتمل، وأُبرِزَ الكائن أصلاً بصبغة حمراء، وتبقى آثار واسعة (بالية) على قيد الحياة، خاصةً على الجانب السفلي.

ب. المباخر التي رسم عليها الهلال والقرص: الهلال والقرص يرمزان إلى القمر كبدر وهلال، أو إلى الشمس والقمر، «هذه الرموز الدينية غالباً ما تمثل رأس ثور يبرز من بين قرنيه دائرة تمثل الشمس، وهذا الرمز المتَّفق عليه أنه للإله إلمقه، ونجد أن هذين الرمزين يختلفان في بعض المباخر، إذ يظهر لنا الهلال ملتصقاً بقاعدة، وربما كانت ترمز إلى رأس ثور من الخلف، يظهر قرناه ويعلو القرص، والأشكال الكروية داخل قرون الحيوانات، التي يظن أنها ترمز إلى القمر (المعبود الأب في الثالوث الكوكبي)، ومن المباخر التي قُدِّمت إلى الإله إلمقه والتي رُسِمَ عليها صورتا الهلال وقرص الشمس ولا سيما على جوانبه وهناك عدد كبير من التصاميم الفنية المختلفة للمباخر اليمنية، مثل المبخرة البرونزية من منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد تتكون من كأس أسطواني مثبت على قاعدة مخروطية الشكل، شكلها مستطيل يوحي بأنها واجهة تمتد إلى أعلى من مقدمة الكأس، وجهها مزخرف بثعبانَيْن يحيطان بقرص دائري داخل هلال، وكلها بارزة، ومصبوبٌ بشكل منفصل وَعْل يقف على قاعدة مشاريع من مقدمة المبخرة ويمكن أن يكون بمثابة مقبض، تشكل الوعول والثعابين رموزاً إلى الفحولة والخصوبة، وكثيراً ما ترتبط بالآلهة المحلية، وبالمثل، ربما يمثل رمز القرص والهلال إله القمر، ومن المحتمل أن تكون واجهة المبنى المصورة هنا هي واجهة معبد» (عبد الله، محمد أسوان، البخور والمباخر في العربية الجنوبية من خلال المعطيات الأثرية والتاريخية 4، موقع آفاق التاريخ 16/04/2020).(11)



مذبح بخور (م ف ح م)، وعلى واجهته الأمامية نص إهداء إلى الإله ذي سماوي

ج. المباخر المزخرفة: وهي المباخر التي تزينت برموز ورسومٍ زخرفية، وبعضها تحمل زخارف معمارية رائعة مرسومة بأكاليل وزهور وأشجار النخيل والأشجار والنباتات الأخرى.

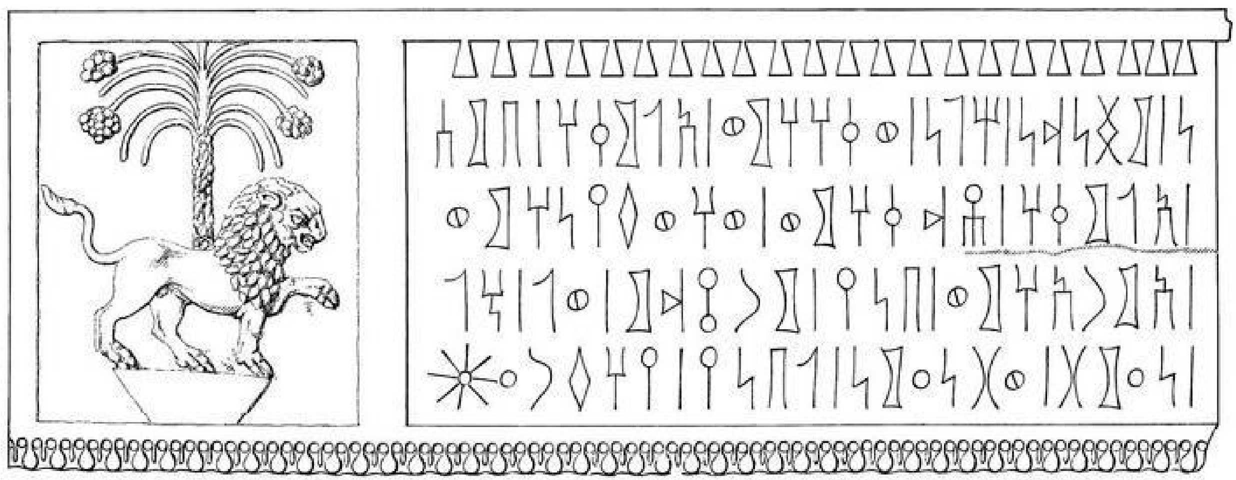


مباخر حجرية كل واحدة منها تحمل اسم البخور الذي يُحرق عليها

(الجرو 2003: 158).

4. المصابيح والمسارج: نشطت صناعة المصابيح والمسارج وتجارتها في اليمن القديم، وكان لها أشكال مميزة، وهناك العديد من المصابيح الزيتية البرونزية المزخرفة بوعل، وهو شكل زخرفي شهير في المنطقة، يحتوي تمثال الحيوان في هذا المثال على ثقب في الساق الأمامية اليمنى الذي ربما استُخدِمَ لتعليق جسم ما، ومنها مصباح زيت برونزي ذو وعل قفز، القرن الخامس قبل الميلاد، وهناك قطعة من الفضة الخالصة من بداية القرن الثالث ق. م، صُنِعَت بدقة عالية على شكل مغرفة مع يد تتصل بهيكل المغرفة وتشكيل لقرنين، وقرص دائري يحمل رقبة لرأس الوعل مصنوع بفن دقيق له قرنان كبيران، وعلى المغرفة نفسها نُحِتَت زخارف لسعف النخيل.

5. لوحات السبائك النحاسية: توحي لنا لوحة سبائك النحاس بموضوعات نادرة ومؤثرة، فهناك الأسد الذي يقف على قاعدة أمام شجرة نخيل في الطرف الأيسر، مع نقش من أربعة أسطر سبئية إلى «علامة» بأحرف بارزة بين خطوط إرشادية محفورة أفقية، مزيد من الخطوط الإرشادية المحفورة أسفل صف الأسنان ومرة أخرى بين الأسنان وأعلى الحروف، صف من الأسنان على طول الجزء العلوي، زخرفة اللسان المتدهورة أدناه، ثلاثة خطوط رأسية في نقش منخفض على الجانب الخلفي هي نتاج عرضي للصب.



لوحة سبيكة نحاسية

https://www.britishmuseum.org/collection/object/W_1862-3-1028

6. الفخاريات: ظهر الفخار في اليمن في مستوطنات العصر الحديدي، فقد «أطلق على الفترة الممتدة من الربع الثالث إلى الألف الثانية قبل الميلاد إلى بداية الألف الأولى قبل الميلاد اسم العصر الحديدي، وقد تأكد ذلك من خلال الفخار الذي جمع من المدن التي تعود إلى تلك الفترة، حيث يمتاز بخصائص مختلفة كثيراً عن فخار العصر البرونزي والفخار السبئي، وقد اكتشفت صناعات فخارية مميزة تعود إلى أوائل العصر الحديدي في كل من هجر بن حميد، والدريب، وهجر الريحاني، ومأرب، ويثل، ومرخة، وتهامة وحضرموت، إذ أشارت القراءات الراديو كربونية التي حصل عليها من الدريب وحجر الريحاني إلى أنَّ ظهور هذا النوع من الفخار يعود إلى 1500 ـ 1400 ق.م، وتشير القراءات الراديو كربونية التي حصل عليها من ريبون إلى أن فخار العصر الحديدي قد ظهر في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، وربما في حدود 1200 ق.م، ومن أهم هذه المستوطنات التي تعود إلى العصر

الحديدي مستوطنة (أشرف DS) ومستوطنة عرن عمر» (حنشور 2011: 35). DS 8215.

7. شواهد القبور: تختلف شواهد القبور عن المسلات الجنائزية في كونها أبسط وأقل عناية، ولكنها تحمل، أحياناً، الكثير من النحت البارز الذي يحمل قيمة فنية، مثل شاهد القبر المحفوظ في متحف إسطنبول الذي يُظهر نحت وجه مثلث، والشاهد الآخر الذي يُظهر وجه فتاة يمنية تعلوه حروف مسندية يعتقد أنها تشير إلى اسمها.

8. الأواني البرونزية: حملت الكثير من الأدوات والأواني البرونزية النقوش والكتابات، وظهرت بشكل فني، منها هذا الكوب الذي يحمل كتابة مسندية وكان يستعملُ في الكيل والوزن، فوَحْدة القدح كانت إحدى وحدات الكيل اليمنية.



كوب مقياس برونزي من اليمن، من القرن الخامس قبل الميلاد، مصبوب في قطعة واحدة، أسطوانية الشكل مع شرائط بارزة عند الحافة والقاعدة، ومقبض رأسي طويل، وأربع أقدام قصيرة متداخلة مع الشريط المرتفع، ونقش مسندي بارز باسم المالك، ونصه نُسِب كما يلي: (السعد من عسعد)، ارتفاعه (17.1 سم).(12)

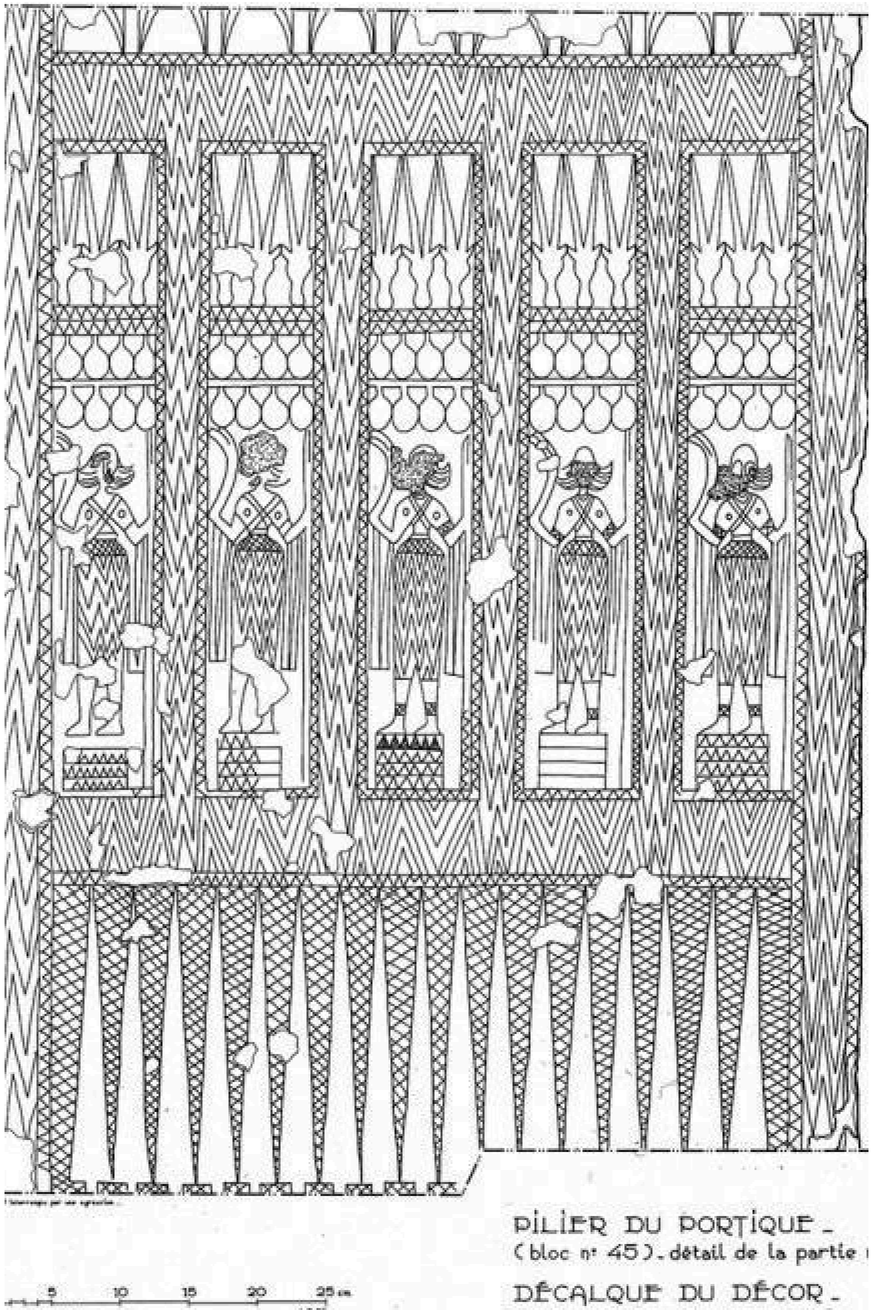
المبحث الثاني: الزخرفة وتصاميم الديكورات

ظهرت الزخارف اليمنية القديمة في المعابد والقصور، بشكلٍ خاص، وفيما يلي نماذج منها:

1. زخارف معبد بنات عاد (معبد عثتر في السوداء): معابد بنات عاد تسمية شعبية للمعابد المعينية في منطقة الجوف، معبد الإله عَثْتَر في السَّوْدَاء (نشّان) الذي يعود إلى القرنين السابع والثامن ق.م.

في الجهة الغربية منه، كان يعلو بوابة المدخل في الأصل عقد مزخرف: وهناك بوابة ثانية تحمل عقداً مزخرفا أيضاً أقصر وأقل انخفاضاً، «وتكمن أصالة هذا المعبد في روعة تصميمه وزخرفته، فقد كانت الأعمدة الأربعة للمدخل الغربي مزخرفة بشكل كلي بزخارفَ متتالية محوطة بخطوط متعرجة على عدد من واجهاتها، ومن الأسفل إلى الأعلى نلاحظ أزواجاً متكررة من الثعابين المتشابكة ورماحاً ووعولاً مقرفصة، وشخصيات نسائية ونقوشاً ومزهريات ومشهدين أماميين لوعول مقرفصة أخرى وثعابين متشابكة ونعامات ورماح ولوحتين لوعول تعتلي نباتات بأغصان طويلة، والأعمدة الثمانية عشر التي تحيط بالفناء مزينة في أحد وجوهها فقط بنفس الزخارف، في حين أن الأوجه الأخرى كانت إما مصقولة أو تعلوها زخارف الشواهد المهداة إلى الإله عثتر ذُو رَصَاف المخصص له هذا المعبد، وأخيراً، فأوجه أربعة من الأعمدة الشرقية مكسوة بنفس الزخارف وبشكل فظ، وفي قلب هذه الزخارف تقبع شخصيات نسائية تستدعي الاهتمام بشكل خاص» (رشاد وإنيزان 2007: 129).

نقشت على أعمدته رسومات تصويرية لنساء بشكل متكرر ظهرت على شكلٍ زخرفي متقن، وهي تختلف من معبد إلى آخر ومن عمود إلى آخر، وتتضمن الوحدة الزخرفية الواحدة على امرأة تقف على قاعدة بصدرٍ عارٍ تقطعه علامة شريطية بشكل الحرف إكس اللاتيني وترتدي ثوباً يبدأ من الخصر وحتى أسفل الساقين، والذراعان مثنيتان على الجانبين، وتحمل أحياناً الجِرَاب أو الهراوات، وفوق رأسها ثلاث وحدات تحوي كلّ منها أربع جِرَار، وتحتها وعلان جالسان.



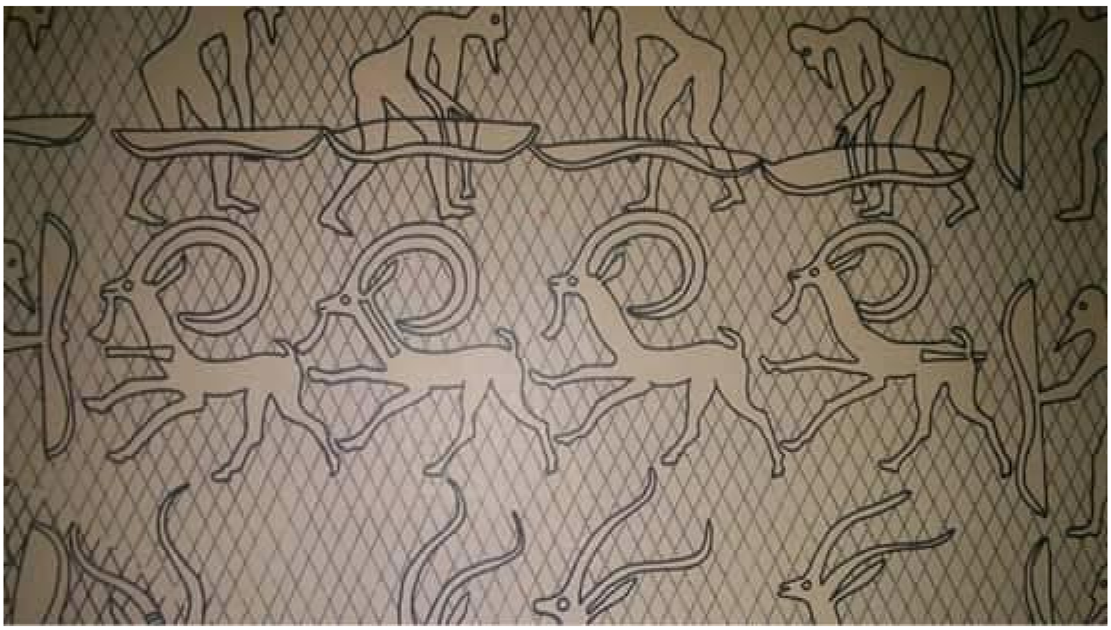
زخرفة لأحد أعمدة الرواق (رسم جيرار روبين)

(رشاد وإنيزان 2007: 129).

https://books.openedition.org/cefas/2543

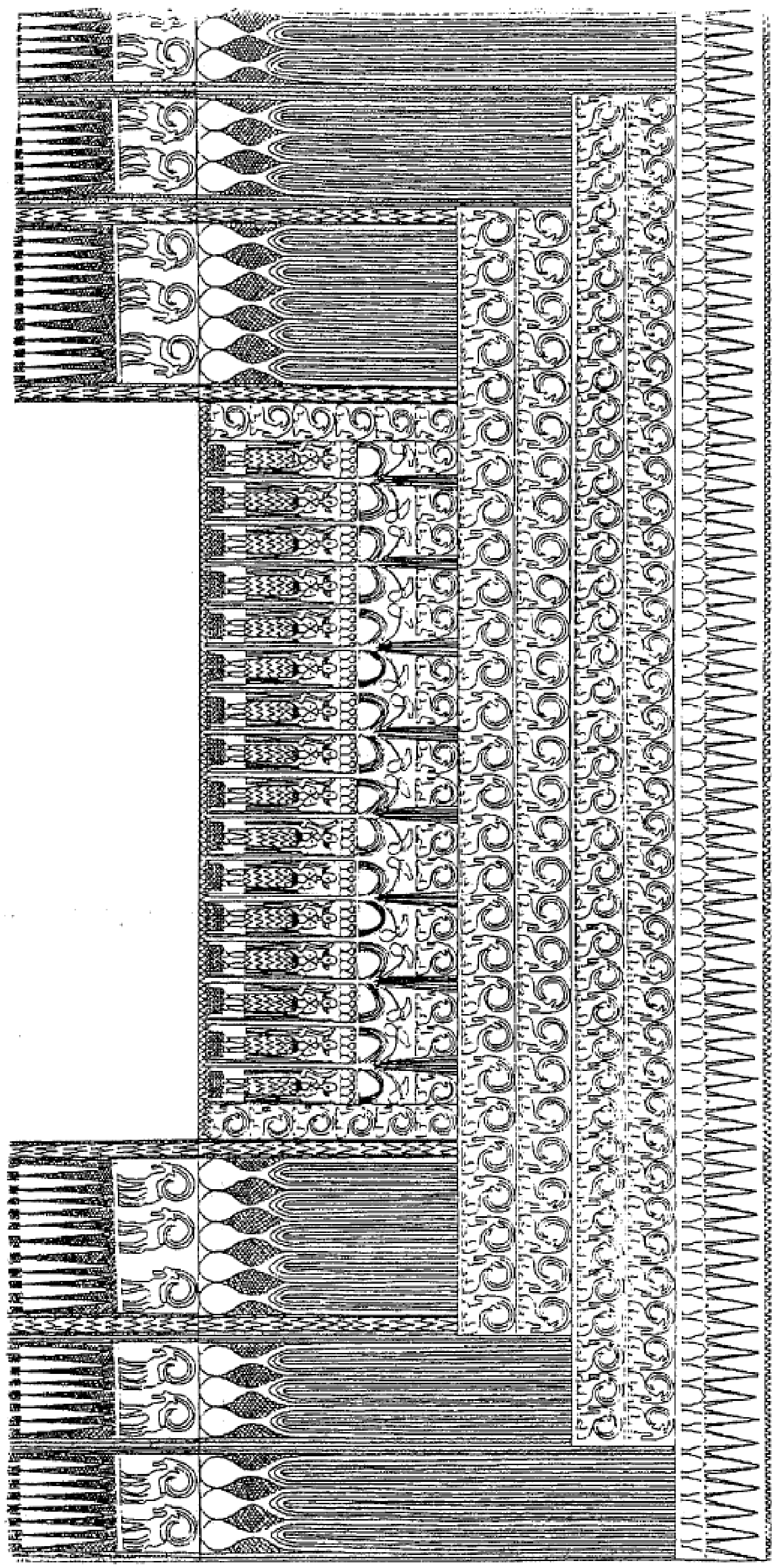
وهناك زخارفَ أخرى تظهر فيها صور الآلهة على أعمدة المعبد التي صور عليها اليمني القديم مشاهد شعائرية متعاقبة، عليها رجلان متقابلان يمثلان إلهين كتب اسم كل منهما قرب الرأس، وزخارف أخرى للوعول والصيادين، وزخارف للوعول الواقفة والجالسة، وبينها وحدات زخرفية للنباتات والمثلثات الطويلة والأشكال العنقودية.

زخارف الوعول الواقفة والجالسة



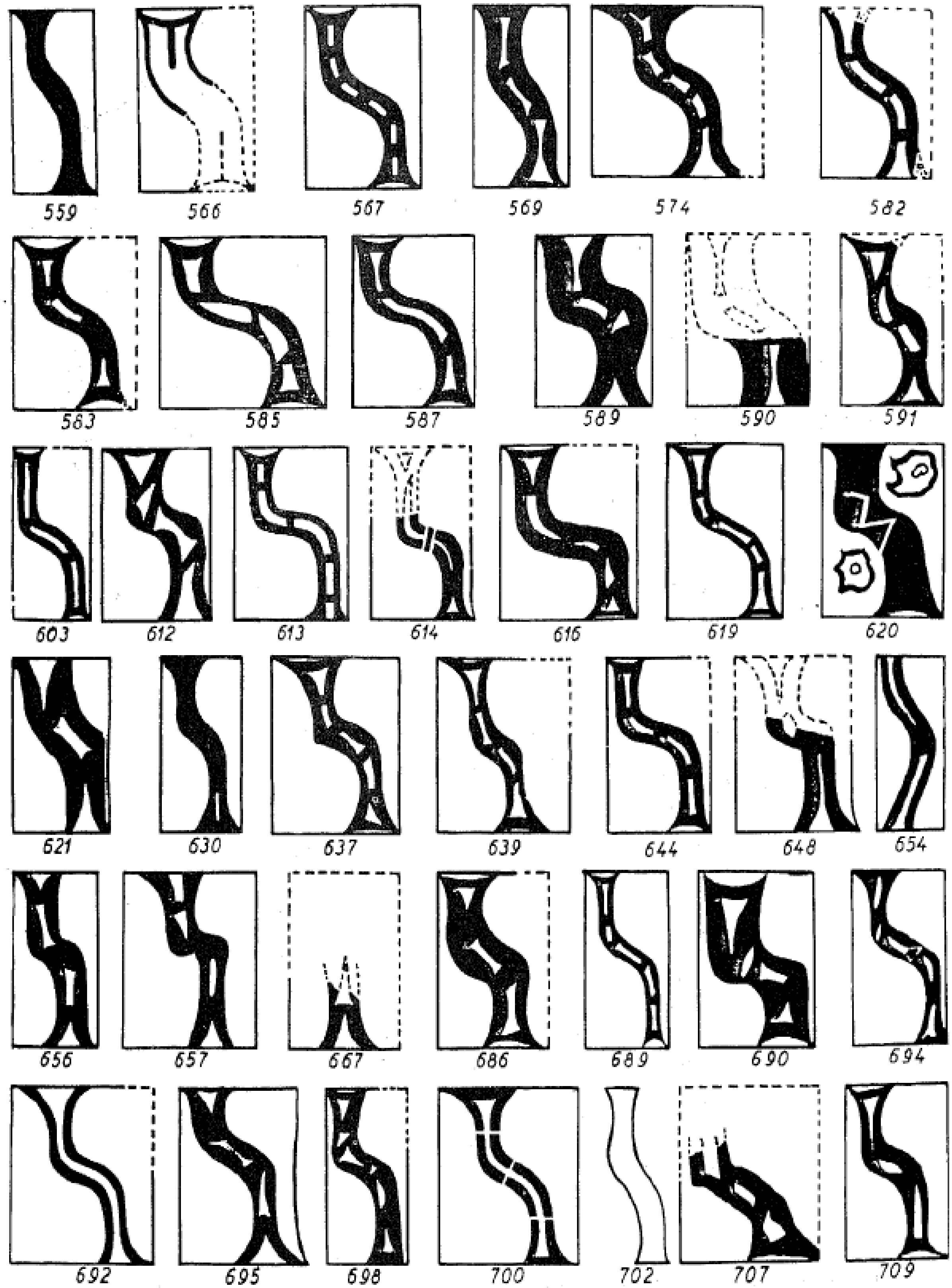
زخارف الوعول والصيادين

https://anwer-alhaeer.blogspot.com/2018/09/blog-post.html



زخارف دينية على عتبة بوابة معبد مدينة هرم، مملكة معين، من:

(Robin,Christian 1992) (العريقي 2002: 387)


559
566
567
569
574
582
583
585
587
589
590
591
603
612
613
614
616
619
620
621
630
637
639
644
648
654
656
657
667
686
689
690
694
692
695
698
700
702
707
709

زخارف دينية، أغلبها مشتَقّ من أشكال الحروف المسندية، تمثل بدايات النقوش اليمنية القديمة

(Jamme 1962) (العريقي 2002: 385)

2. زخرفة برونزية على شكل الوشق الزمردي: القرن الثالث عشر الميلادي، من عمران، محفوظة في المتحف البريطاني، وقد يكون هذا التركيب من البرونز المصبوب قد أُرفِقَ في الأصل بقطعة أثاث، ويبدو أن القطعة قد نُقِّبَ عنها في الأصل بالقرب من بلدة عمران.



زخرفة وشق زمردي من عمران

british - arabia - southern - of - https://traveltoeat.com/kingdoms /london - museum -

المبحث الثالث: فن الثياب والأزياء والمكياج والحليّ

أولاً: فن الأزياء والثياب اليمنية

اختلفت الملابس اليمنية القديمة من مكان إلى مكانٍ آخر في ممالك اليمن المعروفة، واختلفت حسب أجناس الناس بين الرجال والنساء والأطفال والشيوخ، واختلفت بين درجاتهم ورتبهم الاجتماعية فملابس رجال الدولة والبلاط تختلف عن ملابس رجال الدين وعن ملابس الفلاحين والصنّاع والصيادين والرعاة، وظهرت أنواع هذه الملابس أولاً في الرسومات الصخرية، ثم في المنحوتات والرسومات والتماثيل.

«عُدت تجارة الملابس من أهم مقومات صناعة النسيج، إذ أثبتت الدراسة أنها كانت رائجة محلياً ودولياً، فشاعت الاستخدامات المختلفة للنسيج والملابس اليمنية، حتى وصل بعضها إلى أسواق دول حوض البحر المتوسط وبلاد الرافدين عبر قوافل التجارة اليمنية التي ورد ذكرها في التوراة والكتابات المسمارية خلال القرن الثامن قبل الميلاد، وقد تأثرت صناعة الملابس وتجارتها بالأوضاع الداخلية للبلاد، إذ شهدت خلال الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي ركوداً أدى إلى استيراد بعض أنواع الملابس من الخارج، وذلك بسبب اضطراب الأوضاع السياسية الناشئة عن الصراعات الداخلية التي رافقت ظهور حِمْير» (باعليان 2007: 185).

عرف اليمنيون دور النسيج الملكية والعامة، و«إلى جانب المناسج التابعة إلى القصر الملكي، ربما كانت الملابس تنسج في أماكن أخرى لا تقل أهمية عن الأماكن التابعة إلى القصر الملكي، إذ تدل الدراسات التاريخية على وجود هيئات مستقلة في اليمن القديم، مارست بعض الأنشطة الاقتصادية، مثل المعابد التي ثبت أنها قد زاولت أعمالاً تجارية عادَ رِيعُها على المعبد وكهنته (رودوكاناكس 1958: 124)، فكانت المعابد السبئية القتبانية على وجه الخصوص تُدير أعمالاً تجارية سَعْياً إلى تحسين أوضاعها والمحافظة على نظامها الإقطاعي (رودوكاناكس 1958: 148)، وربما كانت صناعة النسيج ضمن هذه الأنشطة التي مورست بإشراف المعابد (جازم 1992: 129) (باعليان 2007: 3).

كانت العناصر والوحدات الرئيسة والثانوية في ملابس الرجال والنساء متشابهة في نوعها العام ومختلفة في طبيعتها الخاصة بكلّ منهما، فهي تتكون من: الإزار، والرداء، والقميص، وغطاء الرأس، والحليّ، والحزام، والنعال.

القميص: هناك عدة نماذج من القمصان الرجالية بينها فروقات بسيطة، وبشكلٍ عام يتكون القميص اليمني من قطعة قماش واحدة بفتحة للرقبة، وكان طول القميص يتراوح ما بين وسط وأسفل الساق، وله أكمام إما قصيرة أو طويلة، على النحو الآتي:

رسوم تخطيطية لأشكال القميص في اليمن القديم

(باعليان 2014: 247)

الثوب النسائي: «يتألف الثوب النسائي عادة إما من قطعة قماش واحدة تستر البدن من الرقبة حتى أعلى القدمين، أو من قطعتين تستر بهما المرأة جسمها بطرق مختلفة، فإما أن يكون اللباس عبارة عن ثوب طويل تعلوه عباءة تلتف على البدن، أو قد يتكون الثوب من قطعتي قماش إحداهما تستر أعلى الجسم حتى الخصر والأخرى تستر الجزء السفلي منه وتلتحمان أو تلتقيان على منطقة الخصر، إضافة إلى ذلك هناك عناصر مكملة لرداء المرأة، كأغطية الرأس والحلي والنعال وغيرها التي سيُتَطَرَّق إليها في حينه، وقد قُسمت ملابس النساء بحسب التقسيم الجغرافي للممالك اليمنية» (باعليان 2007: 125).

رسوم تخطيطية لأشكال ملابس النساء في اليمن القديم

(باعليان 2014: 274)

الإزار: «إن أقدم الشواهد الأثرية ـ المتاحة ـ التي أظهرت أشكال الإزار في مملكة معين قد جاءت منفذة بالحفر أو الحز الغائر على أعمدة معابد الجوف، وأكثر هذه المعابد ثراء بالمشاهد التي توضح أنماط الأُزر في معين هو معبد مدينة السوداء (نشان)، في وادي الجوف، إذ نقشت على أعمدته مناظر طقوسية لرجال في أوضاع مختلفة يعود تاريخها إلى نحو القرن الثامن قبل الميلاد حسب أحدث الدراسات (Arbach et Audouin 2004, 5, 11). إضافة إلى مناظر أخرى صُورت على معبد عثتر (ذو رصفهم) أوضحت نمطاً آخر من الأزر، وهناك التماثيل الحجرية المتنوعة التي تنسب إلى مناطق معينية مختلفة، ومنها جميعاً يمكن تصنيف الأزر المعينية إلى أربعة أنماط تمايزت فيما بينها حسب المظهر الخارجي بعدة ميزات» (باعليان 2007: 61).

العباءة: ملاءة تَلُف بها المرأة جسمها دون الرأس الذي يُتْرَك حسيراً، «يمثل امرأة جالسة يتهدل شعرها ـ بمفرق في الوسط ـ على جانبي الرأس، برزت يداها من بين ثنيات الملاءة حيث ترفع باليمنى كأساً صغيرة، واليد اليسرى قابضة في استرخاء على غصن نباتي، ولفت السيدة جسدها بملاءة تجمعت أطرافها في المقدمة، ويبدو أن المرأة ارتدت ثوباً آخر

تحت العباءة بدت فتحة رقبته أسفل العنق بحافة مكففة، أما قماش الثوب فعُمل على شكل عطفات بارزة سميكة متموجة وماثلة على الصدر، وينطبق شكل هذه الملاءة على وصف الثوب المسمى بالربطة (باعليان 2007: 139).

أغطية الرأس: صنعت أغطية الرأس من الجلد أو القماش أو المعدن، استعمل السبئيون الخوذة المخددة والمقببة والشوكية، والمعينيون الخوذة المقرنة والطاقيات، والقتبانيون الأغطية الأسطوانية، والحضرميون المخروطية، وكان الملوك الأوسانيون يلبسون حلقة بسيطة الارتفاع، وكان الفلاحون والصيادون والمحاربون في اليمن القديم يلبسون العصائب العادية.

رسوم تخطيطية لنماذج مختلفة من أغطية الرأس في اليمن القديم

(باعليان 2014: 248)

الحليّ اليمنية

تنوعت الحليّ اليمنية بين القلائد والأقراط والأساور، وكانت القلائد مصنوعة من الذهب أو الفضة، أو من مجموعة من الخرز، تحتوي القلادة الذهبية، عادة، على بكرة محززة في الأعلى مع سلك أسمك في كل طرف متصل مصوغة بطريقة مربعة، يحتوي هذا على عدد من خيوط الذهب المضفرة التي تنتهي بخرز أسطواني وسبعة عشر برعماً مجوفاً على شكل بلوط (كل منها مصنوع في نصفين)، أما قلادة الخرز والأجراس فمصنوعة من اللون الزجاجي الأخضر وحبات البيكون القصيرة والرخام.

(باعليان 2014: 277)

لا بد من التنويه أن فنون الموسيقى والغناء قد ظهرت في اليمن ولكن تدوينها والنقوش الخاصة بها لم تكن من الوفرة المساعدة لنبحث فيها، وقد ظهرت مشاهد أغلبها في شواهد القبور السبئية مع رسومات النساء المنحوتة على ألواح الحجر الرخامي الجيري، ولم نجد ما يجعلنا نؤكد وجود دراما دينية تستلهم من الحياة الزراعية والخصب أغانيها ونصوصها، وما علينا إلا انتظار المزيد من النقوش والشواهد الآثارية التي تشير لفنون الموسيقى والغناء والدراما.

(11) https://wefaq.net/c/horizons/67

- measure - bronze - arabian - south - a - https://www.christies.com/lot/lot (12)
?/5157887 - 1st - 5th - circa
from=salesummary&intObjectID=5157887&lid=1

الفصل الخامس عشر الأخلاق اليمنية



تمثال من الحجر الجيري في جنوب الجزيرة العربية نحو القرن الأول قبل الميلاد، يصور شخصية أنثى جالسة، ترتدي سترة طويلة وياقة عريضة متقنة مزينة بقلائد صغيرة

مستديرة وميدالية دائرية مركزية كبيرة متصلة بقلادة على شكل هلال، مع أنف طويل، وعينين لوزيتين مع بؤبؤين مثقوبين وشعر طويل مرتب في ضفائر تسقط على الكتفين، كلتا اليدين مغلقة بقبضة، بارتفاع 18 بوصة (47 سم).

المبحث الأول: الأخلاق بين الفطرة والقانون والدين والسياسة

أولاً: الأخلاق بين الفطرة والقانون

المقصود بالأخلاق اليمنية ما ظهر منها مدوّناً، وما وثّقته الأفعال والسلوكيات في اليمن القديم، وقد تبلورت الأخلاق اليمنية من مرجعيات عديدة أهمها المجتمع اليمني وعاداته وتقاليده المتوارثة، وقد كان هذا المجتمع محافظاً، ربما بسبب جذورٍ بدوية من عصور ما قبل التاريخ، ولا يميل إلى الانفتاح الواسع في علاقاته الاجتماعية، وقد لعب التطور الزمني في جعلها أكثر مرونة بسبب التقدم الحضاري في الريف والمدينة، لكن تكوينه القبلي كان يكرّس الشكل المحافظ لأخلاقه.

وربما كانت البيئة القاسية التي عاشها المجتمع والتي أورثته شظف العيش والعمل والقسوة والحذر والاستعداد الدائم للقتال، سبباً مهماً في هذه النزعة المحافظة، وقد لعبت القوانين والأحكام والسنن اليمنية دورها في صياغة هذه الأخلاق، وكذلك الديانة اليمنية وضوابط قوانين الدين ورجال الدين، كل هذه العناصر اجتمعت في مجرًى أخلاقيّ واحد، وصاغت الشكل الأخلاقي لليمن وحضارته.

تشكّل أخلاق القبيلة الأساس الأول للأخلاق عند البشر، كما يرى ذلك علماء الاجتماع، ثم إن الأخلاق القبلية تحمي بقاء الجماعة وتسوّرها ضد غيرها، ويرون أن البشر مخلوقات قبلية في ماضيهم.

ترى ناتاليا أوتنريث أن أخلاق القبيلة موجودة في العالم المتحضر بشكلٍ أو بآخر وتتجسد في سلوكياتهم تحت تسمية (الجماعة)، سواء كانت في العمل أو النقابات أو الأحزاب وغيرها، وهي تضرب أمثلة من الحاضر وتربطها بجذور تطور القبيلة قديماً، وتصنّف تطور الأخلاقيات القبلية إلى خمس مراحل هي: (Autenrieth 2015)

1. تلبية الاحتياجات الأساسية: هو شرط أساسي لوجود مستوى أعلى من المعايير الأخلاقية، ويكون أساسها في فهم أفراد القبيلة أن العالم هو المعادي لنا وكل فرد يعتني بنفسه، حيث يُنظر إلى الغدر والسرقة والعنف على أنها ليست أخلاقية ومقبولة فحسب بل إنها ضرورية للبقاء على قيد الحياة.

2. الحياة الصعبة: حيث يؤمن أفراد القبيلة بوجود سلوكيات لا مبالية وعدائية وتافهة وأنانية، وإن أخلاق الفاعلين في هذه القبائل مدفوعة بشعور من الندرة ومحدودية الموارد والتفكير.

3. الشعور بالعظمة: وهو شعور «أنا عظيم، أما أنت فلست كذلك»، ويمكن للأخلاقيات الشخصية (والقبلية) في هذه المرحلة أن تسمح بالمعرفة وتكديس الموارد والمعارف، ويمكن أن يكون هناك شعور بأنه مخَوَّل لصنع القرار.

4. الحماس للعمل: أعضاء القبيلة متحمسون للعمل معاً من أجل الصالح العام لقبيلتهم، والقيم المشتركة توحد القبيلة ضد كل الآخرين الذين لا ينتمون إليها، وترفع خط الأساس الأخلاقي إلى العلاقات الموثوقة والبناءة التي تميز هذه المرحلة وتدعو إلى مستوى أعلى من الصدق والتعاطف والتركيز على القيم الأساسية.

5. التمحور حول الهدف: دعم جهودها في العمل من أجل خير البشرية، وهذا النوع هو الأندر والأكثر زوالا من جميع المراحل القبلية.

في الوقت الذي يصبح فيه العالم من حولنا شفافاً ومترابطاً بشكل متزايد، يصبح تأثير القبائل في المراحل التنموية الأعلى محركاً قوياً للرغبة في رفع مستوى القبائل لدينا (وأخلاقها الأساسية).

ولا شك أن مراحل التطور الأخلاقي هذه عابرة للمكان والزمان، وهي تؤكد أن الأخلاقيات القبلية تبقى راسخة فينا كسطح انطلاقٍ أساسيّ وتنمو بمراحلها بغض النظر عن تطورنا الحضاري.

لا شك أن ظهور القوانين وتطبيقات العدالة ساهمت في رقيّ أخلاقيات الحضارة اليمنية، وجعلها تتجاوز وتتخطى انغلاقها القبلي.

ثانياً: الأخلاق بين السياسة والدين

كان للسياسة والدين الدور الثاني المهم في إعطاء الأخلاق شكلها اللاحق والنهائي في اليمن القديم، فقد أصبحت الأخلاق رهينة تحولات الحياة الدينية والسياسية.

كانت التقاليد تحاول أن تغلّب سيطرة الأخلاق على السياسة، وكان لا بد من إعادة تشكيل الإنسان الجيد ليكون مواطناً جيداً ـ كما يقول أرسطو ـ بوجود مجتمع جيد وقوانين جيدة، ولذلك كانت هناك ضرورة كبيرة لظهور الدولة حيث سترتبط بالأخلاق، لأن الدولة والمجتمع أساس النشاط الأخلاقي الفعّال. ظهرت الدولة في اليمن وارتبطت بثالوث سياسي، «فأركان الدولة تتمثل في علاقة ثلاثية قوامها (الإله والحاكم والشعب)، بحيث

نجدها في معظم النصوص النقشية تعَبّر عن المؤاخاة والتحالف الوثيق بين أركان الدولة هذه، كما جاء في أحد النقوش السبئية، فالدولة تعطي نفسها وملكها وشعبها نوعاً من القدسية، وأنه لا فرق بينها وبين الإله، فأي تمرد على الدولة يعد تمرداً على الإله الرئيس للدولة، وقد كان الملوك ـ حين يحاربون أعداءهم ويهزمونهم ـ يقسمون الغنائم بما فيها الأسرى على ثلاثة أقسام: قسم للدولة، وعلى رأسها الملك، وقسم للآلهة، وقسم للشعب.

تشير الشواهد النقشية إلى أن للإنسان قداسة، ولحقوقه قداسة، فهو ابن الإله، وكل أفراد الشعب يعدّون أيضاً أبناءً للإله: فشعب (قتبان) يسمى أولاد (عم) الإله القومي لهم، وملكهم يسمى كبير (أولاد عم)، كذلك الشعب السبئي يسمون أنفسهم بأولاد الإله (إلمقه)، وملوك أوسان يعدّون أولاد (ود) معبودهم الوطني، أما الملك فهو وكيل الإله على الأرض، فهناك نقش من نقوش الاعتراف يتضمن مخالفة ارتكبها شخص، فوجب عليه أن يبرئ نفسه أمام الإله والملك، ويلاحظ اشتراك الملك مع الإله في قَبُول التبرئة، إن لذلك دلالة خاصة باعتبار أن الملك خليفة الإله على الأرض والحاكم باسمه» (الجرو 2006: 4).

الميثاق الأخلاقي في اليمن (حبلم):

كان الثالوث السياسي الذي تحدثنا عنه يحتاج إلى الربط بين أضلاعه الثلاثة: «لقد كان ارتباط الشعب بالآلهة وبالملك ارتباطاً قوياً عبرت عنه النقوش بلفظة (ح ب ل م) المشتقة من الجذر (حبل) الذي يعني ميثاقاً، فإقامة العهد مع الآلهة إنما كان من الطقوس الدينية المهمة التي تبرزها نقوش القرن السابع قبل الميلاد، فثمة عدد من النقوش تُحَدّثنا عن عقد رابطة تحالف مع الآلهة والملوك والأسياد والقبائل (الشعوب)، وهذا النوع من الاتحاد المقدس يضمن ـ دون شك ـ الاستقرار السياسي والديني، ويضمن الانصياع التام لنظم وقوانين الدولة بوصفها نظماً إلهية، في الوقت ذاته يصون الحقوق الدينية والمدنية للفرد والجماعة» (الجرو 2006: 5).

كان رمزهم السياسي هو النسر ورمزهم الديني هو الهلال، وكانت الأخلاق فضاء هذين الرمزين كأنها النهار والليل.

حمرم (التوحّد): المبدأ الثاني في الأخلاق اليمنية، ويعني توحّد القبائل من خلال الإله المشترك بينهم، بحيث تُجمع القبائل على أنها تنحدر من هذا الإله، وتقوم بعبادته إلهاً جامعاً لها، وهو مبدأ أخلاقي ديني سياسي، ونرى أنه ربما كان هذا الاسم مصدر اشتقاق اسم (حمير) الذي اختلف فيه الباحثون، لأن حمير هي امتداد للائتلاف السبئي الذي كان إلهه (إلمقه).

المبحث الثاني: أسس الأخلاق الحضارية اليمنية

1. الأخلاقيات السياسية: يرى ميكافيلّي أن أوامر السياسة وأوامر الأخلاق لا تتعارض، لأنها تنبع من الطبيعة الإنسانية وضروراتها، فالأخلاق الصادرة عن الطبيعة الإنسانية لا تدين الأعمال التي تسعى إلى الحفاظ على هذه الطبيعة، فالسياسة والأخلاق تتداخلان وتتشكلان في صيغة تكاد تكون واحدة في عصر ما.

وفي السياق ذاته يمكن فحص علاقة السياسة بالأخلاق من خلال المؤسسات التي قيدت الملوك والأمراء ورؤساء القبائل، وأهم هذه المؤسسات هي المسود، الذي يمكن النظر إليه كمكان للمشاورات الأخلاقية والسياسية وكنظام للمشاركة السياسية.

كانت القبائل المختلفة ممثلة في الهيئات التشريعية للبلاد وهي المجالس التي تمثل الشعب تمثيلاً برلمانياً، من خلال المجلس القبلي الذي يعقد جلساته مرتين في العام في عاصمة الدولة، وكانت مجموعة الـ(طبن) تمثل الطبقة الأرستقراطية التي تضمّ من يمثل فيها أصحاب الأراضي الخصبة والقبائل المنضمة لها، وهناك المجالس الاستشارية المكونة من قبائل المملكة كلّها، وهناك مجالس المدن المسؤولة عن شؤون المدينة في السلم والحرب، أما المجلس الأعلى فهو المسود، وهو برلمان الدولة والمجتمع وقبائله، وكان الملك مقيّداً بكل هذه المجالس وخصوصاً المسود الأعلى.



تمثال الملك ذمار علي وابنه ثاران ملكا حمير

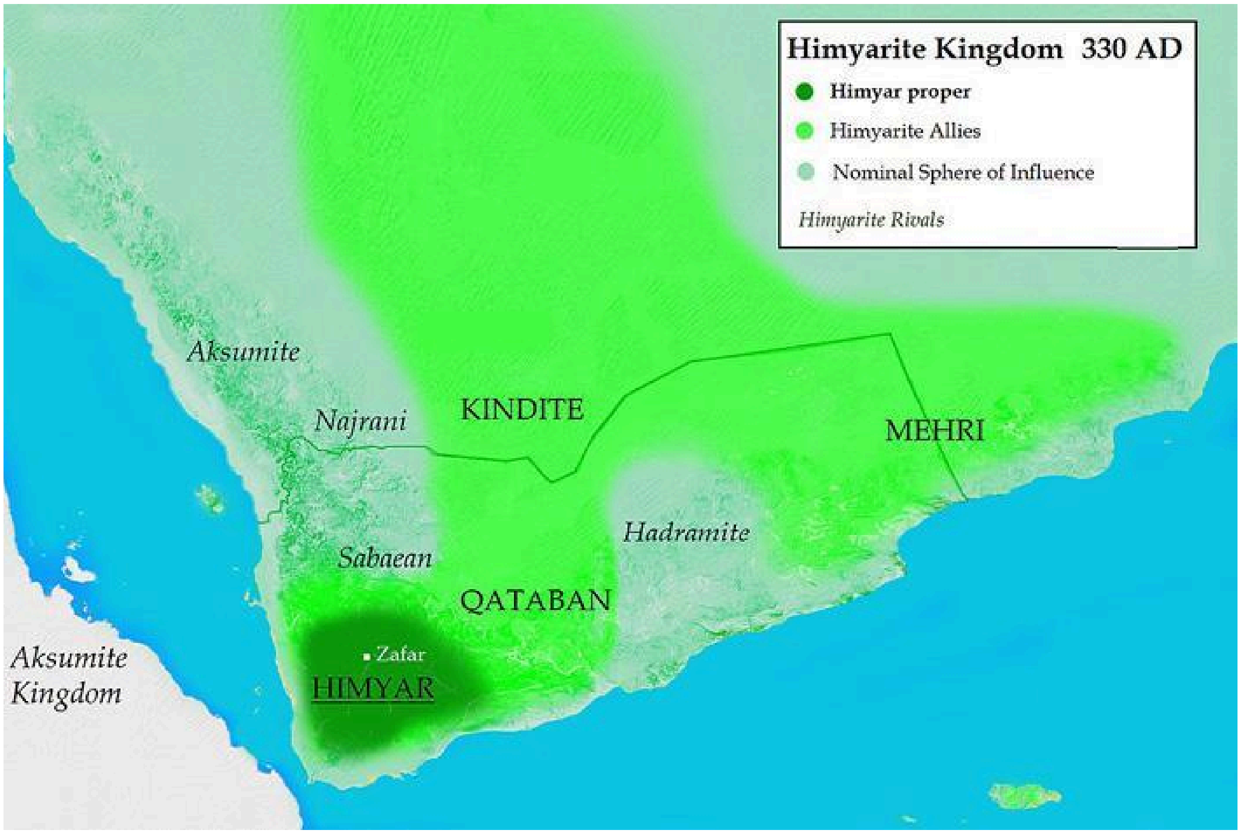
نصب هذان التمثالان على مدخل بهو الاستقبال والجلوس والمداولات أي (المسود) الخاص ببني ذرانح التابع إلى قصرهم المسمى (صنع) القائم في النخلة الحمراء، وقديماً في أراضي الحداء.

2.الأخلاقيات القانونية: يحقّ لنا اعتبار الشرائع والقوانين واحدة من أهم الوسائل الأخلاقية التي تساهم في تنظيم الأخلاق، بل إنها مصدر مهم من مصادره، لأن ممارسة القوانين وتطبيقها على مدى أزمانٍ طويلةٍ يحوّلها إلى أعرافٍ ويُكسبها صفة الديمومة، فإنصاف الناس وحقوقهم بالقانون يجعلهم يثقون بالأخلاق الجيدة، وتطبيق العقوبات يُقيّد الأخطاء، ويحجّم الأشرار، «لقد كان المجتمع اليمني القديم يرى أن خير وسيلة لتقويم الناس هو إيقاع العقاب في الوقت المناسب على المسيئين والمذنبين، ورفع الحيف والظلم عمن وقع عليهم ذلك، ولتحقيق تلك الغاية عملت السلطات التشريعية على سن التشريعات وتعميمها بين الناس في أماكن تجمعهم، كالأسواق، والمعابد، وبوابات المدن، حتى لا يكون لأحد حجة في الالتزام بها، أما من يخالف تلك التشريعات والقوانين فيتحمل العقوبات المادية والجسدية، وقد يُعَرّض مرتكب الجرم للحرمان الديني والمدني، وهناك أنواع من العقوبات منها المادي الدنيوي والمعنوي والديني» (الجرو 2006: 18).

3. أخلاقيات الحروب: كان الدفاع عن البلاد ضد الغزو الخارجي يزيد من أخلاق التمسّك بالبلاد والثقة بها، وقد حصل هذا في بعض معارك التصدي للغزو الروماني أو الغزوين الحبشي والبيزنطي.

أما الحروب الأهلية بين الممالك اليمنية فقد أثقلت كاهل اليمن وقيّدت حيويته، وأورثت اليمنيين كراهية بين بعضهم بعضاً، وخلّفت أخلاقاً سلبية سرعان من انعكست على أخلاقهم الحضارية وجرحتها بقوة.

وقد شهدت دولة حمير اضطرابات حروب الغزوين الحبشي والساساني، وما نتج عنهما من تبدلات سياسية كبيرة، وظهرت فيها خصوصيات قانونية جديدة وكتابة جديدة اختلفت عن سابقاتها.



درجات سيطرة مملكة حِمْير في عام 330 بعد الميلاد، تسلط الخريطة الضوء على التحالف مع قتبان وكندة ومهرة ومنافسي السبئيين والحضرميين والأكسوم (تشكل أكسوم تحالفاً مستقبلياً مع المنافسين الذين أضعفوا حمير واستولوا في النهاية على حمير في القرن السادس الميلادي).



كتابة حِميرية وهي تلك التي يسميها علماء اللغات اليمنية بـ«سبئية متأخرة»، مختلفة في الأسلوب والشكل عن الكتابات السابقة للخط المسند

4.الأخلاقيات الاقتصادية: على الرغم من أن المال والثروة تتبدلان وتتغيران ولا أخلاق لهما، فإن التعامل مع هذا الموضوع على مستوى حضارة طويلة الأمد يمكنه أن يعطينا بعض الانطباعات المهمة في هذا المجال، فقد كانت حماية حدود الأراضي الزراعية والدفاع عنها يزيد من تمسك المزارعين والدولة بالأرض، وكان العمل الشاق الطويل فيها يورث حالة من الإحساس بنتائج الثمار والرضى، وكان تنظيم السدود قاسياً، وكان العمل في حفر ثقوب الجبال لتوجيه الأمطار وتكوين المسايل التي هي بمثابة الأنهار للمدرجات الزراعية عملاً يستلزم جهوداً جبارة، وقد «تحدثت بعض النقوش عن تحديد الأراضي الزراعية وإعادة تقسيمها، أي تثبيت ملكية المنتفعين عند البيع أو الشراء، فإذا كانت الأرض خاصة بالدولة أو الملك أو القبيلة، نجد الملّاك هم الطرف الأول في تحديد الأرض، ويكون المشتري أو المنتفع الطرف الثاني، وكان أمر تحديد الأرض يصدر عادة عن مجلس الأعيان، وفي الواقع كان يوضع على أطراف الأرض المراد تحديدها علاماتٌ تسمى (أوثاناً) ومفردها (و ث ن)، وهي عبارة عن أنصاب من الحجر يكتب عليها تاريخ الشراء لتكون بمثابة صكوك تمليك، ولا يجوز التطاول عليها أو نزعها من مكانها أو تغيير موقعها، لأنها حق، وقد أمرت الآلهة بقدسية الحق، لذلك فالمرء الذي يتطاول على ذلك تلحق به لعنة الآلهة فتصيبه بالبلاء والأذى، وهناك نصوص نقشية تبرز توسل الأشخاص للإله، وما يقدمون له من قرابين لأنه حفظ لهم (وثن ملكهم)، يقول أحد النقوش: «يمنع تجاوز علامات الحدود، ومن يتجاوزها (...) يسلم نفسه، (ما لم) فدمه مهدور، وتحل نفسه لمن يقتلها، أما الشهود على وثائق توزيع الأراضي الزراعية أو توزيع الماء فهم من أعضاء مجلس الأعيان الذين يُوكَل إليهم اتخاذ الإجراءات الرسمية، ومن ثَمّ يمهرون تلك الوثائق بإمضاءاتهم المعتمدة، وقد نجد رئيس قبيلة يقوم بدور الشاهد وكذلك القبيلة بأسرها» (الجرو 2006: 10).

وكان تنظيم التجارة يسلتزم صرامةً في تطبيق القوانين والشرائع، وقد «عنيت السلطات المدنية بالتجارة عنايةً فائقة فلا غرابة في ذلك، خاصة إذا ما عرفنا أن أساس الاقتصاد اليمني القديم كان يقوم على دِعامتين رئيستين هما الزراعة والتجارة، لهذا نجد كثيراً من النصوص النقشية عبارة عن تشريعات وقوانين لحماية حق المواطن وحق التاجر وحق الدولة من خلال متابعة جباية الضرائب بانتظام، ولتنظيم ذلك سُنّت القوانين والتشريعات، وأهم تلك التشريعات على الإطلاق التشريعات القتبانية، وفي مجمل تلك التشريعات نلمس حرص الدولة الشديد على:

1. تحديد أماكن التجارة.

2. إعطاء مسؤول السوق صلاحيات كاملة في الإشراف على شؤون التجارة.

3. شددت القوانين التجارية على منع الغش، وحفظ حقوق كل من البائع والمشتري.

4. منعت السلطات مزاولة التجارة ليلاً تجنباً لحدوث أي تلاعب.

5. حرصت الدولة على جباية الضرائب، أما مَن يخالف ذلك فقد يُعَرّض لعقوبة النفي.

وقد فرضت تشريعات السلطة المدنية غرامة مالية قدرها خمسون قطعة نقدية ذهبية على كل من يمارس الغش التجاري بمختلف أشكاله (الجرو 2006: 12).



نقش ربما يعود إلى الملك الحميري شمنار يهنعم

5. الأخلاقيات الاجتماعية:

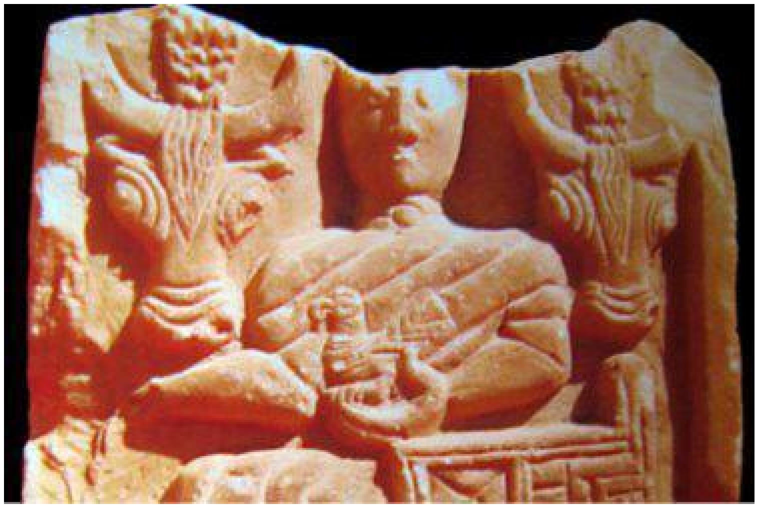
عرف المجتمع اليمني نوعاً من الثبات الأخلاقي، وصارت قيمه الأخلاقية تتبلور منذ منع وأد البنات ومعاقبة من يرتكبه، ومنذ أن تدرج في إعطاء بعض الحقوق للمرأة وجعلها ترقى إلى مستويات مهمة في المجتمع، وتجلت مظاهر التآزر الاجتماعي وأخلاقياته في العبء الشاق والمضني لفلاّحيه الذين حوّلوا منحدرات الجبال إلى فراديسَ دائمة خُضْرٍ، وفي بناء السدود وخزانات المياه وفي مجالاتهم الحِرَفية وفي تجارتهم وحسن تعاملهم مع الشعوب والحضارات الأخرى، وهكذا صار التعاون بينهم سمة أخلاقية عظيمة.

تبلورت الأخلاقيات الاجتماعية في تحريمات من أجل الحقوق الفردية والاجتماعية: الوأد، العبودية، المرأة، القتل، إلخ.

وكان الموقف من الجرائم الجنسية حاسماً، فقد استنكرها المجتمع كلّه وحرمها الدين اليمني، وكان الزنا مرفوضاً، وكان يستوجب دفع كفارة للمعبد في حالة حصوله مع امرأة غريبة، وقد يصل إلى القتل حين يحصل مع امرأة من أهل المكان، بل إن ممارسة الجنس، بين الزوج والزوجة، في فترة الإحرام أو الحج تستوجب دفع كفّارة للمعبد.

هذه القيود المهمة داخل المجتمع رفعت أخلاق المجتمع عالياً، في ذلك الزمان، وأعطت علاقة الرجل بالمرأة قدسيةً، تلك المبنية على القواعد الصحيحة المشروطة قانونياً.

«يشير نقشٌ كُتب من قبل امرأة إلى أن رجلاً ضاجعها في اليوم الثالث من أيام الحج وهي حائض، ثم مضى في سبيله ولم يغتسل، لقد سجلت المرأة اسمها في أول النقش دون خجل أو وجل، ولعل ذلك بسبب شدة وقع الخطيئة عليها، فهي تتوسل وتتضرع للإله لِقَبُول اعتذارها، فاعتراف كهذا يسجل على لوح برونزي، ويوضع في المعبد في أثناء فترة الحج، ذلك العمل يتطلب شجاعة أخلاقية عالية، ففي الاعتراف كفارة للذنب وراحة للضمير، ولعل فيه تسامحاً وصفحاً من المجتمع المحيط لمرتكب الخطيئة، ويؤدي المَسّ (ربما بإيحاء جنسي) بشخص في حماية الآلهة إلى غضبها، مما يتطلب التكفير عن هذا الفعل، ومضاجعة المرأة الحائض مع عدم الاغتسال تُعَدّ خطيئة كبيرة تستوجب التكفير، وكذلك لمسها وهي حائض (ربما بإيحاء جنسي)» (الجرو 2006: 17).



لوح حميري ربما كان لأحد الملوك

6. الأخلاقيات الدينية:

كان الدين اليمني أحد مصادر الأخلاق اليمنية الحضارية، وكانت هذه الأخلاق تتجلّى في القيود التي وضعتها الطقوس والأفكار الدينية، وهو ما نسميه بالتحريمات التي كان أغلبها يصبّ في الخروج على القواعد والأنظمة المعمول بها، وعلى رغم معرفتنا بأن مثل هذه التحريمات كانت تَصُبُّ نتائجها المباشرة في مردودات المعابد ورجال الدين، لكنها تخلّف على المدى البعيد أعرافاً أخلاقية تساهم في ارتفاع الجوانب الأخلاقية في تلك الحضارة.

الاعتراف العلني أحد أهم هذه الطقوس، فقد كان مرتكبو الأخطاء يُعرضون للمحاسبة، وتكون كفّارتهم اجتماعية بالدرجة الأساسية حين يقومون بالاعتراف العلني والاعتذار عن الممارسات والسلوكيات الخاطئة التي ارتكبوها، والندم وإعلان التوبة، وأخيراً دفع الغرامات المالية أو العينية لمن مورست الأخطاء ضده أو للمعبد.

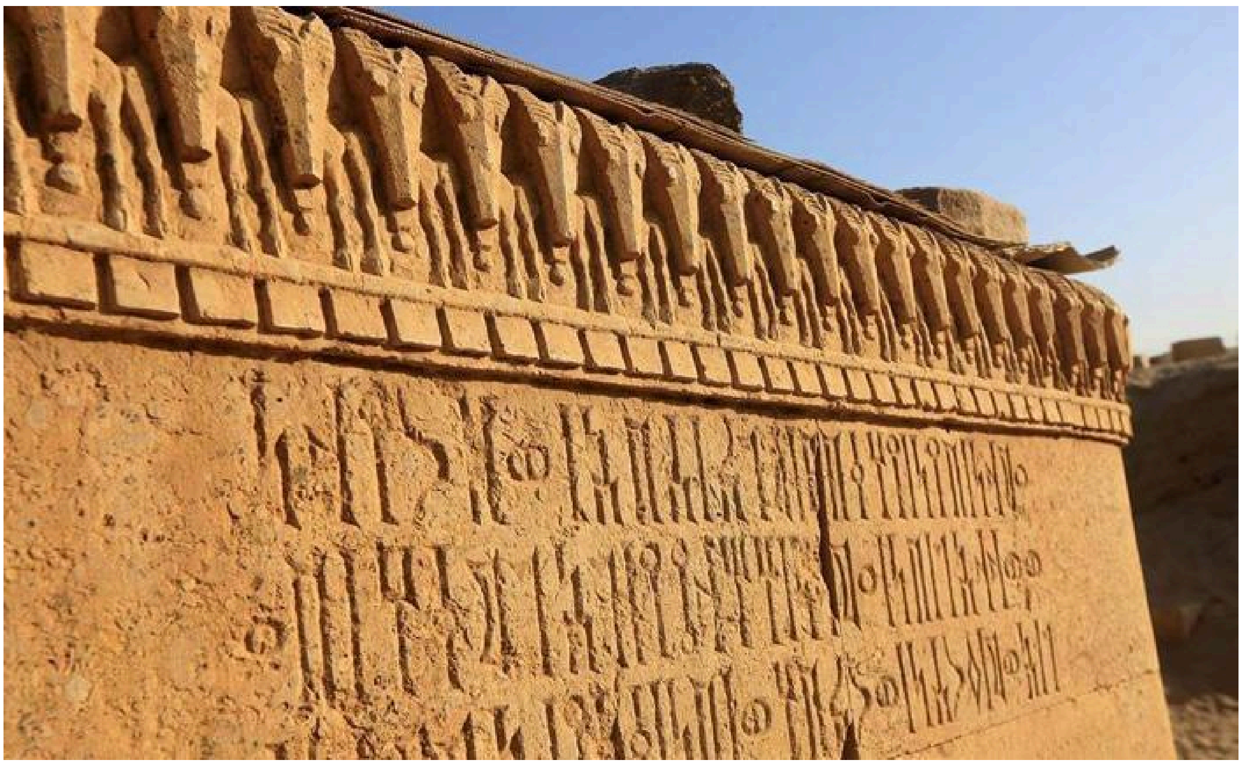
الإخلال بقواعد الطهارة الطقوسية:

كانت أخلاق العبادة الدينية تقضي بوجوب الطهارة داخل المعابد، وعدم الإخلال بشروطها، وكان تعويض ذلك يجري عبر وسائل كثيرة، لكي يكون عُرفاً أخلاقياً شائعاً بين الناس، وقد «أفردت نقوش المسند مفرداتٍ صريحة للدلالة على الطهارة والنجس في مجموعة من الأوامر والنواهي وعن الحرص على الطهارة والابتعاد عن كل ما يخالفها أو ينقضها، والأماكن التى استعملها للتطهر والنظافة، وإزالة النجس إذا ما أصابه أو وقع فيه، والطقوس الواجب تأديتها لإتمام الطهارة، فقد أشارت النصوص المكتوبة بالخط المسند إلى نوعين من الطهارة: الأولى طهارة الجسد، وكانت المياه الوسيلة لتحقيقها، والثانية

الطهارة النفسية، وهذه لا تتحقق إلا من خلال إقامة مجموعة من الطقوس الدينية كالاعتراف العلني بالذنوب ودفع الكفارة» (خطّاب 2021: 48).

كانت الطهارة تفسد عندما يظهر ما ينقضها أو يبطلها مثل الجنس والحيض والنفاس والدماء، وكذلك من أمور معنوية كالذنوب، وكان الاغتسال الطقسي يعيد الطهارة مع أو بدون الكفّارة التي يجب أن يدفعها النَّجِس، وكان المعبد هو المكان المفضل لأداء هذا الطقس، لأن له قدسية ولذلك أسماه اليمنيون بـ(ح ر م)، الذي كان يحرَّم دخول نجسٍ أو مذنب له.

وكانت طقوس الحج لمعبد أوام وغيره تحفل بالكثير من اختراق طقوس الطهارة، بسبب طول وقت الطواف والعبادة، ولذلك كان على الجميع تذكّر هذا أو الاغتسال وأداء الكفارة عن نجاستهم.



وعول ونقوش معبد (أوام) هو المعبد الرئيسي للإله (إلمقه)، إله الدولة السبئية، ويقع المعبد على بعد مسافة 10 كم تقريباً إلى الجنوب من مدينة مأرب، ويطلق العامة على أطلاله (محرم بلقيس)

الفصل الختامي

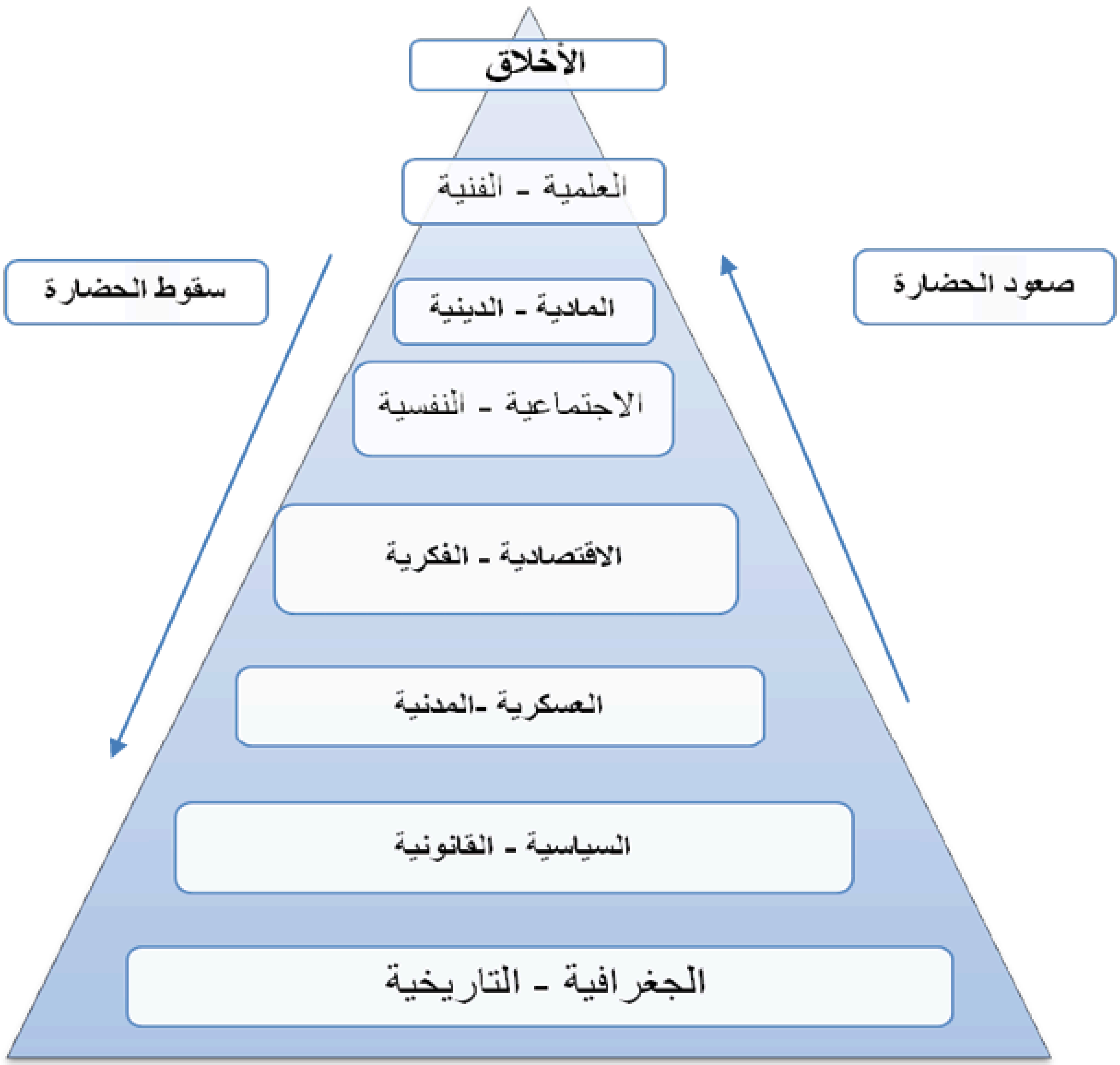
المعايرة والتقييم والنقد والتفرّد للحضارة اليمنية



المبحث الأول: أسباب صعود الحضارة اليمنية وسقوطها

لا شك أن حضارة اليمن القديم هي من نتاج العصر الحديدي، وعلى الرغم من أنها امتدت إلى بداية العصر الوسيط، فإنها كانت تُحْتَضَر وهي تحتضن ثماره اليهودية والمسيحية والإسلامية، ولذلك ماتت وهي مثخنة بالجراح بما سببه لها أهلها القبليون الذين لم يتمكنوا من استيعاب عظمتها الحضارية، وعلى الرغم من كل محاولات توحيد أرضها في كيان سياسيّ واحد فإنها كانت تنفرط بسبب القبيلة.

المثلث الذي نقترحه لفهم ومعالجة صعود الحضارة اليمنية وسقوطها يمكنه أن يقدم لنا صورة جيدة عن هذا الموضوع بإلمامة شاملة له:



هرم صعود وسقوط الحضارة اليمنية

أولاً: أسباب صعود الحضارة اليمنية

أولاً: الأسباب الجغرافية: ساعدت جغرافيا اليمن على نشأة الحضارة وصعودها، وكانت عوامل الجغرافيا والمناخ تحمل متضادات واضحة وصريحة، فالموجِب منها كان المسرح المريح لنشأة حضارة تفرشها الطبيعة، والسالب منها يتأمل فيه الإنسان كالتحدي ويحوّله

إلى استجابة ناضجة تروّض قسوته، وهكذا بين قطبَيِ الطبيعة والإنسان اليمني نهضت حضارة كبيرة ومميزة.

لم يكن في جزيرة العرب الصحراوية ركنٌ مثل ركن اليمن ينعم بهذا الخصب والتنوع الجغرافي العجيب بين سهول وجبال وسواحل وأودية وجداول وعيونِ ماء، فلذلك كان من الطبيعي أن تساهم هذه الجغرافيا وهذه البيئة المتنوعة في صنع حضارة عظيمة: «إن الطبيعة الجغرافية المناسبة والبعيدة عن مراكز التحضر الرئيسية في العالم القديم، ووعورة الطرق المؤدية إليه، قد جعلاه بمأمن من عبث الجحافل التي كانت تجوب الشام جيئة وذهاباً طيلة القرون، وقد ساعد ذلك على أن تنشأ فيه مدينة ذات طابع خاص اتسمت مؤسساتها ومعتقداتها بالاستقرار الطويل دون أن تكون ـ في الوقت نفسه ـ منغلقة على نفسها، إذ إنه من خلال النشاط التجاري ازدَهَر اليمن القديم، ويعد هذا النشاط قاعدة التمدن، وذلك لقربها من إفريقيا، حيث تتوفر سِلَعٌ مرغوبة لدى أهل البلاد المتحضرة خاصة التي تحيط منها بالبحر المتوسط، ووقوعها أيضاً على الطريق البري بين تلك البلاد من ناحية والهند من ناحية أخرى» (محمد 2001: 13).

كانت الصحراء شاسعة في الربع الخالي ورملة السبعتين، وكان بَدْوها يفسدون التجارة والزراعة والقوافل بهجوماتهم المباغتة، وكانت مرتفعات اليمن تضع حواجز اتصال بين أنحائه، مع انعدام وجود أنهار مَرِنة المجرى، وعلى الرغم من عيب الأمطار الموسمية في بيئة اليمن، وهو من ما قصدناه بعوامل التحدي، وعلى رغم عدم وجود الأنهار الكبرى، فإن اليمن كان وفيرَ الوديان والجداول بخاصة تلك التي ساهمت في التعويض عن الأمطار والأنهار، بل إن هذا ساهم في إبراز عبقرية الإنسان اليمني في تطويع الطبيعة والسيطرة عليها وهو الأمر الذي يصنع الحضارات، حيث «يتبين لنا أن معظم مواطن الحضارة قامت على منافذ الأودية المنحدرة من المرتفعات الغربية باتجاه الصحراء (رملة السبعتين) حيث تتجمع أوفر كمية من مياه السيول، ففي أطراف الجوف قامت العديد من المدن التاريخية منها (قرناو) والبيضاء والسوداء، وعلى وادي أَذَنه قامت مدينة صرواح ــ العاصمة الأولى لمملكة سبأ ــ ومدينة مأرب، وعلى وادي بيحان قامت مدينة تمنع ــ عاصمة قتبان ــ، وفي نهاية سلسلة أودية عرمة والعطف والمعشار قامت شبوه ــ عاصمة حضرموت ــ، وعلى امتداد وادي بنا ووادي أَبْيَن نشأت مراكز مملكة أوسان الممتدة حتى البحر» (محمد 2001: 14).

2. الأسباب التاريخية: قامت الحضارة اليمنية بعد أن سكن الإنسان المنتصب القامة في اليمن مبكراً في الباليوليت الأسفل قادماً من شرق إفريقيا، ومرت اليمن بعصور ما قبل التاريخ بطريقة نظامية متساوقة، فقد ظهر فيها الباليوليت بمراحله الثلاثة، ثم الميزوليت ثم النيوليت حين اكتشفت الزراعة في الألف السابعة ق.م، ثم جاء العصر الحجري النحاسي، ثم بدأت العصور البرونزية بمراحلها الثلاث حين نشأت المدن وظهرت القبائل

والشعوب، ولعل ظهور كتابة المسند في نهايات العصر البرونزي وبدايات العصر الحديدي كان إيذاناً ببداية الحضارة اليمنية التاريخية مع بداية العصر الحديدي.

كل هذا التساوق الزمني في التاريخ جاء لصالح تراكم العوامل الحضارية المؤدية لنشوء عناصر ومظاهر الحضارة تدريجياً، وحين نضج تكوين الخط المسندي كشكلٍ مميزٍ من أشكال التعبير المكتوب عن حياة الإنسان، أصبح الطريق ممهداً لبزوغ الحضارة اليمنية في العصر الحديدي.

3. الأسباب السياسية: حين ارتقت النخب السياسية في اليمن لابتكار مفهوم الشعب (الذي هو الاتحادات القبلية الواسعة)، فقد كان ذلك إيذاناً ببدء الحضارة في طورها السبئي، وجُمِّعَت القبائل في اتحادات مدينية على رغم أنها ظلت محتفظة بجذورها القَبَلية، وهو ما سيفسد الحضارة لاحقاً، ولكن الخطوة السبئية في هذا المجال كانت مميِّزة، ونقلت الأمور نقلة نوعية باتجاه انطلاق حضارة بشروطها الخاصة.

يبدو أن الصراع الواسع الذي حصل في بداية القرن السابع قبل الميلاد كان ضرورياً، على رغم قسوته، لكي تمسك سبأ زمام المبادرة في انطلاق الحضارة اليمنية، وكانت هناك آراء كثيرة في تحليل طبيعة هذا الصراع ومسبباته، منها تلك الآراء التي تجعل من أوسان سبباً للصراع بسبب توسعاتها: «إذ يرى البعض أن سبب الصراع يعود إلى ظهور قوة جديدة نافست سبأ وقتبان وحضرموت السيادة على المنطقة وهي أوسان، التي أخذت بتوسيع دائرة نفوذها على حساب الممالك اليمنية الأخرى، حيث تمكن حاكمها (مرتعم) من الاستيلاء على جزء من الأراضي السبئية وعلى مراكز هامة في كل من قتبان وحضرموت، وقد انتهزت نجران تلك الفرصة السانحة فبدأت بمضايقة سبأ من الشمال، وانشقت دويلة (نشان) عن الاتحاد اليمني» (عطبوش 2008: 96).

يقيناً إن أوسان لم تكن تسعى إلى توسعٍ سياسي، لأن هاجسها الاقتصادي كان هو الأقوى والألَحّ لتوسيع نفوذها التجاري، وهكذا استقطعت أوسان بعض الأراضي من سبأ فتضررت سبأ «من هذا التوسع الأوساني الذي أحكم عليهما الخناق بحرمانها من أي انتفاع بالسواحل الجنوبية، فضاقت بذلك ذرعاً ولم يكن أمامها من خيار آنذاك إلا التصدي لجحافل الأوسانيين الغازية، وهذا الرأي لم يبين الأسباب التي دفعت أوسان إلى التوسع، والقوة الاقتصادية ليست كافية لبدء صراعٍ دامٍ، ما لم تكن هناك أسباب أخرى دفعت أوسان إلى ذلك، ومن استقراء الحوادث تبين أن أوسان لم تستخدم قوتها العسكرية في البداية ضد أحد لعدم وجود مسوِّغ لذلك، وخاصة عندما كان السلم سائداً بين ممالك اليمن القديم قبل الربع الأخير من القرن 8 ق.م، إلاّ أن التوسع السبئي الكبير الذي حدث في تلك المدة أدى إلى خنق أوسان اقتصادياً وليس سبأ، مما دفع بأوسان إلى التحرك للمحافظة على مصالحها الاقتصادية» (عطبوش 2008: 97).

يرى الرأي الآخر أن حضرموت وقتبان كانتا السبب في مهاجمة سبأ لأوسان، فقد «كانتا حليفتين لسبأ، فتقدم ملك أوسان واستولى عليهما ومن ثَمّ فقد وجد (كرب آل وتر) نفسه مضطراً إلى مناصرة حلفائه، ونرى أن ذلك التحالف المزعوم بين سبأ وحضرموت وقتبان لم يكن موجوداً لعدم تهديد أوسان لأي من هذه الممالك قبل الصراع، ثم إن قتبان كانت خاضعة لسبأ ولم تكن حليفة لها، لذلك كانت سيطرة أوسان عليها عند اندلاع الصراع جزءاً من ردة الفعل الأوسانية ضد سبأ التي أضرت بأوسان، أما حضرموت فلم تكن حليفة لسبأ في هذه المدة، وعموماً لم تتحالف قتبان وحضرموت مع سبأ إلا بعد اندلاع الصراع مع أوسان وليس قبله، لتوحد المصالح والأهداف السياسية لهذه الممالك الثلاث ضد أوسان، لهذا نجد أن هذا الرأي الذي يجعل أوسان معتدية على حضرموت وقتبان وتدخل سبأ لمناصرتهما لم يكن سبباً للصراع لعدم وجود ما يؤيده» (عطبوش 2008: 97 ـ 98).

في جميع الأحوال، نرى أن الأسباب السياسية لنشوء الحضارة اليمنية القديمة كانت حاضرة في ما فعلته سبأ من توحيد للمالك القديمة والانطلاق بها نحو بناء حضارةٍ لليمن كله.

4. **الأسباب القانونية:** مع ظهور الحاكم الكاهن ثم المكرّب ثم الملك بدأ ظهور المراسيم والقوانين اليمنية القديمة، وبتراكمها ظهرت عوامل ثبات نسبي في النزعة الدستورية والقانونية للبلاد، وأصبح هناك وضوح في الحقوق والواجبات بين الشعوب والقبائل وأهلها.

«إن مصادر القانون اليمني متنوعة، فهناك القواعد الدينية والأعراف القبلية إضافة إلى القوانين التي تصدرها المملكة والمراسيم التي يصدرها الملك، ويعتقد اليمنيون القدماء أن الآلهة المصدر الأول للقانون، وأن الآلهة هي التي تحميهم وتمنحهم صفة الأمان والاستقرار، وأنها مصدر المملكة والشعب، وأن الملك يعد نفسه ممثلاً للآلهة على الأرض، وهو الذي اختارته الآلهة ليحكم الشعب، وطبقاً لذلك، فقد كان شيوخ القبائل يتعاونون في استغلال أراضي المعبد، ويقدمون الهدايا والقرابين إليه، وكان ما يصدر من الملك من قوانين وقرارات تعد صادرة عن الآلهة، وأصبح المعبد مركزاً لتوثيق الأحلاف والعقود التجارية والمدنية، حيث توضع هذه الوثائق في المعبد من أجل منحها قوة الإلزام والنفاذ، وبناء على ذلك كان المصدر الأول للقانون في اليمن هو الآلهة» (محمد 2001: 31).

كانت القوانين تسري على جميع مقاطعات البلاد، وكان في كل مقاطعة مجلس مكون من ثمانية أعضاء، مهمته الزراعة بتمويلها وجمع ضرائبها، وكان هناك ضبطٌ للمزارعين من خلال المعبد الذي سَنَّ قانوناً يعاقب المزارعين الذين لا يزرعون، حتى الملوك تضبط قراراتهم المجالس المحلية لكل مدينة والمجلس العام من الأقيال والأذواء المقربين من الملك.

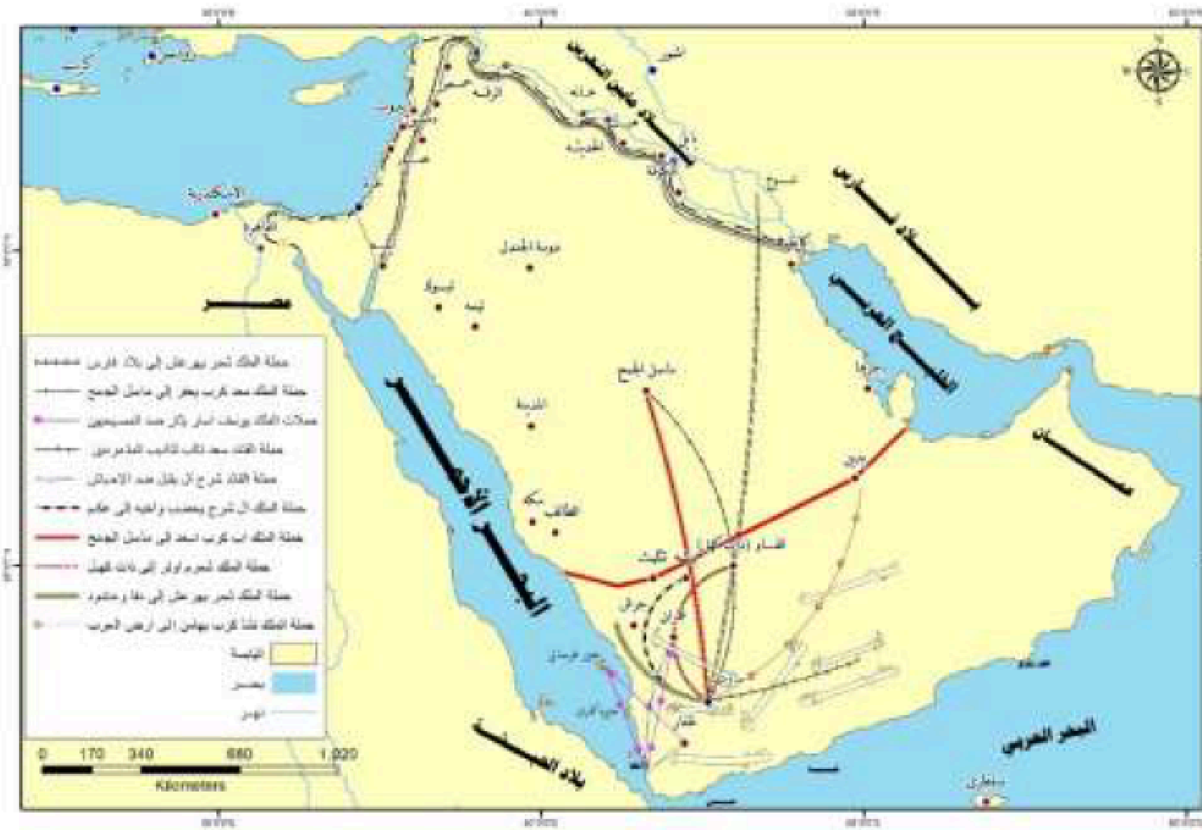
وكان قانون العقوبات يَنُصّ على أن عقوبة القاتل هي الإعدام بالسيف بين أفراد طبقات الأحرار، أما الفرد الذي يقتل من طبقة «آدم»، وهي طبقة دنيا، فيمكن أن يكون هناك تعويض مادي لأهل المقتول، وكانت القوانين قد منعت ذوي المقتول من أخذ حقهم بالثأر بل كانت تفرض عليهم العقوبات إذا ما قاموا بذلك.

كانت توجد سجونٌ لإيداع المجرمين والمتمردين على الحكم، وظهرت قوانين بمنع وأد البنات، وقوانين بجلد المتهربين من دفع الضرائب، وكانت عقوبة الثورة والخروج على حكم الملك هي القتل، ويترك القرار النهائي بيد رأس الدولة، وليس بيد القاضي، فقد يعفو عنه دون مقابل، وقد يعفو عنه على أن يقدم قرباناً إلى المعبد وأن يسأل الآلهة أن تغفر له تعديه على الملك.

هذه الضوابط القانونية هي التي صعدت بالحضارة اليمنية في نهضتها الأولى.

5. الأسباب العسكرية: كان بإمكان اليمن أن يعيش سعيداً فعلاً، لولا النزعة العسكرية الداخلية للقبائل والممالك، فقد كان موقع اليمن ممتازاً ولا يُعَرّضه لحروب من الجوار، فالصحراء العربية كانت خالية إلاّ من البدو الرحل الذين كانوا موجودين أيضاً في أرض اليمن، وهم ليسوا بجيوش نظامية بل مجموعات بدوية متفرقة يمكن السيطرة عليها وكبح جماحها، أما الجهة الثانية فكانت بحرية من الغرب والجنوب، وكانت ذات طابع تجاري يمكن الإفادة منه، إذن لا حاجة إلى تجنيد القبائل والشعوب وتنوع الأسلحة بالطريقة التي تعرّفناها، ولكن هذا حصل، فكان من الطبيعي أن يستخدم هذا الزخم العسكريّ فيما بين القبائل والممالك، وهكذا نَشِبت حروب أهلية متواصلة استمرت بين فترات متقاربة ومتباعدة لزمنٍ طويل.

كانت الأسباب العسكرية مفيدة في حماية القوافل ولجم البدو وتأمين المرافئ، ولكنها أصبحت وَبَالاً على مكونات اليمن الاجتماعية حين تحولت إلى حروب لا تنتهي بين الممالك والمدن اليمنية، ساهمت في إضعاف الحضارة اليمنية واستنزاف طاقتها.



الحدود السياسية لليمن القديم والحملات العسكرية في شبه الجزيرة العربية وما جاورها لبسط نفوذ مملكة سبأ كما أشارت إليها النقوش اليمنية القديمة، بالاعتماد على برنامجGIS

(الجاويش 2022: 40).

7. الأسباب الاقتصادية: على الرغم من أن اليمن لا يملك أنهاراً ولا أمطاراً منتظمة، بل موسمية، وعلى رغم المناخ الرطب والحار، استطاع صبر الإنسان اليمني وعقله أن يروّض كل هذه المشكلات ويصنع منها زراعة وفيرة الإنتاج كانت القاعدة الأساسية لاقتصاد قويّ ومتين.

ساعد على هذه الزراعة وجود جهد هندسي واسع وكبير في بناء الخزانات والصهاريج والسدود، وقد ناقشناها بتوسّعٍ، وكلّها تصلح أمثلةً لصعود الرِّيّ والزراعة كأسباب حضارية معروفة، وسنذكر هنا حصن عفار في محافظة حجة المنصوب فوق قمم الجبال كخزّان مائي كبير، حيث تهبط مجاري السيول وتستقر به ثم تسقط عن قمة الحصن وتُوَزَّع على الأراضي المحيطة به.

نشأ الخزّان ببناء ثلاثة جدران صخرية، وأدت الصخور البارزة في الجهة الرابعة دورَ جدار لحصر المياه الساقطة فيه، وقد حُسبت سماكة الجدران لتتحمل بقاء المياه وقوتها، وقد بنيت أساسات الجدار الخارجي من الأحجار والصخور المتساقطة، ففصلت فجوة بين الجدارين الخارجي والداخلي ومُلِئت بالطين والرمل ورُصت بالحجر، وقد وضع ما يشبه الدرجات التي تستقبل المياه إلى الخزان عُملت كمصفيات طبيعية للماء من الشوائب حين تنزل المياه في أثناء وبعد هطول الأمطار.



خزّان حصن عفار

ثم جاء الاهتمام بتجارتها البخورية النادرة التي كانت عالية الأثمان فأصبح اليمن واحداً من أثرى بقاع الأرض بسبب وارداته من التجارة الخارجية والداخلية، فقد ربطت هذه التجارة بينه وبين جزيرة العرب، و«قامت على طول الطريق بين اليمن وتلك الأصقاع مراكز تجمع بشري مرتبطة بذلك الشريان الحيوي الذي أسماه البعض طريق (البخور)، وهي مراكز لم تلبث أنِ اتّسَعت وقويت مشاركتها في النشاط الحضاري من خلال مشاركتها التجارية، وكونت مع اليمن وحدة حضارة وثقافية واقتصادية ومزدهرة جعلته يُعرف في القرون الأخيرة قبل الميلاد (بالعربية السعيدة) التي تضم كل أقسام الجزيرة الخمسة عند الجغرافيين العرب (تهامة، الحجاز، نجد، العروض، اليمن)» (محمد 2001: 15).

يصعب تصور سعة تجارته، لكن بعض الباحثين قدموا وصفاً جيداً لهذه التجارة وحجمها، فـ«كما تشير الدراسات إلى أن القوافل اليمنية كانت تُعَدّ من ألف إلى ثلاثة آلاف جمل وناقة محملة بالسلع الغالية الثمن والخفيفة الوزن (وإذا اعتبرنا بأن المسافة بين رأس الجمل والجمل الذي يليه في القافلة نحو سبعة أمتار، قدرنا أن طول بعض القوافل لا يقل عن اثني عشر ألف متر)، وتفسر سيطرة اليمنيين على أهم تجارة عالمية عرفها التاريخ ذلك الازدهار والغنى المنقطع النظير الذي أدى إلى تسمية اليمن من قبل الإغريق والرومان بأنه (بلاد العرب السعيدة) (Arabia Felix)، ثم إنهم كانوا يسمونه بلاد القصور المزخرفة بالذهب والفضة والعاج وببلاد البخور والمر والعطور، وهي سلع كانت أكثر قيمة وأهمّ من الذهب والفضة، لأن المر والبخور كانت تستعمل لتحنيط العظماء كما كانت تستعمل في جميع المناسبات والطقوس الدينية» (محمد 2001: 35).



القوافل الطويلة للتجارة وهي تخترق جزيرة العرب

«ومهما يكن الأمر، فإن التجارة الخارجية المتطورة كانت تعكس نفسها على الأوضاع الداخلية، لأن الاستقرار الاقتصادي في الدولة يؤدي إلى استقرار الأوضاع السياسية، بل ويزيد أواصر الاتصالات بين القبائل أو (الشعوب) بعضها ببعض، لهذا تنمو المعاملات التجارية الداخلية وتتطور وفق القوانين العديدة التي أصدرتها الدولة القديمة لتنظيم التجارة في مجالاتها المختلفة على الصعيد الداخلي والخارجي، وأبلغ مثال على ذلك هو القانون التجاري الذي أصدرته مملكة قتبان لهذا الغرض، وخلاصة القول إنه بقدر ما كانت

الدولة اليمنية القديمة تستطيع أن تفرض وجودها في المنطقة، كان|بإمكانها إخضاع مختلف المناطق الواقعة تحت نفوذها لسلطتها المركزية، مما يؤدي إلى انتعاش التجارة الداخلية في هذا المجال الواسع دون خوف أو قيد» (قائد 2004: 88).

6. الأسباب المدنية: لا بد من الاعتراف بأن الجانب المدني كان ضعيفاً، ولم يكن له دور واضح في نشأة الحضارة اليمنية، فقد كان يهيمن على اليمن رجال الدين والملوك وشيوخ القبائل، وتسودها نزعات قبلية وعسكرية واضحة وقوية، ولم تكن هناك نخبٌ مدنية قوية تتمتع بنوع من الحرية والاستقلال، وكانت الطبقات المدنية الوسطى والفقيرة مشغولة بتنفيذ طموحات القادة الساسية والعسكرية، وكانت هناك سيطرة واضحة لجميع «شيوخ القبائل وكبار ملاك الأرض: ويشكلون الجماعة الحاكمة المسيرة لأمور الشعب (القبيلة)، ويحتل المرتبة الأولى بينهم شيوخ القبيلة، ثم كبار ملاك الأرض، ويسمون (مسخنن) في سبأ و(طبنن) في قتبان، ويتكون منهم مجلس القبيلة ـ المزود ـ الذي يرأسه شيخ القبيلة، ويمارسون السلطة والنفوذ على بقية أفراد القبيلة من الأحرار والأتباع والعبيد، في إطار مجتمع شعوبهم ـ قبائلهم ـ، كما أن لهم حقوقاً سياسية على مستوى الدولة وخاصة شيخ القبيلة الذي يمثلها في مجلس الشيوخ ـ المسود ـ التابع إلى الدولة، ويستعين به المكرب في إدارة شؤون الدولة بين أفراد قبيلته، ويشاوره مع بقية زعماء القبائل حول تسيير أمور الدولة في السلم والحرب وفي التشريع والإدارة، وإقامة المشاريع العامة الكبرى، ويخضع له جند القبيلة وقادتهم الذين يسمون (ق س د ن) ويستعين بهم لحفظ النظام فيها» (عطبوش 2008: 138).

كان اليمنيون القدماء يختلفون عن كثير من شعوب العالم القديم في نظرتهم إلى أهل اليمن، فهم يرون أن قبائلهم أو شعوبهم أبناءَ الآلهة، ولذلك كانوا يصفون شعب سبأ بـ(أبناء إلمقه)، وشعب معين بـ(أبناء ود)، وشعب حضرموت بـ(أبناء سين) وهكذا، حيث يتّخذون من الإله القومي للمدن والشعوب والقبائل الجَدَّ القديم الذي انحدروا منه، وهكذا صنعوا لأنفسهم وحدة روحية وثيولوجية نادرة، وربما تتشابه هذه النزعة مع نزعة طوطمية تقضي بأن أفراد قبيلة الأسد، مثلاً، هم أبناء طوطم الأسد الذي يقدسونه ويعبدونه. وهكذا «يقول رود كاناكس: أما أفراد الشعب فهم أبناء الله، هكذا نجد الحال عند السبئيين والقتبانيين، فكلمة الشعب تكون في اعتقادهم من القبيلة التي استطاعت قيادة القبائل الأخرى التي لم تبلغ نضجها السياسي، وهذا الشعب يملك أرضه وأرض الآخرين الذين تحت زعامته كذلك نجد اسم الشعب عبارة عن اسم القبيلة الزعيمة، هكذا في لقب (ملك سبأ) و(سبأ وذو ريدان) و(ملك قتبان ومعين) وهلم جرّاً... أما الكلمة الدالة على (قبيلة) فهي في الأصل كانت تستخدم للتعبير عن نظام خاص هذا ما نفهمه من النصوص التي وصلتنا، ويجب ألا يتبادر إلى أذهاننا أن لفظة (قبيلة) عبارة عن لفظ يدل على جماعة تجمع بينها صلة القرابة والدم، ليست القبيلة هي فروع وأغصان من أسر وأجناس ليست هي جدول نسب، فالحالة الاقتصادية السياسية هي التي تقرر وظيفة وعمل الجماعة، وهذه تسمى أيضاً قبيلة» (عمر 1970: 7 ـ 8).

في مجتمع، كالمجتمع اليمني، لم يحارب الكثير من أعدائه الخارجيين في نشأته واستمراره، ولم يغزُ بلاداً مجاورة، ولم يكن بالإمكان نشوء الأسرى والعبيد فيه، لكنه صنع طبقة واضحة من هؤلاء من شعبه وقبائله ليكونوا خَدَماً للطبقات المتنفذة، وهذا ما يضعف مدنية مجتمعه ويجعل طبقة العبيد والأُجَراء «هي الطبقة المستغَلَّة، فهي فاقدة لحقوقها السياسية والاقتصادية ولا تملك حريتها الشخصية، فالأجراء والعبيد تابعين إلى الأرض ويسمون (ذومت) أي (رعايا الملك)، أي إنهم عبيد للملك ومن حقه أن يحصّل منهم ضريبة الرأس وتُجبى هذه الضريبة من السيد المالك للعبد في حالة عبوديته، ومن الأجير بشكل مباشر إذا كان يملك حريته الشخصية، وساعد هذا النظام على عدم تحول الفلاحين الصغار إلى عبيد بشكل عام، كما أن قيام الممالك اليمنية التي تعتمد على حكومات المدن ساعد بشكل كبير في هذا حيث إن من مصلحة المالك أو السيد الجديد أن يستخدم عمل الأجير العائد عليه بالفائدة سواء من حيث زيادة الإنتاج أو تخلصه من دفع الضرائب المفروضة عليه لقاء ملكيته للعبد» (محمد 2001: 27).

كان الملوك والأمراء والأقيال والأذواء وشيوخ القبائل هم المرفهون، ويدل على ذلك مظهرهم وهندامهم وحضورهم الباذخ.



تمثال برونزي لشاب سبئي بوجه طويل إلى حد ما، وعظام وجنتين مرتفعتين، وملابس أنيقة، بعيون كبيرة مع حواف مرتفعة وآثار ترصيع حول البؤبؤين البارزين، يتشكل أنفه المستقيم وحاجبه على شكل حرف «T» فوق الشفاه البارزة المنحوتة بدقة والذقن الذي ينحني برفق في شكل العنق، ويبدو أنه يرتدي ثوباً بلا أكمام، انطلاقاً من الأشرطة التي تمرّ فوق الكتفين، وقد تكون بذلة من الدروع لأن الجانب الأمامي زاوٍ ويبدو أنه مقوى (ومزين بعلامات ثقب صغيرة)، كان يرتدي حلقتين أو ثلاثاً من حلقات العنق، وشعره المصفف بشكل عصري مُغطّى بقطعة رأس تشبه الخوذة مزينة بزخرفة عنب منقوشة، ينم العرض الطبيعي للميزات عن التأثير الكلاسيكي الذي كان موجوداً في جميع أنحاء غرب ووسط آسيا في ذلك الوقت، زمنه بين (300 ق.م ـ 100 م).

8. الأسباب الفكرية: سمح تشكيل اللغة اليمنية بلهجاتها المتعددة، وخصوصيتها بين اللغات السامية، وثراء قاموسها، بنهضة حضارية وثقافية، وخصوصاً بعد أن استُعمِلَ خطها المسند ودُوِّنَ اقتصادها وتاريخها وحوادثها وقوانينها ومراسمها، فتشكّلت ملامح فضاء ثقافي مميّز.

وكان ذلك هو الأساس الصلب الذي قامت عليه أنواع ثقافية وأدبية كثيرة منها الشعر والقصص والملاحم والأدب الديني بكل أنواعه، وظهرت تشكيلاتٌ فكرية في قطاعات الحضارة بين تضاعيف عناصرها، ولم يكن هناك فلسفة أو فكر بالمعنى الدقيق والصحيح.

المهم أن الكتابة كانت رصيد الحضارة اليمنية، وهناك منها عشرات الآلاف من النقوش ما زال الكثير منها غير مكتشف، كلّ هذا ساهم في صعودها.

وكانت الفنون مظهراً حضارياً باذخاً في حياة اليمن، فقد استجاب اليمنيون لإنشاء عمران عظيم، فأنشؤوا المدن بمعابدها وقصورها وسدودها وأسوارها وتحصيناتها، وظهرت فنون التصوير والنحت على غير المتوقع لتعطي ملاح فنية خاصة بأهلها وبيئتها، وظهر أَلَق أزيائها المتنوع وديكوراتها وزخارفها.

9. الأسباب الاجتماعية: لعب الهرم الاجتماعي في اليمن القديم دوراً مهماً في ضبط المجتمع من جهةٍ، وفي استثمار هذا الضبط ليكون مصدر تعسفٍ وظلمٍ اجتماعي وعبودية من جهةٍ أخرى، فقد كان المكرب يمثل أعلى طبقة اجتماعية، وربما حكم معه مكاربة آخرون فقد يتشارك أكثر من مكرب يصلون إلى ثلاثة مكاربة في وقت واحد، أما حين حلّ الملك محل المكرب فقد أصبح الوحيد الذي يحكم وصارت الملكية نهجاً ثابتاً.

كانت الطبقة التي فوق طبقة الحكام الكبار اسمها «أبعل» و«أسود»، وهي طبقة الأرباب والسادة ومفردها «بعل»، فهم سادة المجتمع وكبراء القبائل الذين يتزعمون أكثر من قبيلة ولديهم أراضي وإقطاعيات واسعة، ومعهم الأقيال وهم ملاك إقطاعيون ومُلاّك أراضٍ كثيرة، ثم الأذواء وهم أشراف وسادة ولكنهم ليسوا ملوكاً بل يمكن أن يترشح منهم الملوك مستقبلاً، ثم تأتي الطبقة المتوسطة من التجار والجنود، أما الطبقة التي جعلت من المجتمع اليمني مندرجاً في الوضع الطبقيّ فكانت طبقة الفقراء التي تسمى فئاتها بلغة المسند «قطن» و«آدم» و«صغرم».

وتلي طبقة الفقراء أدنى الطبقات وهم العبيد، ويُشار إليهم بألفاظ «عبدن» و«عبدم» و«آدم»، أما عوام الناس يقال لهم «جوم» أي (قوم) التي كانت تقرن بآلهة، فيقال «جوم مقه» أو «جوم عثتر»، وهي آلهة تتشارك عدد من الأقوام في تقديسها فلا يستدل بها على مملكة الشخص وموطنه، وهناك كلمة «أخمس» التي تحدد وطن الشخص، مثل «أخمس معن» وتعني مواطني معين.

كان لهذا التقسيم الطبقي الحاد بين الفئات الاجتماعية أثر إيجابي في بداية الحضارة اليمنية، لكنه أصبح وبالاً عليها كلما تقدم الزمن ودبت الفوضى بين الطبقات الاجتماعية بسبب التوسع والحكم والمُلك.

9. الأسباب النفسية والمدنية والمادية:

وجد الإنسان اليمني نفسه في جماعات ينتمي إلها، ويستطيع أن يؤمّن سلامه معها ويكبح خوفه من خلالها، فسعى معها، ونشأ على عادات القبائل والعشائر التي تربّى فيها، وعلى رغم أن المدن اليمنية أعطت زخماً عالياً له، فإن القبيلة ظلت ملاذه الأخير، وقد ظل هذا الوضع حتى أيامنا ولم يتغير.

السايكولوجيا الجماعية لأهل اليمن ارتفعت بقوة عند النهوض الأول في حدود القرن الثامن قبل الميلاد، فظهرت نتائجها في البناء والعمران وابتكار المنجزات.

استطاعت القاعدة المادية من أرض ومياه ونباتات اليمن النادرة، البخورية بشكل خاص، وثروتها الحيوانية وخاماتها، وحِرَفها ـ استطاعت أن تكون أساس حضارتها وطاقة إبداعها.

وعلى رغم ميل الحياة إلى طابعها المدني فإن الطبقات المترفة، في كل ممالكها، كانت تنزع نحو المعارك والحروب الطاحنة لتفسد التوجه المدني لأي حضارة وتُضعفها.

10. الأسباب الدينية: كان الدين اليمني منسجماً مع عصره، فقد كان طابع العصر هو الديانات المتعددة الآلهة، وكانت ديانة اليمن متعددة الآلهة في نشأتها، منسجمة مع بقية الديانات السامية (الآمورية)، لكن هذه الديانة افتقرت إلى ظهور الطاقم الأعلى من شجرة الآلهة والمتمثل بالإلهة الأم وآلهة الكون البدئية ثم آلهة العناصر الأربعة، كما هو الحال بديانات وادي الرافدين والشام، فقد وضعت الثالوث الكوكبي الأعلى في قمتها، ووضعت بقية الآلهة الأرضية الطابع في خدمة مصالحها اليومية السريعة... وكان هذا النهج العملي والواقعي قد ألقى بظلاله على انعدام الأساطير الخاصة بكلّ هذه الآلهة، التي لم يجدوا فيها نفعاً أمام تصور قدسيّ كبير لآلهةٍ تحكم السماء والأرض.

كان ذلك يكفي بسبب ارتباطه بمصالحهم منها، ولذا انعدم أو قلّ ظهور الآلهة المعنوية كالشفقة والرحمة والحرية والسعادة والمعرفة، وانعدم ظهور تنويعات الكائنات الإلهية من جانٍّ وشياطين وملائكة، ولم يظهر عالم أسفل واضح المعالم، وضعف تصور عالم الغيب والطراز الميتافيزيقي الخاص به.

كل هذه الأمور جعلت الديانة اليمنية ضعيفة ثيولوجياً مقارنة بالديانات الرافدينية والمصرية والشامية، ومع ذلك فقد قامت الديانة بدورها المهم في صعود الحضارة اليمنية ونهضتها.



مذبح بخور (العبيدي 2005: 191)



طاولة إراقة من المرمر من اليمن القديم، بطول 22 1/4 بوصة، نحو القرن الثاني قبل الميلاد ـ القرن الثاني الميلادي

ثانياَ: أسباب سقوط الحضارة اليمنية

1. الأسباب الجغرافية: عندما يقلّ الإبداع عند الإنسان يفلت زمام الأمور من يده ويظهر الفشل، فالإنسان اليمني المكافح الذي سيطر على طبيعة بلاده وتكيّف مع مشكلاتها بإبداعٍ قلّ نظيره، هذا الإنسان أضْعَفت إبداعه الحروب والمحن الداخلية التي مرّ بها.

كانت الأرض والمياه تعانده، وكان غير قادر على السيطرة على جغرافيته ومناخه، وفي القرن الأول الميلادي اكتشف البطالمة الإغريق طريقاً بحرياً من الهند مباشرة إلى ميناء الإسكندرية عن طريق البحر الأحمر وفي وقت معين من هبوب الرياح الموسمية التي تناسب رحيل السفن، مما أدى إلى القضاء على التجارة المربحة للبخور وتراجع التجارة البرية له في سبأ، ثمّ تراجُع ازدهار السبئيين، وظهور الحميريين الذين تكيّفوا مع الاستعمال البحري لتجارة البخور وتعاونوا مع روما والدولة البيزنطية في هذه التجارة.

2. الأسباب التاريخية: كانت الظروف التاريخية في القرون (4 ـ 7) الميلادية تجري باتجاه نفوذٍ واضحٍ يزداد حدة وتوسعاً بين الدولتين البيزنطية والساسانية، وكان اليمن يزداد ضعفاً بفعلٍ تمزقه بين المصالح والولاء لهاتين الدولتين، خصوصاً أن الدينين المسيحي واليهودي في اليمن كانا يشتغلان وفق هذه اللعبة.

لقد أعطى التاريخ أسباباً لصعود حضارة اليمن لكنه سحبها منها عندما ضعف دورهم التاريخي وصاروا يلوذون بالأجنبي، بسبب الدين، لكي ينصر قضاياهم، وهو حال من يدير ظهره للأسباب الحقيقية لضعف الأداء التاريخي.

كانت الدولة الحميرية في بداية ظهورها قوية ونشطة في توحيد اليمن، لكنها سرعان ما ضعفت عندما تبنى ملوكها أدياناً وافدة وعمموها على شعوبهم، ولم يتركوا الوحدانية المحلية في اليمن بالنمو في فضاء محلي أصيل.

3. الأسباب السياسية: فشلت الدولة الحميرية في إدارة البلاد، وكانت قرونها الأخيرة تساعد على التدخل الأجنبي، وظهرت بوادر تفككها واستقلال الممالك القديمة من تكوينها، وكان لهذا السلوك جذوره في خذلان هذه الممالك لسبأ سابقاً، فكانت الممالك المؤتلفة مع سبأ أو حمير تسارع، في أغلب الأحيان، بالانفضاض من وحدتها معهما وتركن لمصالحها الخاصة، بل إن حضرموت، مثلاً، أصبحت دولة توسعية في بداية القرن السادس ق.م حين احتلت قتبان، وصارت تزاحم سبأ، سيطرت على مناطق في الجوف وميناء قنا الذي ظلت مسيطرة عليه حتى سقوطها في القرن الثالث ق.م.

الصراعات السياسية بين ممالك اليمن أمر يصعب تصور دوره المدمّر في تخريب حضارة اليمن، وسنأخذ مثالين من أكثر مملكتين اهتمتا بالتجارة أكثر من الحروب، لكنهما صارتا تسلكان السلوك ذاته في هذا النهج الذي تسلكه الممالك ذات الطموح السياسي الواضح،

فمثلاً «في الربع الأخير من القرن 6 ق.م ظهرت مملكة أوسان الثانية بسبب ثورة شعوبها ضد سبأ التي ضعفت على أثر هزائمها في صراعها مع حضرموت، وظلت هذه الدولة قائمة إلى نهاية القرن الخامس ق.م، وفي نهايته وبداية القرن الرابع ق.م أصبحت قتبان أقوى دولة في اليمن القديم بعد حسم صراعاتها مع سبأ وحضرموت لصالحها، وتوسيع نفوذها بالقضاء على دولة أوسان الثانية في نهاية القرن الخامس ق.م، ومد نفوذها إلى دثينة ودهس وتبني والمعافر، وظلت مسيطرة على هذه المناطق إلى ما بعد القرن الثاني ق.م» (عطبوش، عبد الله 2008: 390).

أما مملكة معين، وهي النموذج الثاني، فبعد أن كان تاريخها القديم قبل القرن الرابع ق.م تجارياً محضاً، فإنه سرعان ما «كان ظهور دولة معين على المسرح السياسي لليمن القديم في القرن الرابع ق.م، نتيجة صراع حضرموت مع سبأ في بداية القرن الخامس ق.م، الذي انتهى بسيطرة حضرموت على منطقة الجوف وتحالف معين معها، وبعد ضعف حضرموت أثناء صراعها مع قتبان في المدة من نهاية القرن الخامس ق.م إلى منتصف القرن الرابع ق.م، حيث توحدت مدينتي معين وبثل ثم بقية مدن الجوف لتكون دولة معين التي انفصلت عن حضرموت، وإن دولة قتبان لم تسيطر على دولة معين لبعد أرضها عن معين، بل نشأ تحالف هدف إلى إبعاد سبأ عن مد نفوذها إلى أرض معين الموزِّع الأول لسلع قتبان» (عطبوش، عبد الله 2008: 390).

ولا شك أن الدولة الحميرية تتحمل المسؤولية في سقوط الحضارة اليمنية، لأنها تبنت الأديان الوافدة وفتحت المجال للتدخلات الأجنبية، وسمح ضعفها بتفكك الوحدة اليمنية ونشوء الإقطاع وسيادة العبودية.



ختم الدولة الحميرية

4. الأسباب القانونية: المجالس العامة والمحلية المنضبطة في بداية ظهور الحضارة اليمنية تقلص دورها وتلاشت في الدولة الحميرية، وعادت مهامها لا تكون زراعية كما كانت بل تدخلت في سن قوانين العقوبات وقوانين تنظيم التجارة، وعند تراخي قبضة الدولة كانت الفوضى تدب وتقوم المجالس بالحكم على هواها.

لم تكن هناك جهات قانونية راسخة تصدر القوانين وتنظمها، فقد كان الملوك أحياناً يصدرون قوانين كاملة مثل القانون الذي أصدره الملك الحميري (شمر يهرعش) وسَنّ عدداً من القوانين التي تنظم بيع وشراء العبيد والمواشي.

فقدت الشرائع اليمنية القديمة قوتها، وعادت لا تُطَبّق كما كانت، بسبب ظهور المخاليف وإقطاعيات الأقيال والأذواء والشيوخ، ووضع رجل دين مسيحي إغريقي الأصل القانون الحميري الأخير.

5. الأسباب العسكرية: مزقت المعارك والحروب الداخلية واستهلكت اقتصاده وهمّشت نخبه وسخرتهم كحدادي أسلحةٍ وصانعي حروب، إذ «إن الصراع بين ممالك اليمن القديم في مدة القرن السابع ق.م إلى القرن الثاني ق.م لم يكن الهدف منه إقامة دولة يمنية واحدة تجمع شعوب اليمن القديم كافة، لعدم تبلور فكرة الوعي القومي آنذاك بين شعوب اليمن القديم، التي يرى كل شعب منها أنه كيان مستقل بذاته، ولا يربطه بغيره من الشعوب إلا المصالح المشتركة بحكم الجوار.

بدأت الحروب والمعارك الداخلية من أوسان وقتبان وسبأ، وكانت سبأ هي الأقوى فشنت حرب توحيد الممالك الأخرى التي يمكن ان تكون لها فائدة من جهة، لكنها صنعت أساس تقاليد الحروب الداخلية، و«إن حملات (كرب إيل وتر) لم يكن هدفها توحيد اليمن القديم تحت حكم سبأ، بل القضاء على التهديد الأوساني لسبأ وتوسيع نفوذه في أراضي الشعوب اليمنية الأخرى حتى تكون سبأ أكبر قوة مهيمنة في اليمن القديم» (عطبوش 2008: 387).

كان العامل الاقتصادي هو الأساس، فقد طمعت الممالك بعضها بعض، وخصوصاً تلك التي تقع على محور طريق البخور داخل اليمن: «إن سبب الصراع بين ممالك اليمن القديم كان اقتصادياً، تمثل بسعي بعض الممالك إلى السيطرة على أراضي غيرها من الممالك الأخرى، إما لموقعها على طريق البخور، أو لاستغلال أرضها وثرواتها الزراعية، أو للسيطرة على الموانئ التي تصل إليها سلع شرق إفريقيا والهند لزيادة ثرواتها، وسياسياً لتوسيع رقعة نفوذها تحقيقاً لمطامعها الاقتصادية بتحويل ثروات غيرها لصالح شعوبها وآلهتها» (عطبوش 2008: 387).



فارس سبئي يتقدمه أحد الجنود

لم يكن الجيش اليمني باللياقة الوطنية المعروفة، فقد كانت تسيّره أهواء القبائل، وكان أغلب جنوده من الفلاحين الذين يدفع لهم الأقيال وشيوخ القبائل، ولذلك تتجاذبهم مراكز فرعية غير مركز الدولة الرسمي.

كانت طبقة الـ(أسدم) في الجيش تتكون من الجنود الحقيقيين وهم يوازون ما نعرفه بـ(المتطوعين) الذين يكون القتال مهنتهم الوحيدة، أما الفلاّحون فكان لهم، في الجيش، طبقة تسمى (قسدن(، وهي طبقة الجنود المكلّفين الذين فرضت عليهم الخدمة العسكرية

ويعملون بأجر عند وقوع الحرب، وكان يأتي بعد هؤلاء الطبقة العسكرية التي تتكون من جنود غير نظاميين يمثلون المرتَزِقة والخارجين عن القانون وينفّذون مآرب القبائل التي ينتمون إليها.

وكان من نتائج هذا الإجراء أن ضعفت ثقة التجار بحماية جنود الجيش لقوافلهم، ولذلك جمّع التجار قواهم في طبقةٍ خاصة بهم تسمى (مكر)، وأصبح لهم دورٌ اقتصادي مهم يأتي بعد الأقيال والأبعال، فهم الذين يدفعون الجزء الأكبر من الضرائب.

وإذا كنّا نحمّل دولة حمير سبب السقوط الأخير للحضارة اليمنية، فإننا نحمّل سبأ سبب السقوط الأول، على رغم ما بذلت لأنها لم تسعَ إلى صنع وحدةٍ سياسية حقيقية في البلاد، وجعلت نزعات التوسع تسود: «إن من بدأ بالصراع، لأول مرة، في تاريخ اليمن القديم هو دولة سبأ بتوسعاتها في أراضي الجوف ونجران والمعافر ودهش وتبني وقتبان، منذ القرن 8 ق.م، لتحقيق أهداف اقتصادية تكمن بالسيطرة على محطات طريق البخور وسِلَع شرق إفريقيا، والتحكم بتجارة اليمن القديم بما فيها السلع الهامة التي تنتجها الممالك اليمنية الأخرى (المر والبخور) وغيرها، التي لا تنتجها أرضها، وتستهلك معابدها كميات كبيرة منها وتدفع مقابلها مبالغ طائلة، لذلك سعت في الحصول على تلك السلع بالقوة، والحصول على الأموال لتنمية منطقة مأرب، وتوسيع نفوذها سياسياً بتحويل عائدات تلك المناطق التي سيطرت عليها لمصلحة الدولة السبئية وشعوبها» (عطبوش 2008: 388).

6. الأسباب المدنية: منذ القرن الميلادي الأول «ضعف سلطان الدولة المركزية أمام نمو قوى الإقطاع، واستقلال شيوخ القبائل وأمراء المخاليف بمقاطعاتهم، وأصبحت سلطة الملوك اسمية وليس لهم تأثير حقيقي وبذلك ظهرت الإقطاعيات المبعثرة، ونمت النزعات الفردية، وتولدت الملكيات الخاصة، وحلّت محل الملكية العامة، وظهرت الملكيات الإقطاعية الكبيرة، وكما أشرت سابقاً، فإن تلك التطورات قد بدأت منذ القرن الأول الميلادي تقريباً واستمرت حتى القرن السادس، وتؤكد النصوص التاريخية القديمة هذا القول، وقد وقعت اضطرابات في هذا العهد دامت نحو قرن ونصف من الزمان، لم ينعم اليمن خلال هذه المدة بالراحة والاستقرار، فنجد في الكتابات التي وصلت إلينا عن هذا العهد ملوكاً وإقطاعيين يحارب بعضهم بعضاً» (عمر 1970: 41).

سقطت مملكة سبأ بعد أن فشل سد مأرب بوظائفه، بسبب التصدع الذي أصابه، ففاضت المياه منه ودمرت القرى والمدن والمزارع المحيطة به وسمي هذا في الأدبيات المروية بـ(سيل العرم)، فهاجر السكان داخل وخارج اليمن، وهجر أهل مأرب مدينتهم، وصعدت قبائل حمير ومذحج وكندة والأشعريون وأنمار (خثعم، وبجيلة)، وبدأ عصر جديد من الصراعات التي فشلت فيها دولة حمير حين سمحت للأديان التوحيدية الوافدة (اليهودية والمسيحية) بالانتشار فيها، وهو ما سمح بالنفوذ الأجنبي إلى دولتي الحبشة وفارس بالتدخل في البلاد، وتقويض حضارتها العريقة.

«يمكن أن نشير وفقاً لرؤية كثير من الباحثين إلى أن نواة أو محور التشكل للدولة اليمنية القديمة ـ والحديثة ـ هي «القبيلة»، والقبيلة القوية بالذات التي استطاعت أن تفرض سطلتها على قبائل متعددة وتجعلتها تنضوي تحت عَلَمها فضلاً عن تحالفها مع قبائل أخرى، وهكذا شكلت القبيلة القوية أو القبيلة «الزعيمة» بمفهوم كاناكيس أساساً لبناء الدولة، وكانت العصبية القبلية محدداً أساسياً لقوة القبيلة التي تحالفت مع رجال الدين حيث كانت لهم هيمنة وسلطة كبيرة، انطلاقاً من أن هؤلاء كانوا قد جمعوا في أيديهم السلطتين الدينية والسياسية، وكان لقب «المكرب» كلقب كهنوتي يشير إلى ويتضمن في معناه ودلالته امتلاك رجال الدين للسلطتين الدينية والمدنية، خاصة وأن للدين تاثيراً كبيراً على حياة الأفراد والجماعات انطلاقاً من أن لكل قبيلة كانت آلهتها، وأن هؤلاء الأفراد يعدون أنفسهم أولاد الآلهة وعبيدها، فضلاً عن استغلال رجال الدين ورموز القبائل للعاطفة الدينية الجياشة لدى أفراد المجتمع، هنا نشأ التصور الشرقي القديم للدولة الذي يقوم ـ وفقاً لرؤية «كاناكيس» ـ على أن الحاكم أو الملك هو ممثل الآلهة على الأرض، أما أفراد الشعب فهم أبناء الإله، ومن هنا نشأ تحالف بين رجال الدين وشيوخ القبائل عمل على توسيع سلطتهم ونفوذهم فتكونت الدولة معتمدة في أساسها ومقوماتها على هذا التحالف» (الصلاحي 2002: 13 ـ 14).

7. الأسباب الاقتصادية: كانت أسباب حروب الممالك اليمنية، فيما بينها، اقتصادية بالدرجة الأولى، فقد «أدى الصراع بين ممالك اليمن القديم، اقتصادياً، إلى مصادرة أراضي الشعوب المغلوبة وفرض الجزية عليها، مما أدى إلى ظهور التملك الإقطاعي، وبدأت به أوسان ثم سبأ في بداية القرن السابع ق.م، وظهر هذا التملك الإقطاعي في قتبان أثناء القرن الثالث ق.م، أما حضرموت فإن التملك الإقطاعي بها غير واضح لانعدام النصوص النقشية الحضرمية التي تشير إلى ذلك، كان من نتائج الصراع في الجانب الاقتصادي تبادل الممالك اليمنية القديمة السيطرة على اقتصاد اليمن القديم، حيث سيطرت أوسان أولاً ثم سبأ في بداية القرن السابع ق.م، وفي المدة من القرن السادس ق.م إلى الثاني ق.م، حلت حضرموت محل سبأ ثم قتبان ومعين خلفاً لحضرموت، ومع ذلك ظلت كل تلك الممالك تستفيد من عائدات طريق البخور، إما بِسِلَعها أو بموقع حواضرها عليه، مما حال دون سقوط أي من تلك الممالك إبان صراعها في المدة من القرن السادس إلى الثاني ق.م (عطبوش، عبد الله 2008: 390 ـ 391).

إن الطمع وتغليب الاقتصاد في هذه الحروب يوحي بضعف السعي إلى توحيد البلاد والتنازل عن بعض أشكال الوجاهة السياسية للملوك والقادة والأمراء والأقيال، «لذلك عجزت أي من هذه الدول عن توحيد الأرض اليمنية القديمة تحت سلطاتها لعدم توفر القوة البشرية والاقتصادية الكبيرة لدى إحداها التي تمكنها من فرض نفوذها على غيرها من الممالك، فضلاً عن صراعاتها بعضها مع بعض، واستفادتها جميعاً من طريق التجارة المارة باليمن القديم مما قَوَّاها بعضها ضد بعض وساعدها على الاستمرار لمدة طويلة، وكذلك عدم ظهور شخصية سياسية قيادية في إحدى هذه الممالك تعترف لخصومها بحقوقهم

في أرضهم بعد السيطرة عليها وتساومهم بشعوبها، حتى تضمن بقاءهم تحت نفوذها، وتستطيع الاستفادة منهم في توسعاتها لِلَمّ شمل أراضي اليمن القديم تحت نفوذها (عطبوش، عبد الله 2008: 390 ـ 391).

هذا ما نراه سبباً عاماً في تداعي المشاريع السياسية والاقتصادية لمنع سقوط الحضارة اليمنية، لكن بعض الكتابات التي حاولت التطرق إلى أوضاع التجارة الداخلية إبان تلك المرحلة حددت بأن التجارة الداخلية لم تزدهر في اليمن لأسباب عدة منها:

«1. عدم اكتمال تقسيم العمل الاجتماعي بين الحرف والزراعة.

2. غلبة الاقتصاد الطبيعي حيث الإنتاج يوَجَّه أساساً للاستهلاك وليس للتبادل.

3. بقاء مخلفات قوية للتنظيمات القبلية، وهو أمر عرقل عملية الاتصال بين مختلف الجماعات، ويضيف أعباء جديدة إلى عملية تبادل البضائع.

4. وعورة التضاريس في اليمن، وهي تضاريس جبلية تضيق عملية الاتصال بين المناطق المختلفة.

5. كثرة الحروب بين الممالك اليمنية والقبائل في كل دولة، وهو أمر يؤثر سلباً في التجارة المحلية» (قائد 2004: 89).

وهذا لا يتقاطع مع ما ذهبنا إليه في نقاش مجمل عوامل أسباب السقوط، لكن العوامل الاقتصادية بدأت تتفاقم في مشكلاتها، فقد ظهرت مرحلة الإقطاع الزراعي، وتناقصت أهمية الطريق البري للبخور، وسيطرة الرومان ثم البيزنطيين على التجارة البحرية، «وفي هذا العهد تحولت عملية إصلاح الأرض واستغلالها إلى نوع من الحكر الشخصي، إذ بدلاً من المبدأ القديم الذي كان يحكم استصلاح الأرض واستغلالها عن طريق الجماعات وعلى يد الجماعات أصبح نوعاً من الحكر الشخصي، وبذلك تحول الملوك وموظفيهم وسادات القبائل ورؤسائها وأمراء المخاليف إلى طبقة مالكة لوسائل الإنتاج، أي حلّت الملكية الفردية محل الملكية العامة لوسائل الإنتاج، وبذلك انهارت العلاقات الإنتاجية للمجتمع العبودي القديم، وحلّ محلها نوع من العلاقات الإقطاعية» (عمر1970: 41).

كان الاقتصاد اليمني من نمط الإنتاج الآسيوي الذي ارتبط بثلاث قضايا أساسية هي: الري، والقرية المكتفية، والاستبداد، «فالمجتمع اليمني لم يشهد سيادة نظام عبودي أو إقطاعي خالص، لكنه شهد علاقات إقطاعية قوامها استغلال الدولة ـ الطبقة المسيطرة ـ للفلاحين بالاستحواذ على فائض الإنتاج ـ الخراج والضرائب ـ فضلاً عن فائض العمل ـ السخرة ـ، عِلاوة على أن هذه العلاقات الاستغلالية من قبل الدولة كانت وما تزال تمارس حتى في أيامنا هذه، ولما كان المجتمع اليمني مجتمعاً زراعياً فقد كانت الأرض وما زالت تمثل

وسيلة الإنتاج الأساسية، فالأرض والإنسان يكونان معاً التجسيد الأساسي لقوى الإنتاج في المجتمع، ولعل ذلك ما دفع بعض الباحثين إلى عدّ اليمن مجتمعاً إقطاعياً فغابت عنهم الكثير من المحددات الهامة التي يتشكل منها التكوين الاقتصادي الاجتماعي التي تلعب فيها البنية الفوقية (السياسية، الدين، القبيلة) أدواراً فعالة ليس فقط حيال بناء الدولة وتنظيماتها بل أيضاً حيال الأنشطة الاقتصادية وأساليبها الإنتاجية» (الصلاحي 2002: 23 ـ 24).



نحت بارز لرجل يمني يركب جملاً/المملكة الحميرية

ويمكن إجمال أسباب تدهور التجارة اليمنية في الأسباب الآتية:

«1. ضعف المراكز والمحطات الحضارية التي كانت تشرف على طريق القوافل، وهذا الأمر أدى إلى ضعف حماية الطرت التجارية. 2. عدم وجود الأمان وحياة الاستقرار ونزوح السكان وهجرتهم، بسبب المعارك والصراعات التي حدثت بين ممالك الجزيرة العربية. 3. استطاع الإمبراطور الروماني هيبالوس اكتشاف حركة الرياح الموسمية ومد تأثيرها على حركة السفن والقوارب التجارية، ما أدى إلى قيام علاقات تجارية بحرية مع الهند والصين، ونتج عن ذلك إضعاف استخدام الطرق التجارية، واستبدال التجارة البحرية بها. 4. دخول دين جديد في ممالك جنوب الجزيرة العربية وشمالها، وهو الدين المسيحي الذي أدى إلى تغير الكثير من الشعائر والطقوس والعادات الدينية، وعدم استخدام البخور واللبان في الكنائس الدينية (محمد 2008: 142). 5. سيطرت الرومان على الممالك العربية القديمة، ففي عام 106 م سقطت مملكة (الأنباط)، وفي القرن الثالث الميلادي سقطت (تدمر)، وفي بداية القرن السادس الميلادي سقطت مملكة حمير، آخر وأقوى الممالك العربية الجنوبية،

التي كان من نتائج سقوطها انتهاء الممالك العربية في الجزيرة، وتفرقت كلمة العرب التي لم تجتمع إلا بظهور الإسلام» (الشمراني 2016: 28).

8. الأسباب الفكرية: لم ينشأ فنٌّ هلنستي حقيقيّ في اليمن، كما حصل في بلدان المشرق وشمال إفريقيا مثلاً، وظلّ الفن يعاني من التكرار ومن العودة إلى الطابع الهندسي البدائي في صناعة التماثل التي تشبه الشاهدة التي سادت في جزيرة العرب.

وظهرت ملامح خراب الفنون في الدولة الحميرية حين أصبح صنع التماثيل في الديانتين اليهودية والمسيحية بمثابة الحرام والخطأ، وهكذا كان تدهور الفن علامة على سقوط حضارة وصفها التوحيديون بأنها وثنية!



شاهدة مجسمة من المرمر، حوالي القرن الأول قبل الميلاد، القرن الأول الميلادي، أبعادها = ارتفاع 19 × 1/2 بوصة

اللغة الحميرية خير شاهد على ما وصلت إليه اللغة السبئية من هُجنة في اللفظ ودخول مفردات وتراكيب غريبة على اللغة السبئية وغيرها من لغات اليمن القديم، وهو مؤشر آخر لبدء انهيار الحضارة، حتى الكتابة المسندية انهارت وحل محلها المسندية الزبورية، ثم دخلت الأبجديات الآرامية والسريانية لتحل محلّ المسند، وفي هذا نكوص حضارة، وهذا يجعل الأدب والفكر ضعيفاً ولا يقدّم الجذوة الأصيلة لروح الشعب.

9. الأسباب الاجتماعية: كان حجم طبقة الأحرار من اليمنيين العامة كبيراً ولكنه كان مقيّداً بالطاعة لأولي الأمر من الملوك والمكربيين والأمراء والأقيال ورجال الدين ورؤساء القبائل، كان ذلك في زمن صعود الحضارة اليمنية، لكنه أصبح أسوأ كلما استُنزفت هذه الطبيعة في

رَحَى الحروب الأهلية بين الممالك وفي التردي الاقتصادي المستمر: «إن ذلك البنيان الاجتماعي المتخلف للجماعات القبلية والعشائرية الذي كان انعكاساً لظروف حياتها المادية والاجتماعية المتخلفة، كان عاملاً من عوامل عدم الاستقرار السياسي على الأرض اليمنية، ثم إنه كان من أسباب تلك الحروب الطاحنة التي كانت تقوم بين القبائل المختلفة، أو بين القبائل والملوك، أو بين الملوك، وقد أسهمت في تعزيز النظام القبلي العشائري وبقاء شيوخ القبائل فئة لها شأنها في المجتمع القديم وفي المجتمع الحديث أيضاً، ففي المجتمع القديم كان لهم: مجالسهم القبلية التي كانت تجتمع وتُصدر القرارات، ولم تكن تتورع من «إحراق الحرث والنسل»، وممارسة أعمال القتل، والنهب، إذا تضامن من شيوخها وقرروا القيام بذلك تحقيقاً لطموح ما أو حفاظاً على مصالحهم ونفوذهم. إن تلك العوامل التي ساعدت على بقاء البنيان القبلي العشائري في المجتمع قد مكنت ذلك البنيان القبلي من أن يكون أيضاً دعامة للنظام الإقطاعي الذي حل محل النظام العبودي القديم، وقد شكّل أحد عوامل الركود الطويل لحركة التطور والتقدم في المجتمع اليمني وحتى الوقت الحاضر» (عمر 1970: 32 ـ 33).

أما الطبقات السفلى المُعْدَمة فقد كانت تمتاز بازدياد عدد أفرادها، وكانت «تتكون من فئات عدّة منهم الأتباع (أدم)، وهم يتبعون شيوخ القبائل وملاك الأرض، ويشتغلون بالحرف اليدوية والزراعة في أراضي ومعامل سادتهم ومُلّاك الأرض، وبعضهم يمتلك قطعة أرض، وبعض المواشي التي يمنحها لهم ساداتهم، ويدفعون العُشر للدولة والمعبد، والشريحة الأخرى هم العبيد (عبدن) الذين يُشْتَرون ويباعون، وحرية الحركة لهم محدودة لملكية سادتهم لهم، ومارسوا الحرف والصنائع والمهن الخدمية، وزراعة الخضراوات والبقوليات التي كانت من الأمور المحتقرة لصالح سادتهم، وهذه الطبقة تشترك في الصراعات وهم مجبرون على خوضها بحكم تبعيتهم لساداتهم، على رغم قلة استفادتهم منها، فكل مردودها وغنائمها التي يحققها هؤلاء بحكم اشتراكهم فيها تعود إلى أولئك السادة، وهذا ما يتعلق بالعبيد، أما الأتباع فإنهم يشتركون في الصراع لتبعيتهم لسادتهم ويحصلون على بعض الغنائم مما يتكرم به أولئك السادة عليهم» (عطبوش 2008: 140).

10. الأسباب النفسية: انهيار السايكولوجيا الاجتماعية في الحروب الأهلية وغزوات وتدخل الأحباش والساسانيين، حيث ضعفت الثقة بالنظام المحلي، وأصبح الاعتماد على مساعدة الأجانب أمراً طبيعياً، وهذا إحدى علامات الهبوط الحضاري.

11. الأسباب المادية: عدم الاستثمار الصحيح للموارد المادية للبلاد، وتعطّل القدرة على ابتكار التقنيات المناسبة لحلّ المشكلات، والاعتماد على الرومان والبيزنطيين في تسيير أمور التجارة البحرية، وضعف استثمار السدود والمياه والبخوريات، كلّها أدت إلى انهيار شامل في الحضارة اليمنية.

12. الأسباب الدينية: اضمحلال الديانة المحلية واستقبال الديانات الوافدة كاليهودية والمسيحية، وعلى رغم وجود جذور عميقة للتوحيد في اليمن القديم، من خلال عبادة الآلهة (إيل، رحمان، ذو سماوي)، فإن اليمنيين لم يستطيعوا أن ينهضوا بالتوحيد من خلالهم، والسبب في ذلك هو ديانة الملوك، فقد تَبَنَّى بعض ملوك حمير الديانتين اليهودية والمسيحية وجعلوهما ديانة الشعب، ويبدو أن الشعوب تكون على ديانة ملوكها، ولم تنتبه إلى جذور التوحيد عندها.

13. الأسباب العلمية:

ضعف العلوم والابتكار وعدم تطورها واقتصارها على المسمّيات وعدم التخصص الدقيق فيها وجعلها عملية ملتحمة بالعمل، كانت هذه الأمور سبباً في التكرار النمطي للعمارة والعلوم، وسبباً في عدم تطورها، فلو استعرنا الرياضيات اليمنية لوجدناها بسيطة للغاية ولا تتعدى نظام العد والعمليات الأربع الأساسية في الرياضيات، والمترولوجي غير ثابت وغير متوحد ويتغير بين حين وآخر، وتوقف الطب عند حدوده القديمة البسيطة ولم يتطور، ولم يكن التحنيط جزءاً حيوياً من الطب وتقاليد دفن اليمنيين، بل كان عشوائياً، وتُركت الكيمياء في المعادن ولم تتوسع، ولم تكن هناك علوم للفلك والتنجيم، وفي العلوم الإنسانية لم يتطور علم جغرافيا بالمعنى الدقيق، وليس هناك أنظمة تعليم وتربية ومدارس.

14. الأسباب الفنية:

تميزت المرحلة الحِميَرية بصناعة التماثيل البرونزية لكنها كانت محمّلة بتأثيرات رومانية، وأصبح الميل ضعيفاً إلى النحت الحجري والصخري، وهذا مؤشر بداية لزوال فنون النحت كلها، ثم إن المضامين اهتمت بكائنات الفينيق البرونزية وهي، في أغلبها، وافدة من الخارج في شكلها ومصنوعة من البرونز، ونرى أنها ليست من صلب الديانة اليمنية القديمة لأن النصوص المسندية لا تذكرها، وبرزت صناعة الزجاج والحلي الذهبي الدقيق الصنع لأغراض عملية تطبيقية للفنون، وحتى العمارة والمدن اليمنية في آواخر أيامها قلّ العمل بتحصينها معمارياً، ففي موقع العصيبة (مديرية السدة) كانت التحصينات الطبيعية تستخدم كمرتفعات في البناء.

والحقيقة أن القرن الأخير شهد انتكاسة حقيقية في الفن التشكيلي، وكان في ذلك إشارة إلى زوال حضارة عريقة، بل إن الفنون فشلت في استيعاب المتغيرات الجديدة التي حصلت في اليمن بين القرون 4 ـ 7 م، وخصوصاً دخول اليهودية والمسيحية فلم يستطع أن يتكيف مع هذا الواقع الجديد، ولا مع إرثه السابق القديم.

15. الأسباب الأخلاقية:

تفكك الأخلاق الحضارية وسيادة أخلاق القبيلة والأقيال والإقطاعيين، وممثلي الأجانب في البلاد، وانتشار الفساد في البلاد بسبب سيادة الإقطاع والمخاليف بدلاً من المركزية الملكية للدولة.

وأخيراً لا بد من إجمال أسباب صعود وسقوط الحضارة اليمنية بعناصرها المادية والروحية بهذين الجدولين الموجزين والمكثّفين:

المبحث الثاني: التفاعل والصيانة والتهديم والديمومة والأبعاد الثقافية اليمنية

أولاً: أنواع التفاعل المتبادل Interaction

هيمنت القبلية على حضارة اليمن، ولم تختفِ، جزئياً، إلاّ في مرحلة قصيرة من التاريخ السبئي حين هدأت فيه نزعات الممالك المنضوية تحت الاتحاد السبئي، ولم تنفصل أو تحاول ذلك، لكن ما تبقى من تاريخيها كان صراعاً قبلياً داخل وخارج الممالك اليمنية.

وربما تكون لجغرافيا اليمن أثرها الكبير في هذا، فقد كانت تفصل الوديان والجبال والتضاريس الخشنة بين الممالك وتحول دون وجود أسباب وحدة جغرافية لها، تسمح بذوبان الفوارق بين الممالك.

لم يكن التفاعل المتبادل بين الممالك جيداً، فقد كان ينتهي، في الغالب، بحروب ودمار وقتل، حتى تنهزم فيها مملكة لتتيح لأخرى التوسع والهيمنة.

ولم يكن هناك تفاعل بين التمدن والقبلية اليمنية، فالقبلية اليمنية أرادت حضارة لا تذوب فيها قيمها القبلية، وكان هذا سبباً في تعطيل التفاعل الحضاري.

ويتفاوت الأمر مع التفاعل الحضاري بين اليمن والدائرة الإقليمية التي كانت تتواصل معه عبر الهجرة إليه والتفاعل مع شعبه، فقد كانت من النوعين الآتيين:

1. التثاقف (اكتساب خصائص ثقافية) Acculturation:

يمكننا تعريف التثاقف على أنه: «(1) الطريقة التي يتم من خلالها توصيل الثقافة إلى الطفل. (2) تكيّف عضو من خارج الجماعة بإدماجه في الجماعة. (3) نمو الثقافة عن طريق الإضافات المتوالية. (4) تبني مجتمع ما لجانب من ثقافة مجتمع آخر من خلال الاتصال. (5) تغير ثقافي في أحد المجتمعين ناتج عن الاتصال الثقافي» (الصالح 1999: 24).

يُعرف باسم الاستيعاب الثقافي عندما تقبل مجموعة أقلية قواعد وقيم وأنماط السلوك (الثقافة) لمجموعة الأغلبية، أو عملية اقتراض أو قبول العناصر الثقافية لمجموعة الأغلبية دون تغيير العناصر الثقافية الأصلية، وكان هذا يجري مع الوافدين من حضارات وثقافات آخرى مثل الأحباش والأفارقة والهنود وغيرهم.

2. الاستيعاب، التماثل Assimilation:

يعرّف الاستيعاب أو التماثل بأنه «(1) تثقيف أو اندماج بنائي، اندماج أو توحّد نفسي لجماعة مهاجرة، أو (2) تثقف كامل، اختفاء الفوارق الثقافية والمنافسات بين الشعوب، أو (3) اندماج الفرد أو الجماعة في جماعة أخرى أو اندماج الجماعات في حياةٍ ثقافية مشتركة» (الصالح 1999: 50).

جرى التماثل، بنطاق واسع، مع العرب في اليمن وحولها، وتمثّل مملكة كندة نموذجاً لهذا النوع من التفاعل.

3. التقشف واللذة:

يرى ول ديورانت «أن الأمم تولَد رواقيةً وتموت إبيقورية، يقوم الدين إلى جانب مهدها، ويصحبها الإلحاد والفلسفة إلى قبرها»، ولا شك أن التطرف في كلا الحالين لا يؤدي إلى شيء، لكن الحضارة اليمنية وُلدت كنوعٍ من الاستجابة المبدعة الخلاّقة من الإنسان اليَمَني القديم لتحدي البيئة والمناخ وشحّة المِياه والأمطار، ولا شك أن ديانتها الكوكبية ساهمت في صعود حضارتها، لكن الغريب في الأمر أن ظهور اليهودية والمسيحية كديانتين جديدتين لم تُسَاهِما في إنقاذ حضارة اليمن من الهبوط، ولم تَعِش اليمن آخر عصورها في الترف والقوة، بل كانت متقشفة فقيرة بسبب الغزو والإقطاع.

4. الهبيتوس اليمني: أسلوب الحياة اليمنية Yemenian Habitus

الهبيتوس هو أسلوب الحياة، وهو السجيّة الحضارية الذي يعبر عن نفسه في مجموعة من طرائق السلوك والتصرفات الاجتماعية عند الفرد والجماعة، وهو المهارات وطرق العمل وطريقة الوجود والعيش والحضور العفوي الذي يحمل صفات متوارثة على السليقة ودون تصنّع وافتعال، وهو جوهر الشخصية والبنية الذهنية المولِّدة للسلوك والنظر والعمل.

الهبيتوس من مصطلحات الأنساق التربوية في نظرية بورديو، ويمكن استخدامه في مجال الدراسات الحضارية وعَدّه خلاصة أسلوب الحياة في أي حضارة، فهو لونها العام اجتماعياً وفردياً.

يمكننا اشتقاق الهبيتوس اليمني من الملاحظات الآتية من أسلوب حياة المجتمع اليمني ضمناً:

1. القدرة على الاستجابة الصحيحة لتحديات الطبيعة والتكيّف معها واستثمارها.

2. الثروة والبذخ والأناقة في العمران والمظاهر للطبقات العليا بشكل خاص.

3. التمسك بالروح القبلية والوجاهة السياسية على حساب التحضر الشامل.

4. عدم تبلور صيغة مدنية وتربوية واضحة وإهمال التعليم.

5. الميل إلى الفنون في شكل وزينة العمارة والنحت بشكل خاص.

7. المجتمع المحافظ والعائلة المتماسكة التقليدية.

ثانياً: الصيانة والتهديم والديمومة

كانت البدايات الأولى لبناء المدن منذ نهايات العصر البرونزي أمراً مميزاً استطاع أن يُثمر ممالك نوعية عريقة، وكانت هذه المدن تُعَرض للخراب والتلف والتدمير والتبديل، في أحيانٍ كثيرة، ويُصار إلى تلافي هذه الأمور وصيانتها.

عُرضت الحضارة اليمنية لعمليات تخريب وتهديم واسعة لم تستطع مجابهتها، وخصوصاً في حروبها الأهلية الداخلية، بل وصل الأمر بالوقوف والاستعانة بالأجنبي ضد أبناء البلد، وقد أسفرت هذه الأمور عن ارتكاب الأخطاء التي أدت بالحضارة اليمنية إلى السقوط والنهاية، وأدت الكوارث الطبيعية مثل انهيار سد مأرب وغيره من السدود القديمة إلى تلف الأراضي الزراعية وهجرة الناس داخل وخارج اليمن، وكان لانقسام المجتمع اليمني، في القرون الثلاثة الأخيرة من تاريخيه القديم، إلى يهودٍ ومسيحيين دوره الكبير في تقاتل أبناء الشعب الواحد وتخريب مدنهم.

الإنتشار والديمومة في الحضارة اليمنية:

تمكنت الحضارة اليمنية من الانتشار في محيطها الحضاري ورحلت منجزاتها ولغتها وكتابتها لجميع من حولها وأثرت فيهم تأثيراً كبيراً، وساهمت في تحفيز ديانة العرب والأحباش وفي بناء مدنهم وحواضرهم وطرقهم التجارية.

كانت هناك ديمومة واضحة على مدى يقرب من 1500 عام للحضارة اليمنية، على رغم كل ما مرت به من احتلال واختراق ومحاولات هيمنة، ويكمن سبب هذه الديمومة، من وجهة نظرنا، في الأصالة العميقة التي انطوت عليها هذه الحضارة وفي دورها الحضاري الذي

ربط آسيا بإفريقيا، وفي قدرتها على التكيّف مع منجزات الحضارات الأخرى والتعامل معها بحيوية.

ثالثاً: الأبعاد الثقافية

استُخدمت هذه النظرية، في تاريخنا المعاصر، على نطاق واسع في العديد من المجالات كنموذج للبحث، لا سيما في علم النفس بين الثقافات والإدارة الدولية والتواصل بين الثقافات، وتصف نظرية (خيرت هوفستد) للأبعاد الثقافية آثار ثقافة مجتمع ما في قيم أعضائه ومدى ارتباط هذه القيم بالسلوك، وذلك باستخدام بنية مستمدة من تحليل العوامل.

البروفسور الهولندي خيرت هوفستد عالم أنثروبولوجيا وعلم نفس اجتماعي، وهو أستاذ فخري في الأنثروبولوجيا التنظيمية والإدارة الدولية بجامعة ماستريخت، في هولندا، وأستاذ نظم المعلومات بجامعة فاخينينغن، كشف في «مناهج التحليل» وتطوير «أدوات التأثير» بعض الظواهر القياسية المتعددة الأبعاد في المجموعات البشرية، ودرس «آثار تفاعل القوى المختلفة» التي تشكل «ثقافات الشعوب والأمم» وتفسر تباينها في قبول ورفض الظواهر المختلفة، فخرج بنظرية (الأبعاد الثقافية للتجمعات البشرية) كإطار تقييم منهجي للفروق بين الأمم والثقافات.

طور هوفستد نظريته بفحص نتائج مسح على مستوى عالمي في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، واقترحت النظرية الأصلية أربعة أبعاد، ثم أضاف إليها بعدَيْن آخرين في كتابه الصادر في 2010 باسم «Cultures and Organizations, Software of the Mind» (الثقافات والتشكلات العضوية: برامج العقل).

يمكننا وضع هذا الجدول المبسط الذي يشرح بإيجاز ماهية الأبعاد الثقافية ومقوماتها ومضمونها:

انظر (Hofstede 2010)

يمكننا، من خلال قراءتنا لحضارة اليمن، وضع جدول الأبعاد الثقافية الآتي الخاص بها:

المبحث الثالث: تأثير الحضارة اليمنية في الأديان والحضارات

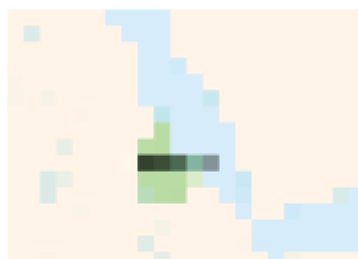
لا شك أن تأثير الحضارة اليمنية في محيطها الإقليمي كان واضحاً، وخصوصاً في الجزيرة العربية وإثيوبيا، ويقلّ هذا التأثير كلما ابتعدنا عن اليمن، وهذا أمر طبيعي، لأن حضارة

اليمن ظهرت في زمن كانت فيه أغلب حضارات الشرق الأدنى ودياناتها قد نضجت وقدّمت ثمارها، كالحضارات في وادي الرافدين وفي مصر والشام والأناضول بشكل خاص، وكان لهذه الحضارات والأديان تأثيرها الواضح في اليمن وبداياته الحضارية.

1. الحبشة:

يعدّ تأثير اليمن في الحبشة من أبلغ التأثيرات وأقواها، ومفارقته تكمن في أن اليمن بعد أن حفّزت التحضّر في الحبشة، احتل الأحباش اليمن وغزوه في أكثر من مرة، وسنتتبع تاريخ العلاقة المعقدة بين اليمن والحبشة سريعاً:

1. الهجرة السبئية الأولى: هاجروا من شمال اليمن وعبروا البحر الأحمر إلى شمال الحبشة، وهناك أنشؤوا مملكة (دومت) التي ازدهرت في المنطقة بين القرنين العاشر والخامس قبل الميلاد وكانت بداية تأثير الحضارة واللغة والكتابة المسندية في الحبشة.



مملكة دومت السبئية في شمال الحبشة

2. الهجرة السبئية الثانية: في القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد.

3. الهجرة الحضرمية: وهي الهجرة التي انطلقت من المهرة وحضرموت، وأصل تسمية الحبشة، التي شملت إثيوبيا وأرتيريا في ذلك الزمان، ترجع إلى قبيلة (مهرة حبشت) الحضرمية، في حدود القرن الخامس قبل الميلاد، وهي القبيلة الكبرى التي هاجرت، أيضاً، في أعقاب انهيار سد مأرب ورغبتهم بممارسة التجارة، وكان معهم (الجيزانيون/الأجاعز) من أعالي تهامة اليمن نحو شمال إثيوبيا، وأُطلق عليهم لقب (تقراي) (تاجراي) من تجارة، وأسسوا مملكة أكسوم القوية لاحقاً وهي تحالف (المهرا الحبشت) وهم الآن (الأمهرا/الأحباش)، والجيزانيين، الذين تُنسب إليهم اللغة الجئزية بفروعها الثلاثة (أمهرية، تقرنية، وتقري)، وهناك بدأ استعمال الأبجدية السبئية مبكراً ولم يكن يستخدمها السبئيون والحضرميون والجيزانيون المقيمون في هذه البلاد فحسب، بل والسكان المحليون الأفارقة أيضاً، وقد تطوّرت الأبجدية بشكل مستقل وولّدت مجموعة متنوعة من الكتابات المسندية المحلية.

شاعت لفظة الحبشة كتسميةٍ لبلاد إثيوبيا وأرتيريا، وقد جاءت «لفظة (جبسيتو) التي ترد ضمن نقوش الدير البحري (في صعيد مصر) أثناء وصف البعثة المصرية التجارية التي وصلت في عهد حتشبسوت (أواسط الألف الثاني ق.م) إلى بلاد بونت على أنها نطق مصري لكلمة (حبشات)، وهي اسم قبائل ذات أصل عربي جنوبي، كانت تسكن منطقة (مهرة) في جنوب بلاد العرب، وهاجرت إلى الساحل الإفريقي للبحر الأحمر واستقرت في المنطقة وأعطتها اسمها (الحبشة)، ولفظة (جنبتيو) التي تصف جماعة جاؤوا إلى مصر في عهد تحوتمس الثالث (1490 ـ 1426 ق.م) تحمل إليه هدايا من الصمغ العطري ومن البخور، ويرجح الباحث نفسه إلى أنها تشير إلى (القتبانيين)، إحدى القبائل التي كانت تقطن العربية الجنوبية في العصور القديمة» (رحماني ومدني 1997: 74).

4. الغزوات الحبشية لليمن: وقد ناقشناها مفصلاً في الفصل الثالث من كتابنا.

5. مملكة أكسوم (80 ق.م ـ 850 م): بعد الزخم الحضاري اليمني في إثيوبيا نشأت مملكة أكسوم، التي توسعت وصارت تُعرف أيضاً باسم الإمبراطورية الأكسومية، وهي مملكة قديمة تمركزت في إثيوبيا الشمالية، في إقليم تكرينيا أو تقراي (تجراي) الذي يُشكل اليوم ما يُعرف بأريتريا، ولقّب أهل أكسوم ملوكهم بملك الملوك، أو على الطريقة اليمنية (ملك أكسوم وحمْيَر وريدان وصالحين وتسيامو وبيجه وكوش)، واستمر حكمهم نحو ألف عام، كانت بداياتها الأولى في القرن الرابع قبل الميلاد تقريباً، لكن عناصرها اكتملت في القرن الأول ميلادي، وكان لها دور في طرق تجارة البحر الأحمر، وسيطرت على مملكة كوش في السودان، ثم غزت مملكة حمير، وتحولت للمسيحية في القرن الميلادي السابع.



مملكة أكسوم في أقصى اتساعها بين إثيوبيا وأرتيريا (الحبشة) واليمن

كانت عاصمة مملكة أكسوم مدينة أكسوم، وهي اليوم بلدة في إقليم تكرينيا (شمال إثيوبيا)، استخدمت المملكة اسم «إثيوبيا» منذ القرن الرابع الميلاد، وأصل الاسم إغريقي معناه الوجوه المحروقة أو السود أو الزيتونية اللون، وقد ظهرت، كالعادة، أساطير تاريخية رافقت ظهور وتطور أكسوم، تذكر بأنها المكان الأخير الذي وصل إليه (تابوت العهد) والموطن المزعوم للملكة (بلقيس) التي تزوجها سليمان وأنجب منها (منليك)، وهذا النوع من الأساطير كان مألوفاً في ذلك الزمن، مدَجّجاً بالخيال الذي يغلّفه.

2. جزيرة العرب:

جزيرة العرب هي الرحم الأكبر التي نشأت فيه اليمن، وقد تشكّلت خصوصية اليمن من بيئته وجغرافيته ومناخه، وانعكس هذا كله على تحضره الذي فاق بكثير ما كان عليه بقية سكان الجزيرة العربية، ولذلك اختطّ اليمنيون تاريخاً خاصاً بهم يجاور تاريخ العرب، على رغم أنهما أُدمِجَا بعد الإسلام في لُحمة واحدة.

لا شك أن الحضارة اليمنية أثرت كثيراً على سكان الجزيرة العربية ومنحتهم الكثير من مفرداتها، فالخط المسند اليمني انتشر في الجزيرة العربية وأصبح خط اللغات العربية القديمة الثمودية والأحسائية والدادانية/اللحيانية والصفائية، وكان لتميزها في التجارة وطرق تجارتها المارة في الجزيرة العرب شمالاً نحو وادي الرافدين والشام وسواحل المتوسط الأثر الكبير في حقله.

نرى أن أغلب التغيرات الحضارية العربية قبل الإسلام وبعده بقليل كان اليمن مصدرها، وهو أمر طبيعي بسبب الجوار واللغتين اليمنية والعربية، بلهجاتها الكثيرة، فضلاً عن بقية مظاهر الحضارة.

3. وادي الرافدين

نرى أن هناك تبادلاً حضارياً واضحاً بين وادي الرافدين واليمن، يمر عبر عناصر الحضارة كلّها، وقد يحتاج الأمر إلى بحث مفصّل طَرَقنا بعض مظاهرة.

4. بلاد الشام:

العلاقة بين بلاد الشام واليمن مميزة يعززها التبادل التجاري الذي كان وسيلة نقل حضاري مهم.

5. مصر:

قبل الحديث عن علاقات حضارتي مصر واليمن، لا بد من معرفة ما كانت تعنيه كلمة (مصر) في اللغات المعينية، التي نلخصها في هذا الجدول الذي نظمناه نقلاً عن مصدره المشار إليه:

انظر: د. محمد مرقطن: حفريات أثريّة (1) ـ اسم بلاد مصر (وادي النيل) والجذر مصر في النقوش اليمنية القديمة (2021).

وبذلك نجد أن مصر التي تعني بلاد مصر (وادي النيل) ذُكرت في اللغتين المعينية والقتبانية فقط، وربما بسبب التجارة فقط، وفي المعينية حين تقترن بمعين (معين مصرن) فيكون معناها (منطقة ددان أو العلا) وهي محطة تجارية تابعة إلى معين.

أما في مصر فكان هناك النقش المكتوب على تابوت خشبي لشخص يمني اسمه (زيد إل بن زيد) كان يعمل تاجراً للنباتات العطرية والبخور اليمني المستخدم في معابد مصر القديمة، توفي في مصر، في حدود 300 ق.م، وحنّطوا جثمانه ودفنوه في إحدى مقابر معبد جوار هرم سقّاره حيث عثر على التابوت المحفوظ حالياً في متحف القاهرة، ولم يعثروا على مومياته التي يبدو أنها سُرقت من تابوته، وكُتب على التابوت بنقشٍ معيني اللغة وذكر مصر والآلهة المصرية.

وجاءت عبارة (معين مصرن) أي مصر المعينية لتدل على العلا الحالية «م ع ي ن/م ص رن: إشارة إلى الجالية المعينية في دادان (العلا حالياً)، تلك الجالية التي استوطنت هناك من أجل تدبير شؤون البضائع التجارية التي تتولى القبائل المعينية نقلها من جنوب الجزيرة العربية عبر دادان إلى مناطق الاستهلاك في العالم القديم» (السعيد 2003: 35).

أما في اللغة الأكدية ثم العربية، كما في السبئية، فجاء الاسم بصيغة «م ص رن: مصطلح جغرافي يشار من خلاله إلى دادان (العلا حاليا)، واشتقاق الاسم من مِصْر الذي يفيد معنى «حدود» ومنطقة، وإقليم في اللغة الأكدية، ومصر وهو الحد، والمدينة، والصقع في العربية الفصحى، ومنه سميت الكوفة والبصرة المصران، لأن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: لا تجعلوا البحر فيما بيني وبينكم، مصّروها، أي صيروها مِصراً بين البحر وبيني» (السعيد 2003: 35).

علاقة حضارة مصر واليمن عريقة ولها مظاهر كثيرة أهمها التجارة والفنون، وقد حفلت الآثار اليمنية بالكثير من الآثار المصرية القديمة.

المبحث الرابع: مظاهر التفرّد والنقص في الحضارة اليمنية

أولاً: المنجزات المتفردة للحضارة اليمنية

1. المنجزات الجغرافية: يتكون موقع اليمن البحري من جبهتين مائيتين طويلتين تساهمان في حمايته وفي تجارته الدولية، ويتميز بإطلالته على مضيق باب المندب أحد المضائق المائية المهمة في العالم، الذي يتحكم بالطرق التجارية بين الشرق والغرب.

وكان لموقع «مأرب» الجغرافي أهمية داخل اليمن وخارجها، ولذلك أصبحت عاصمة لدولة «سبأ» ومكاناً للتحكم بطرق التجارة الرئيسة، فابتكروا طريق البُخور الذي هو منجز جغرافي متفرد، يبدأ من موقع حضرموت والمهرة على السواحل البحرية لتصدير البخور ونشاط التجارة البحرية مع الهند والعالم.

موقع مأرب في وادي «أذنة» مكّن السبئيين من استغلال مياه هذا الوادي فبنوا سد مأرب للتحكم بتوزيع المياه، وكان ذلك سبباً مهماً في ابتكار المدرجات الزراعية العالية في جانبي الوادي بشكل خاص.

2. المنجزات التاريخية: لم تُورِد النقوش المسندية شيئاً عن تقسيم جزيرة العرب إلى جنوب وشمال، ولم يطلق على اليمن جنوب العربية، ولم تَذْكر شيئاً، مطلقاً، عن ما يعرف بالقحطانية والعدنانية، أما التقسيم الشائع في الكتابات الحديثة وعند المستشرقين لشبه الجزيرة العربية بين شمال وجنوب فينحدر من العصر الإسلامي ومؤرخيه الذين أدمجوا تاريخ اليمن في تاريخ العرب وعاد لا يكون بينهما تمييز، لكن الحقيقة تقول إن الركن الجنوبي الغربي من الجزيرة هو مكان نشوء حضارة اسمها الحضارة اليمنية التي هي جمع مختصر للسبئيين والحميرين ومعهم كل الممالك اليمنية القديمة التي أحاطت بهما.

أسماها الإغريق (العربية السعيدة) وهي صفة شاعت عن بلاد اليمن، لكنهم كانوا يقصدون اليمنيين حصراً لا العرب، وفي هذه التركيبة تعوّض كلمة السعيدة عن المتحضرة، لأن العرب، الذين يسمونهم اليمنيون عربن، هم بدو الجزيرة، ولكن هؤلاء البدو سيمتصون اليمن في انطلاقتهم الدينية بالإسلام وسيصبح كلّ تراث اليمن القديم عربياً، وهذه مفارقة لا بد من الإشارة إليها وتحليلها.

وقد وجدنا أن التفريق العلمي بين اليمن واليمنيين القدماء قبل الإسلام عن العرب قبل الإسلام أمر في غاية الأهمية يمكننا من دراسة الشعبين دراسة دقيقة وإعطاء كلٍّ منهما وصفه، والاثنان لهما ما يميزهما بعضهما من بعض من جهة، ومن الشعوب السامية (الآمورية) من جهةٍ أخرى.

صنع السبئيون العمود الفقري للحضارة اليمنية وبنوا مستلزماتها مع الحضرميين والمعينيين والقتبانيين، وجاء الحِمْيرون بعد السبئيين وحاولوا في القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد الاستمرار في شحذ قوة الحضارة اليمنية مع الحضرميين والأوسانيين والكنديين والنجرانيين، لكن دخول اليهودية والمسيحية ساهم في إضعاف الحضارة

اليمنية وفصلها عن ماضيها وربطها بالحبشة والبيزنطيين والساسانيين، وصار التدخل الأجنبي في اليمن مطْلَباً، وهكذا تصدعت الحضارة اليمنية وانهارت.

كان المنجز التاريخي للحضارة اليمنية في رفع القبائل إلى مستوى متحضر وإنشاء الممالك والمدن منها، ولكن ذلك لم يُنجَز على وجه كامل، ولذلك عادت القبائل تحكم حضارة مفككة ساهمت العصبية القبلية في تدميرها وتسليمها إلى الأجانب وإنهائها.

3. المنجزات السياسية: لم تكن الحالة السياسية، في عمومها، موفّقة، الشيء الوحيد المتميز فيها هو وجود المجالس العامة (المسود) في الممالك وفي المدن وفي القبائل، فمنذ بداية الاتحاد السبئي عرفت اليمن أحد أول أشكال الديمقراطية، بعد الديمقراطية البسيطة في سومر ـ التي انقطعت ولم تستمر ـ، فقد كانوا في اليمن أنشؤوا برلماناً يُعرف بالـ(مشد، مسد، مزد، مجلس المسود)، وقَيّدوا قرارات الملك به حيث لا بد من عودة الملك أو الحاكم إلى هذا المجلس الشعبي ليصدّق على قراراته قبل تنفيذها وإلا تصبح لاغية، وهذا يختلف عن ما عُرف في الإسلام بنظام الـ«شورى» التي هي تجمّع قبلي داخل دار الندوة استأثر سادة قريش، ممن تخطوا الأربعين، فيه بالقرار قبل وبعد انعقاده، في اليمن كان يوجد مجلس برلماني له قدر كبير من الصلاحيات التي كانت تقيّد أيدي الملوك والحكّام وتمنع تفردهم بالسلطة، وكان هناك نوعان من المجالس التي تمثل السلطة التشريعية اليمنية وهما:

1. مجلس المسود (مسود منعن أي المجلس المنيع) الذي يضم كبار رجال الدولة وأسياد القوم والقبائل والمخاليف (أو المحافظات وهو مجلس استشاري أعلى لحسم الأمور الكبرى كأمور الحرب والمنشآت العامة واستراتيجيات الدولة العليا).

2. المجالس المحلية: وهي مجمّع مجالس القبائل (مسود القبائل) الذي يضم زعماء قبائل كل منطقة وممثلي كل مدينة، يقترح قوانين تصريف الشؤون العامة مثل البيع والشراء والاستثمار والضرائب، التي تعرض على الملك تمهيداً لنيل موافقته عليها.

لم يكن الملك مقدّساً أو حاكماً باسم الإله، بل منفّذاً لإرادته، وكان عليه أن يستشير شعبه من خلال المسود العام والمجالس المحلية، وهذا منجزٌ متميز في الشرق بشكل خاص.

ضعفت هذه الصورة النوعية للحكم في نهاية مملكة سبأ ومع صعود نفوذ السادة وأصحاب الأراضي، وفي القرن الثالث للميلاد انفرد الإقطاعيون والملوك بالحكم والقرارات والقوانين وتضاءل دور «المزاود» ثم اختفت، وكان هذا طبيعياً مع حضارةٍ بدأت بلفظ أنفاسها الأخيرة.

4. المنجزات القانونية: المنجزات القانونية في اليمن متميزة بعمليتها ومرونتها، وكان ما ينقصها هو جمعها في لوائح طويلة ومنظّمة، وهو ما حصل بطريقة خاصة مع القانون

التجاري في سوق قتبان، والقوانين الحميرية المتأخرة، التي أبدينا عليهما ملاحظاتنا، أما بقية قوانين اليمن القديمة فقد كانت متفرقة في نقوش مسندية غير مترابطة.

5. المنجزات الاقتصادية: تنفرد اليمن في المجال الزراعي بإنشاء سد مأرب مبكراً في حدود القرن الثامن قبل الميلاد، وهو منجز هندسي كبير، كان له الأثر الكبير في تنظيم زراعة اليمن.

وتنفرد بوجود المدرجات الزراعية المدهشة في الجبال وزراعتها من الأعلى إلى الأسفل، ولا في شك أن تفردها الثالث في هذا الجانب جاء من تجارة البخور وطريق البخور الذي ناقشناه كثيراً، بسبب وجود النباتات البخورية التي كانت تنمو في مكان محدد في اليمن، في حضرموت، وعدم وجودها أو ندرتها في مكان آخر في العالم.

6. المنجزات المادية: ثراء العناصر المادية: كانت اليمن غنية بعناصرها المادية من أراضٍ مختلفة التكوين والطبيعة، ومعادن كثيرة، ومن مياه بحار وجداول وأمطارٍ موسمية، ومن ثروة نباتية متنوعة ونادرة، وثروة حيوانية هائلة ـ كل هذا كان وسيلة للعيش الأفضل والرغيد.

وقد استثمرت هذه الثروات المادية الطبيعية على كلّ الصُعد، ففي العمارة اليمنية، على سبيل المثال، استثمرت المكونات المادية لأرض اليمن حسب البيئة التي كانت فيها:

1. في السواحل الساحلية: استُخدم القصب، والطين، والحجر المرجانيّ.

2. في المناطق الجبلية: استخدمت الأحجار والصخور.

3. في الهضاب العالية: استُخدم مزيج (الطين المحلي والحجر).

وقد سخّر اليمنيون تقنيات العمل المبتكر والخلاّق في السدود والصهريج والعمارة البرجية.

7. المنجزات الدينية: تنفرد ديانة اليمن في كونها تجعل من إله القمر في قمة البانثيون الإلهي، في حين تجهل جميع أديان الشرق الأدنى والإغريق والرومان الإله الشمسي أو الطقسي المناسب لهم، وكذلك تجعل من الشمس إلهة مؤنثة، في حين تكون الشمس إلها مذكراً في قمة الهرم الإلهي للمنطقة، وكذلك كوكب الزهرة مذكر عندهم، وهو المؤنث في العالم القديم.

هذه التفاوتات أعطت الديانة اليمنية خصوصية، والثالوث الكوكبي بشكل خاص، وكان اليمنيون يعدون أنفسهم أبناء الإله الرئيسي في الممالك اليمنية المختلفة، وهو تصوّر

متفرد أيضاً بسبب جعله من الإله أباً، وهو ما جعلهم يحدّون من سلطة الملوك المطلقة لكونهم مع الملك أبناء هذا الإله ولا فرق بينهم.

8. المنجزات العلمية: نسجّل للحضارة اليمنية اهتمامها بالتوقيت باختلاف أنواعه وطُرزه في الممالك المختلف لضبط مواسم الزراعة والمناخ، فلا شك أن براعتهم فيه كانت نوعية.

كذلك الهندسة العمرانية المذهلة التي نتج عنها هذا العدد الهائل من أنواع العمارة والتخطيط الحضري بما يتلاءم مع البيئة والمناخ.

كان التحنيط منجزاً يمنياً مهماً تزداد كل يوم كشوفاته، ويشكّل علامة من علامات منجزه الطبي والعلمي، ولا شك أن التعدين وكيمياء المعادن وحقولها الأخرى لافتة هي الأخرى، وهناك التقنيات الفيزيائية المهمة.

9. المنجزات الفنية: فن العمارة اليمنية متفوق ومتميز وله شخصية لا تتكرر، ولا تشبهها أي عمارة أخرى، وهناك العمارة البرجية أو متعددة الطوابق التي هي متفردة عالمياً، وجاءت الزخارف الخارجية للعمارة ومنازل البرج بالصيغة الجمالية المبهرة، كأنهم نقلوا مهارتهم في زخرفة المجوهرات والمنسوجات والحليّ إلى العمارة والأبواب والنوافذ، فظهرت الوحدات الزخرفية ناصعة بالنجوم، والدوائر والحلزونيات والنسور والثعابين وغيرها.

الرسم ضعيف، أما النحت المجسم وشاهدات القبور النحتية فمميزة بشكل كبير، والفنون الصغرى مميزة في الأزياء والحليّ والزخارف.

ثانياً: مظاهر النقص في الحضارة اليمنية

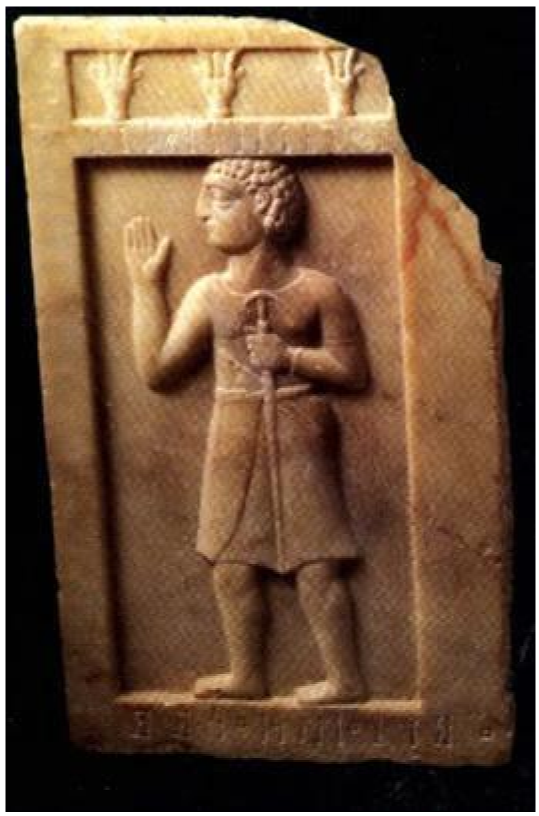
1.الجغرافية: الأمطار موسمية شحيحة، الرطوبة عالية، الفواصل بين الأمكنة بطبيعة قاسية، وقد كسر اليمنيون هذا النقص عن طريق ابتكارهم السدود والصهاريج وخزانات الماء التي استعملوها في فصول السنة الأخرى الخالية من الأمطار.

فصلت الطبيعة الوعرة لبلاد اليمن بين القبائل والشعوب والممالك اليمنية، وربما كانت هذه من أهم أسباب عدم وجود وحدة يمنية متكاملة بين الممالك، وعدم وجود قوة مركزية واحدة.

على رغم وجود سواحل بحرية طويلة في اليمن فإن اليمنيين لم يتمكنوا من توفير أساطيل السفن المناسبة التي تجوب هذه السواحل وتستثمرها، واكتفوا بالمرافئ التي تنظم حركة السفن التجارية الأجنبية.

2. السياسية: القبيلة أساس الحياة السياسية وعدم ذوبانها في التشكيل الحضاري طيلة تاريخ الحضارة اليمنية وحتى يومنا هذا، والحقيقة أن القبلية تتعارض، أصلاً، مع التحضر والحضارة، ولذلك فإن الاعتماد على القبائل في صنع حضارة أمر سيطيح بها عاجلاً أو آجلاً.

3. العسكرية: كان الجيش في الممالك اليمنية منوع الأسلحة والفرق، وكان يتكون من أهل القبائل، ولكنه استخدم في الحروب والمعارك الداخلية فيما يشبه الحروب الأهلية بين أهل اليمن القدماء، ولم تستطع هذه الجيوش صد الغزوين الحبشي والساساني، فقد سقط البلد محتلاً بينهما، وكانت نبرة الاستعانة بهما تعلو بين فترة وأخرى.



لوحة لمتعبد يدعى (عمي يثع) (القرن الأول قبل الميلاد)

صورة السلاح بارزة في اللوحة المصنوعة من المرمر (طول 44 سم، عرض 27 سم)، وتظهر بوضوح الهوية العسكرية للمحارب، النقش في الأعلى (غوث إيل بن عسم) وفي الأسفل متأخر قليلاً (عمي يثع بن عسم)، الجوبة/سبأ، متحف صنعاء الوطني.

(اليمن في بلاد ملكة سبأ 1999: 206).

3. الاقتصادية: عدم وجود أسطول سفن يمني، ولا توجد ملاحة تجارية يمنية مستقلة، واعتماد الاقتصاد على تجارة البخور أضعف الزراعة، وحين احتكر الرومان التجارة البحرية دبّ الضعف في الحضارة اليمنية.

5. الاجتماعية: الزواج بَعْليّ والمرأة ملك للرجل، ولا توجد مدارس، ولا نظام تعليمي، ولا مطبخ يمني قديم مدون، والأطفال يتعلمون القتال والبنات في الوأد أو الإهمال، كل هذه الظواهر الطويلة الأمد، باستثناء الوأد، ساهمت في عدم نضج المجتمع وحركته الشاملة.

6.المادية: عدم وجود الأنهار الكبيرة، وعدم الاهتمام بالعمل المنظم وتغليب الشأن العسكري الهجومي والدفاعي للطاقات البشرية، وهو ما استنزف هذه الطاقات، وخسرت الزراعة كادرها الدائم المتمرس، وعدم ابتكار تقنيات جديدة في العمل والاستثمار.

7. العلمية: كانت العلوم تنقصها الرياضيات المركبة، ولا وجود لعلم الفلك، وحتى التنجيم ضعيف، وكان الطابع العملي لهذه العلوم يكاد يكون مطلقاً، ولم يسمح بنشوء علوم مستقلة نظرياً ولها جهازها العلمي الدقيق.

8. التاريخية: عادت القبائل تحكم حضارة مفككة ساهمت العصبية القبلية في تدميرها وتسليمها إلى الأجانب وإنهائها، وضعف تاريخ اليمن حين دخلت الديانتان اليهودية والمسيحية فيه.

9. القانونية: عدم وجود لوائح قانونية شاملة، وتبعثرها في نصوص مسندية وزبورية قصيرة، وأغلبها ذات طابع عملي مثل المستندات.

10. المدنية: لايوجد نظام تربوي، ولا مدني واضح، وكان من الصعب ظهور مجتمع مدني بسبب تحكّم نظام القبيلة والعشيرة في حياة اليمنيين.

11. الفكرية: نصوص الأدب ضعيفة، ولا توجد ملاحم، ولا حواريات، ولا أدب غنائي واضح، والفكر اليمني غير موجود، وما ظهوره في نشاطات الحقول الحضارية إلاّ دليل على عدم نضجه واستقلاله كنظام فكريّ مؤثر.

12. النفسية: ليس هناك مستوًى سايكولوجي اجتماعي واضح، فقد كانت هناك مشاعر متضاربة لا تؤدي إلى حالة منسجمة، وهو ما نجده واضحاً في السلوك المتناقض للمالك إزاء أمور تبدو مشتركة كصد الأعداء أو التشارك في خطوط التجارة، فقد كانت هناك أزمة ثقة واضحة.

الأفراد والنخب المعرفية لا تتمتع بالحرية، وليس هناك ما وفر مناخ إبداعها ومساهماتها، ولذلك كانت رهينة الأنظمة السياسية وهو ما أضعفها.

13. الدينية: تنقصها نصوص الأساطير، وشجرة الآلهة تنقصها الآلهة البدئية وآلهة الكواكب الأخرى والعالم الأسفل، وأساطير النهايات والإسخاتولوجيا غير موجودة، وليست هناك سرديات مقدسة ولا باطنيات الخيمياء والتنجيم والعرافة.

كل هذه الأمور جعلتها غير متماسكة، ولم يكن كهنتها من التطور بحيث يحكمون بناءها.

14. الفنية: ينقص المظاهر الفنية جداريات الرسم الخاصة، وفنون الرقص والغناء، والدراما الدينية، وهي أمور مهمة تجعل من الفنون فاعلة في حياة الحضارات والمجتمعات.

15. الأخلاقية: أخفقت الأخلاق في حفظ توازن العناصر الحضارية وانهارت مبكراً مع ازدياد شروخ الحروب الأهلية، وقد شهدت المرحلة الحميرية اضطرابا واضحاً في هذا المجال.

وأخيراً لا بد من إجمال مظاهر التفرّد والنقص في الحضارة اليمنية بعناصرها المادية والروحية بهذين الجدولين الموجزين والمكثّفين:

الفهارس

1. فهرس المراجع

2. فهرس الأعلام

3. فهرس الأماكن

4. فهرس المصطلحات

5. الفهرس العام لكتب المؤلف

1. فهرس المراجع

المراجع العربية:

1. الإرياني، مطهر علي: نقوش مسندية وتعليقات، ط2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، (1990).
2. استرابون: استرابون والجزيرة العربية، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية 6، إشراف د. عبد الله بن عبد الرحمن عبد الجبّار، ترجمة د. السيد جاد، تعليق د. مسفر بن سعد الخشعمي، دارة الملك عبد العزيز، الرياض (2017).
3. إسماعيل، فاروق: اللغة اليمنية القديمة، دار الكتب العلمية، تعز (2000).
4. إكرام، نجوى محمد: نكاح (زواج) المشاركة في اليمن القديم دراسة تحليلية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م 28 ع 10، (2020).
5. الأكوع، محمد علي: قصيدة البحر النعامي في الشهور الحميرية، مجلة العرب، مج12، ع7,8، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض (1978).
6. الويس، نجيب علي صالح: العملات اليمنية (دراسة تحليلية للعلاقات الخارجية قديماً)، رسالة ماجستير آثار بإشراف الدكتور سعيد دلوم، جامعة الجزائر، معهد الآثار، الجزائر (2010).
7. باخشوين، فاطمة بنت علي سعيد: دور الدين في الحياة العامة فى ممالك جنوب الجزيرة العربية القديمة، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، مجلس التعاون لدول الخليج العربية ــ جمعية التاريخ والآثار، العدد 9، (2014).
8. باعليان، محمد عوض منصور: الملابس في اليمن القديم (دراسة من خلال التماثيل والآثار)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد بن أحمد باطايع، جامعة عدن، كلية الآداب، قسم التاريخ، شعبة التاريخ القديم، عدن (2007).

9. بافقيه، محمد عبد القادر: تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (1985).
10. البحري، عايض أحمد عتيق: قبيلة مهنأف (دراسة تاريخية آثارية)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، بإشراف الدكتور أحمد بن أحمد باطايع، كلية الأداب، جامعة عدن، عدن (2009).
11. برونر، أولي: اليمن في بلاد ملكة سبأ، «بدايات الري»، ترجمة: بدر الدين عرودكي، مراجعة: يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي، الأهالي ـ دمشق (1999).
12. البريهي، إبراهيم بن ناصر إبراهيم: الحرف والصناعات في ضوء نقوش المسند الجنوبي، وزارة المعارف، وكالة الآثار والمتاحف، المملكة العربية السعودية، (2000).
13. بلاي فير، أف. أل.: تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، ترجمة د. سعيد عبد الخير النوبان وعلي محمد باحشوان، عدن (1999).
14. بطليموس كلاوديوس: بطليموس كلاوديوس والجزيرة العربية، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية 11، إشراف د. عبد الله بن عبد الرحمن عبد الجبّار، ترجمة د. السيد جاد، تعليق د. عبد الله عبد الرحمن العبد الجبار، دارة الملك عبد العزيز، الرياض (2017).
15. بلينوس: بلينوس والجزيرة العربية، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية 7، إشراف د. عبد الله بن عبد الرحمن عبد الجبّار، ترجمة د. علي عبد الجيد، تعليق د. زياد السلامين، دارة الملك عبد العزيز، الرياض (2017).
16. بيستون، أ، ف، ل: التقويم في النقوش العربية الجنوبية، ترجمة سعيد الغانمي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، أبو ظبي (2009).
17. بيغوليفسكايا، نينا فكتورفنا: العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (1985).
18. بيغوليفسكيا، نينا فكتورفنا، من تاريخ اليمن في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، ترجمة: قائد طربوش، صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، (د. ت).
19. الثور، عبد الله أحمد محمد: هذه هي اليمن، ط2، دار العودة، بيروت (1979).
20. ثيوفراستوس: ثيوفراستوس والجزيرة العربية، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية 2، إشراف د. عبد الله بن عبد الرحمن عبد الجبّار، ترجمة د. الحسين عبد الله، تعليق د.عبد المعطي بن محمد سمسم، دارة الملك عبد العزيز، الرياض (2017).
21. جابر، إيمان شمخي وحسين، سلامة عبد الرضا: أثر الديانة اليهودية والنصرانية في سقوط دولة حمير (ريدان)، مجلة آداب البصرة، العدد 74، (2015).
22. جاسم، حنان عيسى: السياسة الرومانية تجاه جنوبي شبه الجزيرة العربية، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد 5، العدد 17، حزيران (2013).
23. جاسم، عبد الرفيع: الغزو الحبشي لليمن أطماع تتنامى وحضارة تخبو، مجلة دراسات تربوية، العدد 5 كانون الثاني (2009).

24. جانتيل، بيير: اليمن في بلاد ملكة سبأ، «السيطرة على الري»، ترجمة: بدر الدين عرودكي، مراجعة: يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي، الأهالي ـ دمشق (1999).
25. الجاويش، عبد الرحمن يوسف عبد الرحمن: الموارد الطبيعية في اليمن القديم (حضارة سبأ أنموذجاً)، دراسة من خلال النقوش اليمنية القديمة، رسالة ماجستير آثار قديمة، بإشراف أ. د. علي عبد الله قايد، د. فهمي علي الأغبري، أ. د. زاثق إسماعيل الصالحي، جامعة صنعاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الآثار، (2012).
26. الجاويش، عبد الرحمن يوسف عبد الرحمن: الذهب والفضة في نقوش وآثار اليمن القديم، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، المجلد 23، العدد 1، (2022).
27. الجرو، أسمهان: نماذج من فن العمارة في اليمن القديم، بحث منشور في موقع بوابة النشر (1996).

https://www.researchgate.net/publication/281651406

28. الجرو، أسمهان سعيد: الغزو الحبشي لليمن (القرن السادس الميلادي).

Researchgate,https://www.researchgate.net/publication/285472152 .Chapter, January, (2002)

29. الجرو، أسمهان سعيد: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، عدن (2003).
30. الجرو، أسمهان سعيد: نماذج من القيم الاخلاقية ومبادئ حقوق الإنسان في الحضارة اليمنية القديمة:

Researchgate, Instances of Moral Values and Human Rights Principles .in Ancient Yemen Civilization

موقع (بوابة البحث)، نوفمبر (2006):

https://www.researchgate.net/publication/281629272

31. الجرو، أسمهان: ملامح من الحياة العسكرية في دولة سبأ في الفترة من القرن 1 ـ 3 الميلادي، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد 23، العدد 3 (2007).
32. الجرو، أسمهان: الشعائر والطقوس الدينية في معبد إلمقه (أوام) بمأرب (في ضوء نقوش محرم بلقيس)، بحث منشور في موقع (بوابة البحوث) عام 2009، رابطه:

Researchgate, https://www.researchgate.net/publication/281484750
33. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة بغداد، الطبعة الثانية 1978.
34. حبتور، ناصر صالح: (يمنت) في اللقب الملكي الحميري، ريدان حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، العدد 8، صنعاء (2013).
35. الحدّاد، فتحي عبد العزيز: المرأة في اليمن القديم، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش في جامعة عين شمس العدد العشرون، تقدم الباحث في أعمال ندوة المرأة عبر العصور المنعقدة في الفترة من 22/24 نوفمبر، القاهرة (2003).
36. حسن، صلاح عباس: وظائف المعبد وطقوسه في اليمن قبل الإسلام، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 212، المجلد 1، بغداد (2005).
37. الحسيني، صلاح سلطان عبده: طرق الدفن والآثاث الجنائزي في مقابر موقع الحطمة ـ شُقرة، سلسلة رسائل جامعية (3) تصدرها الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض (2013).
38. الحميري، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ): خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة (شرح لقصيدة نشوان الحميري: ملوك حمير وأقيال اليمن) تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد، إسماعيل بن أحمد الجرافي الناشر: دار العودة، الطبعة الثانية، بيروت (1978).

المرجع: المكتبة الشاملة الحديثة (https://al ـ maktaba.org/book/31598).

39. الحضراني، بلقيس ابراهيم: الملكة بلقيس ـ التاريخ والأسطورة والرمز (دراسة في مكانة ملكة سبأ في الديانات السماوية ولدى المؤرخين وفي الميثولوجيا وفي الأدب اليمني)، تقديم جبرا إبراهيم جبرا، د. م. (1994).
40. حنشور، أحمد ابراهيم: الخصائص المعمارية للمدينة اليمنية القديمة واستمراريتها، إصدارات دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن (2011).
41. الحمادي، هزاع محمد عبد الله سيف: أنظمة التاريخ في النقوش السبئية، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور فواز الخرابشة، جامعة اليرموك، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، قسم النقوش، (1997).
42. الخروصي، خالد بن سعيد: الأبجدية العُمانية تاريخ إنساني اختزلته الصخور، مجلة نزوى، 4 يوليو، عمان (2017).
43. خطّاب، باسم محمد: الطهارة فى المعتقدات الدينية فى جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام فى ضوء نقوش المسند، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، القاهرة، المجلد 22 العدد 1 (2021).
44. الدارودي، سعيد بن عبد الله: حول عروبة البربر (مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان)، منشورات فكر، ظفار (2012).

45. دماج، ليبيا عبد الله ناجي صالح: المحاصيل الزراعية في اليمن القديم، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، بإشراف الدكتور عارف أحمد اسماعيل المجلافي، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ، صنعاء (2009).
46. رحماني، بلقاسم ومدني، حرفوش: الدور المصري في جنوب شبه جزيرة العربية والشرق الإفريقي، مراجعة أ. د. سيد أحمد علي الناصري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة (1997).
47. رشاد، مديحة، إنيزان، ماري لويز: فن الرسوم الصخرية واستيطان اليمن في عصور ما قبل التاريخ، المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء (2007).
48. الرصين، رصين صالح علي: ألفاظ الحرب في النقوش اليمنية القديمة (دراسة معجمية مقارنة باللغات السامية)، رسالة ماجستير بإشراف الأستاذ الدكتور عادل هامل حسين الجادر، جامعة بغداد، قسم اللغة العربية، بغداد (2002).
49. روبان، كريستيان جوليان: اليمن في بلاد ملكة سبأ، «حضارة الكتابة»، ترجمة: بدر الدين عرودكي، مراجعة: يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، الأهالي ـ دمشق (1999).
50. الزبيدي، عبد الله أحمد مكياش خيران محسن: نقش أوساني من وادي مرخة (اليمن) دراسة تحليلية لغوية، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 7، العدد 1، عمان (2013).
51. سالم، هالة يوسف محمد: التمائم في اليمن القديم، بحث منشور في مجلة الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الملك سعود ـ الجمعية التاريخية السعودية، العدد 24 السنة 12، الرياض (2011).
52. سالم، هالة يوسف محمد: الأسرى في النتقوش اليمنية (دراية تحليلية)، مجلة جامعة الملك سعود، م 25، السياحة والآثار (1)، الرياض (2013).
53. السامرائي، ابتسام محمد علي: الأعياد والاحتفالات عند العرب قبل الإسلام، رسالة ماجستير بإشراف أ. د. عبد الجبار محسن عباس السامرائي، جلمعة سامراء، كلية التربية، قسم التاريخ، (2019).
54. السلوي، إبراهيم محمد: طواهر لغوية في لهجات اليمن القديم ـ دراسة من خلال النقوش والمصادر العربية، جامعة صنعاء، مجلة كلية الآداب/العدد 17 (1994).
55. السقاف، عبد الرحمن عمر عبد الرحمن: تطور الحياة الفكرية لليمنيين القدماء، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة صنعاء، 2007، اليمن، ص: 156.
56. سعيد، ناجي محمد: أثر البدو في اللقب الملكي الحميري، مجلة اليمن، العدد 24، نوفمبر (2006).
57. سمار، سعد عبود: حاكمية الإله في أداء حكام اليمن القديم لطقوسهم الدينية، مجلة كلية التربية في جامعة واسط، العدد 38، ج1، شباط (2020).
58. سمسم، عبد المعطي بن محمد عبد المعطي: العلاقات السياسية والحضارية بين شمال وشمال غرب شبه جزيرة العرب وبلاد الرافدين خلال النصف الأول ق.م

(دراسة تاريخية)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، بإشراف أ. د. أحمد محمود صابون وأ. د. يوسف دويدار، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية، (2000).
59. سياجنة، هاني: صورة من القضاء في اليمن القديم في ضوء نقشٍ حضرمي جديد، كتاب صنعاء الحضارة والتاريخ، المجلد الأول، صنعاء (2005).
60. سيدوف، ألكساندر، وداڤيد، بربارا: سك النقود أو المسكوكات باليمن في بلاد ملكة سبأ، معهد العالم العربي، باريس، دار الهلال، دمشق (1999).
61. سيمور ـ سميث، شارلوت: موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة محمد الجوهري، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة (2009).
62. الشافعي، حسن: العملة وتاريخها دراسة تحليلية عن نشأة العملة وتطورها، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة (1980).
63. الشرجبي، قائد: القرية والدولة في المجتمع اليمني، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (1990).
64. الشرجبي، وفاء عبد الهادي عبد الله: الصناعات والحرف في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، رسالة ماجستير، جامعة عدن كلية الآداب، قسم التاريخ، بإشراف أ. م. محمد سعيد شكري، عدن (2007).
65. شرف الدين، أحمد حسين: المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية ج2، د. ن، الرياض (1984).
66. شلالقة، السعيد: المجتمع والفكر في اليمن القديم، مجلة البحوث والدراسات، العدد 21، السنة 13 شتاء (2016).
67. الشمراني، تغريد سالم جابر: التجارة في ممالك جنوب الجزيرة العربية، معين وسبأ وقتبان وأنظمتها من خلال نقوش المسند، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، كلية السياحة والآثار ـ جامعة الملك سعود، بإشراف الدكتور زياد مصطفى الشرمان (1438هـ، 2016م).
68. الشيبة، عبد الله حسن: مكانة المرأة في اليمن القديم، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، وزارة الثقافة والإعلام، الرياض، 1428هـ.
69. صالح، صالح أحمد: مومياء من جبل ملحان ـ مجلة المُسند (حولية تُعْنَى بشؤون الآثار والتاريخ والتراث) ـ العدد الثاني (2004).
70. الصالح، مصلح: الشامل (قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية)، إنجليزي ـ عربي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض (1999).
71. الصلاحي، فؤاد عبد الجليل: ثلاثية الدولة والقبيلة والمجتمع المدني (مقاربة سوسيولوجية للدور السياسي في اليمن وتحديد علاقتها وموقعها بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي)، مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان، تعز (2002).

72. الصلوي، إبراهيم محمد: كتابات المسند وكتابات الزبور في اليمن القديم، حولية أبجديات، تصدر عن مركز الخطوط بمكتبة الإسكندرية، الإسكندرية (2008).
73. صنعاء ملف التنميط الحضري: ملف أعدته الأمم المتحدة بتمويلٍ من الاتحاد الأوربي، برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية (UN - HABITAT) مركز البحوث المشترك (2015).
74. طاهر، علي: المومياءات اليمنية، جريدة الاتحاد الإماراتية ــ أبوظبي ـ 23 ـ نوفمبر (1988).
75. طوبي، يوسف يوڤال: الديانة اليهودية في اليمن القديم ــ مملكة حمير، ترجمة د. حميج العواضي، مجلة المسار، السنة 20 العدد 59، أغسطس (2019).
76. عامر، جمال سليمان علي: الحرف والصناعات اليدوية فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير، لمعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم قسم شبه الجزيرة العربية، جامعة الزقازيق، إشراف أ. د. عبد المنعم عبد الحليم سيد، وأ. د. محمد عادل محمد عبد المنعم، (2005).
77. عبد اللّه، يوسف محمد: نقش القصيدة الحميرية أو ترنيمة الشمس (صورة من الأدب الديني في اليمن القديم)، مجلة ريدان/حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، العدد الخامس، صنعاء (1988).
78. عبد الله، يوسف محمد: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الفكر المعاصر، بيروت (1990).
79. العبيدي، منال خضر عبيس: الرؤية الجمالية للرموز المصورة في الحضارتين السومرية واليمنية القديمة (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير في الفنون التشكيلية، إشراف أ. د. عبد الحميد فاضل البياتي، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة (2005).
80. العرامي، أحمد الطرس: ديانة اليمن السرية ــ ألوهية الحكيم الفلاّح في الموروث الشعبي، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة (2019).
81. عربش، منير: منشأ المَعِينيين وتاريخ ظهور مملكة معين في جنوب جزيرة العرب من خلال نقش جديد من القرن الثامن قبل الميلاد، الكتاب التذكاري (رائد من رواد الجزيرة العربية ــ دراسات ونقوش بلاد الشام والجزيرة العربية)، مقدمة تكريماً للأستاذ الدكتور معاوية إبراهيم، تحرير زيدان كفافي ومحمد مرقطن، لا سابينز البعثة إلى فلسطين والأردن، روما (2014).
82. العريقي، منير عبد الجليل: الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم (من 1500 حتى 600 ميلادية)، مكتبة مدبولي، القاهرة (2002).
83. العريقي، منير عبد الجليل: النباتات المقدسة في الحضارة اليمنية القديمة، مجلة الاتحاد العام الآثاريين العرب (3049)، العدد 9، (2008).
84. العزعزي، نعمان أحمد سعيد سالم: التشريعات القتبانية والحضرية (دراسة تاريخية مقارنة)، رسالة ماجستير بإشراف الأستاذ الدكتور نزار عبد الله الحديثي، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم التاريخ (2001).

85. العزعزي، نعمان أحمد سعيد: دولة سبأ (مقوِّماتها وتطوراتها السياسية من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي)، أطروحة دكتوراه بإشراف أ. د. فيصل عبد الله، وأ. د. هاني هياجنة، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، دمشق (2006).
86. علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء 7، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية (1980) (1994).
87. عقيل، عبد البديع فهمي: الأحلاف فى اليمن فى العصر السبئي والحميري، رسالة ماجستير بإشراف الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم بكر، جامعة الزقازيق، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى، قسم شبه الجزيرة العربية، (2008).
88. عقيل، عزة علي: تمثال برونزي مع نقش هوتر عثت بن رضو إل من أسرة شللم، مجلة ريدان العدد الثامن، صنعاء (2013).
89. عصفور، سعد: القانون الدستوري، القسم الأول مقدمة القانون الدستوري، دار المعارف، الإسكندرية (1954).
90. عطبوش، عبد الله علي الفيش: الصراع بين الممالك اليمنية القديمة (القرن 7 ــ 2 ق.م) أسبابه ونتائجه، أطروحة دكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور شكران عبد الرحمن الخربوطلي، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، دمشق (2008).
91. عطبوش، محمد علي: الفكر السحري في الإسلام (جذور الدين والعلم)، ط 2، دار الرافدين للنشر والتوزيع، بيروت (2020).
92. عطبوش، محمد علي: الأحلام وطقس الحالومة في نقوش اليمن القديم، دراسة مقارنة مع المصادر الأكدية والإسلامية، غير منشور (سمح لي الباحث بالاطلاع عليه وهو في طريقه إلى النشر في تَمّوز2021).
93. عمر، سلطان أحمد: نظرة في تطور المجتمع اليمني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت (1970).
94. العواضي، حميد مطيع والأدهم، عبد اللطيف: بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية (دراسة ومختارات ــ جمع وترجمة)، كتاب الثقافة الشهري، وزارة الثقافة والسياحة في اليمن، صنعاء (2001).
95. العميسي، فضل محمد: التجسيدات الحيوانية على الآثار في جنوب غرب الجزيرة العربية (اليمن) قبل الإسلام ـ دراسة أثرية، أطروحة دكتوراه بإشراف الأستاذين الدكتور أحمد سراج والدكتور عبد الخالق المجيدي، مركز الدراسات في الدكتوراه ـ المجال والمجتمع والثقافة ـ وحدة التراث الطبيعي والثقافي ـ مختبر الأركيولوجيا والتراث الثقافي الساحلي، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، الدار البيضاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية (2013).
96. العيدروس، حسين أبو بكر: المقابر والتحنيط في حضارة اليمن القديم ـ المجلة العربية ـ مجلة شهرية ـ العدد 55 ـ مارس 2014م.

97. غروم، نايجل: اليمن في بلاد ملكة سبأ، «طيوب اليمن»، ترجمة: بدر الدين عرودكي، مراجعة: يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي، الأهالي ـ دمشق (1999).
98. الفتلاوي، سهيل حسين: تاريخ قانون اليمن القديم قبل الإسلام، منشورات جامعة صنعاء، صنعاء (1992 ـ 1993).
99. الفتيان، أحمد مالك: نظام الحكم في العصر الآشوري (أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة)، بإشراف الدكتور تقي الدباغ، كلية الآداب، جامعة بغداد (1991).
100. فخري، أحمد، اليمن ماضيها وحاضرها، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، مطبعة الرسالة، القاهرة (1957).
101. فوكت، بوركهارد، وسيدوف، ألكسندر: اليمن في بلاد ملكة سبأ، ثقافة صَبر على الشاطئ اليمني، ترجمة: بدر الدين عرودكي، مراجعة: يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي، الأهالي ـ دمشق (1999).
102. قائد، صادق عبده علي: الهوية السياسية والحضارية لليمن في التاريخ القديم وعصر الإسلام، ج 1، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء (2004).
103. القادري، عبد الناصر عبد الله: عمارة الأبراج في وادي حضرموت (دراسة حالة المنزل البرجي التقليدي بمدينة شبام)، أطروحة دكتوراه تحت إشراف أ. د. محمد سامح كمال الدين سامح، أ. د. سهير زكي حوّاس، جامعة القاهرة كلية الهندسة، قسم العمارة، القاهرة (2018).
104. القحطاني، محمد سعد عبده حسن: آلهة اليمن القديم الرئيسية ورموزها حتى القرن الرابع الميلادي (دراسة آثارية وتاريخية)، أطروحة دكتوراه بإشراف أ. أحمد إرحيم هبو، د. غسان طه ياسين، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم الآثار، صنعاء (1997).
105. القيلي، محمد علي حزام: مملكة سبأ في عهد الأسرة الهمدانية، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، إشراف الأستاذ الدكتور واثق إسماعيل الصالحي والدكتور عبد الغني علي سعيد، كلية الآداب، جامعة صنعاء (2003).
106. كرون، باتريشيا: تجارة مكة وظهور الإسلام، ترجمة هامال محمد الروبي، مراجعة محمد إبراهيم بكر، المجلس الأعلى للترجمة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة (2005).
107. كليب، مهيوب غالب أحمد: الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27 ـ العدد الأول والثاني، دمشق (2011).
108. كناكيس، رودو: الحياة العامة للدولة العربية الجنوبية، في كتاب في التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (1958).
109. الكهالي، على صالح علي: الحياة السياسية والدينية في اليمن القديم والحجاز (الفترة من القرن الرابع وحتى السادس الميلاديين)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم بإشراف أ. د. أسمهان سعيد الجرو، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، جامعة عدن، (2002).

110. لوندين، أج: المدينة والدولة في اليمن في الألف الأول قبل الميلاد، فصل بعنوان (تاريخ المدينة ونظريتها) عن كتاب المدن والتجارة (منذ الألف الثالث وحتى الألف الأول قبل الميلاد ليريفان)، ترجمة الدكتور عبد الله الشيبة ورضوان السيد، (1973).
111. لوندين، أ. ج: دولة مكربي سبأ (الحاكم الكاهن السبئي)، ترجمة د. قائد محمد طربوش، إصدارات جامعة عدن، عدن (2004).
112. لويز إينيزان، ماري: اليمن في بلاد ملكة سبأ، ما قبل التاريخ، ترجمة: بدر الدين عرودكي، مراجعة: يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي، الأهالي ـ دمشق (1999).
113. محمد، عبد الحكيم شايف: التحنيط في اليمن القديم، دراسة من خلال المصادر التاريخية والأدلة الأثرية، صنعاء الحضارة والتاريخ، صنعاء (2005).
114. محمد، منال سعد سالم: أثر الحضارة اليمنية في تطور القيم الجمالية في المعابد اليمنية القديمة، رسالة ماجستير في الفلسفة، بإشراف الدكتور حسين عبد الرحمن باسلامة، جامعة عدن، كلية الآداب، قسم الفلسفة، عدن (2001).
115. محمد، يونس خالد: الحياة الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية من القرن الرابع حتى مطلع القرن السابع الميلادي (301 ـ 622 م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، بإشراف أ. د. شكران خربوطلي، جامعة دمشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، (2017).
116. المخلافي، عارف أحمد اسماعيل: الطب في اليمن، مجلة الخليج للتاريخ والآثار (دورية محكمة تصدر عن جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية)، العدد الثامن ـ إبريل (2013).
117. المخلافي، عارف أحمد إسماعيل: الموطن الأول للسبئيين دراسة تاريخية نقدية في ضوء الكشوف الأثرية الحديثة والنصوص، مجلة الآداب اليمنية، العدد 13، ديسمبر (2019).
118. المقحفي، إبراهيم أحمد: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج1 وج2، دار الكلمة للنشر والتوزيع والمؤسسة الجامعية للدراسات والطباعة والنشر، بيروت (2001).
119. مهران، أمل محمد: «الحقوق والعقوبات في المجتمع اليمني القديم»، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، حولية الاتحاد العام للآثارين العرب، المجلد 14، العدد 14، القاهرة (2011).
120. المهري، محمد بن مسلم: تكلّم اللهجة المهرية، طباعة مصنع عمُان لإنتاج اللوازم المدرسة والمكتبية، عُمان (2006).
121. مرسي، وائل فتحي: المجتمع اليمني القديم (دراسة من خلال المناظر والنقوش)، رسالة ماجستير في الآثار بإشراف أ. د. محمد عبد الحليم نور الدين، وأ. د. أحمد أمين سليم، كلية الآثار، جامعة القاهرة، القاهرة (2006).
122. المرقطن، محمد: النصوص الخشبية القديمة: مصدر هام لدراسة التاريخ الحضاري لليمن القديم، مجلة حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء

(2003).
123. المرقطن، محمد حسين: هندسة الري ودورها في نشأة الدولة في جنوب غربي الجزيرة وتطورها، الإنسان والبيئة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الآثارية، أبحاث ندوة الإنسان والبيئة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الآثارية، الجوف ـ المملكة العربية السعودية 4 ـ 6 مايو 2010، مجلة آدوماتو (2013).
124. مرقطن، محمد: الخمر ومزارع العنب في اليمن القديم، ترجمة محمد عطبوش، مجلة أبين الثقافية، السنة الثالثة، العدد الثالث، مارس (2020).
125. مرقطن، محمد: حفريات أثريّة (1) ـ اسم بلاد مصر (وادي النيل) والجذر مصر في النقوش اليمنية القديمة (2021).
126. معطي، علي محمد: تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر، بيروت (2003).
127. الموسوي، جواد مطر: المرأة في اليمن القديم، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد 54، ج 69: 1 ـ 86، بغداد (2007).
128. هزيم، رفعت: العربية في جنوب الجزيرة العربية حتى ظهور الإسلام، الحلقة الثالثة، الحميرية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ المجلد 88 ـ الجزء 4، دمشق (2015).
129. هيرودوتوس: هيرودوتس والجزيرة العربية، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية 1، إشراف د. عبد الله بن عبد الرحمن عبد الجبّار، ترجمة د. إبراهيم السايح، تعليق د. رحمة بنت عواد السناني، دارة الملك عبد العزيز، الرياض (2017).
130. الويس، نجيب علي صالح: دلالة النقوش والزخارف على المسكوكات اليمنية القديمة، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة بإشراف الأستاذ الدكتور دلوم السعيد، جامعة الجزائر، معهد الآثار، الجزائر (2016).
131. الوجيه، ماهر عبد الله ديوان: الأسلحة في اليمن القديم، رسالة ماجستير بإشراف أ. د. محمد عبد الله باسلامة، جامعة صنعاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الآثار، صنعاء (2012).
132. ناشر، هشام عبد العزيز: التجارة وأثرها في تطور ممالك اليمن القديمة، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم بإشراف أ. د. واثق إسماعيل الصالحي، جامعة عدن، كلية الآداب، قسم التاريخ، عدن (2009).
133. نجيم، أدهم عبد الله محمد: أشكال الطيور في الفن اليمني القديم دراسة فنية مقارنة، رسالة ماجستير في الآثار، قسم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، إشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد الله باسلامة، صنعاء (2012).
134. النعيم، نورة عبد الله العلي: الوضع الاقتصادي فى الجزيرة العربية فى الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، الرياض (1992).
135. النعيم، نورة بنت عبد الله بن علي: التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض (2000).

136. النعيمات، سلامة صالح، والسويدات، عايشة سليمان: البغاء عند العرب قبل الإسلام، 2014، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلّد 7، العدد 1، عمان (2014).
137. النواب، رويدة فيصل موسى: التبادل التجاري للدولة السبئية، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، السنة الثالثة (2011).
138. نور الدين، عبد الحليم: مومياء شبام الغراس محافظة صنعاء ـ مجلة الإكليل ـ العدد 23 ـ شتاء (1995).
139. نور الدين، عبد الحليم: مقدمة في الآثار والمتاحف اليمنية، مطابع المجلس الأعلى للآثار، القاهرة (2008).
140. يادكار، طالب رشيد: مبادئ القانون الدولي العام، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، أربيل (2009).
141. ياسين، محمود: مدن لا يعرفها العابرون، مطابع وكالة الأنباء اليمنية سبأ، صنعاء (2006).
142. يوسف، فرد الله أحمد: «مسكوكات ممالك شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام»، مجلة آدوماتو، العدد الخامس، يناير، (2002).
143. يوسف، فرد الله أحمد: «مسكوكات الممالك العربية قبل الإسلام ـ الخصائص العامة والملامح المشتركة»، مجلة أبجديات، العدد 5، (2010).

المراجع الأجنبية:

1. Alshamali et al: Local Population Structure in Arabian Peninsula Revealed by Y - STR Diversity, Hum Hered 2009; 68: 45–54.

2. Amirkhanov. H.A: Cave Al - Guza: The Multilayer Site of Oldowan in South Arabia. —M.: TAUS , 2008. — 56 p. — IS BN - 978 - 5 - 903011 - 28 - 5.

3. ARBACH, MOUNIR & MARAQTEN, MOHAMMED: NOTES ON THE ROOT L'K «TO SEND» AND THE TERM ML'K «MESSENGER» IN THE ANCIENT SOUTH ARABIAN INSCRIPTIONS, INTERNATIONAL JOURNAL OF ORIENTAL AND MEDITERRANEAN STUDIES, VOLVME XI. 2018 (2018).

4. Autenrieth, Natalia: Ethics: A 'Tribal' Perspective, CPA, Executive Coach, Autenrieth Advantage, November 2, 2015.

5. Buffa,Vittoria: Five female figurines from Southwest Arabia and the Horn of Africa, https://www.academia.edu,(2004).

Černý V, Mulligan CJ, Rídl J, Žaloudková M, Edens C, Hájek M, et.6
Saharan, West - al.: Regional differences in the distribution of the sub
Eurasian and South Asian mtDNA lineages in Yemen. American
.Journal of Physical Anthropology. 2008;136:128–37

Chauhan, Parth R.: Early Homo Occupation Near the Gate of Tears:.7
Examining the Paleoanthropological Records of Djibouti and Yemen,
Part of the Vertebrate Paleobiology and Paleoanthropology book series
.(VERT), https://scinapse.io/papers/178389021 (2009)

Islamic Arabian - Digital Archive for the Study of pre .8
Inscriptions)DASI) http://dasi.cnr.it

Daum, Werner & Walter W. Müller, Norbert Nebes und Walter.9
Raunig: Im Land, Der Königin von Saba Kunstschätze aus dem antiken
Jemen, Published by Dörfler Verlag GmbH ISBN 10: 3895555606
ISBN 13: 978389555560, Herausgegeben vom Staatlichen Museum
.für Völkerkunde München in Zusammenarbeit mit (2000)

Delagnes, Anne, et al: Inland human settlement in southern Arabia .10
55,000 years ago. New evidence from the Wadi Surdud Middle
Paleolithic site complex, western Yemen, Journal of Human Evolution
.474 - Volume 63, Issue 3, September 2012, Pages 452

Edens, Christopher: The Bronze Age of Highland Yemen, .11
Chronological and Spatial Variability of Pottery and Settlement,
Published ,(pages 24) 128 - Paléorient Vol. 25, No. 2 (1999), pp. 105
.By: Paleorient and CNRS Editions, (1999)

Gibson, McGuire & Tony J. Wilkinson: ORIENTAL INSTITUTE .12
INVESTIGATIONS IN YEMEN: PROGRESS REPORT,
.(1996 - 1995) oi.uchicago.edu, ANNUAL REPORT

Godelier, Maurice: Les Tribus dans l’histoire et face aux États .13
.(Paris, CNRS éd.(, (2010)

Chromosomal ـ Rooting D0 African Y ـ Haber, Marc et al: A Rare Deep Haplogroup and Its Implications for the Expansion of Modern Humans Out of Africa, Genetics, Vol. 212, 1421–1428 August 2019

ـ «JAMME, A. W.F.: «SABAEAN INSCRIPTIONS FROM .14 BILQIS MAHR.AM (MARIB), with foreword by WENDELL .PHILLIPS, The Johns Hopkins Press, Baltimore 18,:\:1d., (1962)

Jamme, A. W. F., Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis .16 (Marib), Baltimore, (1962.)

Jeffrey I. Rose and Vitaly I. Usik: The «Upper Paleolithic» of South .17 Arabia, «The Evolution of Human Populations in Arabia: Palaeoenvironments, Prehistory & Genetics», M.D. Petraglia and © ,13_1 ـ 2719 ـ 481 ـ 90 ـ J.I. Rose (eds.), DOI 10.1007/978 .Springer Science+Business Media B.V. 2009

Kitchen, Kenneth A.: Documentation for Ancient Arabia, Part I: .18 Chronological Framework and Historical Sources, Liverpool .University press, (1994)

Kivisild T, Reidla M, Metspalu E, Rosa A, Brehm A, Pennarun E, .19 et al.: Ethiopian mitochondrial DNA heritage: tracking gene flow across and around the Gate of Tears. American Journal of Human Genetics, .2004; 75: 752–70

Kopp, H. Agrargeographie der Arabischen .20 Republik Jemen (Erlangen 1981). Ibid. (ed.) Länderkunde .(Stuttgart 2005) (Studien ـ Jemen) Jemen

Lombardi, Alessandra: The Sabaean stela CIH 705 reconsidered:.21 South Arabian and foreign traits, Semitica et Classica International Journal of Oriental and Mediterranean Studies, Volume 11, Print ISSN: .(2021) 9041 ـ Online ISSN: 2295 5937 ـ 2031

Lautepach H.: International Law, Collectde papers Vol. 1 General .work. Cambridge (1970)

Maraqten, Mohammed: The Pilgrimage to the Awām .22
_ Temple/Maḥram Bilqīs, Ma'rib, Yemen, South Arabian Long
Distance Trade in Antiquity, Ed. by George Hatke & Ronald Ruzieka
.Unabridged edition April (2021)

Muller, W.W.:Epigraphische Nachles aus Haz, NESE, vol.1, .23
.Wiesbaden, (1972)

NEWTON1, LYNNE S. AND JURIS ZARINSA: spects of Bronze .24
Age art of southern Arabia: The pictorial landscape and its relation to
political status, Arab. arch. epig. (2000) - economic and socio

Petraglia, Michael D., Huw S. Groucutt, Maria Guagnin, Paul S. .25
Breeze, and Nicole Boivin: Human responses to climate and ecosystem
- change in ancient Arabia, PNAS April 14, 2020 117 (15) 8263
first published April 13, 2020; ;8270
.https://doi.org/10.1073/pnas.1920211117

Retsö, Jan: When did Yemen become «Arabia felix»? Proceedings .26
- of the Seminar for Arabian Studies, Vol. 33, 2003 Papers at the thirty
- sixth meeting of the Seminar for Arabian Studies held in London, 18
.July 2002 20

https://www.jstor.org/stable/41223765, Published by: Archaeopress

Robin, C., Quelques comportements commus au paganisme, .27
Yéménite et a L'Islam, dans L'Arabie Antique de la Karib' il a
Mahomet, Revue du monde Musulman et de la Méditerranée, 61
.143 - (1991), pp. 141

Sabina, Antonini de Maigret: South Arabian Religious .28
Iconography: The Language of Symbols and the Representation of 29
Deities, Orient & Mediterranee, no.7, De Boccard, 11 rue de Medicis,
.Paris (2012)

Seipel, W. ed., 1998. Jemen: Kunst und Archäologie im Land der .30
.Königin von Saba'. Vienna: KHM

3. المراجع الشبكية (الإنترنت)

https://ahme3elsaye3.wordpress.com/2021/02/03/نسب ـ admixture ـ في ـ الشرق ـ الأوسط ـ وشمال ـ افريقيا/

http://www.openedition.org/6540

https://books.openedition.org/cefas/2708

https://books.openedition.org/cefas/1699 ((د. ماري ـ لويز إينيزان

موقع مدن تاريخية: تاريخ الاقتباس 5/10/2020، موضوع: المدن التاريخية والتراث الثقافي.

https://historicalcities.wordpress.com/مدن ـ تاريخيه/

الخرائط الخاصة بمواقع المحافظات: موقع المعرفة.

https://www.khuyut.com/blog/al ـ jawf ـ hadramout ـ river

الأهدل، شهاب، يمن ما قبل التاريخ: مستوطنات اليمن على ضفاف الأنهار والبحيرات، الجزء الثاني (https://almadaniyamag.com). تاريخ الاطلاع 1/9/2020.

https://www.aiys.org/dhamar. تاريخ الاطلاع 1/9/2020.

http://arabian ـ archaeology.com/arch4bronze.htm تاريخ الاطلاع 1/9/2020.

http://dasi.humnet.unipi.it/index.php?id=dasi_prj_epi.

Digital Archive for the Study of pre ـ Islamic Arabian Inscriptions) (DASI

http://dasi.cnr.it

https://www.facebook.com/groups/188231664638350/permalink/1035336743261167/

https://www.facebook.com/groups/188231664638350/permalink/71
/9633514831493

images.co.uk/CS.aspx?VP3 ـ https://www.akg

(عبد الله، محمد أسوان، البخور والمباخر في العربية الجنوبية من خلال المعطيات الأثرية والتاريخية 4، موقع آفاق التاريخ 16/04/2020)

.https://wefaq.net/c/horizons/67

محمد قربيصة، المدرجات الزراعية، الموسوعة العربية

الزراعية20%المدرجات/ency.com.sy/detail/9812 ـ http://arab

https://www.aiys.org/dhamar

archaeology.com/arch4bronze.htm ـ http://arabian

عبد الله، محمد أسوان، البخور والمباخر في العربية الجنوبية من خلال المعطيات الأثرية والتاريخية، موقع آفاق التاريخ 16/04/2020

(https://wefaq.net/c/horizons/75)

أوتنريث، ناتاليا: الأخلاق في منظور القبيلة، ترجمة محمد عبد الكريم يوسف، الصدى.نت (2015).

/http://elsada.net/92333

2. فهرس الأعلام

أ

ت

ي

3. فهرس الأماكن

أ

ك

ل

4. فهرس المصطلحات

أ